





ادب شمس

20 و 12 ص 1

375 ص 1

A.1032



كتاب  
علم الأدب

مقالات

لمشاهير العرب

على الجزء الاول

من

علم الأدب

جمع الاب لويس شينو اليسوعي



حق الطبع محفوظ للمطبعة  
طبع في مطبعة الابهاء المرسلين اليسوعيين  
بيروت سنة ١٨٨٧





# مَقَالَات

لبعض . شاهير كتّاب العرب

في الانشاء

## نُظْمَت

فصل في حقيقة علم الادب واقسامه واركانه

-----

المبحث الاول

في حدّ علم الادب

( عن الزمخشري والجرجاني والحاج خلفا بتصرف )

( راجع الجزء الاول من علم الادب صفحة ١ من التمهيد )

عِلْمُ الْأَدَبِ عِلْمٌ يُحْتَزَرُ بِهِ عَنْ جَمِيعِ أَنْوَاعِ الْخَطَا فِي كَلَامٍ  
أَعْرَبَ لَفْظًا وَكِتَابَةً . وَذَلِكَ أَنَّ فَايِدَةَ الْمُخَاطَبِ وَالْمُخَاوَرَاتِ فِي إِفَادَةِ  
الْعُلُومِ وَاسْتِفَادَتِهَا لَمْ تَتَّبِعْ لِلطَّالِّينَ إِلَّا بِالْأَلْفَاظِ وَالتَّكْتَابَةِ  
وَأَحْوَالِهِمَا كَانَ ضَبْطُ أَحْوَالِهِمَا بِمَا أَعْتَنَى بِهِ الْعُلَمَاءُ . فَاسْتَحْرَجُوا مِنْ  
أَحْوَالِهِمَا عُلُومًا سَبَّوْهَا بِالْعُلُومِ الْأَدَبِيَّةِ لِتَوْقِفِ أَدَبِ الدَّرْسِ عَلَيْهَا  
بِالذَّاتِ وَأَدَبِ النَّفْسِ بِالْوَاسِطَةِ يُتَعَرَّفُ مِنْهَا التَّفَاهُمْ عَمَّا فِي الضَّمَاوِرِ

## البحث الثاني

### في تقسيم الادب وانواع العلوم الادبية

( عن الوطواط والجرجاني )

( راجع صفحة ٢ و ٣ من تمهيد علم الادب )

الْأَدَبُ نَوْعَانِ نَفْسِيٌّ وَكَسْبِيٌّ . فَالنَّفْسِيُّ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ يَهْبُهُ لِمَنْ يُرِيدُ  
وَهُوَ مَا كَانَ مِنْ مَحَاسِنِ الْأَفْعَالِ الدَّائِمَةِ عَلَى كَرَمِ الطَّبَاعِ . وَالْكَسْبِيُّ  
مَا اسْتَفَادَتْهُ الْأَنْفُسُ مِنْ أَحَاسِنِ الْأَقْوَالِ الْآخِذَةِ بِاعْتَةِ الْقُلُوبِ  
وَالْأَسْمَاعِ وَهُوَ الَّذِي تَرَجَّتْ عَلَيْهِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ لِيَقَعَ ذِكْرُهُ فِي  
النُّفُوسِ أَحْسَنَ مَوْقِعٍ لِرَتْمِهِ لِأَجْلِ الْعُيُونِ بِالْإِجْلَالِ وَتَحْمَلِ  
النُّفُوسِ بِهِ لِمَلِيهَا إِلَيْهِ بِتَتَابُعِ الْإِذْلَالِ

وَأَمَّا تَقْسِيمُ الْأَدَبِ الْكَسْبِيِّ فَانَّهُمْ اخْتَلَفُوا فِي أَقْسَامِهِ فَذَكَرَ ابْنُ  
الْأَثَرِيِّ أَنَّهَا ثَمَانِيَةٌ وَقَسَمَهُ الْعَلَامَةُ الْخُرَجَانِيُّ إِلَى اثْنَيْ عَشَرَ قِسْمًا قَالَ :  
لِعِلْمِ الْأَدَبِ أُصُولٌ وَفُرُوعٌ . أَمَّا الْأُصُولُ فَالْبَحْثُ فِيهَا : (١) إِمَّا عَنْ  
الْمُفْرَدَاتِ ( مِنْ حَيْثُ جَوَاهِرُهَا وَمَوَادُّهَا وَهَيْئَاتُهَا ) فَعِلْمُ أَلْفَعَةٍ . أَوْ مِنْ  
حَيْثُ صُورَتِهَا وَهَيْئَاتِهَا فَقَطْ فَعِلْمُ الصَّرْفِ . أَوْ مِنْ حَيْثُ انْتِسَابِ  
بَعْضِهَا بِبَعْضٍ بِالْأَصَالَةِ وَالْقَرَعَةِ فَعِلْمُ الْأَشْتِقَاقِ . (٢) وَإِمَّا عَنْ  
الْمُرَكَّبَاتِ عَلَى الْإِطْلَاقِ . فَأَمَّا بِاعْتِبَارِ هَيْئَاتِهَا التَّرَكِيبِيَّةِ وَتَأْدِيَتِهَا لِمَعَانِيهَا  
الْأَصْلِيَّةِ فَعِلْمُ النُّحْوِ . وَإِمَّا بِاعْتِبَارِ أَقَادَتِهَا لِمَعَانٍ مُعَايِرَةٍ لِأَصْلِ الْمَعْنَى فَعِلْمُ  
الْمَعَانِي . وَإِمَّا بِاعْتِبَارِ كَيْفِيَّةِ تِلْكَ الْإِقَادَةِ فِي مَرَاتِبِ الْوُضُوحِ فَعِلْمُ

الْبَيَانِ. وَعِلْمُ الْبَدِيعِ ذَيْلٌ لِعِلْمِي الْمَعَانِي وَالْبَيَانِ دَاخِلٌ تَحْتَهُمَا. (٣) وَأَمَّا  
(عَنِ الْمُرَكَّبَاتِ الْمَوْزُونَةِ). فَأَمَّا مِنْ حَيْثُ وَزْنُهَا فَعِلْمُ الْعُرُوضِ أَوْ مِنْ  
حَيْثُ أَوَاخِرُهَا فَعِلْمُ الْقَوَافِي

وَأَمَّا الْفُرُوعُ فَالْبَحْثُ فِيهَا أَمَّا أَنْ يَتَعَلَّقَ بِنُقُوشِ الْكِتَابَةِ فَعِلْمُ  
الْخَطِّ أَوْ يَخْتَصُّ بِالْمَنْظُومِ فَالْعِلْمُ الْمُسَمَّى بِقَرَضِ الشِّعْرِ. أَوْ بِالْأَثَرِ  
فَعِلْمُ الْإِنْشَاءِ. أَوْ لَا يَخْتَصُّ بِشَيْءٍ فَعِلْمُ الْمُحَاضَرَاتِ وَمِنْهُ التَّوَارِيخُ

### البحث الثالث

## في موضوع علم الادب واركانه

(مقدمة ابن خلدون)

(راجع صفحة ٣ من تمهيد علم الادب)

هَذَا الْعِلْمُ لَامَوْضُوعٌ لَهُ يُنْظَرُ فِي إِثْبَاتِ عَوَارِضِهِ أَوْ نَفْيِهَا وَإِنَّمَا  
الْمَقْصُودُ مِنْهُ عِنْدَ أَهْلِ اللِّسَانِ ثَمَرُهُ وَهِيَ الْإِجَادَةُ فِي فَنِّي الْمَنْظُومِ  
وَالْمَنْثُورِ عَلَى أَسَالِيبِ الْعَرَبِ وَمَنَاجِيهِمْ . فَيَجْمَعُونَ لِذَلِكَ مِنْ كَلَامِ  
الْعَرَبِ مَا عَسَاهُ تَحْصُلُ بِهِ الْكَلِمَةُ مِنْ شِعْرِ عَلِي الطَّبَقَةِ وَتَسْجَعُ  
مُتَسَاوٍ فِي الْإِجَادَةِ وَمَسَائِلَ مِنَ اللُّغَةِ وَالنَّحْوِ مَبْثُوثَةٌ أَثْنَاءَ ذَلِكَ  
مُتَفَرِّقَةٌ يَسْتَقْرِي مِنْهَا النَّازِرُ فِي أَغْلَابِ مُعْظَمِ قَوَائِنِ الْعَرَبِيَّةِ مَعَ ذِكْرِ  
بَعْضٍ مِنْ أَيَّامِ الْعَرَبِ لِيُفْهَمَ بِهِ مَا يَقَعُ فِي أَشْعَارِهِمْ مِنْهَا وَكَذَلِكَ  
ذِكْرُ أُنْثَاهُمْ مِنَ الْأَنْسَابِ الشَّيْخَةِ وَالْأَخْبَارِ الْعَامَّةِ . وَالْمَقْصُودُ بِذَلِكَ  
كُلُّهُ أَنْ لَا يَحْتَجِيَ عَلَى النَّازِرِ فِيهِ شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ وَأَسَالِيهِمْ

وَمَنَاجِي بِلَاغَتِهِمْ إِذَا تَصَفَّحَهُ . لِأَنَّهُ لَا تَحْصُلُ الْمَلَكَةُ مِنْ حِفْظِهِ إِلَّا  
بَعْدَ فَهْمِهِ فَيَحْتَاجُ إِلَى تَقْدِيمِ جَمِيعِ مَا يَتَوَقَّفُ عَلَيْهِ فَهْمُهُ . ثُمَّ أَنَّهُمْ  
إِذَا أَرَادُوا حَدَّ هَذَا الْفَنِّ قَالُوا : الْأَدَبُ هُوَ حِفْظُ أَشْعَارِ الْعَرَبِ  
وَإَخْبَارِهَا وَالْأَخْذُ مِنْ كُلِّ عِلْمٍ بِطَرَفٍ يُرِيدُونَ مِنْ عُلُومِ اللِّسَانِ  
أَوِ الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ مِنْ حَيْثُ مُتُونُهَا فَقَطْ إِذْ لَا مَدْخَلَ بغيرِ ذَلِكَ  
مِنْ الْعُلُومِ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ إِلَّا مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الْمُتَأَخِّرُونَ عِنْدَ كَلْفِهِمْ  
بِصَنَاعَةِ الْبَدِيعِ مِنَ التَّوْرِيَّةِ فِي أَشْعَارِهِمْ وَتَرْسُلِهِمْ بِالْأَصْطِلَاحَاتِ  
الْعِلْمِيَّةِ . فَاحْتَاجَ صَاحِبُ هَذَا الْفَنِّ إِلَى أَصْطِلَاحَاتِ الْعُلُومِ لِيَكُونَ قَائِمًا  
عَلَى فَهْمِهَا . وَسَمِعْنَا مِنْ شَيْوْخِنَا فِي مَجَالِسِ التَّعْلِيمِ أَنَّ أَصُولَ هَذَا الْفَنِّ  
وَأَرْكَانَهُ أَرْبَعَةٌ دَوَائِينَ وَهِيَ : أَدَبُ الْكَاتِبِ لِابْنِ قُتَيْبَةَ وَكِتَابُ  
الْكَامِلِ لِلْمُبَرِّدِ وَكِتَابُ الْبَيَانِ وَالْتِمِيزِ لِلجَّاحِظِ وَكِتَابُ التَّوَادِرِ  
لِإِبْنِ عَلِيٍّ الْقَلْبِي الْبَغْدَادِيِّ وَمَا سِوَى هَذِهِ الْأَرْبَعَةِ فَتَبَعَ لَهَا وَفَرَعَ  
عَنْهَا وَكُتِبَ الْمُخْتَصَرَاتُ فِي ذَلِكَ كَثِيرَةٌ . وَكَانَ الْغِنَاءُ فِي الصَّدْرِ الْأَوَّلِ  
مِنْ أَجْزَاءِ هَذَا الْفَنِّ لِمَا هُوَ تَابِعٌ لِلشَّعْرِ إِذِ الْغِنَاءُ إِنَّمَا هُوَ تَلْحِينُهُ .  
وَكَانَ الْكِتَابُ وَالْفَضْلُ مِنَ الْخَوَاصِّ فِي الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ يَأْخُذُونَ  
أَنْفُسَهُمْ بِهِ جَرْمًا عَلَى تَحْصِيلِ آسَالِيبِ الشَّعْرِ وَفُتُونِهِ فَلَمْ يَكُنْ أَنْتِحَالُهُ  
قَادِمًا فِي الْعَدَالَةِ وَالْمُرُوءَةِ وَقَدْ أَلَفَ الْقَاضِي أَبُو الْقَرَجِ الْأَصْبَهَانِيُّ  
كِتَابَهُ فِي الْأَغَانِي جَمَعَ فِيهِ أَخْبَارَ الْعَرَبِ وَأَشْعَارَهُمْ وَأَنْسَابَهُمْ  
وَأَيَّامَهُمْ وَدَوْلَتَهُمْ . وَجَعَلَ مَبْنَاهُ عَلَى الْغِنَاءِ فِي أَلَمَاتِهِ صَوْتًا أَلْتِي اخْتَارَهَا  
الْمَغْنُونُ لِلرَّشِيدِ فَاسْتَوْعَبَ فِيهِ ذَلِكَ أَمَّ اسْتِيعَابٍ وَأَذَنَاهُ . وَلَعَمْرِي

إِنَّهُ دِيْوَانُ الْعَرَبِ وَجَامِعُ أَشْتَاتِ الْحَاسِنِ وَالتَّارِيخِ وَالْغِنَاءِ وَسَائِرِ  
الْأَحْوَالِ . وَلَا يُعَدُّ بِهِ كِتَابٌ فِي ذَلِكَ فِيمَا نَعْلَمُهُ وَهُوَ الْغَايَةُ الَّتِي  
يَسْتَوْ إِلَيْهَا الْأَدَبُ وَيَقِفُ عِنْدَهَا

### المبحث الرابع

### في شرف الادب ومنافعه

( عن التعالي وابن عبد ربه والوطواط )

( راجع صفحة ٢ من تمهيد علم الادب )

قَالَ أَكْثَمُ بْنُ صَيْفِيٍّ : الرَّجُلُ بِلَا أَدَبٍ شَخْصٌ بَغِيرَ آلَةٍ وَجَسَدٌ  
بِلَا رُوحٍ . وَقِيلَ : الْأَدَبُ أَكْرَمُ الْجَوَاهِرِ طَبِيعَةٌ وَأَنْفُسُهَا قِيَمَةٌ  
فَاطْمَبُوهُ فَإِنَّهُ زِيَادَةٌ فِي الْفَضْلِ وَالنَّبَاهَةِ وَمَادَّةٌ لِلْعَقْلِ وَدَلِيلٌ عَلَى  
الْمُرُوءَةِ وَمَنْبَهَةٌ لِلرَّأْيِ وَلِلصَّوَابِ وَصَلَحٌ فِي الْغُرَبَةِ وَآيِسٌ فِي  
الْوَحْدَةِ وَجَمَالٌ فِي الْحَافِلِ وَصِلَةٌ فِي الْجَالِسِ . وَإِذَا أَكْرَمَكَ النَّاسُ  
لِمَالٍ أَوْ سُلْطَانٍ فَلَا يُعْجِبُكَ ذَلِكَ فَإِنَّ الْكِرَامَةَ تَزُولُ بِزَوَالِهَا  
وَلَيُعْجِبُكَ إِذَا أَكْرَمُوكَ لِدِينٍ أَوْ أَدَبٍ . قَالَ الشَّاعِرُ :

إِذَا أَلْفَتِي فَاتَهُ مَالٌ يُجْتَمَهُ فَنِي التَّادُّبِ بِمَا فَاتَهُ خَلْفُ  
هُوَ أَلْبَاسُ الَّذِي لَا شَيْءَ يَغْدِلُهُ وَالْمُخَرُّ الدِّينُ فِيهِ الْفَضْلُ وَالشَّرَفُ  
قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ لِنَيْبِهِ : تَادَّبُوا فَإِنْ كُنْتُمْ مُلُوكًا بَرَزْتُمْ وَإِنْ  
كُنْتُمْ أَوْسَاطًا فُتِمْتُمْ وَإِنْ أَعَوَزَكُمْ الْمَعَاشُ عِشْتُمْ . وَقِيلَ : إِنْ  
الْأَدَبُ يُفِيدُ الرِّغَابَ الْحَلِيلَةَ وَيَعِزُّ بِهَا عَشِيرَةَ وَيُكْثِرُ الْأَنْصَارَ لِعَلِيٍّ

رَزِيَّةً . قَالَ بَزْرَجَهُرُ : مَنْ كَثُرَ آدَبُهُ كَثُرَ شَرَفُهُ وَإِنْ كَانَ وَضِعًا .  
وَبَعْدَ صِيئَتِهِ وَإِنْ كَانَ خَاطِلًا . وَسَادَ وَإِنْ كَانَ غَرِيْبًا وَكَثُرَتْ حَوَانِجُ  
النَّاسِ إِلَيْهِ وَإِنْ كَانَ فَقِيرًا . وَقَالُوا : مَنْ ذَابَ فِي طَرِيقِ الْآدَبِ أَذْرَكَ  
حَاجَتَهُ وَمَلَكَ نَاصِيئَتَهُ وَنَبَلَ قَدْرَهُ وَنَبَهَ ذِكْرَهُ . يُتَوَبُّ الْآدَبُ عَنْ  
النَّسَبِ وَلَا يَنْفَعُ نَسَبٌ إِلَّا آدَبٌ وَقَالَ الشَّاعِرُ :

كَمْ مِنْ حَسْبِيسٍ وَضِيعٍ الْقَدْرِ لَيْسَ لَهُ فِي الْعِزِّ يَتٌ وَلَا يُنْمَى إِلَى نَسَبٍ  
قَدْ صَارَ بِالْآدَبِ الْخُمُودُ ذَا شَرَفٍ غَالٍ وَذَا حَسْبٍ مَخْضٍ وَذَا نَسَبٍ  
يُعْلِي التَّأْدَبُ أَقْوَامًا وَيَرْفَعُهُمْ حَتَّى يُسَادُوا ذَوِي الْعُلَيَاءِ فِي الرُّتَبِ  
وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ بَعْضِ الْأَعَاجِمِ يَفْتَخِرُ وَيَعْتَدِرُ :

مَا لِي عَقْلِي وَهَيْئِي حَسْبِي مَا أَنَا مَوْلَى وَلَا أَنَا عَرَبِي  
وَإِذَا أَنْتَمُ إِلَى أَحَدٍ فَلَنْنِي مُنْتَمٍ إِلَى آدِي  
فَأَلْبَسُوا إِذَا الْآدَبُ حُلَّةً وَتَرَيْنَاهُ حِلْيَةً فَلَا تَهْ أَنْفَقُ مَعَاشَ وَاجِلُ  
رِيَاشِ إِنْ أَخْبَجْتُمْ إِلَيْهِ كَانَ لَكُمْ مَالًا وَإِنْ اسْتَعْنَيْتُمْ عَنْهُ كَانَ لَكُمْ  
جَمَالًا

## فصل في قوى العقل الغريزية

### البحث الاول

في العقل وشرفه واصل تسميته وتقسيمه

( عن الماوردي باختصار وتصرف )

( راجع صفحة ٣ من توطئة علم الادب )

اعلم ان لكل فضيلة اُسًا ولكل اَدَبٍ يَنْبُوعًا. وَاُسُ الْقَضَائِلِ  
وَيَنْبُوعُ الْاَدَابِ هُوَ الْعَقْلُ الَّذِي جَعَلَهُ اللهُ تَعَالَى لِلدِّينِ اَصْلًا وَلِلدُّنْيَا  
عِمَادًا فَأَوْجَبَ الدِّينَ بِكَمَالِهِ وَجَعَلَ الدُّنْيَا مُدَبَّرَةً بِاَحْكَامِهِ وَالْفَرْقَ  
بَيْنَ خَلْقِهِ مَعَ اخْتِلَافِ هِمَمِهِمْ وَمَآرِبِهِمْ . قَالَ بَعْضُ الْبُلَغَاءِ : الْعَقْلُ  
خَيْرُ الْمَوَاهِبِ وَالْجَهْلُ شَرُّ الْمَصَائِبِ . قَالَ اِبْرَاهِيمُ بْنُ حَسَّانَ :  
يَرِينُ الْفَقَى فِي النَّاسِ صِحَّةُ عَقْلِهِ وَإِنْ كَانَ مَحْظُورًا عَلَيْهِ مَكَاسِبُهُ  
يَشِينُ الْفَقَى فِي النَّاسِ قِلَّةُ عَقْلِهِ وَإِنْ كَرُمَتْ اَعْرَاقُهُ وَمَنَاسِبُهُ  
يَعِيشُ الْفَقَى بِالْعَقْلِ فِي النَّاسِ اِنَّهُ عَلَى الْعَقْلِ يَجْرِي عِلْمُهُ وَتَجَارِبُهُ  
وَأَفْضَلُ قَسَمِ اللهِ لِلْمَرْءِ عَقْلُهُ فَلَيْسَ بِنَ الْأَشْيَاءِ شَيْءٌ يُقَارِبُهُ  
إِذَا اكْتَمَلَ الرَّحْمَنُ لِلْمَرْءِ عَقْلَهُ فَقَدْ كَمَلَتْ اَخْلَاقُهُ وَمَآرِبُهُ  
وَقَالَ مُطَرِّفٌ : مَا أُوتِيَ الْعَبْدُ بَعْدَ الْإِيْمَانِ بِاللَّهِ تَعَالَى أَفْضَلُ  
مِنَ الْعَقْلِ . وَيُقَالُ : مَا تَمَّ دِينُ امْرِئٍ حَتَّى يَتِمَّ عَقْلُهُ . قَالَ بَرْزَجَهْرُ :  
الْعَقْلُ كَالْمَسْكِ إِنْ خَبَأَتْهُ عَيْنٌ وَإِنْ بَقِيَ نَفَقٌ . وَقَالُوا : الْعَقْلُ  
كَتُورٍ وَضَعَهُ اللهُ طَبْعًا وَغَرَزَهُ فِي الْقَلْبِ كَالثُّورِ فِي الْعَيْنِ وَهُوَ الْبَصَرُ .



وَكَمَا يُدْرِكُ بِالْبَصَرِ شَوَاهِدُ الْأُمُورِ كَذَلِكَ يُدْرِكُ بِنُورِ الْعَقْلِ كَثِيرٌ  
مِنَ الْمَخْجُوبِ وَالْمُسْتُورِ . وَعَمَى الْقَلْبُ كَعَمَى الْبَصَرِ . قَالَ بَزْرَجَمُهرُ :  
الْإِنْسَانُ صُورَةٌ فِيهَا عَقْلٌ فَإِنْ أَخْطَاهُ الْعَقْلُ وَلَزِمَتْهُ الصُّورَةُ فَلَيْسَ  
بِإِنْسَانٍ . قَالَ الْمُتَنَبِّي :

لَوْ لَا الْعُقُولُ لَكَانَ آدَمِيُّ ضَيْغَمٍ آدَمِيُّ إِلَى شَرَفٍ مِنَ الْإِنْسَانِ  
وَسُيَّ الْعَقْلُ عَقْلًا تَشْبِيهَا بِعَقْلِ النَّاقَةِ (١) لِأَنَّ الْعَقْلَ يَنْعَمُ  
الْإِنْسَانُ مِنَ الْإِقْدَامِ عَلَى شَهَوَاتِهِ إِذَا قُبِحَتْ كَمَا يَنْعَمُ الْعَقْلُ النَّاقَةُ  
مِنَ الشُّرُودِ إِذَا نَفَرَتْ . وَلِذَلِكَ قَالَ عَامِرُ بْنُ قَيْسٍ : إِذَا عَقَلَكَ  
عَقْلُكَ عَمَّا لَا يَنْبَغِي فَأَنْتَ عَاقِلٌ

## البحث الثاني

### في تقسيم العقل الى غريزي ومكتسب

( عن الوطواط والماوردي )

إِعْلَمُ أَنَّ بِالْعَقْلِ نَعْرِفُ حَقَائِقَ الْأُمُورِ وَيُفْصَلُ بَيْنَ الْحَسَنَاتِ  
وَالسَّيِّئَاتِ وَقَدْ يَنْقَسِمُ قِسْمَيْنِ غَرِيزِيٍّ وَمُكْتَسَبٍ . قَالَ الْعُثَيْبِيُّ :  
الْعَقْلُ عَقْلَانِ عَقْلٌ تَفَرَّدَ اللَّهُ بِصَنْعِهِ وَهُوَ الْأَصْلُ . وَعَقْلٌ يَسْتَفِيدُهُ  
الْمَرْءُ بِهِ وَهُوَ الْفَرْعُ فَإِذَا اجْتَمَعَا قَوَى كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ تَقْوِيَةً  
النَّارِ فِي الظُّلْمَةِ . وَلِذَلِكَ قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :  
رَأَيْتُ الْعَقْلَ عَقْلَيْنِ فَطَبُوعٌ وَمَسْمُوعٌ

١ يُقَالُ عَقَلَ النَّاقَةُ عَقْلًا إِي رِبَطَهَا فِي وَسْطِ ذِرَاعَيْهَا بِجَبَلٍ وَيُسَمَّى الْجَبَلُ عَقْلًا

فَلَا يَنْفَعُ مَسْمُوعٌ إِذَا لَمْ يَكُ مَطْبُوعٌ  
كَمَا لَا تَنْفَعُ الشَّمْسُ وَضُوءُ الْعَيْنِ مُمْنُوعٌ \*

### المبحث الثالث

## في العقل الفرزي وتعريفه

( عن الماوردي باختصار )

إِنَّ الْعَقْلَ الْفَرِيزِيَّ هُوَ الْعَقْلُ الْحَقِيقِيُّ وَلَهُ حَدٌّ يَتَعَلَّقُ بِهِ  
التَّكْلِيفُ لَا يَجَاوِزُهُ إِلَى زِيَادَةٍ وَلَا يَنْقُصُهُ عَنْهُ إِلَى نُقْصَانٍ . وَبِهِ

\* قد قسّم القزويني القوى العقلية الى اربعة اقسام مرجعها الى هذين القسمين  
قال: القوى العقلية اربعة اقسام. (الاول) القوة التي جابها رقي الانسان انبهاهم وهي  
التي جابها استعداد قبول العلوم النظرية وتدير الصناعات الفكرية فيقال انها القوة  
الفريزية جابها استعداد الانسان لادراك العلوم النظرية. فكما ان الحياة هي الجسم للركلات  
الاختيارية والادراكات الحسية فكذلك هذه القوة الفريزية هي حياة الانسان للعلوم  
النظرية والصناعات الفكرية والحكماء يقولون لها العقل الهولاني وهي مجرد  
الاستعداد الذي هو موجود في الطفل وغير موجود في ولد البهيمة. (الثاني) القوة التي  
تخرج الى الوجود في ذات الطفل المميز جواز الجائزات واستحالة المستحيلات كما علم  
بأن الاثنين أكثر من الواحد والشخص الواحد لا يكون في مكانين فيقال له  
التصورات والتصديقات الحاصلة للنفس بالفطرة والحكماء يسمونها العقل بالملكة .  
( والثالث ) قوة تحصل بها العلوم المستفادة من التجارب بمجاري الاحوال فمن اتصف بها  
يقال انه دال في العادة ومن لم يتصف بها يقال انه غبي غمر . فيقال لها ممان مجتمة  
في الذهن من مقدمات تستنبط بها المصالح في الاعراض . ( الرابع ) قوة جابها تعرف  
حقائق الامور وعواقبها فتقمع الشهوة الداعية الى اللذة العاجلة وتحتمل المكروه  
العاجل لسلامة الآجل . فاذا حصلت هذه القوة يسمى صاحبها عاقلاً من حيث ان  
اقدامه واجمامه بحسب ما يقتضيه النظر في العواقب لا بحسب الشهوة العاجلة . والأولان  
بالطبع والأخيران بالاكساب

يُمَازَ الْإِنْسَانُ عَنْ سَائِرِ الْحَيَوَانِ فَإِذَا تَمَّ فِي الْإِنْسَانِ سُبِّيَ عَاقِلًا  
وُخْرِجَ بِهِ إِلَى حَدِّ الْكَمَالِ كَمَا قَالَ صَالِحُ بْنُ عَبْدِ الْقُدُّوسِ :  
إِذَا تَمَّ عَقْلُ الْمُرءِ تَمَّتْ أُمُورُهُ وَتَمَّتْ أَمَانِيهِ وَتَمَّ بِنَاؤُهُ  
وَاخْتَلَفَ النَّاسُ فِي حَدِّ الْعَقْلِ وَفِي صِفَتِهِ عَلَى مَذَاهِبَ شَتَّى فَقَالَ  
قَوْمٌ : هُوَ جَوْهَرٌ لَطِيفٌ يُفْصَلُ بِهِ بَيْنَ الْحَقَائِقِ الْمَعْلُومَاتِ . . وَهَذَا  
الْقَوْلُ فِي الْعَقْلِ بِأَنَّهُ جَوْهَرٌ لَطِيفٌ قَاسِدٌ مِنْ وَجْهَيْنِ : ( أَحَدُهُمَا )  
أَنَّ الْجَوَاهِرَ مُمَاثِلَةٌ فَلَا يَصِحُّ أَنْ يُوجِبَ بَعْضُهَا مَا لَا يُوجِبُ سَائِرُهَا  
وَلَوْ أَوْجَبَ سَائِرُهَا مَا يُوجِبُ بَعْضُهَا لَأَسْتَفْنَى الْعَاقِلُ بِوُجُودِ نَفْسِهِ عَنْ  
وُجُودِ عَقْلِهِ (١) . (وَالثَّانِي) أَنَّ الْجَوْهَرَ يَصِحُّ قِيَامُهُ بِذَاتِهِ فَلَوْ كَانَ الْعَقْلُ  
جَوْهَرًا لَجَازَ أَنْ يَكُونَ عَقْلٌ بَغَيْرِ عَاقِلٍ كَمَا جَازَ أَنْ يَكُونَ جِسْمٌ بَغَيْرِ  
عَقْلٍ . فَأَمْتَنَعَ هَذَيْنِ أَنْ يَكُونَ الْعَقْلُ جَوْهَرًا . وَقَالَ آخَرُونَ : الْعَقْلُ  
هُوَ الْمُدْرِكُ لِلْأَشْيَاءِ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ مِنْ حَقَائِقِ الْمَعْنَى . وَهَذَا الْقَوْلُ  
وَرَأْيُنَا كَانَ أَقْرَبَ بِمَا قَبْلَهُ قَبِيضٌ مِنَ الصَّوَابِ مِنْ وَجْهِ وَاحِدٍ وَهُوَ :  
أَنَّ الْأَذْرَاكَ مِنْ صِفَاتِ الْحَيِّ (٢) وَالْعَقْلُ عَرَضٌ يَسْتَحِيلُ ذَلِكَ مِنْهُ كَمَا  
يَسْتَحِيلُ أَنْ يَكُونَ مُتَلَذِّذًا أَوْ أَلْمًا أَوْ مُشْتَبِيًا (٣) . وَقَالَ آخَرُونَ وَنَ

( ١ ) يُرِيدُ أَنَّهُ لَوْ كَانَ الْعَقْلُ جَوْهَرًا مُخْتَلَعًا عَنْ جَوْهَرِ النَّفْسِ مُلَازِمًا لَهَا لَأَتَّفَقَا فِي  
جَمِيعِ أَجْزَائِهِمَا لِأَنَّ النَّفْسَ وَالْعَقْلَ بَسِطَانِ مُتَاثِلَيْنِ فِي ذَلِكَ وَإِذَا تَمَّ الْإِتْفَاقُ كَانَ جَوْهَرِ  
النَّفْسِ وَجَوْهَرِ الْعَقْلِ وَاحِدًا فَيَسْتَفْنَى الْإِنْسَانُ عَنْ عَقْلِهِ بِوُجُودِ نَفْسِهِ وَهَذَا بَاطِلٌ  
( ٢ ) يُرِيدُ هُنَا بِالْأَذْرَاكَ عَلَى مَا حَدَّهُ الْحُكْمَاءُ تَحْتِلُ حَقِيقَةُ الشَّيْءِ وَحَدُّهُ مِنْ غَيْرِ  
حُكْمٍ عَلَيْهِ أَوْ اثْبَاتٍ وَرُبِمَا أَيْضًا التَّصَوُّرُ وَهَذَا يَبْعَثُ كُلَّ حَيٍّ لَا يَخْتَصُّ بِالْإِنْسَانِ فَقَطْ  
( ٣ ) أَيِ أَنَّ الْعَقْلَ لَا يُمْكِنُ أَذْرَاكَ هَذِهِ الْجُزْئِيَّاتِ كَمَا يَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ مُتَلَذِّذًا  
أَوْ أَلْمًا أَوْ مُشْتَبِيًا . لِأَنَّ اللَّذَّةَ وَالْأَلَمَ وَالشَّهْوَةَ مِنَ الْأَنْفِعَالِ الطَّارِئَةِ عَلَى الْمَرْكَبِ

الْمُكَلِّمِينَ : الْعَقْلُ هُوَ حَمْلُهُ لُغَوِيٍّ ضَرُورِيَّةٍ . وَهَذَا لَحْدٌ غَيْرُ مَحْضُورٍ  
لَمَّا تَصَنَّهُ مِنَ الْإِجْمَالِ وَيَتَوَلَّاهُ مِنَ الْإِحْتِمَالِ . وَالْحَدُّ إِنَّمَا هُوَ بَيَانُ  
الْمَحْدُودِ بِمَا يَنْفِي عَنْهُ الْإِجْمَالُ وَالْإِحْتِمَالُ . وَقَالَ آخَرُونَ وَهُوَ الْقَوْلُ  
الصَّحِيحُ : إِنَّ الْعَقْلَ هُوَ الْعِلْمُ بِالْمَذَرَكَاتِ الضَّرُورِيَّةِ . وَذَلِكَ نَوْعَانِ :  
أَحَدُهُمَا مَا وَقَعَ عَنْ دَرَكِ الْحَوَاسِ وَالْآخَرُ مَا كَانَ مُبْتَدئًا فِي النُّفُوسِ .  
فَأَمَّا مَا كَانَ وَقَعًا عَنْ دَرَكِ الْحَوَاسِ فَقُلُ الْمُرَيَّاتِ الْمَذَرَكَةِ بِالنَّظَرِ  
وَالْأَصَوَاتِ الْمَذَرَكَةِ بِالسَّمْعِ وَالطُّعُومِ الْمَذَرَكَةِ بِالذَّوْقِ وَالرَّوَانِحِ  
الْمَذَرَكَةِ بِالسَّمِّ وَالْأَجْسَامِ الْمَذَرَكَةِ بِاللَّمْسِ . فَإِذَا كَانَ الْإِنْسَانُ  
يَمْنُ لَوْ أَدْرَكَ بِحَوَاسِهِ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ ثَبَتَ لَهُ هَذَا النَّوعُ مِنَ الْعِلْمِ .  
لِأَنَّهُ خَرُوجُهُ فِي حَالِ تَغْيِيزِ عَيْنَيْهِ مِنْ أَنْ يَدْرِكَ بِهِمَا وَيَعْلَمُ لَا يَخْرُجُهُ  
مِنْ أَنْ يَكُونَ كَامِلَ الْعَقْلِ مِنْ حَيْثُ عِلْمٍ مِنْ حَالِهِ أَنْ لَوْ أَدْرَكَ  
لَعِلِمَ . وَأَمَّا مَا كَانَ مُبْتَدئًا فِي النُّفُوسِ فَكَأَنَّ الْعِلْمَ بِأَنَّ الشَّيْءَ لَا يَخْلُو  
مِنْ وُجُودٍ أَوْ عَدَمٍ . وَأَنَّ الْمَوْجُودَ لَا يَخْلُو مِنْ حَدُوثٍ أَوْ قِدَمٍ .  
وَأَنَّ مِنَ الْتَحَالِ اجْتِمَاعَ الضَّدَيْنِ . وَأَنَّ الْوَاحِدَ أَقْلٌ مِنَ الْإِثْنَيْنِ .  
وَهَذَا النَّوعُ مِنَ الْعِلْمِ لَا يَجُوزُ أَنْ يَتَنَفَّى عَنِ الْعَاقِلِ مَعَ سَلَامَةِ حَالِهِ  
وَكَمَالِ عَقْلِهِ . فَإِذَا صَارَ عَالِمًا بِالْمَذَرَكَاتِ الضَّرُورِيَّةِ مِنْ هَذَيْنِ النَّوعَيْنِ  
فَهُوَ كَامِلُ الْعَقْلِ

الانساني . ولإدراك العقل يقتضي ان تجرد مادته عن المحسوسات وهذا ما يصنعه  
العقل بالفعل فتنتقل المفردات بذلك الى حالة الكلّيات

## البحث الرابع في العقل المكتسب ( عن الماوردي )

إِنَّ الْعَقْلَ الْمَكْتَسَبَ هُوَ نَتِيجَةُ الْعَقْلِ الْفَرِيزِيِّ وَهُوَ نَهَايَةُ  
الْمَعْرِفَةِ وَصِحَّةِ السِّيَاسَةِ وَإِصَابَةِ الْفِكْرِ وَلَيْسَ لِهَذَا حَدٌّ لِأَنَّهُ يَنْبَغِي  
إِنْ اسْتَعْمِلَ وَيَنْقُصُ إِنْ أَهْمِلَ . وَغَاوُهُ يَكُونُ بِأَحَدِ وَجْهَيْنِ :  
( الْوَجْهُ الْأَوَّلُ ) بِكَثْرَةِ الْأَسْتِعْمَالِ إِذَا لَمْ يُعَارِضْهُ مَا نَعِيَ مِنْ هَوًى  
وَلَا صَادٍّ مِنْ شَهْوَةٍ كَالَّذِي يَحْصُلُ لِلذَّوِي الْأَسْنَانِ مِنَ الْخُفْكَةِ وَصِحَّةِ  
الرَّوْيَةِ لِكَثْرَةِ التَّجَارِبِ وَمُمَارَسَةِ الْأُمُورِ . وَإِذَلِكَ حِمْدَتُ الْعَرَبِ  
أَرَاءَ الشُّيُوخِ حَتَّى قَالَ بَعْضُهُمْ : الْمَشَايِخُ أَشْجَارُ الْوَقَارِ . وَمَتَابِعُ  
الْأَخْبَارِ . لَا يَطِيشُ لَهُمْ سَهْمٌ . وَلَا يَسْقُطُ لَهُمْ وَهْمٌ . إِنْ رَأَوْكَ فِي  
قَبِيحٍ صَدُّوكَ . وَإِنْ أَبْصَرُوكَ عَلَى جَمِيلٍ أَمَدُوكَ . وَقِيلَ : عَلَيْكُمْ  
بِأَرَاءِ الشُّيُوخِ فَإِنَّهُمْ إِنْ فَقَدُوا ذِكَاءَ الطَّبَعِ فَقَدْ مَرَّتْ عَلَى عَيْنِهِمْ  
وُجُوهُ الْعَبَرِ . وَتَصَدَّتْ لِأَسْمَاعِهِمْ آثَارُ الْغَيْرِ . وَقِيلَ فِي مَنْثُورِ  
الْحِكْمِ : مَنْ طَالَ عُمُرُهُ نَقَصَتْ قُوَّةُ بَدَنِهِ وَزَادَتْ قُوَّةُ عَقْلِهِ . وَقَالَ  
فِيهِ : لَا تَدْعُ الْأَيَّامَ جَاهِلًا إِلَّا أَدَبَتْهُ . وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ :  
كَفَى بِالْتَّجَارِبِ تَأَذُّبًا وَتَقَلُّبُ الْأَيَّامِ عِظَةً . وَقَالَ بَعْضُ الْبُلَغَاءِ :  
الْجُرْبَةُ مِرَاةُ الْعَقْلِ . وَالنِّعَةُ ثَمَرَةُ الْجَهْلِ . وَقَالَ بَعْضُ الْأَدَمَاءِ :  
كَفَى مُخْبِرًا عَمَّا بَقِيَ مَا خَضَى وَكَفَى عِبْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا جَرَّبُوا . وَقَالَ  
بَعْضُ الشُّعَرَاءِ :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْعَقْلَ زَيْنٌ لِأَهْلِهِ وَلَكِنَّ تَأَمَّ الْعَقْلَ طُولَ التَّجَارِبِ  
وَقَالَ آخَرُ:

إِذَا طَالَ عُمُرُ الْمَرْءِ فِي غَيْرِ آفَةٍ أَفَادَتْ لَهُ الْأَيَّامُ فِي كَرِّهَا عَقْلًا  
(وَأَمَّا الْوَجْهَ الثَّلَاثِي) فَقَدْ يَكُونُ بِقَرَطِ الذِّكَاءِ وَحُسْنِ الْفِطْنَةِ  
وَذَلِكَ جُودَةٌ الْحَدْسِ فِي زَمَانٍ غَيْرِ مُهْمَلٍ لِلْحَدْسِ . فَإِذَا أَمْتَرَجَ بِالْعَقْلِ  
الْعَرِيزِي صَارَتْ نَتِيجَتُهُمَا نَوُ الْعَقْلِ الْمَكْتَسَبِ . كَالَّذِي يَكُونُ فِي  
الْأَحْدَاثِ مِنْ دُفُورِ الْعَقْلِ وَجُودَةِ الرَّأْيِ حَتَّى قَالَ هَرِمٌ بِنُ قُطْبَةَ حِينَ  
تَنَافَرِ إِلَيْهِ عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِيِّ وَعَلَقَمَةُ بْنُ عَلَاثَةَ : عَلَيْكُمْ بِالْحَدِيثِ  
السِّنِّ . الْحَدِيدُ الذَّهْنِ . وَلَعَلَّ هَرِمًا أَرَادَ أَنْ يَدْفَعَهُمَا عَنْ نَفْسِهِ  
فَاعْتَدَرَ بِمَا قَالَ . لَكِنْ لَمْ يُنْكِرَا قَوْلَهُ إِذْعَانًا لِلْحَقِّ فَصَارَا إِلَى أَبِي  
جَهْلٍ لِحَدَاثَةِ سِنِّهِ وَحِدَّةِ ذَهْنِهِ . فَابَى أَنْ يُحْكَمَ بَيْنَهُمَا فَرَجَعَا إِلَى  
هَرِمٍ فَحَكَمَ بَيْنَهُمَا . وَفِيهِ قَالَ لَيْدٌ :

يَا هَرِمُ ابْنَ الْأَكْرَمِينَ مَنْصِبًا إِنَّكَ قَدْ أُوتِيتَ حُكْمًا مُغْجِبًا  
وَقَدْ قَالَتِ الْعَرَبُ : عَلَيْكُمْ بِمُشَاوَرَةِ الشَّبَابِ فَإِنَّهُمْ يُنْجُونَ  
رَأْيَا لَمْ يَنْتَهُ طُولُ الْقَدَمِ . وَلَا اسْتَوْلَتْ عَلَيْهِ رُطُوبَةُ الْهَرَمِ . وَقَدْ  
قَالَ الشَّاعِرُ :

رَأَيْتُ الْعَقْلَ لَمْ يَكُنْ أَتْبَهَابًا وَلَمْ يُقَسَّمْ عَلَى عَدَدِ السِّنِينَ  
وَلَوْ أَنَّ السِّنِينَ تَقَاسَمَتْهُ حَوَى الْأَلَاءُ أَنْصَبَ الْبَيْنَا  
وَحَكَى الْأَضْمَعِيُّ قَالَ : قُلْتُ لِغُلَامٍ حَدَّثَ مِنْ أَوْلَادِ الْعَرَبِ  
كَانَ يُجَادِثُنِي فَأَمْتَعَنِي بِفَصَاحَةٍ وَمَلَاحَةٍ : أَيْسُرُكَ أَنْ يَكُونَ لَكَ

مِثَّةُ أَلْفِ دِرْهَمٍ وَأَنْتَ أَحَقُّ . قَالَ : لَا . قَالَ : قُلْتُ : وَلِمَ . قَالَ :  
أَخَافُ أَنْ يُخَيِّنِي عَلَيَّ حَقِّي جَنَائَةً تَذْهَبُ بِمَالِي وَيَبْقَى عَلَيَّ حَقِّي . فَأَنْظُرُ  
إِلَى هَذَا الصَّبِيِّ كَيْفَ اسْتَخْرَجَ بِفَرْطِ ذِكَاغِهِ وَأَسْتَبْطَ بِجُودَةِ قَرِيحَتِهِ مَا  
لَعَلَّهُ يَدِقُّ عَلَى مَنْ هُوَ أَكْبَرُ مِنْهُ سِنًا وَأَكْثَرُ تَجَرِبَةً . وَأَحْسَنُ مِنْ هَذَا  
الذِّكَاءِ وَالْفِطْنَةِ مَا حَكَى ابْنُ قُتَيْبَةَ : إِنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ مَرَّ بِصَبْيَانِ  
يَلْعَبُونَ وَفِيهِمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ فَهَرَّبُوا مِنْهُ إِلَّا عَبْدُ اللَّهِ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ :  
« مَا لَكَ لَا تَهْرُبُ مَعَ أَصْحَابِكَ » . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَمْ أَكُنْ عَلَى  
رِيَّةٍ فَأَخَافُكَ وَلَمْ يَكُنْ الطَّرِيقُ ضَيِّقًا فَأَوْسَعَ لَكَ . فَأَنْظَرَ مَا تَضَمَّنَهُ  
هَذَا الْجَوَابُ مِنَ الْفِطْنَةِ وَقُوَّةِ الْإِنَّةِ وَحُسْنِ الْبَلِيَّةِ كَيْفَ نَفَى عَنْهُ  
الْلُومَ وَاثْبَتَ لَهُ النُّجَّةَ فَلَيْسَ لِلذِّكَاءِ غَايَةٌ . وَلَا لِيُودَةِ أَتَمْرِ يَجُودَةُ نِهَائَةٍ

#### البحث الخامس

### في التصور والتمثل

( من كتاب زجر النفس لهرمس )

يَا نَفْسُ إِنَّ مُبْدِعَ الْأَشْيَاءِ وَمُنْشِئَهَا جَلَّ جَلَالُهُ وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ  
أَبَدَكَ وَجَعَلَكَ ذَاتَ التَّصَوُّرِ وَالتَّمَثُّلِ . فَأَمَّا التَّصَوُّرُ فَتَصَوُّرُكَ الشَّيْءَ  
عَلَى حَقِيقَتِهِ مَا أَبَدَعَهُ مُبْدِعُهُ . وَأَمَّا التَّمَثُّلُ فَتَمَثُّلُكَ مَا خَفِيَ عَنْكَ مِنْ  
عَالِمِ الْعَقْلِ بِمَا شَاهَدْتَهُ فِي عَالِمِ الْحَسِّ وَثَلَا بِمِثْلِ وَمَعْنَى بِمَعْنَى كَمَا  
أَنْ تَدُلَّ ذَاتُ الصُّورَةِ الْمَطْبُوعَةِ فِي السَّمْعِ عَلَى مَعْنَاهَا وَحَقِيقَتِهَا فِي  
الطَّائِعِ وَكَمَا تَدُلُّ الصُّورَةُ الْمُمَثِّلَةُ فِي الطَّائِعِ عَلَى مَعْنَى حَقِيقَتِهَا فِي  
نَفْسِ مُمَثِّلِهَا وَمَصَوِّرِهَا وَكَمَا يُؤَثِّرُ الْمَاءُ فِي الْأَرْضِ لِمَعَانِي حَرَكَاتِهِ وَتَمَوُّجِهِ

## البحث السادس

### الخيال والخيالي

(عن الحاج خلفا بتصرف)

(راجع صفحة ٥ من توطئة علم الادب)

الْخَيَالُ فِي اللَّغَةِ بِمَعْنَى الشَّخْصِ وَعِنْدَ الْحُكَمَاءِ يُطْلَقُ عَلَى أَحَدَى  
الْحَوَاسِ الْبَاطِنَةِ . وَهُوَ قُوَّةٌ تَحْفَظُ الصُّورَ الْمُرْتَسِمَةَ فِي الْحَسِّ الْمَشْتَرَكِ  
إِذَا غَابَتْ تِلْكَ الصُّورُ عَنِ الْحَوَاسِ الْبَاطِنَةِ . وَحَمَلُهُ مُؤَخَّرُ التَّجْوِيفِ  
الْأَوَّلِ مِنَ التَّجَاوِيفِ الثَّلَاثَةِ لِلدِّمَاغِ عِنْدَ الْجُمْهُورِ (١) . وَاسْتَدَلُّوا عَلَى  
وُجُودِ الْخَيَالِ بَآثًا إِذَا شَاهَدْنَا صُورَةً ثُمَّ ذَهَلْنَا عَنْهَا زَمَانًا ثُمَّ نَشَاهَدُ  
مَرَّةً أُخْرَى نَحْكُمُ عَلَيْهَا بِأَنَّهَا هِيَ الَّتِي شَاهَدْنَاهَا قَبْلَ ذَلِكَ . فَلَوْ لَمْ  
تَكُنْ تِلْكَ الصُّورَةُ مَحْفُوظَةً فِينَا زَمَانَ الذُّهُولِ لَأَمْتَنَعَ احْتِكَمُ بِأَنَّهَا  
هِيَ الَّتِي شَاهَدْنَاهَا قَبْلَ ذَلِكَ . (وَالْخَيَالِيُّ) يُطْلَقُ عَلَى الصُّورَةِ الْمُرْتَسِمَةِ  
فِي الْخَيَالِ الْمُتَأَذِيَةِ إِلَيْهِ مِنْ طُرُقِ الْحَوَاسِ . وَقَدْ يُطْلَقُ عَلَى الْمَعْدُومِ  
الَّذِي اخْتَرَعَتْهُ الْتَخَيُّلَةُ وَرَكَّبَتْهُ مِنَ الْأُمُورِ الْخُصُوسَةِ أَيْ الْمَدْرَكَةِ  
بِالْحَوَاسِ الظَّاهِرَةِ . وَيَقُولُنَا مِنَ الْأُمُورِ الْخُصُوسَةِ خَرَجَ الْوُهْمِيُّ بِمَعْنَى  
مَا اخْتَرَعَتْهُ الْقُوَّةُ الْخَيَّيَّةُ اخْتِرَاعًا صَرَفًا عَلَى تَحْوِ الْخُصُوسَاتِ وَهَذَا الْمَعْنَى  
يُسْتَعْمَلُ فِي بَابِ التَّشْبِيهِ كَمَا فِي قَوْلِ الشَّاعِرِ :

وَكَانَ مُحِبًّا الشَّقِيقِ م إِذَا تَصَوَّبَ أَوْ تَصَعَّدَ  
أَعْلَامُ يَاقُوتٍ نَشِرَ نَ عَلَى رِمَاحٍ مِنْ زَبَرَجَدَ



فَإِنَّ الْأَعْلَامَ أَلْيَاقُوتِيَّةَ الْمُنْشُورَةَ عَلَى الرَّمَاحِ الزَّبْرَجْدِيَّةِ بِمَا لَا  
يُذَرِّكُهُ الْحَسُّ لِأَنَّ الْحَسَّ إِنَّمَا يُذَرِّكُ مَا هُوَ مَوْجُودٌ فِي الْمَادَّةِ حَاضِرَةٌ  
عِنْدَ الْمُدْرِكِ عَلَى هَيْئَاتٍ مَخْصُوسَةٍ مَخْصُوصَةً بِهِ . لَكِنَّ مَادَّتَهُ الَّتِي  
يَتَرَكَّبُ هُوَ مِنْهَا كَالْأَعْلَامِ وَالْيَاقُوتِ وَالرَّمَاحِ وَالزَّبْرَجْدِ كُلِّ وَنَهَا  
مَحْسُوسٌ بِالْبَصَرِ

البحث السابع

في الحافظة

( عَنِ الْمَاوَرْدِيِّ بِإِحْصَارٍ )

( رَاجِعْ صَفْحَةَ ٦٥ مِنْ تَوَطُّنَةِ عِلْمِ الْأَدَبِ )

رُبَّمَا اسْتَشْقَلَ الْمُتَعَلِّمُ الدَّرْسَ وَالْحِفْظَ وَاتَّكَلَ بَعْدَ فَهْمِ الْمَعَانِي  
عَلَى الرُّجُوعِ إِلَى الْكُتُبِ وَالْمُطَالَعَةِ فِيهَا عِنْدَ الْحَاجَةِ فَلَا يَكُونُ إِلَّا  
كَمَنْ أَطْلَقَ مَا صَادَهُ ثِقَةٌ بِالْقُدْرَةِ عَلَيْهِ بَعْدَ الْإِلَاقَةِ مِنْهُ فَلَا تُعْقِبُهُ  
الثِّقَةُ إِلَّا خَجَلًا وَالتَّفْرِيطُ إِلَّا نَدَمًا . وَهَذِهِ حَالٌ قَدْ يَدْعُو إِلَيْهَا أَحَدُ  
ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ : الصَّغِيرُ مِنْ مَعَانَاةِ الْحِفْظِ وَمَرَاعَاتِهِ وَطُولُ الْأَمَلِ  
فِي التَّوَقُّفِ عَلَيْهِ عِنْدَ نَشَاطِهِ وَفَسَادِ الرَّأْيِ فِي عَزِيمَتِهِ وَلَيْسَ يَعْلَمُ أَنَّ  
الصَّغُورَ خَائِبٌ وَأَنَّ الطُّوِيلَ أَلَمٌ مَغْرُورٌ وَأَنَّ الْفَاسِدَ الرَّأْيُ مُصَابٌ .  
وَالْعَرَبُ تَقُولُ فِي أَمْثَالِهَا : حَرْفٌ فِي قَلْبِكَ خَيْرٌ مِنْ أَلْفٍ فِي كُتُبِكَ .  
وَقَالُوا : لَا خَيْرَ فِي عِلْمٍ لَا يَعْبُرُ مَعَكَ الْوَادِي وَلَا يَعْمُرُ بِكَ النَّادِي .  
وَأَنْشَدْتُ عَنْ الرَّيِّعِ لِلشَّافِعِيِّ :

عَلِمِي مَعِيَ حَيْثُ مَا يَمُتُ يَنْفَعُنِي  
 قَلْبِي وَعَايَ لَهُ لَا بَطْنُ صُنْدُوقِي  
 إِنْ كُنْتُ فِي الْبَيْتِ كَانَ الْعِلْمُ فِيهِ مَعِيَ  
 أَوْ كُنْتُ فِي السُّوقِ كَانَ الْعِلْمُ فِي السُّوقِ

وَرَبَّمَا أَعْتَنَى الْمُتَعَلِّمُ بِاللِّفْظِ مِنْ غَيْرِ تَصَوُّرٍ وَلَا فَهْمٍ حَتَّى يَصِيرَ  
 حَافِظًا لِلْأَلْفَاظِ الْمَلَامِي قِيًّا بِتَلَاوتِهَا وَهُوَ لَا يَتَصَوَّرُهَا وَلَا يَفْهَمُ مَا  
 تَضَمَّنَهَا يَرْوِي بِغَيْرِ رَوِيَّةٍ وَيُخْبِرُ عَنْ غَيْرِ خَبَرَةٍ فَهُوَ كَالْكِتَابِ الَّذِي  
 لَا يَدْفَعُ شُبُهَةً وَلَا يُؤَيِّدُ حُجَّةً وَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: هَمَّةُ السُّفَهَاءِ الرِّوَايَةُ.  
 وَهَمَّةُ الْعُلَمَاءِ الرِّعَايَةُ. وَرَوَى ابْنُ مَسْعُودٍ: كُونُوا لِلْعِلْمِ رِعَاةً. وَلَا  
 تَكُونُوا لَهُ رَوَاةً. فَقَدْ يَرْعَوِي مَنْ لَا يَرْوِي. وَيَرْوِي مَنْ لَا يَرْعَوِي.  
 وَحَدَّثَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ بِحَدِيثٍ فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا أَبَا سَعِيدٍ عَمَّنْ.  
 قَالَ: مَا تَضَعُ بَعَنَ. أَمَا أَنْتَ فَقَدْ نَأْتِكَ عِظَّتُهُ وَقَامَتْ عَلَيْكَ  
 حُجَّتُهُ

وَرَبَّمَا اعْتَمَدَ عَلَى حِفْظِهِ وَتَصَوُّرِهِ وَانْغَلَّ تَفْسِيدَ الْعِلْمِ فِي كُتُبِهِ  
 ثَقَّةً بِمَا اسْتَقَرَّ فِي ذِهْنِهِ وَهَذَا خَطَأٌ مِنْهُ لِأَنَّ الشَّكْلَ مُغَرِّضٌ  
 وَاللِّسَانَ طَارِقٌ. وَقَالَ الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ: أَجْعَلْ مَا فِي الْكُتُبِ رَأْسَ  
 أَمَالٍ وَمَا فِي الْقُلُوبِ النِّفَقَةَ. وَقَالَ مَهْبُودٌ: لَوْلَا مَا عَدَدَتْهُ الْكُتُبُ  
 مِنْ تَجَارِبِ الْأَوَّلِينَ لَأَنْحَلُ مَعَ اللَّسَانِ عُقُودَ الْأَخْرَيْنِ



## البحث الثامن

### في تفسير الذوق في مصطلح اهل البيان

( مقدمة ابن خلدون )

( راجع صفحة ٦ من توطئة علم الادب )

اعلم ان لفظة الذوق يتداولها المعتنون بفنون البيان . ومعناها  
حصول ملكة البلاغة للسان اتي هي مطابقة الكلام للمعنى من  
جميع وجوهه بخوص تقع للتركيب في افادة ذلك . فالتكلم  
بلسان العرب والليغ فيه يتحرى الهيئة المفيدة لذلك على اساليب  
العرب وانحاء مخاطباتهم وينظم الكلام على ذلك الوجه جهده .  
فاذا اتصل مقاماته بخالطة كلام العرب حصلت له الملكة في  
نظم الكلام على ذلك الوجه وسهل عليه امر التركيب حتى لا يكاد  
يتحرى فيه غير محيى البلاغة اتي للعرب . وان سمع تركيبا غير جار  
على ذلك المعنى محبه ونا عنه سمعه باذني فكر بل وبغير فكر الا بما  
استفاده من حصول هذه الملكة . فان الملكات اذا استقرت  
ورسخت في محالها ظهرت كأنها طبيعة وجلة لذلك الحقل . ولذلك  
يظن كثير من المغفلين ومن لم يعرف شأن الملكات ان الصواب  
للعرب في لغتهم اعرابا وبلاغة امر طبيعي ويقول : كانت العرب تنطق  
بالطبع . وليس كذلك . وانما هي ملكة لسانية في نظم الكلام  
تمكنت ورسخت فظهرت في بادي الرأي انها جلة وطبع وهذه

الملكة كما تقدم انما تحصل بممارسة كلام العرب وتكرره على  
السمع والتفطن لخواص تراكيبه . وليست تحصل بمعرفة القوانين  
العلمية في ذلك التي استنبطها اهل صناعة اللسان . فان هذه  
القوانين انما تفيد علما بذلك اللسان ولا تفيد حصول الملكة  
بالفعل في محامها . واذا تقرر ذلك فلكة البلاغة في اللسان تهدي  
البلغ الى وجوه الظم وحسن التركيب المتوافق لتراكيب العرب  
في لغتهم ونظم كلامهم . ولو رام صاحب هذه الملكة حيداً عن  
هذه السبل المعتبرة والتراكيب المخصوصة لما قدر عليه ولا واقعه  
عليه لسانه لانه لا يعتاده ولا تهديه اليه ملكة الرايحة عنده . واذا  
عرض عليه الكلام حائداً عن اسلوب العرب وبلاغتهم في نظم  
كلامهم اعرض عنه وبجه وعلم انه ليس من كلام العرب الذين  
مارس كلامهم . وربما يعجز عن الاختجاج لذلك كما تضع اهل القوانين  
التحوية والبيانية . فان ذلك استدلال بما حصل من القوانين المفادة  
بالاستقراء وهذا امر وجداني حاصل بممارسة كلام العرب حتى  
يصير كواحد منهم . ومثاله لو فرضنا صبياناً وصبيانهم نشأ وربي في  
جيلهم فانه يتعلم لغتهم ويحكم شأن الاغراب والبلاغة فيها حتى  
يستولي على غايتها وليس من العلم القانوني في شيء . وانما هو بحصول  
هذه الملكة في لسانه ونطقه . وكذلك تحصل هذه الملكة لمن  
بعد ذلك الخليل يحفظ كلامهم واسعارهم وخطيبهم والداومة على ذلك  
بحيث يحصل الملكة ويصير كواحد ممن نشأ في جيلهم وربي بين

أَحْيَانَهُمْ. وَالْقَوَائِنُ يَمْزِلُ عَنْ هَذَا. وَاسْتَعِيرَ لَهُذِهِ الْمَلَكَةُ عِنْدَمَا تَرُخُّ  
وَتَسْتَعِيرُ اسْمُ الذَّوْقِ الَّذِي أَضْطَحَّ عَلَيْهِ أَهْلُ صِنَاعَةِ أَلْيَان. وَالذَّوْقُ  
إِنَّمَا هُوَ مَوْضِعٌ لِإِذْرَاكِ الطَّعُومِ لَكِنْ لَمَّا كَانَ مَحَلُّ هَذِهِ الْمَلَكَةِ فِي  
اللسانِ مِنْ حَيْثُ النُّطْقِ بِالْكَلَامِ كَمَا هُوَ مَحَلُّ لِإِذْرَاكِ الطَّعُومِ اسْتَعِيرَ  
لَهَا اسْمُهُ وَآيَظًا فَهُوَ وَجَدَانِي لِللسانِ كَمَا أَنَّ الطَّعُومَ مَحْسُوسَةٌ لَهُ فَقِيلَ  
لَهُ ذَوْقٌ. وَإِذَا تَبَيَّنَ لَكَ ذَلِكَ عَلِمْتَ مِنْهُ أَنَّ الْأَعَاجِمَ الدَّاخِلِينَ فِي  
اللسانِ الْعَرَبِيِّ الطَّارِنِينَ عَلَيْهِ الْمَضْطَرِينَ إِلَى النُّطْقِ بِهِ لِلْحَالِطَةِ أَهْلِهِ  
كَالْفَرَسِ وَالرَّوْمِ وَالْأَنْدَلُسِيِّ وَالْمَشْرِقِيِّ وَكَالْبَرْبَرِ بِالْمَغْرِبِ فَإِنَّهُ لَا يَحْصُلُ  
لَهُمْ هَذَا الذَّوْقُ لِتَقْصُورِ حَظِّهِمْ فِي هَذِهِ الْمَلَكَةِ الَّتِي قَرَرْنَا أَمْرَهَا.  
لِأَنَّ قُصَادَاهُمْ بَعْدَ طَائِفَةٍ مِنَ الْعُمَرِ وَسَبَقَ مَلَكَةُ أُخْرَى إِلَى اللِّسَانِ  
وَهِيَ تُعَاتِبُهُمْ أَنْ يَعْتَنُوا بِمَا يَتَدَاوَلُهُ أَهْلُ الْمَضَرِّ (١) بَيْنَهُمْ فِي الْحَاوِرَةِ مِنْ  
فُرْدٍ وَمُرَكَّبٍ لَمَّا يَضْطَرُّونَ إِلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ وَهَذِهِ الْمَلَكَةُ قَدْ ذَهَبَتْ  
لِأَهْلِ الْأَمْصَارِ وَبَعْدُ وَاعْتَبَاهَا كَمَا تَقَدَّمَ. وَإِنَّمَا لَهُمْ فِي ذَلِكَ مَلَكَةُ  
أُخْرَى وَلَيْسَتْ هِيَ مَلَكَةُ اللِّسَانِ الْمَطْلُوبَةِ. وَمَنْ عَرَفَ تِلْكَ الْمَلَكَةَ  
مِنَ الْقَوَائِنِ الْمُسْطَرَّةِ فِي الْكُتُبِ فَلَيْسَ مِنْ تَحْصِيلِ الْمَلَكَةِ فِي شَيْءٍ  
إِنَّمَا حُصِّلَ أَحْكَامُهَا كَمَا عَرَفْتَ وَإِنَّمَا تَحْصُلُ هَذِهِ الْمَلَكَةُ بِالْمَآرَسَةِ  
وَالْإِعْتِيَادِ وَالتَّكْرُّرِ لِكَلَامِ الْعَرَبِ. فَإِنْ عَرَضَ لَكَ مَا تَسْمَعُهُ مِنْ  
أَنَّ سَيُوبِيَّ وَالْفَارِسِيَّ وَالرَّخْمَشَرِيَّ وَأَمثالَهُمْ مِنْ فُرْسَانِ الْكَلَامِ  
كَانُوا أَنْجَامًا مَعَ حُصُولِ هَذِهِ الْمَلَكَةِ لَهُمْ فَأَعْلَمَ أَنَّ أَوْلَيْكَ الْقَوْمَ

الَّذِينَ تَسْمَعُ عَنْهُمْ إِفَّا كَانُوا عَجَمًا فِي نَسَبِهِمْ فَقَطُّ وَأَمَّا الْمُرَبِّي وَالنَّشَاءُ  
فَكَانَتْ بَيْنَ أَهْلِ هَذِهِ الْمَلَكَةِ مِنَ الْعَرَبِ وَمَنْ تَعَلَّمَهَا مِنْهُمْ  
فَاسْتَوَلُوا بِذَلِكَ مِنَ الْكَلَامِ عَلَى غَايَةٍ لَا وَرَاءَهَا . وَكَانَتْهُمْ فِي أَوَّلِ  
نَشَأَتِهِمْ مِنَ الْعَرَبِ الَّذِينَ نَشَأُوا فِي أَحْيَائِهِمْ (١) حَتَّى أَذْرَكُوا كُنْهَ اللَّغَةِ  
وَصَارُوا مِنْ أَهْلِهَا . فَهُمْ وَإِنْ كَانُوا عَجَمًا فِي النَّسَبِ فَلَيْسُوا بِعَجَمٍ فِي  
اللُّغَةِ وَالْكَلامِ لِأَنَّهُمْ أَذْرَكُوا أَلْمَلَّةَ فِي عُقُوبَانِهَا وَاللُّغَةَ فِي شَبَابِهَا وَلَمْ  
تَذْهَبْ آثارُ الْمَلَكَةِ وَلَا مِنْ أَهْلِ الْأَمْصَارِ ثُمَّ عَكَفُوا عَلَى الْمُمَارَسَةِ  
وَالْمُدْرَاسَةِ لِكَلَامِ الْعَرَبِ حَتَّى اسْتَوَلُوا عَلَى غَايَتِهِ . وَأَوَّلُ مَا يَجِدُ تِلْكَ  
الْمَلَكَةُ أَلْمَقْصُودَةَ مِنَ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ مُسْتَحْيَةً أَلْأَثَرِ وَيَجِدُ مَلَكَتَهُمْ  
الْحَاصَّةَ بِهِمْ مَلَكَةً أُخْرَى مُخَالَفَةً لِلْمَلَكَةِ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ ثُمَّ إِذَا فُرِضْنَا  
أَنَّهُ أَقْبَلَ عَلَى الْمُمَارَسَةِ لِكَلَامِ الْعَرَبِ وَأَشْعَارَهُمْ بِالْمُدْرَاسَةِ وَالْحِفْظِ  
يَسْتَفِيدُ تَخْصِيلَهَا قَلَّ أَنْ يَحْصُلَ لَهُ مَا قَدَّمَاهُ مِنْ أَنَّ الْمَلَكَةَ إِذَا  
سَبَقَتْهَا مَلَكَةٌ أُخْرَى فِي الْحَلِّ فَلَا تَحْصُلُ إِلَّا نَاقِصَةً مَخْذُوشَةً . وَإِنْ  
فُرِضْنَا عَجَمِيًّا فِي الْأَسْبِ سَلِمَ مِنْ مُخَالَطَةِ اللِّسَانِ الْعَجَمِيِّ بِالْكَلِمَةِ  
وَذَهَبَ إِلَى تَعَلُّمِ هَذِهِ الْمَلَكَةِ بِالْحِفْظِ وَالْمُدْرَاسَةِ قَرَبًا يَحْصُلُ لَهُ ذَلِكَ  
لَكِنَّهُ مِنَ التَّدْوِيرِ بَحِثُ لَا يَنْجِي عَلَيْكَ بِمَا تَقَرَّرَ . وَرُبَّمَا يَدَّعِي كَثِيرٌ بَعْنِ  
يَنْظُرُ فِي هَذِهِ الْقَوَائِنِ أَلْبَيَانِيَّةَ حُصُولِ هَذَا الذَّوْقِ لَهُ بِهَا وَهُوَ غَلَطٌ أَوْ  
مُغَالَطَةٌ وَإِنَّمَا حَصَلَتْ لَهُ الْمَلَكَةُ إِنْ حَصَلَتْ فِي تِلْكَ الْقَوَائِنِ أَلْبَيَانِيَّةَ

وَلَيْسَتْ مِنْ مَلَكَهَ الْعِبَارَةِ فِي شَيْءٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ

## البحث التاسع

### في المطالعة

(المتل السائر لابن الفتح بن الاثير الموصلي)

( راجع صفحة ٨ من توطئة علم الادب )

إِنَّ فِي الْأِطْلَاعِ عَلَى كَلَامِ الْمُتَقَدِّمِينَ مِنَ الْمَنْظُومِ وَالْمَنْشُورِ  
فَوَائِدَ جَمَّةٍ لِأَنَّهُ يُعْلَمُ مِنْهُ أَغْرَاضُ النَّاسِ وَنَتَائِجُ أَفْكَارِهِمْ وَيَعْرِفُ  
بِهِ مَقَاصِدُ كُلِّ فَرِيقٍ وَهُمْ وَآلَى أَيْنَ تَرَامَتْ بِهِ صَنْعَتُهُ فِي ذَلِكَ . فَإِنَّ  
هَذِهِ الْأَشْيَاءَ مِمَّا تَشْتَغِلُ الْقَرِيحَةَ وَتُرَكِّي الْفِطْنَةَ . وَإِذَا كَانَ صَاحِبُ  
هَذِهِ الصَّنَاعَةِ عَارِفًا بِهَا تَصِيرُ الْمَعَانِي الَّتِي ذَكَرْتُ وَتَعَبَ فِي اسْتِخْرَاجِهَا  
كَأَشْيِ الْمُلْتَقَى بَيْنَ يَدَيْهِ يَأْخُذُ مِنْهُ مَا أَرَادَ . وَآيضًا فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ  
مُطْلَعًا عَلَى الْمَعَانِي الْمَسْبُوقِ إِلَيْهَا قَدْ يَنْفُذُ لَهُ مِنْ بَيْنِهَا مَعْنَى غَرِيبٌ  
لَمْ يَسْبِقْ إِلَيْهِ . وَمِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّ خَوَاطِرَ النَّاسِ وَإِنْ كَانَتْ مُتَفَاوِتَةً  
فِي الْجُودَةِ وَالرَّدَاءَةِ فَإِنَّ بَعْضَهَا لَا يَكُونُ عَالِيًا عَلَى بَعْضٍ أَوْ مُنْخَطًا  
عَنْهُ إِلَّا بِشَيْءٍ يَسِيرٍ . وَكَثِيرًا مَا تَسَاوَى الْقَرَائِحُ وَالْأَفْكَارُ فِي  
الْإِتْيَانِ بِالْمَعَانِي حَتَّى إِنَّ بَعْضَ النَّاسِ قَدْ يَأْتِي بِمَعْنَى مَوْضُوعٍ بِلَفْظٍ  
ثُمَّ يَأْتِي الْآخَرُ بَعْدَهُ بِذَلِكَ الْمَعْنَى وَاللَّفْظَ بَيْنَهُمَا مِنْ غَيْرِ عِلْمٍ مِنْهُ  
بِمَا جَاءَ بِهِ الْأَوَّلُ وَهَذَا الَّذِي يُسَمِّيهِ أَرْبَابُ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ وَقُوعَ الْخَافِرِ  
عَلَى الْخَافِرِ

## البحث العاشر

### في الارتياض والممارسة

( المثل السائر والوشى المرقوم لابن الاثير )

( راجع صفحة ٩ و ١٠ من توطئة علم الادب )

اعلم أيها الناظر في كتابي ان مدار علم البيان على حاكم  
الذوق السليم الذي هو آفة من ذوق التعليم . وهذا الكتاب وإن  
كان فيما يليق به إليك أستاذًا أو إذا سألت عما يتفق به في قته قيل  
لك هذا فإن الدربة والأدمان أجدي عليك قعًا وأهدى بصراً  
وسمعا . وهما يريانك الخبر عياناً ويجعلان عسرك من القول إمكاناً  
وكل جارية منك قلباً ولساناً . فخذ من هذا الكتاب ما أعطاك  
وأسنبت بادمانك ما أخطاك . وما مثلي فيما مهدته لك من هذا  
الطريق إلا كن طبع سيفاً ووضع في يمينك لنقاتل به وليس عليه  
أن يخاف لك قلباً فإن حمل الاتصال غير مباشرة القتال

وإنما يبلغ الإنسان غايته ما كل ماشية بالرحل شلال  
وإن صاحب الكتابة لا يرى في أمره إلا صعوبة ودورة  
وطريقاً مشكلاً المذهب كثيرة الشعاب . فإذا أكره خاطره على  
سلوكها وشجعه على توردها فما مضى به هنيهة حتى يستتر به الطريق  
ويضح لديه . والتعب على منازل العللاء إماراة



## البحث الحادي عشر

### في طرائق مختلفة من الممارسة والتمرين

( المثل السائر باختصار )

( راجع صفحة ١٠ من توطئة علم الادب )

هَذَا الْفَصْلُ هُوَ كَثْرُ الْكِتَابَةِ وَمَنْعُهَا وَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا يَتَكَلَّمُ فِيهِ بِشَيْءٍ . وَلَمَّا حُبِبَتْ إِلَيَّ هَذِهِ الْفَضِيلَةُ وَبَلَغَنِي اللَّهُ مِنْهَا مَا بَلَغَنِي وَجَدْتُ الطَّرِيقَ يَنْقَسِمُ فِيهَا إِلَى ثَلَاثِ شُعَبٍ : ( الْأُولَى ) أَنْ يَتَصَحَّحَ الْكَاتِبُ كِتَابَةَ الْمُتَقَدِّمِينَ وَيَطَّلِعَ عَلَى أَوْغَايِهِمْ فِي اسْتِعْمَالِ الْأَلْفَاظِ وَالْمَعَانِي ثُمَّ يَخْذُو حَذْوَهُمْ . وَهَذِهِ أَذْنَى الطَّبَقَاتِ عِنْدِي . ( الثَّانِيَّةُ ) أَنْ يَنْزُجَ كِتَابَةُ الْمُتَقَدِّمِينَ بِمَا يَسْتَحْسِنُهُ لِنَفْسِهِ مِنْ زِيَادَةِ حَسَنَةِ إِمَاةٍ فِي تَحْسِينِ الْأَلْفَاظِ أَوْ فِي تَحْسِينِ الْمَعَانِي . وَهَذِهِ الطَّبَقَةُ الْوَسْطَى وَهِيَ أَعْلَى مِنْ أَلَّتِي قَبْلَهَا . ( الثَّالِثَةُ ) أَنْ لَا يَتَصَحَّحَ كِتَابَةَ الْمُتَقَدِّمِينَ وَلَا يَطَّلِعَ عَلَى شَيْءٍ مِنْهَا بَلْ يَصْرِفَ هَمَّهُ إِلَى حِفْظِ الْحَدِيثِ وَالْأَخْبَارِ وَعِدَّةٍ مِنْ دَوَائِرِ قُحُولِ الشُّعْرَاءِ يَمُنُّ غَلْبَ عَلَى شِعْرِهِ الْإِجَادَةُ فِي الْمَعَانِي وَالْأَلْفَاظِ . ثُمَّ يَأْخُذُ فِي الْإِقْتِبَاسِ مِنْ هَذِهِ قِيُومٍ وَيَقَعُ وَيُحْطِئُ وَيُصِيبُ وَيَضِلُّ وَيَهْتَدِي حَتَّى يَسْتَقِيمَ عَلَى طَرِيقَةٍ يَفْتَحُهَا لِنَفْسِهِ . وَاخْلُقْ بِتِلْكَ الطَّرِيقِ أَنْ تَكُونَ مُبْتَدَعَةً غَرِيبَةً لَا شَرَكَةَ لِأَحَدٍ مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ فِيهَا . وَهَذِهِ الطَّرِيقُ هِيَ طَرِيقُ الْأَجْتِهَادِ وَصَاحِبُهَا يُعَدُّ إِمَامًا فِي قَنْ الْكِتَابَةِ . إِلَّا أَنَّهُا مُسْتَوَعْرَةٌ جِدًّا وَلَا يَسْتَطِيعُهَا إِلَّا مَنْ رَزَقَهُ اللَّهُ

تَعَالَى لِسَانًا هَجَامًا وَخَاطِرًا رَقَامًا وَإِنَّمَا تَكُونُ نَفَاسَةُ الْأَشْيَاءِ بِعِزَّةِ حُصُولِهَا  
وَمَشَقَّةِ وُضُوعِهَا :

لَيْسَ حُلُومًا وَجُودُكَ الشَّيْءُ تَبِعِيهِ م طَلَابًا حَتَّى يَغْزَى طَلَابُهُ  
وَهَذِهِ الطَّرِيقُ يَجْهَلُهَا كَثِيرٌ مِنْ مُتَعَاظِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ وَالَّذِي  
يَعْلَمُهَا مِنْهُمْ يَرْضَى بِالْحَوَاشِي وَالْأَطْرَافِ وَيَقْنَعُ مِنْ لَالِيهَا بِمَعْرِفَةٍ مَا  
فِي الْأَصْدَافِ . وَلَا أُرِيدُ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ أَنْ يَكُونَ الْكَاتِبُ مُرْتَبِطًا  
فِي كِتَابَتِهِ بِمَا يَسْتَخْرِجُهُ بِحَيْثُ أَنَّهُ لَا يُنْشِئُ كِتَابًا إِلَّا مِنْ ذَلِكَ بَلْ  
أُرِيدُ أَنَّهُ إِذَا حَفِظَ مِمَّا قَدَمْنَا شَيْئًا ثُمَّ هَبَّ عَنْ ذَلِكَ تَتَقَيَّبُ مُطْلِعٌ  
عَلَى مَعَانِيهِ مُفْتَشٍ عَنْ دِفَائِنِهِ وَقَلْبُهُ ظَهَرًا لِبَطْنِ عَرَفٍ جِينْدٍ مِنْ أَيْنَ  
تُوكَلُ الْكَيْفُ فِيمَا يُنْشِئُهُ مِنْ ذَاتِ نَفْسِهِ وَأَسْتَعَانَ بِالْحِفْظِ عَلَى  
الْعَرِيزَةِ الطَّبِيعِيَّةِ . أَلَا تَرَى صَاحِبَ الْإِجْتِهَادِ مِنَ الْفُقَهَاءِ يَفْتَقِرُ إِلَى  
مَعْرِفَةِ أَخْبَارِ الْأَحْكَامِ وَإِلَى مَعْرِفَةِ عِلْمِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْفَرَائِضِ وَالْحِسَابِ  
مِنَ الْمَعْلُومِ وَالْمُجْهُولِ . وَكَذَلِكَ يَجْرِي الْحُكْمُ فِي الْكَاتِبِ إِذَا  
أَحَبَّ التَّرَقِّيَ إِلَى دَرَجَةِ الْإِجْتِهَادِ فِي الْكِتَابَةِ فَإِنَّهُ يَحْتَاجُ إِلَى أَدَوَاتٍ  
كَثِيرَةٍ سَنَذْكُرُهَا

## فصل في صفة الكاتب وما يحتاج إليه من المعارف

### المبحث الأول

#### في صفة الكاتب الظاهرة

( عن ابراهيم الشيباني وأثار الاول للحسن بن عبدالله )

قِيلَ إِنَّهُمْ قَدْ اسْتَحْسَنُوا فِي الْكَاتِبِ اَعْتِدَالَ الْقَامَةِ وَصِغَرُ الْهَامَةِ  
وَحَقَّةَ اللَّهَازِمِ وَصَدْقَ الْحِسِّ وَلُطْفَ الْمَذْهَبِ وَحِلَاوَةَ الشَّمَائِلِ وَحُسْنَ  
الْإِشَارَةِ وَمَلَاحَةَ الرَّيِّ حَتَّى قَالَ بَعْضُ الْمُهَالِبَةِ لَوْلَاهُ : تَزَيُّوا بِزِيِّ  
الْكَتَّابِ فَإِنَّ فِيهِمْ آدَبَ الْمُلُوكِ وَتَوَاضَعَ السُّوقَةِ . وَقِيلَ : إِنَّ  
مِنْ كَمَالِ آلَةِ الْكِتَابَةِ أَنْ يَكُونَ الْكَاتِبُ تَقِيَّ الْمَلَبَسِ ظَئِيفَ  
الْجَلِيسِ ظَاهِرَ الْمُرُوءَةِ دَقِيقَ الذِّهْنِ حَسَنَ الْفَهْمِ وَافِرَ الْعِلْمِ وَالْعَقْلِ  
صَادِقَ الْحِسِّ حَسَنَ الْبَيَانِ صَحِيحَ الرَّأْيِ وَالْعِبَارَةِ مَلِيجَ التَّأْيِي فِي نَظْمِ  
الْمَعَانِي وَنَثْرَهَا دَقِيقَ حَوَاشِي اللِّسَانِ حُلُوَ الْإِشَارَةِ مَلِيجَ الْاِسْتِعَارَةِ  
لَطِيفَ الْمَسَالِكِ مُسْتَقِرَّ التَّرَكِيبِ . وَلَا يَكُونُ مَعَ ذَلِكَ قَدَمُ الْمُنَظَرِ  
مُتَعَارِتَ الْأَجْزَاءِ مُضْطَرِبَ الْخَفَاقِ . فَإِنَّهُمْ زَعَمُوا أَنَّ هَذِهِ الصُّورَةَ  
لَا يَلِيقُ بِصَاحِبِهَا الذَّكَاةُ وَالْفِطْنَةُ . وَإِنْ أَتَّفَقَ أَنْ يَكُونَ حَسَنَ الْخَطِّ  
فَهُوَ كَمَالُهُ وَلَا يَكُونُ هُوَ الْمُنْشِئُ وَغَيْرُهُ الْكَاتِبُ . وَنَظَرَ أَحْمَدُ  
أَبْنُ حَصِيبٍ إِلَى رَجُلٍ مِنْ الْكَتَّابِ عَلَى هَذِهِ الْهَيْئَةِ فَقَالَ : لَأَنْ  
يَكُونَ هَذَا إِنْطَاسَ مَرْكَبٍ أَشْبَهُ مِنْ أَنْ يَكُونَ كَاتِبًا . قَالَ بَعْضُهُمْ :  
عَلَيْكَ بِكَاتِبٍ لَقِيَ رَشِيقَ دُكْيٍ فِي شَمَائِلِهِ حَذَارَةٌ

تُتَاجِيهِ بِطَرَفِكَ مِنْ بَعِيدٍ فَيَفْهَمُ رَجَعَ لِحُظِّكَ بِالإِشَارَةِ  
فَإِذَا اجْتَمَعَتِ لِلْكَاتِبِ هَذِهِ الْخِلَالُ وَأَنْتَظَمْتَ فِيهِ هَذِهِ الْخِصَالَ  
فَهُوَ الْكَاتِبُ الْبَلِيعُ وَالْأَدِيبُ الْخَجِيرُ وَإِنْ قَصُرَتْ بِهِ آلَةُ مِنْ هَذِهِ  
الْآلَاتِ وَقَعَدَتْ بِهِ آدَاةٌ مِنْ هَذِهِ الْأَدَوَاتِ فَهُوَ مَنْقُوصُ الْجَمَالِ  
مُنْكَسِفُ الْحُسْنِ مَخْجُوسُ النَّصِيبِ

### البحث الثاني

## في ادوات علم الكتابة

( عن المثل السائر لابن الاثير الموصلي باختصار )

إِعْلَمْ أَنَّ صِنَاعَةَ تَأْلِيفِ الْكَلَامِ مِنَ الْمَنْظُومِ وَالْمَنْشُورِ تَفْتَقِرُ  
إِلَى آلَاتٍ كَثِيرَةٍ . وَقَدْ قِيلَ : يَنْبَغِي لِلْكَاتِبِ أَنْ يَتَعَلَّقَ بِكُلِّ عِلْمٍ  
حَتَّى قِيلَ : كُلُّ ذِي عِلْمٍ يَسُوعُ لَهُ أَنْ يَنْسَبَ نَفْسُهُ إِلَيْهِ فَيَقُولَ : فُلَانُ  
الْخَوِيُّ وَفُلَانُ الْفَقِيهُ وَلَا يَسُوعُ لَهُ أَنْ يَنْسَبَ نَفْسُهُ إِلَى الْكِتَابَةِ فَيَقُولَ :  
فُلَانُ الْكَاتِبُ وَذَلِكَ لِمَا يَفْتَقِرُ إِلَيْهِ مِنَ الْخَوْضِ فِي كُلِّ فَنٍّ . وَوَلَاكُ هَذَا  
كُلِّهِ الطَّعْبُ فَإِنَّهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ ثُمَّ طَبَعَ فَإِنَّهُ لَا تُغْنِي تِلْكَ الْآلَاتُ  
شَيْئًا . وَمِثَالُ ذَلِكَ كَمَثَلِ النَّارِ الْكَامِنَةِ فِي الزَّرْنَادِ وَالْحَدِيدَةِ الَّتِي  
يُقَدِّحُ بِهَا . أَلَا تَرَى أَنَّهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الزَّرْنَادِ نَارٌ لَا تُقَيِّدُ تِلْكَ  
الْحَدِيدَةَ شَيْئًا . وَكَثِيرًا مَا رَأَيْنَا مِنْ غَرَائِبِ الطَّبَاعِ فِي تَعَلُّمِ الْعُلُومِ  
حَتَّى إِنَّ بَعْضَ النَّاسِ يَكُونُ لَهُ تَقَادُّ فِي تَعَلُّمِ عِلْمٍ مُشْكِلِ الْمَسْلُوكِ  
صَغْبٍ أَلَّا اخَذَ فَإِذَا كَلِّفَ تَعَلَّمَ مَا هُوَ دُونَهُ مِنْ سَهْلِ الْعُلُومِ نَكَسَ

عَلَى عَقِيهِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ فِيهِ نَفَاذٌ . وَأَغْرَبُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ صَاحِبَ  
الطَّبْعِ فِي الْمَنْظُومِ يُجِيدُ فِي الْمَدِيحِ دُونَ الْعِجَاءِ أَوْ فِي الْعِجَاءِ دُونَ  
الْمَدِيحِ أَوْ يُجِيدُ فِي الْمَرَاثِي دُونَ التَّهَانِي أَوْ فِي التَّهَانِي دُونَ الْمَرَاثِي .  
وَكَذَلِكَ صَاحِبُ الطَّبْعِ فِي الْمَثُورِ . هَذَا ابْنُ الْحَرِيرِيِّ صَاحِبُ الْمَقَامَاتِ  
قَدْ كَانَ عَلَى مَا طَهَّرَ عَنْهُ مِنْ تَشْبِيهِ الْمَقَامَاتِ وَاجِدًا فِي فِتْنَةٍ فَلَمَّا  
حَضَرَ بَغْدَادَ وَوَقَفَ عَلَى مَقَامَاتِهِ قِيلَ هَذَا يَسْتَضِلُّ لِكِتَابَةِ الْإِنْشَاءِ  
فِي دِيْوَانِ الْخِلَاقَةِ وَيَحْسُنُ أَثَرُهُ فِيهِ . فَأَحْضَرَ وَكَلَّفَ كِتَابَةَ كِتَابِ  
فَاتِحِهِ وَلَمْ يَجْرِ لِسَانُهُ فِي طَوِيلَةٍ وَلَا قَصِيرَةٍ . . . . . وَبَلَّغَنِي عَنْ  
السَّنَنِ أَبِي مُحَمَّدٍ أَحْمَدَ بْنِ الْحَشَّابِ الْحَوَيزِيِّ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ : ابْنُ  
الْحَرِيرِيِّ رَجُلٌ مَقَامَاتٍ أَيُّ إِنَّهُ لَمْ يَحْسُنْ مِنْ الْكَلَامِ الْمَثُورِ  
سِوَاهَا وَإِنْ أَتَى بِغَيْرِهَا لَا يَقُولُ شَيْئًا . فَأَنْظُرْ أَيُّهَا الْمُتَأَمِّلُ إِلَى هَذَا  
الْتِفَافِ فِي الصَّنَاعَةِ الْوَاحِدَةِ مِنْ الْكَلَامِ الْمَثُورِ وَمَنْ أَجَلَ ذَلِكَ  
قِيلَ : شَيْئَانِ لَا نِهَايَةَ لَهَا أَلْيَاكُنَ وَالْجَمَالَ

### البحث الثالث

## فيما يجب على الكاتب معرفته

( عن صناعة الترتيل لشهاب الدين الحلبي باختصار )

وَمِمَّا يَجِبُ عَلَى الْكَاتِبِ أَنْ يَتَرَشَّحَ بِهِ لِلْكِتَابَةِ قِرَاءَةُ مَا يَتَّفِقُ مِنْ  
( كُتُبِ النُّحُو ) الَّتِي يَحْضُلُ بِهَا الْمَقْصُودُ مِنْ مَعْرِفَةِ الْعَرَبِيَّةِ بِحَيْثُ يَجْمَعُ  
بَيْنَ طَرَفِي الْكِتَابِ الَّذِي يَقْرَأُهُ وَيَسْتَكْمِلُ اسْتِشْرَاحَهُ وَيُكَبِّ عَلَى

الْأَعْرَابِ وَيَلْزِمُهُ وَيَجْعَلُهُ دَأْبَهُ لِيَرْتَسِمَ فِي فِكْرِهِ وَيَدُورَ عَلَى لِسَانِهِ  
وَيَنْطَلِقَ بِهِ عِقَالُ قَلْبِهِ وَكَلْبِهِ وَيَزُولَ بِهِ أَلْوَهُمْ عَنْ سَجِيَّتِهِ وَيَكُونُ عَلَى  
بَصِيرَةٍ مِنْ عِبَارَتِهِ . فَإِنَّهُ لَوْ آتَى مِنْ أَلْبَلَاغَةِ بَأْتَمَ مَا يَكُونُ وَلَحَنَ  
ذَهَبَتْ تَحَاسِنُ مَا آتَى بِهِ وَأَنْهَدَتْ طَبَقَةُ كَلَامِهِ وَأَتَهَى جَمِيعُ مَا  
يُحْسِنُهُ وَرُوقَ بِهِ عِنْدَ مَا جَهِلَهُ . وَيَتَعَلَّقُ بِذَلِكَ قِرَاءَةً مَا يَتَسَيَّأُ مِنْ  
مُخْتَصَرَاتِ (كُتُبِ أَلَلْفَةِ) كَأَلْفَصِيحِ الثُّعْلَبِ وَكِفَايَةِ الْمُحْفَظِ وَغَيْرِ ذَلِكَ  
مِنْ كُتُبِ الْأَلْفَاظِ لِيَتَسَّعَ عَلَيْهِ نِطَاقُ النُّطْقِ وَيَنْفَسِحَ لَهُ تَجَالُ الْعِبَارَةِ  
وَيَنْفَتِحَ لَهُ بَابُ الْأَوْصَافِ فِيمَا يَحْتَاجُ إِلَى وَصْفِهِ مِنْ خَيْلٍ أَوْ سِلَاحٍ أَوْ  
حَرْبٍ أَوْ سَيْرٍ أَوْ قِتَالٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ بِمَا يَحْتَاجُ إِلَى وَصْفِهِ وَيَضْطَرُّ إِلَى  
نَعْتِهِ . وَيَتَّصِلُ بِذَلِكَ حِفْظُ (خُطَبِ أَلْبَلَاءِ) مِنَ الصَّحَاحَةِ وَغَيْرِهَا  
وَمُخَاطَبَاتِهِمْ وَمُحَاوَرَاتِهِمْ وَمُرَاجَعَاتِهِمْ وَمَا أَدَّاهُ كُلُّ مِنْهُمْ لِنَفْسِهِ أَوْ  
لِقَوْمِهِ وَمَا نَقَضَهُ عَلَيْهِ خُصْمُهُ يَلَا فِي ذَلِكَ مِنْ مَعْرِقَةِ الْوَقَائِعِ بِنِظَائِرِهَا  
وَتَلْقَى الْخَوَادِثِ بِمَا شَاكَلَهَا وَالْإِقْتِدَاءِ بِطَرِيقَةٍ مَنْ فَلَاحَ عَلَى خُصْمِهِ  
وَأَقْتِنَاءِ آثَارٍ مَنْ اضْطَرَّ إِلَى عُذْرٍ أَوْ إِبْطَالِ دَعْوَى أَوْ إِثْبَاتِهَا فَلَحَنَ  
بِجَنَّتِهِ وَتَخَلَّصَ بِأُطْفٍ مَا أَخَذَهُ وَدَقَّةِ مَسْلَكِهِ وَحُسْنِ عِبَارَتِهِ . . .  
فَانْظُرْ فِي هَذَا وَأَمَثَالِهِ وَالْحِفْظُ مِنْهُ وَالْإِسْتِثْنَاءُ مِنْ مُطَالَعَتِهِ بِمَا يَشْخِذُ  
الْقَرَائِحَ وَيَقْتُبِ الْأَذْهَانَ وَيَرْتَسِمُ فِي الْخَوَاطِرِ وَيَكْمُنُ فِي الْأَفْكَارِ  
حَتَّى يَفِيضَ مَا غَاضَ مِنْهُ عَلَى لِسَانِ الْقَلَمِ وَيَبْدُو مِنْهُ لِكُلِّ وَاقِعَةٍ  
مِنْوَالٌ يَنْسَجُ عَلَيْهِ وَمِثَالٌ يَنْظُرُ فِي ظَّائِرِ الْأُمُورِ إِلَيْهِ  
ثُمَّ انْظُرْ فِي (أَيَّامِ الْعَرَبِ) وَوَقَائِعِهِمْ وَحُرُوبِهِمْ وَتَسْمِيَةِ الْأَيَّامِ

الَّتِي كَانَتْ بَيْنَهُمْ وَمَعْرِفَةِ يَوْمِ كُلِّ قَبِيلَةٍ عَلَى الْآخَرَى وَمَا جَرَى  
بَيْنَهُمْ فِي ذَلِكَ مِنَ الْأَشْعَارِ وَالْمُنَاقَصَاتِ . لَمَّا فِي ذَلِكَ مِنَ الْعِلْمِ بِمَا  
يُسْتَشْهَدُ بِهِ مِنْ وَاقِعَةٍ قَدِيمَةٍ أَوْ يَرُدُّ عَلَيْهِ فِي مُكَاتَبَةٍ مِنْ ذِكْرِ أَيَّامٍ  
مَشْهُورَةٍ أَوْ ذِكْرِ فَارِسٍ مُعَيَّنٍ . . . . . وَأَمثالُ ذَلِكَ فِي تَطَايُرِهِ كَثِيرَةٌ  
فِي النَّظْمِ وَالنَّثْرِ فَإِذَا لَمْ يَكُنْ صَاحِبُ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ عَارِفًا بِكُلِّ يَوْمٍ مِنْ  
هَذِهِ الْأَيَّامِ عَالِمًا بِمَا جَرَى فِيهَا لَمْ يَذَرِ كَيْفَ يُجِيبُ عَمَّا يَرُدُّ إِلَيْهِ مِنْ  
مِثْلِهَا وَلَا مَا يَقُولُ إِذَا سُئِلَ عَنْهَا وَحَسْبُهُ ذَلِكَ نَقْصًا فِي صِنَاعَتِهِ وَقُصُورًا  
عَمَّا يَحْتَمُّ عَلَيْهِ مِنْ مَعْرِفَتِهِ وَحُسْنِ الْجَوَابِ فِيهِ عِنْدَ السُّؤَالِ عَنْهُ

ثُمَّ (النَّظَرُ فِي التَّوَارِيخِ) وَمَعْرِفَةُ أَخْبَارِ الدُّوَلِ مِنَ الْإِطْلَاعِ عَلَى  
سِيرِ الْمُلُوكِ وَسِيَاسَاتِهِمْ وَذِكْرُ وَقَائِعِهِمْ وَمَكَائِدِهِمْ فِي حُرُوبِهِمْ وَمَا اتَّفَقَ  
لَهُمْ مِنَ الشَّجَارِبِ الَّتِي بَلَّغُوا بِهَا أَقْصَى الْمَارِبِ وَغَدَتْ لِمَنْ بَعْدَهُمْ كَالْمِرَاقَةِ  
الَّتِي تُصَوِّرُ لَهُمْ وُجُودَ التَّدْبِيرِ وَتُرِيهِمْ مَا اسْتَتَرَ عَنْهُمْ مِنْ صَغِيرِ أَعْوَالِهِمْ  
وَالْكَبِيرِ . فَإِنَّهُ قَدْ يُضْطَرُّ إِلَى السُّؤَالِ عَنْ أَعْوَالِ مَنْ سَلَفَ مِنْ  
أَوَّلِ الْعَصْرِ وَالْإِلَى الْآنَ وَيُسْتَحْبَزُ كَيْفَ كَانَ الْأَمْرُ بَيْنَ زَيْدٍ وَعَمْرٍو  
وَكَيفَ انْتَصَرَ فُلَانٌ عَلَى فُلَانٍ . أَوْ يَرُدُّ عَلَيْهِ فِي كِتَابٍ ذِكْرُ وَاقِعَةٍ  
بَعَيْنَهَا أَوْ يُخْتَمُّ عَلَيْهِ بِصُورَةٍ قَدِيمَةٍ فَلَا يَعْرِفُ حَقِيقَتَهَا مِنْ مَجَازِهَا وَلَا  
صِدْقَهَا مِنْ مِثْلِهَا

ثُمَّ (حِفْظُ أَشْعَارِ الْعَرَبِ) وَمَطَالَعَةُ شُرُوحِهَا وَاسْتِكْشَافُ  
غَوَامِضِهَا وَالتَّوَقُّفُ عَلَى مَا اخْتَارَهُ الْعُلَمَاءُ مِنْهَا كَالْحِمَاةِ  
وَالْمُفْضَلِيَّاتِ وَالْأَصْصَعِيَّاتِ وَدِيَوَانِ الْهَذَلِيِّينَ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ لَمَّا فِي

ذَلِكَ مِنْ غَزَارَةِ الْمَوَادِّ وَصِحَّةِ الْأَسْتِشْهَادِ وَكَثْرَةِ الْأَثَرِ وَصَلِّ  
مِرَاةَ الْعَقْلِ وَانْتِزَاعَ الْأَمْثَالِ وَالْأَخْذَ فِي اخْتِرَاعِ الْمَعَانِي عَلَى أَصَحِّ  
مِثَالٍ وَالْإِطْلَاعَ عَلَى أَصُولِ اللُّغَةِ وَشَوَاهِدِهَا وَالْأَضْطِلَاعَ مِنْ نَوَادِرِ  
الْعَرَبِيَّةِ وَشَوَارِدِهَا . وَقَدْ كَانَ الصَّدْرُ الْأَوَّلُ يَعْتَمِدُ بِذَلِكَ غَايَةَ  
الِاعْتِنَاءِ . فَذَكَرَ أَنَّ عُمَرَ كَانَ يُقَدِّمُ زُهَيْرَ بْنَ أَبِي سَلَمَى فِي الشِّعْرِ  
فَقِيلَ لَهُ : بِمِ اسْتَحَقَّ ذَلِكَ عِنْدَكَ . فَقَالَ : كَانَ لَا يُعَاطِلُ بَيْنَ الْقَوْلِ  
وَلَا يَتَّبِعُ حَوَائِجَ الْكَلَامِ وَلَا يَحِيفُ الرَّجُلَ إِلَّا يَأْتِي بِكُنْهٍ فِي الرِّجَالِ .  
فَإِذَا أَكْثَرَ التَّمَرُّشُ لِلْكِتَابَةِ وَنَحِظَ خِيَارَ الشِّعْرِ وَتَدَبَّرَ مَعَانِيَهُ يَسْهَلُ  
عَلَيْهِ حَالُهُ وَظَهَرَتْ لَهُ مَوَاضِعُ الْأَسْتِشْهَادِ بِهِ وَسَاقَهُ الْكَلَامُ إِلَى إِبْرَازِ  
مَا فِي ذَخِيرَةِ حِفْظِهِ وَوَضَعِهِ فِي مَكَانِهِ وَقَلَّهِ فِي الْأَسْتِشْهَادِ أَوْ التَّضْمِينِ  
إِلَى مَا سَكَتَهُ وَضَعَهُ لَهُ . . . . .

وَكَذَلِكَ حِفْظُ جَانِبٍ جَيِّدٍ مِنْ شِعْرِ الْمُخَدِّثِينَ كَأَبِي تَمَّامٍ وَمُسْلِمٍ  
أَبْنِ الْوَلِيدِ وَابْنِ الْأَعْبَرِيِّ وَأَبْنِ الرُّومِيِّ وَالْمُتَنَّبِيِّ لِلطُّفِّ مَأْخِذِهِ  
وَدَوْرَانِ الصَّنَاعَةِ فِي كَلَامِهِمْ وَدَقَّةِ تَوَلِيدِ الْمَعَانِي فِي أَشْعَارِهِمْ وَقُرْبِ  
أُسْلُوبِهِمْ مِنْ أُسْلُوبِ الْخَطَّابَةِ وَالْكِتَابَةِ وَخُصُوصًا الْمُتَنَّبِيِّ الَّذِي  
كَانَهُ يَنْطَوِّعُ عَنِ السَّنَةِ النَّاسِ فِي مُحَاوَرَاتِهِمْ . وَكَثُرَ الْأَسْتِشْهَادُ لِشِعْرِهِ  
حَتَّى قُلَّ مَنْ يَجْهَلُهُ وَحَتَّى أَكُنْتُ بِالْبَيْتِ الْوَاحِدِ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى  
الْقَصْدِ وَبُلُوغِ الْقَرَضِ فِي الْجَوَابِ كَمَا كَتَبَ بَعْضُ مُلُوكِ الْعَرَبِ  
إِلَى مَنْ كَرَّرَ كُتْبَهُ وَأَرْسَلَهُ إِلَيْهِ بِقَوْلِ الْمُتَنَّبِيِّ :  
وَلَا كُتِبَ إِلَّا الْمَشْرِفَةُ عِنْدَهُ وَلَا رُسُلٌ إِلَّا الْخَيْسُ الْعَرْمَرَمُ



وَكَذَلِكَ أَلْظَرُّ فِي رَسَائِلِ الْمُتَقَدِّمِينَ دُونَ حِفْظِهَا إِلَّا فِي الْأَنْظَرِ فِيهَا  
 مِنْ تَقْيِيمِ الْقَرْيَةِ وَارْشَادِ الْخَاطِرِ وَتَسْهِيلِ الطَّرِيقِ وَالْتِمَاحِ عَلَى مِنْوَالِ  
 الْحَجِيدِ وَالْإِقْدَاءِ بِطَرِيقَةِ الْمُحْسِنِ وَاسْتِجْلَاءِ مَا أَنْتَجَبَهُ الْقَرَامِجُ مِنْ  
 أَنْبَكَارِ الْأَفْكَارِ وَاسْتِجْلَاءِ مَا رَوَّقَتْهُ الْخَوَاطِرُ مِنْ حِيَاضِ الْأَلْقَاطِ  
 وَاسْتِدْرَاكِ مَا فَاتَ الْقَاصِرَ وَالْإِحْتِرَازِ بِمَا أَظْهَرَهُ النَّقْدُ وَرَدِّ مَا يَهْرَجُهُ  
 السَّبْكُ . فَأَمَّا أَنَّهُ يُعْنَى عَنْ حِفْظِ ذَلِكَ فَلَيْلًا يَكِلُ الْخَاطِرُ عَمَّا فِي حَاصِلِهِ  
 وَيَسْتَنْدُ الْفِكْرُ إِلَى مَا فِي مُودَعِهِ وَيَكْتَفِي بِمَا لَيْسَ لَهُ وَيَتَلَبَّسَ بِمَا لَمْ  
 يَغْطِ كِلَابِسِ ثَوْبِي زُورٍ . . . . .

وَكَذَلِكَ ( الْأَنْظَرُ فِي كُتُبِ الْأَمْثَالِ ) الْوَارِدَةُ عَنْ الْعَرَبِ قَطْمًا  
 وَثَرًا كَامِثَالِ الْمَيْدَانِيِّ وَأَفْضَلِ بْنِ سَلَمَةَ الْأَصْبَهَانِيِّ وَخَمَزَةَ الْأَصْبَهَانِيِّ  
 وَغَيْرِهِمْ وَأَمْثَالِ الْخُذَمِيِّ الْوَارِدَةِ فِي أَشْعَارِهِمْ كَأَيِّ الْأَمْثَالِ وَالْأَيْتَامِ  
 وَالْمُتَنَبِّئِيِّ وَأَمْثَالِ الْمُؤَلَّدِينَ وَالْأَمْثَالِ الْمُتَوَسَّعَةِ عَلَى السِّنِّ الْخِيَوَانِ  
 لِلْعَرَبِ وَغَيْرِهِمْ لَيْسَتْ شَهَادَةٌ بِالْمَثَلِ فِي مَوْضِعِهِ وَيُورِدُهُ فِي مَكَانِهِ وَيَكُونُ  
 مِنْ وَرَاءِ الْمَعْرِفَةِ بِأَصْلِهِ وَأَوَّلِ مَنْ أَرْسَلَهُ مَثَلًا وَمَنْ أَمْتَشَهَدَ بِهِ  
 وَذَكَرَ سَبِيهِ . . . . .

وَأَمَّا ( الْأَمْثَالُ بِالشَّعْرِ ) فَقَدْ رُوِيَ أَنَّ عُمَرَ تَمَثَّلَ يَوْمًا بِقَوْلِ  
 النَّابِغَةِ :

وَلَسْتَ بِمُسْتَبَقٍ أَخَا لَا تَأْتُهُ عَلَى شَعَثِ أَيِّ الرِّجَالِ الْمُهَذَّبِ  
 ثُمَّ قَالَ : لِمَنْ هَذَا . فَقِيلَ لَهُ : لِلنَّابِغَةِ . فَقَالَ : ذَلِكَ أَشْعَرُ شَعْرَانِكُمَا .  
 وَسَالَ عُمَرُ ابْنَ عَبَّاسٍ عَنْ نَبِيِّ . فَأَجَابَهُ عَنْهُ فَأَعْجَبَهُ جَوَابُهُ فَقَالَ :

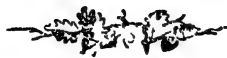
شَشْنَتُهُ أَعْرِفَهَا مِنْ أَحْزَمٍ . وَآمَالُ ذَلِكَ مِمَّا تَمَثَّلُ بِهِ الصَّحَابَةُ كَثِيرٌ .  
وَكَذَلِكَ النَّظَرُ فِي ( الْأَحْكَامِ السَّاطِنَةِ ) فَإِنَّهُ قَدْ يُؤْمَرُ بِأَمْرٍ  
فَيَعْرِفُ بِهَا كَيْفَ يُخْلَصُ قَلَمُهُ عَلَى حُكْمِ الشَّرِيعَةِ الْمُطَهَّرَةِ مِنْ وَلَايَةِ  
الْقَضَاءِ وَالْحِسْبَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ . فَهَذِهِ أُمُورٌ كَلِيَّةٌ لَا بُدَّ لِلْمُتَرَشِّحِ لِهَذِهِ  
الصَّنَاعَةِ مِنْ اتِّصَادِي الْأَطْلَاعِ عَلَيْهَا وَالْإِكْتِبَابِ عَلَى طَائِعَتِهَا  
وَالِاسْتِكْثَارِ مِنْهَا . يَنْفَقُ مِنْ تِلْكَ الْمَوَادِّ وَيَسْلُكُ فِي الْوُصُولِ إِلَى تِلْكَ  
الصَّنَاعَةِ بِذَلِكَ الْجَوَادِ وَإِلَّا فَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ فِي وَادٍ وَالْكِتَابَةُ فِي وَادٍ

وَأَمَّا الْأُمُورُ الْخَاصَّةُ الَّتِي تَزِيدُ مَعْرِفَتَهَا قَدْرَهُ وَيُزَيِّنُ الْعِلْمَ بِهَا  
نَظْمَهُ وَنَثَرَهُ فَانْهَاهَا مِنَ الْمَكْمَلَاتِ لِهَذَا الْقَنْ وَانْ لَمْ يُضْطَرَّ إِلَيْهَا ذُو  
الذِّهْنِ الثَّاقِبِ وَالطَّبْعِ السَّلِيمِ وَالْقَرِيحَةِ الْمُطَاوِعَةِ وَالْفِكْرَةِ الْمُنْقَحَةِ  
وَالْبَدِيعَةِ الْحَيَّةِ وَالرَّوِيَّةِ الْمُتَصَرِّقَةِ . لَكِنَّ الْعَالَمَ بِهَا مُتَسَكِّنٌ مِنْ  
ازِمَّةِ الْمَعَانِي يَقُولُ عَنْ عِلْمٍ وَيَتَصَرَّفُ عَنْ مَعْرِقَةٍ وَيَنْقُدُ بِخُجَّةٍ وَيَخْذِرُ  
بِدَلِيلٍ وَيَسْتَحْسِنُ بِرَهَانٍ وَيَصُوغُ الْكَلَامَ بِتَرْتِيبٍ

فَمِنْ ذَلِكَ ( عِلْمُ الْمَعَانِي وَالْبَيَانُ وَالْبَدِيعُ ) وَمَا يَلْحَقُ بِهَا وَأَنَا  
أَشِيرُ الْآنَ إِلَى تُكْتَبُ مِنْهَا تَدُلُّ عَلَى جَلَالَةِ قَدْرِ هَذَا الْعِلْمِ وَعَظَمِهِ  
أَقْلَانِدُهُ بِهِ وَأَنَّ الْأَدِيبَ وَالْكَاتِبَ الْعَارِضِينَ مِنْهُ قَاصِرَانِ عَنْ آذَنِي  
رُتَبِ الْكَمَالِ يُجِيدَانِ وَلَا يَذَرِيَانِ كَيْفَ يُجَيِّبَانِ . فَلَوْ سُئِلَ عَنْ  
عِلَّةٍ مَعْنَى اسْتَحْسَنَهُ أَوْ لَفْظٍ اسْتَحْلَاهُ أَوْ تَرْكِيبٍ اسْتَجَادَهُ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى  
الْإِتْيَانِ بِدَلِيلٍ عَلَى ذَلِكَ كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ :

يَا أَبَا جَعْفَرٍ اتَّحَكَّمْ فِي الشَّعْرِ مِ وَمَا فِيكَ آتَهُ الْحُكَّامُ

إِنَّ تَقْدِيرَ الدِّينَارِ إِلَّا عَلَى الصَّرِّ فِي صَعْبٍ فَكَيْفَ تَقْدِيرُ الْكَلَامِ  
 قَدْ رَأَيْتُكَ لَسْتَ تَفْرُقُ فِي الْأَمِّ شَعَارَ بَيْنِ الْأَرْوَاحِ وَالْأَجْسَامِ  
 وَحَكَى الْإِمَامُ عَبْدُ الْقَاهِرِ الْجُرْجَانِيُّ قَالَ : رَكِبَ الْكِندِيُّ  
 الْمُتَفَلِّسُ إِلَى أَبِي الْعَبَّاسِ وَقَالَ لَهُ : إِنِّي آجِدُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ  
 حَشْوًا . فَقَالَ لَهُ أَبُو الْعَبَّاسِ : فِي أَيِّ مَوْضِعٍ وَجَدْتَ ذَلِكَ . قَالَ :  
 وَجَدْتُ الْعَرَبَ يَقُولُ : عَبْدُ اللَّهِ قَائِمٌ . ثُمَّ يَقُولُونَ : إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ قَائِمٌ .  
 ثُمَّ يَقُولُونَ : إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ لَقَائِمٌ . قَالَ لَفَاطُ مُتَكَرِّرَةٌ وَالْمَعْنَى وَاحِدٌ .  
 فَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ : بَلِ الْمَعْنَى مُخْتَلِفَةٌ لِاخْتِلَافِ الْأَلْفَاطِ . فَقَوْلُهُمْ :  
 عَبْدُ اللَّهِ قَائِمٌ إِنْخِبَارٌ عَنْ قِيَامِهِ . وَقَوْلُهُمْ : إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ قَائِمٌ جَوَابٌ  
 عَنْ سُؤَالٍ سَائِلٍ . وَقَوْلُهُمْ : إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ لَقَائِمٌ جَوَابٌ عَنْ انْكَارِ  
 مُنْكَرِ قِيَامِهِ . فَمَا أَحَارَ الْمُتَفَلِّسُ جَوَابًا . فَإِذَا ذَهَبَ وَثَلُ هَذَا عَلَى  
 الْكِندِيِّ فَمَا الظَّنُّ بِغَيْرِهِ . وَإِنْ كَانَ مِنْ مُحَاسِنِ الْكَلَامِ مَا لَا  
 يَحْكُمُ فِي أَمْرِ بَرَاهِ بِأَلْقَابٍ غَيْرِ الذَّوْقِ السَّلِيمِ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :  
 شَيْءٌ بِهِ فُتِنَ الْوَرَى غَيْرَ الَّذِي يُدْعَى الْجَمَالَ وَلَسْتُ أَدْرِي مَا هُوَ  
 لَكِنَّ الْقَالِبَ فِي الْكَلَامِ يُعْلَمُ سَبَبُ تَحْسِينِهِ وَتَعْلُلُ مَوَادِّ  
 تَمْكِينِهِ وَيُجَابُ عَنْ الْعِلَّةِ فِي ائْتِطَاطِهِ وَارْتِقَاعِهِ وَيُذَكَّرُ الْمَعْنَى فِي  
 ارْتِقَاعِهِ مِنْ حَضِيضِ الْقَوْلِ إِلَى أَيْقَاعِهِ



# الجزء الأول

في علم الانشاء

## بحث في تعريف الانشاء

( عن ابي الخير وعن آداب المنشي لابن صدر الدين )

( راجع الجزء الاول من علم الادب صفحة ١ )

ان الانشاء علم يُبحث فيه عن المنشور من حيث انه يُلَيِّغُ وَفَصِيحٌ  
وهو مُشْتَمِلٌ عَلَى الْآدَابِ الْمُعْتَبَرَةِ عِنْدَهُمْ فِي الْعِبَارَاتِ الْمُسْتَحْسَنَةِ  
وَاللَّانِقَةِ بِالْمَقَامِ . وَمَوْضُوعُهُ وَغَرَضُهُ وَغَايَتُهُ ظَاهِرَةٌ بِمَا ذَكَرَ وَمَبَادِيهِ  
مَأْخُذَةٌ مِنْ تَتَبُّعِ الْخُطْبِ وَالرَّسَائِلِ بَلْ لَهُ اسْتِمْدَادٌ مِنْ جَمِيعِ الْعُلُومِ  
سِوَا الْحِكْمَةِ الْعَمَلِيَّةِ وَالْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ وَسِوَا الْمُلُوكِ وَوَصَايَا الْعُقَلَاءِ  
وغير ذلك من الْأُمُورِ الْغَيْرِ الْمُتَنَاهِيَةِ . هَذَا مَا ذَكَرَهُ أَبُو الْخَيْرِ .  
وَيَنْدَرِجُ فِيهِ مَا أوردَهُ فِي عِلْمِ مَبَادِي الْإِنشَاءِ وَأَدَوَاتِهِ فَلَا وَجْهَ  
لِجُلِّهِ عِلْمًا آخَرَ . وَأَمَّا ابْنُ صَدْرٍ الدِّينِ فَإِنَّهُ لَمْ يَذْكُرْ سِوَى مَعْرِفَةِ  
الْحَسَنِ وَالْمَعَايِبِ وَنُبْذَةِ مِنْ آدَابِ الْمُنَشِيِّ . وَزُبْدَةُ كَلَامِهِ أَنَّ  
لِلنَّثْرِ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ نَثْرٌ مُحَاسِنٌ وَمَعَايِبٌ يُجِبُ عَلَى الْمُنَشِيِّ أَنْ يَفْرِقَ  
بَيْنَهُمَا فَيَتَحَرَّزَ عَنِ الْمَعَايِبِ . وَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ أَعْلَى كَعْبًا فِي الْعَرَبِيَّةِ  
مُتَحَرِّزًا عَنِ اسْتِعْمَالِ الْأَلْفَاظِ الْفَرِيَّةِ وَمَا يُحِلُّ لَهُ بِهِمْ التَّرَادُّ وَيُوجِبُ

صُعُوبَتَهُ وَأَنْ يُعَزَّزَ عَنِ التَّكَرَّارِ وَأَنْ يُجْعَلَ الْأَلْفَاظُ تَابِعَةً لِلْمَعَانِي  
 دُونَ الْعَكْسِ . إِذَا أَلْمَعَانِي إِذَا تَرَكِبْتَ عَلَى سَجِيَّتِهَا طَلَبْتَ لِأَنْفُسِهَا  
 الْأَلْفَاظَ تَلِيْقُ بِهَا فَيُحْسِنُ اللفظُ وَالْمَعْنَى جَمِيعًا . وَأَمَّا جَعْلُ الْأَلْفَاظِ  
 مُتَكَلِّفَةً وَالْمَعَانِي تَابِعَةً لَهَا فَهُوَ كَلْبَاسٌ مَلْبِجٌ عَلَى مَنْظَرٍ قَبِيحٍ فَيَجِبُ  
 أَنْ يُجْتَنَبَ عَمَّا يَفْعَلُهُ بَعْضُ مَنْ لَهُمْ شَغْفٌ بِإِيرَادِ شَيْءٍ مِنَ الْحُسْنَاتِ  
 اللفظِيَّةِ فَيَضْرِبُونَ الْعِنَايَةَ إِلَى الْأَحْسِنَاتِ وَيَجْعَلُونَ الْكَلَامَ كَأَنَّهُ غَيْرُ  
 سَوْقٍ لِإِفَادَةِ الْمَعْنَى فَلَا يُبَالُونَ بِخِفَاءِ الدَّلَالَاتِ وَرَكَاكَةِ الْمَعْنَى .  
 وَبِزْنِ أَعْظَمِ مَا يَلِيْقُ لِمَنْ يَتَعَاطَى الْإِنْشَاءَ أَنْ يَكْتُبَ مَا يُرَادُ لَا مَا  
 يُرِيدُ . كَمَا قِيلَ فِي الصَّاحِبِ وَالصَّالِحِي : إِنَّ الصَّالِحِيَّ يَكْتُبُ مَا يُرَادُ  
 وَالصَّاحِبُ يَكْتُبُ مَا يُرِيدُ . وَلَا بُدَّ أَنْ يُلَاحِظَ فِي كِتَابِ النَّثْرِ حَالُ  
 الْمُرْسَلِ وَالْمُرْسَلِ إِلَيْهِ وَيَعْنُونَ الْكِتَابَ بِمَا يُنَاسِبُ الْمَقَامَ



# الفصل الاول

في الفصاحة

البحث الاول

في تحديد الفصاحة

( عن الفصاحة والبلاغة للامام السيوطي باختصار )

( راجع صفحة ٣ من الجزء الاول من علم الادب )

أَلْفَصَاحَةُ لُغَةٌ تُنْبِئُ عَنِ الْإِبَانَةِ وَالظُّهُورِ يُقَالُ : فَضَحَ الْأَنْجَمِيُّ  
وَأَفْضَحَ إِذَا انْطَلَقَ لِسَانُهُ وَخَاصَتْ لُغَتُهُ مِنَ الْكُنَّةِ وَجَادَتْ فَلَمْ  
يَلْحَنَ . وَأَفْضَحَ بِهِ أَيْ صَرَحَ . وَعِنْدَ أَهْلِ الْمَعَانِي تُطْلَقُ عَلَى مَعَانٍ  
مِنْهَا : وَضَفٌ فِي الْكَلَامِ بِهِ يَقَعُ التَّفَاضُلُ وَيَثْبُتُ الْأَعْجَازُ . قَالَ  
الْإِمَامُ فَخْرُ الدِّينِ الرَّازِيُّ : أَعْلَمُ أَنَّ أَلْفَصَاحَةَ خُلُوصُ الْكَلَامِ وَمِنْ  
الْتَعْقِيدِ . وَأَصْلُهَا مِنْ قَوْلِهِمْ : أَفْضَحَ اللَّبَنُ إِذَا ذَهَبَتْ عَنْهُ الرِّغْوَةُ .  
وَهِيَ بِالْأَضْطِلَاحِ : عِبَارَةٌ عَنِ الْأَلْفَازِ الْبَيِّنَةِ الظَّاهِرَةِ الْمُتَبَادِرَةِ إِلَى  
أَفْقِهِمْ وَالْمَأْنُوسَةِ الْأَسْتِعْمَالِ لِمَكَانٍ حُسْنِهَا

البحث الثاني

في الفرق بين الفصاحة والبلاغة وموضوعهما

( عن كتاب الصناعتين للكتابة والانشاء لابي هلال العسكري باختصار )

أَلْبَلَاغَةٌ مِنْ قَوْلِهِمْ : بَلَّغْتُ أَلْعَايَةَ إِذَا انْتَهَيْتُ إِلَيْهَا وَبَلَّغْتُهَا

غَيْرِي. وَمَبْلَغُ الشَّيْءِ مُنْتَهَاهُ . وَالْمُبَالَغَةُ فِي الشَّيْءِ الْإِثْنَاءُ إِلَى غَايَتِهِ .  
 فَسُمِّيَتْ الْمُبَالَغَةُ بِلَاغَةً لِأَنَّهَا تُنْهِي الْمَعْنَى إِلَى قَلْبِ السَّامِعِ فِيهِمُ  
 وَسُمِّيَتْ الْمُبَالَغَةُ بِلَاغَةً لِأَنَّكَ تَتَبَلَّغُ بِهَا فَتَنْتَهِي بِكَ إِلَى مَا قَوْفَهَا وَهِيَ  
 الْمُبَالَغَةُ أَيْضًا . وَيُقَالُ : الدُّنْيَا بِلَاغٌ لِأَنَّهَا تُؤَدِّيكَ إِلَى الْآخِرَةِ . وَالْمُبَالَغُ  
 أَيْضًا التَّبْلِيغُ . وَمَنْهُ : هَذَا بِلَاغٌ لِلنَّاسِ أَيْ تَبْلِيغٌ . وَيُقَالُ : بَلَغَ الرَّجُلُ  
 بِلَاغَةً إِذَا صَارَ بَلِيغًا كَمَا يُقَالُ نَبْلٌ نَبَالَةٌ إِذَا صَارَ نَبِيلاً . وَكَلَامٌ بَلِيغٌ  
 وَبَلُغٌ (بِالْفَتْحِ) كَمَا يُقَالُ وَجِيزٌ وَوَجْزٌ . وَرَجُلٌ بَلُغٌ (بِالْكَسْرِ) يَبْلُغُ مَا  
 يُرِيدُ وَفِي مَثَلٍ لَهُمْ : أَحَقُّ بَلُغٌ . وَيُقَالُ : ابْلَغْتُ فِي الْكَلَامِ إِذَا  
 آتَيْتَ بِالْمُبَالَغَةِ فِيهِ كَمَا تَقُولُ : أَبْرَحْتُ إِذَا آتَيْتَ بِالْبُرْحَاءِ وَهُوَ  
 الْأَمْرُ الْجَسِيمُ . وَالْمُبَالَغَةُ مِنْ صِفَةِ الْمُتَكَلِّمِ فَلِهَذَا لَا يُجُوزُ أَنْ يُسَمَّى  
 اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِأَنَّهُ يَبْلُغُ إِذَا لَا يُجُوزُ أَنْ يُوصَفَ بِصِفَةٍ كَانَ مَوْضُوعَهَا  
 الْكَلَامَ وَتَسْمِيَتُنَا الْمُتَكَلِّمَ بِأَنَّهُ يَبْلُغُ تَوْسَعٌ وَحَقِيقَةٌ أَنْ كَلَامُهُ  
 بَلِيغٌ كَمَا تَقُولُ : فَلَانُ رَجُلٌ مُحْكَمٌ وَتَغْنِي أَنْ أَفْعَالُهُ مُحْكَمَةٌ .  
 وَكَذَلِكَ كَثْرَةُ الْأَسْتِعْمَالِ جَعَلَتْ تَسْمِيَةَ الْمُتَكَلِّمِ بِأَنَّهُ يَبْلُغُ  
 كَالْحَقِيقَةِ

أَمَّا الْقَصَاحَةُ فَقَدْ قَالَ قَوْمٌ إِنَّهَا مِنْ قَوْلِهِمْ : أَفْصَحَ فَلَانُ عَمَّا  
 فِي نَفْسِهِ إِذَا أَظْهَرَهُ . وَالشَّاهِدُ عَلَى أَنَّهَا هِيَ الْأَظْهَارُ قَوْلُ الْعَرَبِ  
 أَفْصَحَ الصُّنْجُ إِذَا أَضَاءَ وَفْصَحَ أَيْضًا . وَأَفْصَحَ الْأَعْجَبِيُّ إِذَا أَبَانَ  
 بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ يُبَيِّنُ وَفْصَحَ اللَّحْنُ إِذَا عَابَرَ عَمَّا فِي نَفْسِهِ وَأَظْهَرَهُ  
 عَلَى جِهَةِ الصَّوَابِ دُونَ الْخَطَا . وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ عَلَى هَذَا فَالْقَصَاحَةُ

وَالْبَلَاغَةُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ إِذَا كَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِغَاوَةً أَلَا بَابَةٌ عَنْ  
الْمَعْنَى وَالْأَظْهَارُ لَهُ . وَقَالَ بَعْضُ عُلَمَائِنَا : الْفَصَاحَةُ تَمَامُ آتَةِ الْبَيَانِ .  
فَلِهَذَا لَا يَجُوزُ أَنْ يُسَمَّى اللَّهُ تَعَالَى فَصِيحًا إِذَا كَانَتْ الْفَصَاحَةُ تَتَضَمَّنُ  
مَعْنَى آتَةِ وَلَا يَجُوزُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى آتَةُ . وَيُوصَفُ كَلَامُهُ بِالْفَصَاحَةِ  
لَمَّا تَتَضَمَّنُ مِنْ تَمَامِ الْبَيَانِ . وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ أَنَّ الْأَتْعَ وَالْأَتَمَّ  
لَا يُسَمَّيَانِ فَصِيحَيْنِ لِنُقْصَانِ آتِيَهُمَا عَنْ إِقَامَةِ الْحُرُوفِ . وَقِيلَ : زِيَادُ  
الْأَنْجَمِ . لِنُقْصَانِ آتَةِ نُطْقِهِ عَنْ إِقَامَةِ الْحُرُوفِ وَكَانَ يُعْبَرُ عَنْ الْحِمَارِ  
بِالْهَمَارِ فَهُوَ أَنْجَمٌ وَشَعْرُهُ فَصِيحٌ لِتَمَامِ بَيَانِهِ . فَعَلَى هَذَا تَكُونُ  
الْفَصَاحَةُ وَالْبَلَاغَةُ مُحْتَلِفَتَيْنِ وَذَلِكَ أَنَّ الْفَصَاحَةَ تَمَامُ آتَةِ الْبَيَانِ فِيهِ  
مَقْصُورَةٌ عَلَى اللَّفْظِ لِأَنَّ آتَةَ تَتَعَلَّقُ بِاللَّفْظِ دُونَ الْمَعْنَى . وَالْبَلَاغَةُ  
إِغَاوَةٌ فِي الْمَعْنَى فِي الْقَلْبِ فَكَأَنَّهُمَا مَقْصُورَةٌ عَلَى الْمَعْنَى . وَمِنْ  
الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ الْفَصَاحَةَ تَتَضَمَّنُ اللَّفْظَ وَالْبَلَاغَةَ تَتَنَاوَلُ الْمَعْنَى  
أَنَّ الْأَبْغَاءَ يُسَمَّى فَصِيحًا وَلَا يُسَمَّى بَلِيغًا إِذْ هُوَ مُقِيمٌ الْحُرُوفِ وَلَيْسَ  
لَهُ قَصْدٌ إِلَى الْمَعْنَى الَّذِي يُؤَدِّيهِ . وَقَدْ يَجُوزُ مَعَ هَذَا أَنْ يُسَمَّى الْكَلَامُ  
أَوَّاحِدٌ فَصِيحًا بَلِيغًا إِذَا كَانَ وَاضِحَ الْمَعْنَى سَهْلَ اللَّفْظِ وَجَيِّدَ السَّبْكِ  
غَيْرَ مُسْتَكْرَهٍ فَحَجَّ وَلَا مُتْكَلِّفٍ وَخَمٍ وَلَا يَنْعُهُ مِنْ أَحَدِ الْأَسْمَانِ  
شَيْءٌ لَمَّا فِيهِ مِنْ إِضْاحِ الْمَعْنَى وَتَقْوِيمِ الْحُرُوفِ . وَشَهِدْتُ قَوْمًا  
يَذْهَبُونَ إِلَى أَنَّ الْكَلَامَ لَا يُسَمَّى فَصِيحًا حَتَّى يَجْمَعَ مَعَ هَذِهِ الثَّلَاثِ  
فَخَامَةٌ وَشَدَّةٌ جَزَالَةٌ فَيَكُونُ مِثْلَ كَلَامِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ : إِنَّ النَّاسَ عَيْدُ  
الْأَمْوَالِ وَالَّذِينَ لَعَوْا عَلَى السِّنْتِمْ يُحَوِّطُونَهُ مَا دَرَّتْ بِهِ مَعَايِشُهُمْ فَإِذَا



مُحْضُوا بِالْإِتِّلَاءِ قَلَّ الدَّيَّانُونَ . وَمَثَلُ الْمَنْظُومِ قَوْلُ الشَّاعِرِ :  
 تَرَى غَايَةَ الْخَطِيءِ فَوْقَ رُؤُسِهِمْ كَمَا اشْرَقَتْ فَوْقَ الصُّوَارِ قُرُونُهَا  
 (قَالُوا) وَإِذَا كَانَ الْكَلَامُ يَجْمَعُ نُعُوتَ الْجُودَةِ وَلَمْ يَكُنْ فِيهِ  
 فُحَامَةٌ وَفَضْلُ جَزَالَةٍ سُمِّيَ بَلِيغًا ثُمَّ فَصِيحًا كَقَوْلِ بَعْضِهِمْ وَقَدْ سُئِلَ  
 عَنْ حَالِهِ عِنْدَ الْوَفَاةِ فَقَالَ : سَا حَالٌ مَنْ يُرِيدُ سَفَرًا بَعِيدًا بِلَا زَادٍ  
 وَيُقَدِّمُ عَلَى مَلِكٍ عَادِلٍ بِغَيْرِ حُجَّةٍ وَيَسْكُنُ قَبْرًا مُوَحِّشًا بِلَا أَيْنِسٍ .  
 وَقَوْلِ آخَرَ لِأَخٍ لَهُ : مَدَدْتُ إِلَى الْمَوَدَّةِ يَدَا فَشَكَرْنَاكَ وَشَفَعْتَ  
 ذَلِكَ بَشِيءٌ مِنَ الْجَفَاءِ فَعَذَرْنَاكَ وَالرُّجُوعُ إِلَى مُحَمَّدٍ أَلْوَدَّ أَوْلَى بِكَ  
 وَنَ الْمَقَامِ عَلَى مَكْرُوهِ الْأَمَدِ . وَاسْتَدْلُوا عَلَى صِحَّةِ هَذَا الْمَذْهَبِ بِقَوْلِ  
 الْعَلَاصِيِّ بْنِ عَدِيٍّ : الشَّجَاعَةُ قَلْبٌ رَكِينٌ وَالْفَصَاحَةُ إِسَانٌ رَزِينٌ .  
 وَاللِّسَانُ هَاهُنَا الْكَلَامُ . وَالرَّزِينُ الَّذِي فِيهِ فُحَامَةٌ وَجَزَالَةٌ وَلَيْسَ  
 الْغَرَضُ فِي هَذَا الْكِتَابِ سُلُوكُ مَذْهَبِ الْمُتَكَلِّمِينَ . وَإِنَّمَا قَصَدْتُ  
 فِيهِ مَقْصِدَ صُنَاعِ الْكَلَامِ مِنَ الشُّعْرَاءِ وَالْكِتَابِ فَلِهَذَا لَمْ أُطِلِ  
 الْكَلَامُ فِي هَذَا الْفَضْلِ

### البحث الثالث

### في حقيقة الفصاحة

( عن الملل السائر )

( راجع صفحة ٣ من علم الادب )

إِعْلَمَنَّ أَنَّ هَذَا تَابٌ مُتَعَدِّدٌ عَلَى الْوَالِحِ وَمَسْلُوكٌ تَوَعَّرَ عَلَى

النَّاهِجَ وَلَمْ يَزَلِ الْعُلَمَاءُ مِنْ قَدِيمِ الزَّمَانِ وَحَدِيثِهِ يُكْثِرُونَ الْقَوْلَ فِيهِ  
وَالْبَحْثَ عَنْهُ وَلَمْ أَجِدْ مِنْ ذَلِكَ مَا يُعَوَّلُ عَلَيْهِ إِلَّا الْقَلِيلَ . وَغَايَةُ  
مَا يُقَالُ فِي هَذَا الْبَابِ أَنَّ الْفَصَاحَةَ هِيَ الظُّهُورُ وَالْبَيَانُ فِي أَصْلِ  
الْوَضْعِ اللَّغَوِيِّ يُقَالُ : أَفْصَحَ الصُّنْعُ إِذَا ظَهَرَ ثُمَّ إِنَّهُمْ يَقِفُونَ عِنْدَ  
ذَلِكَ وَلَا يَكْشِفُونَ عَنِ السِّرِّ فِيهِ . وَبِهَذَا الْقَوْلِ لَا تَبْتَنِي حَقِيقَةُ  
الْفَصَاحَةِ لِأَنَّهُ يُعْتَرَضُ عَلَيْهِ بِوُجُوهِ مِنَ الْأَعْتَاضَاتِ . (أَحَدُهَا) : أَنَّهُ  
إِذَا لَمْ يَكُنِ اللَّفْظُ ظَاهِرًا بَيْنًا لَمْ يَكُنْ فَصِيحًا ثُمَّ إِذَا ظَهَرَ وَتَبَيَّنَ  
صَارَ فَصِيحًا . (الْوَجْهُ الثَّانِي) : أَنَّهُ إِذَا كَانَ اللَّفْظُ الْفَصِيحُ هُوَ الظَّاهِرُ  
الْبَتْنُ فَقَدْ صَارَ ذَلِكَ بِالسَّبَبِ وَالْإِضَافَاتِ إِلَى الْأَشْخَاصِ فَإِنَّ اللَّفْظَ  
قَدْ يَكُونُ ظَاهِرًا لَزِيدٍ وَلَا يَكُونُ ظَاهِرًا لِعَمْرٍو فَهُوَ إِذَنْ فَصِيحٌ عِنْدَ  
هَذَا وَغَيْرُ فَصِيحٍ عِنْدَ هَذَا . وَلَيْسَ كَذَلِكَ بَلِ الْفَصِيحُ هُوَ فَصِيحٌ  
عِنْدَ الْجَمِيعِ لَا خِلَافَ فِيهِ بِحَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ لِأَنَّهُ إِذَا تَحَقَّقَ حَدُّ  
الْفَصَاحَةِ وَعُرفَ مَا هِيَ لَمْ يَبْقَ فِي اللَّفْظِ الَّذِي يُخْتَصُّ بِهِ خِلَافٌ .  
(الْوَجْهُ الثَّلَاثُ) : أَنَّهُ إِذَا جِيَ بِلَفْظٍ فَصِيحٍ يَتَّبِعُهُ السَّمْعُ وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ  
ظَاهِرٌ بَتْنٌ يَتَّبِعِي أَنْ يَكُونَ فَصِيحًا وَلَيْسَ كَذَلِكَ لِأَنَّ الْفَصَاحَةَ  
وَصَفُ حُسْنِ اللَّفْظِ لَا وَصْفُ قُبْحٍ . فَهَذِهِ الْأَعْتَاضَاتُ الثَّلَاثَةُ وَارِدَةٌ  
عَلَى قَوْلِ الْقَائِلِ أَنَّ اللَّفْظَ الْفَصِيحَ هُوَ الظَّاهِرُ الْبَتْنُ مِنْ غَيْرِ تَفْصِيلٍ .  
وَلَمَّا وَقَفْتُ عَلَى أَقْوَالِ النَّاسِ فِي هَذَا الْبَابِ مَلَكَتْنِي الْحَيْرَةُ فِيهَا وَلَمْ  
يَثْبُتْ عِنْدِي مِنْهَا مَا أُعَوَّلُ عَلَيْهِ وَلِكَثْرَةِ مُلَابَسَتِي هَذَا الْفَنِّ  
وَمُعَارَكَتِي إِيَّاهُ أَنْكَشَفَ لِيَ السِّرُّ فِيهِ وَسَأُضِحُّهُ فِي كِتَابِي هَذَا

وَأَحَقُّ الْقَوْلَ فِيهِ فَأَقُولُ : إِنَّ الْكَلَامَ الْقَصِيحَ هُوَ الظَّاهِرُ الْبَتِّينِ  
وَأَعْنِي بِالظَّاهِرِ الْبَتِّينِ أَنْ تَكُونَ الْفَاطَةُ مَفْهُومَةً لَا يَحْتَاجُ فِي فَهْمِهَا  
إِلَى اسْتِخْرَاجٍ مِنْ كِتَابٍ لُغَةٍ . وَإِنَّمَا كَانَتْ بِهَذِهِ الصِّفَةِ لِأَنَّهَا تَكُونُ  
مَأْلُوقَةً لِإِسْتِعْمَالِ بَيْنِ أَرْبَابِ النَّظْمِ وَالنَّثْرِ دَاوِرَةً فِي كَلَامِهِمْ . وَإِنَّمَا  
كَانَتْ مَأْلُوقَةً لِإِسْتِعْمَالِ دَاوِرَةٍ فِي الْكَلَامِ دُونَ غَيْرِهَا مِنَ الْأَلْفَازِ  
لِمَكَانِ حُسْنِهَا . وَذَلِكَ أَنَّ أَرْبَابَ النَّظْمِ وَالنَّثْرِ غَرَبُوا اللَّغَةَ بِاعْتِبَارِ  
الْفَاطِهَا وَسَبَرُوا وَقَسَمُوا فَاخْتَارُوا الْحَسَنَ مِنَ الْأَلْفَازِ فَاسْتَعْمَلُوهُ  
وَقَوُوا الْقَبِيحَ مِنْهَا فَلَمْ يَسْتَعْمِلُوهُ فَحَسُنُ الْإِسْتِعْمَالِ سَبَبُ اسْتِعْمَالِهَا  
دُونَ غَيْرِهَا وَاسْتِعْمَالُهَا سَبَبُ ظُهُورِهَا وَبَيَانِهَا . فَأَقْصِيحُ إِذَنْ مِنْ  
الْأَلْفَازِ هُوَ الْحَسَنُ . فَإِنْ قِيلَ : مَنْ أَيْ وَجِهَ عِلْمَ أَرْبَابِ النَّظْمِ  
وَالنَّثْرِ الْحَسَنَ مِنَ الْأَلْفَازِ حَتَّى اسْتَعْمَلُوهُ وَعَلِمُوا الْقَبِيحَ مِنْهَا حَتَّى قَوَوْهُ  
وَلَمْ يَسْتَعْمِلُوهُ . قُلْتُ فِي الْجَوَابِ : إِنَّ هَذَا مِنَ الْأُمُورِ الْخُصُوسَةِ  
الَّتِي شَاهَدُهَا رَأْيُ نَفْسِهَا لِأَنَّ الْأَلْفَازَ دَاخِلَةً فِي حَدِّ الْأَصْوَاتِ فَالَّذِي  
يَسْتَلِذُّ السَّمْعُ مِنْهَا وَيَعْمَلُ إِلَيْهِ هُوَ الْحَسَنُ وَالَّذِي يَكْرَهُهُ وَيَنْفِرُ عَنْهُ  
الْقَبِيحُ . أَلَا تَرَى أَنَّ السَّمْعَ يَسْتَلِذُّ صَوْتَ الْبُلْبُلِ مِنَ الطَّيْرِ وَصَوْتَ الشَّجَرِ  
وَيَعْمَلُ إِلَيْهِمَا وَيَكْرَهُ صَوْتَ الْغُرَابِ وَيَنْفِرُ عَنْهُ وَكَذَلِكَ يَكْرَهُ نَهيقَ  
الْحِمَارِ وَلَا يَجِدُ ذَلِكَ فِي صَهِيلِ الْفَرَسِ . وَالْأَلْفَازُ جَارِيَةٌ هَذَا النِّجَازِ  
فَأَنَّهُ لَا خِلَافَ فِي أَنَّ لَفْظَةَ الْمُرْتَةِ وَالْدِيمَةِ حَسَنَةٌ يَسْتَلِذُّهَا السَّمْعُ . وَأَنَّ  
لَفْظَةَ الْبَعَاقِ قَبِيحَةٌ يَكْرَهُهَا السَّمْعُ . وَهَذِهِ الْفَلَفَازَاتُ الثَّلَاثُ مِنْ صِفَةِ  
الْمَطَرِ وَهِيَ تَدُلُّ عَلَى مَعْنَى وَاحِدٍ . وَمَعَ هَذَا فَإِنَّكَ تَرَى لَفْظَتِي الْمُرْتَةِ

وَالدِّيمَةُ وَمَا جَرَى مَجْرَاهُمَا أَلَوْفَتِي أَلِاسْتِعْمَالِ وَتَرَى لَفْظَ الْبُعَاقِ وَمَا  
جَرَى مَجْرَاهُ مَتَرُوكًا لَا يُسْتَعْمَلُ . وَإِنْ أَسْتَعْمِلَ فَأَنَا يَسْتَعْمِلُهُ جَاهِلٌ  
بِحَقِيقَةِ الْفَصَاحَةِ أَوْ ذَوْفُهُ غَيْرُ ذَوْقِ سَلِيمٍ وَإِنْ كَانَ عَرَبِيًّا مُحَضًّا مِنْ  
أَجْلَاهِيَّةِ الْأَقْدَوِينَ فَإِنَّ حَقِيقَةَ الشَّيْءِ إِذَا عَلِمْتَ وَجَبَ أَلَوْفُفُ  
عِنْدَهَا وَلَمْ يُعْرَجْ عَلَى مَا خَرَجَ عَنْهَا . وَإِذَنْ ثَبَتَ أَنَّ أَلْفَصِيحَ مِنْ  
أَلَا لِقَاطٍ هُوَ الظَّاهِرُ الْبَيِّنُ وَإِنَّمَا كَانَ ظَاهِرًا بَيْنًا لِأَنَّهُ مَأْلُوفُ أَلِاسْتِعْمَالِ  
وَإِنَّمَا كَانَ مَأْلُوفَ أَلِاسْتِعْمَالِ لِمَكَانِ حُسْنِهِ وَحُسْنُهُ مُدْرِكٌ بِالسَّمْعِ .  
وَالَّذِي يُدْرِكُ بِالسَّمْعِ إِنَّمَا هُوَ أَلَلْفُظُ لِأَنَّهُ صَوْتُ يَأْتِلَفُ عَنْ مَخَارِجِ  
الْحُرُوفِ فَمَا اسْتَلْذَهُ السَّمْعُ وَنَهْ فَهُوَ الْحَسَنُ وَمَا كَرِهَهُ فَهُوَ الْقَبِيحُ  
وَالْحَسَنُ هُوَ الْمَوْصُوفُ بِالْفَصَاحَةِ وَالْقَبِيحُ غَيْرُهُ وَصُوفُ بِفَصَاحَةٍ لِأَنَّهُ  
ضِدُّهَا لِمَكَانِ قَبِيحِهِ . وَقَدْ مَثَلْتُ أَلِمَثَالَ أَلْتَقَدَّمَ بِلَفْظَةِ الْمَرْزَةِ  
وَالدِّيمَةُ وَلَفْظَةُ الْبُعَاقِ وَلَوْ كَانَتْ الْفَصَاحَةُ لِأَمْرٍ يَرْجِعُ إِلَى أَلْمَعْنَى  
لَكَانَتْ هَذِهِ أَلَا لِقَاطٍ فِي الدَّلَالَةِ عَلَيْهِ سَوَاءٌ لَيْسَ وَنَهَا حَسَنٌ وَنَهَا  
قَبِيحٌ . وَلَمَّا لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ عَلِمْنَا أَنَّهَا تَخْصُ أَلَلْفُظَ دُونَ أَلْمَعْنَى .  
وَلَيْسَ لِقَائِلُ هَهُنَا أَنْ يَقُولَ لَا لَفْظَ إِلَّا بِمَعْنَى فَكَيْفَ فَصَلَتْ أَنْتَ  
بَيْنَ أَلَلْفُظِ وَأَلْمَعْنَى . قُلْتُ : لَمْ أَفْصِلْ بَيْنَهُمَا وَإِنَّمَا خَصَصْتُ أَلَلْفُظَ  
بِصِفَةٍ هِيَ لَهُ وَأَلْمَعْنَى بِحِجْثٍ فِيهِ ضَمْنًا وَتَبَعًا

## المبحث الرابع

### في احكام الفصاحة وشروطها

( عن المثل السائر )

( راجع صفحة ٤٣ من علم الادب )

اعلم انه يحتاج صاحب هذه الصناعة في تأليفه الى ثلاثة اشياء : ( الاول ) ونها اختيار الالفاظ المفردة . وحكم ذلك حكم اللآلي المبددة فانها تختار وتتقى قبل النظم . ( الثاني ) انظم كل كلمة مع اخنها في المشاكسة لها لئلا يبي الكلام قلعا نافرا عن مواضعه وحكم ذلك حكم العقد المنظوم في اقتران كل لؤلؤة ونه باختها المشاكسة لها . ( الثالث ) الغرض المقصود من ذلك الكلام على اختلاف انواعه وحكم ذلك حكم الموضع الذي يوضع فيه العقد المنظوم فتارة يجعل اكليل على الرأس وتارة يجعل قلادة في العنق وتارة يجعل شفا في الاذن ولكل موضع من هذه المواضع هيئة من الحسن تحضه . فهذه ثلاثة اشياء لا بد للخطيب والشاعر من العناية بها وهي الاصل المعتمد عليه في تأليف الكلام . ن انظم والثر . فالاول والثاني من هذه الثلاثة المذكورة هما المراد بالقصاحة . والثلاثة بجملتها هي المراد بالبلاغة . وهذا الموضع يخل في سلوك طريقه العلماء بصناعة صوغ الكلام ون انظم والثر فكيف الجهال الذين لم تنفعهم رايته . ون

الَّذِي يُؤْتِيهِ اللَّهُ فِطْرَةً نَّاصِعَةً يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تُمْسَسْهُ نَارٌ  
حَتَّى يَنْظُرَ إِلَى مَا يَسْتَعْمِلُهُ وَنَ الْأَلْقَاطِ فَيَضَعُهَا فِي مَوَاضِعِهَا  
وَقَدْ ذَكَرَ مَنْ تَقَدَّمَ مِنِّي مِنْ عُلَمَاءِ الْبَيَانِ لِلْأَلْقَاطِ الْمَفْرَدَةِ خَصَائِصَ  
وَهَيْئَاتٍ تَتَّصِفُ بِهَا وَآخَتَلَفُوا فِي ذَلِكَ وَاسْتَحْسَنَ أَحَدُهُمْ شَيْئًا فَخَوَّلَفَ  
فِيهِ وَكَذَلِكَ اسْتَقْبَحَ الْآخَرُ شَيْئًا فَخَوَّلَفَ فِيهِ . وَلَوْ حَقَّقُوا النَّظَرَ وَوَقَّقُوا  
عَلَى السَّرِّ فِي اتِّصَافِ بَعْضِ الْأَلْقَاطِ بِالْحُسْنِ وَبَعْضِهَا بِالْقُبْحِ لَمَا كَانَ  
يَلْتَمِمْ خِلَافٌ فِي شَيْءٍ مِنْهَا

وَقَدْ رَأَيْتُ جَمَاعَةً مِنَ الْجُهَالِ إِذَا قِيلَ لِأَحَدِهِمْ إِنَّ هَذِهِ اللَّفْظَةُ  
حَسَنَةٌ وَهَذِهِ قَبِيحَةٌ انْكَرَ ذَلِكَ وَقَالَ: كُلُّ الْأَلْقَاطِ حَسَنٌ وَالْوَاضِعُ لَمْ  
يَضَعْ إِلَّا حَسَنًا . وَمَنْ يَبْلُغُ جَهْلُهُ إِلَى أَنْ لَا يَفْرُقَ بَيْنَ لَفْظَةِ الْفَضْلِ  
وَلَفْظَةِ الْمُسْلُوحِ وَبَيْنَ لَفْظَةِ الْمُدَامَةِ وَلَفْظَةِ الْإِسْفِنِطِ وَبَيْنَ لَفْظَةِ  
السَّيْفِ وَلَفْظَةِ الْخَشَائِلِ وَبَيْنَ لَفْظَةِ الْأَسَدِ وَلَفْظَةِ الْفَدَوْكْسِ فَلَا  
يَنْبَغِي أَنْ يُخَاطَبَ بِخُطَابٍ وَبِحَوَابٍ بِجَوَابٍ

وَقَدْ بَقِيَ هُنَاكَ أَوْصَافٌ أُخَرُ يَنْبَغِي أَنْ يُنَبَّهَ عَلَيْهَا . فَمِنْهَا أَنْ  
لَا تَكُونَ الْكَلِمَةُ وَحْشِيَّةً . وَقَدْ خَفِيَ الْوَحْشِيُّ عَلَى جَمَاعَةٍ مِنَ الْمُتَمَيِّنِ  
إِلَى صِنَاعَةِ الظُّلْمِ وَالْثَرِّ وَظَنُوهُ الْمُسْتَقْبَحَ مِنَ الْأَلْقَاطِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ  
بَلِ الْوَحْشِيُّ يَنْقَسِمُ قِسْمَيْنِ أَحَدُهُمَا غَرِيبٌ حَسَنٌ وَالْآخَرُ غَرِيبٌ  
قَبِيحٌ . وَذَلِكَ أَنَّهُ مَنْسُوبٌ إِلَى اسْمِ الْوَحْشِ الَّذِي يَسْكُنُ الْقِفَارَ وَلَيْسَ  
بِإِنْسٍ وَكَذَلِكَ الْأَلْقَاطُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَأْنُوسَةً إِلَّا سِتْعَمَالٍ . وَلَيْسَ  
وَنَ شَرْطُ الْوَحْشِ أَنْ يَكُونَ مُسْتَقْبَحًا بَلِ أَنْ يَكُونَ نَافِرًا لَا يَأْلَفُ

الإنس فتارة يكون حسناً وتارة يكون قبيحاً . وعلى هذا فإن أحد  
 قسمي الوحشي وهو الغريب الحسن يختلف باختلاف السبب  
 والإضافات . وأما القسم الآخر من الوحشي الذي هو قبيح فإن  
 الناس في استقباحه سواء ولا يختلف به عربي بادي ولا قروي مختصر .  
 وأحسن الألفاظ ما كان مألوفاً متداولاً لأنه لم يكن مألوفاً متداولاً  
 إلا لِمكان حسنه وقد تقدم الكلام على ذلك في باب المفصحة .  
 فإن أرباب الخطابة والشعر نظروا إلى الألفاظ ونقبوا عنها ثم عدلوا  
 إلى الأحسن ونها فاستعملوه وتركوا ما سواه وهو أيضاً متفاوت في  
 درجات حسنه فالألفاظ اذن تنقسم ثلاثة أقسام : قسمان حسنان  
 وقسم قبيح . فالقسمان الحسنان أحدهما ما تداول استعماله الأول  
 والآخر من الزمن القديم إلى زماننا هذا ولا يطلق عليه أنه وحشي .  
 والآخر ما تداول استعماله الأول دون الآخر ويختلف في استعماله  
 بالنسبة إلى الزمن وأهله وهذا هو الذي لا يعاب استعماله عند  
 العرب لأنه لم يكن عندهم وحشياً وهو عندنا وحشي .  
 ولا يسبق وهمك أيها المتأمل إلى قول القائل الذي غلب عليه  
 غلط الطبع وفجاجة الذهن بأن العرب كانت تستعملون الألفاظ  
 كذا وكذا فهذا دليل على أنه حسن . بل ينبغي أن تعلم أن  
 الذي نستحسنه نحن في زماننا هذا هو الذي كان عند العرب  
 مستحسنًا والذي نستحيه هو الذي كان عندهم مستحيًا . والاستعمال  
 ليس بدليل على الحسن فإنا نحن نستعمل الآن من الكلام ما

أَيْسَ بِحَسَنِ وَإِنَّمَا نَسْتَعْمِلُهُ لِمُضَرَّةٍ فَلَيْسَ اسْتِعْمَالُ الْحَسَنِ بِمُمْكِنٍ فِي  
كُلِّ الْأَحْوَالِ . وَهَذَا طَرِيقٌ يَضِلُّ بِغَيْرِ الْغَارِفِ بِمَسَالِكِهِ وَمَنْ لَمْ  
يَعْرِفْ صِنَاعَةَ النَّظْمِ وَالنَّثْرِ وَمَا يَجِدُهُ صَاحِبُهَا مِنْ الْكُلْفَةِ فِي صَوْعِ  
الْأَلْفَاظِ وَلِخْتِيَارِهَا فَإِنَّهُ مَعْذُورٌ فِي أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ :

لَا يَعْرِفُ الْخُزْنَ إِلَّا مَنْ يُكَابِدُهُ وَلَا الصَّبَابَةَ إِلَّا مَنْ يُعَانِيهَا  
وَمَعَ هَذَا فَإِنْ قَوْلُ الْقَائِلِ : بَانَ الْعَرَبُ كَانَتْ تَسْتَعْمِلُ مِنْ  
الْأَلْفَاظِ كَذَا وَكَذَا وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ حَسَنٌ قَوْلٌ فَاسِدٌ لَا يَصْدُرُ  
إِلَّا عَنْ جَاهِلٍ . فَإِنْ اسْتَحْسَنَ الْأَلْفَاظَ وَاسْتَقْبَحَهَا لَا يُؤْخَذُ بِالتَّقْلِيدِ مِنْ  
الْعَرَبِ لِأَنَّهُ شَيْءٌ لَيْسَ بِالتَّقْلِيدِ فِيهِ مَجَالٌ وَإِنَّمَا هُوَ شَيْءٌ لَهُ خَصَائِصُ  
وَهَيْئَاتٌ وَعَلَامَاتٌ إِذَا وَجِدْتَ عُلْمَ حُسْنِهِ مِنْ قُبْحِهِ . وَأَمَّا الَّذِي نُقِلْتُ  
الْعَرَبَ فِيهِ مِنَ الْأَلْفَاظِ فَإِنَّمَا هُوَ الْإِسْتِشْهَادُ بِأَشْعَارِهَا عَلَى مَا يُنْقَلُ مِنْ  
لُغَتِهَا وَأَلَاخِذُ بِأَقْوَالِهَا فِي الْأَوَاضَاعِ الْخَوِيَّةِ فِي رَفْعِ الْفَاعِلِ وَنَصْبِ  
الْمَفْعُولِ وَجَزْرِ الْمَصَافِ إِلَيْهِ وَجَزْمِ الشَّرْطِ وَاشْبَاهِ ذَلِكَ وَمَا عَدَاهُ  
فَلَا . وَحَسَنُ الْأَلْفَاظِ وَقُبْحُهَا لَيْسَ إِضَافِيًا إِلَى زَيْدٍ دُونَ عَمْرٍو أَوْ إِلَى  
عَمْرٍو دُونَ زَيْدٍ لِأَنَّهُ وَصْفٌ ذَوِيٌّ لَا يَتَغَيَّرُ إِلَّا بِالْإِضَافَةِ . أَلَا تَرَى  
أَنَّ لَفْظَةَ الْمَرْثَةِ مَثَلًا حَسَنَةً عِنْدَ النَّاسِ كَأَنَّهُ مِنَ الْعَرَبِ وَغَيْرِهِمْ  
وَهَلَمْ جَرًّا لَا يَخْتَلِفُ أَحَدٌ فِي حُسْنِهَا . وَكَذَلِكَ لَفْظَةُ الْبُعَاقِ فَإِنَّهَا  
قَبِيحَةٌ عِنْدَ النَّاسِ كَأَنَّهُ مِنَ الْعَرَبِ وَغَيْرِهِمْ فَإِذَا اسْتَعْمَلْتَهَا الْعَرَبُ  
لَا يَكُونُ اسْتِعْمَالُهُمْ إِيَّاهَا مُخْرَجًا لَهَا عَنِ الْقُبْحِ وَلَا يَلْتَفِتُ إِذَنْ إِلَى  
اسْتِعْمَالِهِمْ إِيَّاهَا بَلْ يُعَابُ مُسْتَعْمِلُهَا وَيُعَاطَى لَهُ النِّكَارُ حَيْثُ اسْتَعْمَلَهَا



فَلَا تَظُنَّ أَنَّ الْوَحْشِيَّ مِنَ الْأَلْفَاظِ مَا يَكْرَهُهُ سَمْعُكَ وَيَثْقُلُ  
عَلَيْكَ النُّطْقُ بِهِ وَأَنَا هُوَ الْغَرِيبُ الَّذِي يَقِلُّ اسْتِعْمَالُهُ فَتَارَةً يَخْفُ  
عَلَى سَمْعِكَ وَلَا تَجِدُ بِهِ كَرَاهَةً وَتَارَةً يَثْقُلُ عَلَى سَمْعِكَ وَتَجِدُ مِنْهُ  
الْكَرَاهَةَ. وَذَلِكَ فِي الْفِظِ عَيْنَانِ : (أَحَدُهُمَا) أَنَّهُ غَرِيبٌ اِلِسْتِعْمَالِ  
(وَالْآخَرُ) أَنَّهُ ثَقِيلٌ عَلَى السَّمْعِ كَرِيهٌ عَلَى الذَّوْقِ. وَإِذَا كَانَ الْفِظُ  
بِهَذِهِ الصِّفَةِ فَلَا مَزِيدَ عَلَى فِظَاظَتِهِ وَغَلَاظَتِهِ وَهُوَ الَّذِي يُسَمَّى  
الْوَحْشِيَّ الْغَلِيظَ وَيُسَمَّى أَيْضًا اِلْتَوَاعَ وَائِسَ وَرَاءَهُ فِي الْقَبْحِ دَرَجَةٌ  
أُخْرَى وَلَا يَسْتَعْمَلُهُ إِلَّا أَجْهَلُ النَّاسِ مَنْ لَمْ يَخْطُرْ بِيَالِهِ شَيْءٌ مِنْ  
مَعْرِقَةِ هَذَا الْقَلْبِ أَصْلًا. فَإِنْ قِيلَ : فَمَا هَذَا النَّوعُ مِنَ الْأَلْفَاظِ . قُلْتُ :  
قَدْ ثَبَتَ لَكَ أَنَّهُ أَكْرَهُهُ سَمْعُكَ وَثَقُلَ عَلَى لِسَانِكَ اِلِنُّطْقُ بِهِ .  
وَسَأَضْرِبُ لَكَ فِي ذَلِكَ وَمِنَ الْفِتْنَةِ مَا وَرَدَ لَنَا بَطْ شَرًّا فِي كِتَابِ  
الْحِاسَةِ :

يَظَلُّ بِمَوَاقِعِ وَيَمْسِي بِغَيْرِهَا جَحِيشًا وَيَعْرِزُ زِي ظُهُورَ اِلِمْسَالِكِ  
فَإِنَّ لَفْظَةَ (جَحِيشٍ) مِنَ الْأَلْفَاظِ اِلْمُنْكَرَةِ الْقَبِيحَةِ . وَيَا لِلَّهِ اِلْعَجَبُ  
اِلنَّاسِ أَنَّهُا بِمَعْنَى (فَرِيدٍ) وَفَرِيدٌ لَفْظَةٌ حَسَنَةٌ رَائِقَةٌ وَلَوْ وَضِعَتْ فِي هَذَا  
أَبْنَيْتِ مَوْسِعَ جَحِيشٍ لَمْ أَخْتَلِ شَيْئًا مِنْ وَزَنِهِ . فَتَأْبَطُ شَرًّا مَوْسَمٌ مِنْ  
وَجْهَيْنِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ : أَحَدُهُمَا أَنَّهُ اسْتَعْمَلَ الْقَبِيحَ . وَالْآخَرُ أَنَّهُ كَانَتْ  
لَهُ مَنَدُوحَةٌ عَنْ اسْتِعْمَالِهِ فَلَمْ يَعْدِلْ عَنْهُ . وَمِمَّا هُوَ أَقْبَحُ مِنْهَا مَا وَرَدَ  
لَا فِي تَمَامِ قَوْلِهِ :

قَدْ قَاتُ لَمْ أَطْلَحْ اِلْأَمْرُ وَانْبَعَثَ عَشَوَاءُ تَالِيَةٌ غُبَسَا دَهَارِيسَا

فَلَفْظَةُ (ظَلَحَمَ) مِنَ الْأَلْفَاظِ الْمُنْكَرَةِ الَّتِي جَمَعَتِ الْوَصْفَيْنِ الْقَبِيحَيْنِ  
فِي أَنَّهَا غَرِيبَةٌ وَأَنَّهَا غَلِيظَةٌ فِي السَّمْعِ كَرِيهَةٌ عَلَى الذَّوْقِ وَكَذَلِكَ لَفْظَةُ  
(دَهَارِيسَ) أَيْضًا . وَعَلَى هَذَا وَرَدَّ قَوْلُهُ مِنْ آيَاتٍ يَصِفُ فَرَسًا مِنْ  
جَمَلَتِهَا :

نِعْمَ مَتَاعُ الدُّنْيَا حَبَاكَ بِهِ أَرَوُعُ لَا جِيدَرُ وَلَا جِنْسُ  
فَلَفْظَةُ (جِيدَرُ) غَلِيظَةٌ . وَأَغَاظُ وَنَهَا قَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ الْمُسْتَبِيِّ :  
جَفَحَتْ وَهُمْ لَا يَجْفَحُونَ بِهَا بِهِمْ شِمٌّ عَلَى الْحَسَبِ الْأَغَرِّ دَلَالُ  
فَإِنَّ لَفْظَةَ (جَفَحَ) بُرَّةُ الطَّعْمِ وَإِذَا مَرَّتْ عَلَى السَّمْعِ أَقْشَعَرَتْ وَنَهَا  
وَأَبُو الطَّيِّبِ فِي اسْتِعْمَالِهَا كَاسْتِعْمَالِ تَابَطَ شَرَا لَفْظَةَ جَحِيشَ . فَإِنَّ  
تَابَطَ شَرَا كَانَتْ لَهُ مَنُودَةٌ عَنْ اسْتِعْمَالِ تِلْكَ اللَّفْظَةِ كَمَا أَسْرَنَا  
فِيمَا تَقَدَّمَ . وَكَذَلِكَ أَبُو الطَّيِّبِ فِي اسْتِعْمَالِ هَذِهِ اللَّفْظَةِ الَّتِي هِيَ  
جَفَحَتْ فَإِنَّ مَعْنَاهَا فَحَرْتُ وَالْجَفْحُ الْفَحْرُ يُقَالُ : جَفَحَ فُلَانٌ إِذَا فَحَرَ . وَلَوْ  
اسْتَعْمَلَ عَوَضًا عَنْ جَفَحَتْ فَحَرْتُ لَأَسْتَقَامَ أَلَيْتُ وَحَظِي فِي اسْتِعْمَالِهِ  
بِالْأَحْسَنِ . وَمَا أَعْلَمُ كَيْفَ يَذْهَبُ هَذَا وَآمِثَالُهُ عَلَى . مِثْلِ هَوَلَاءِ  
الْفُحُولِ وَنَ الشُّعْرَاءِ . وَهَذَا الَّذِي ذَكَرْتَهُ وَمَا يَجْرِي مَجْرَاهُ مِنَ الْأَلْفَاظِ  
هُوَ الْوَحْشِيُّ الْغَلِيظُ الَّذِي لَيْسَ لَهُ مَا يُدَانِيهِ فِي قَبْحِهِ وَكَرَاهَتِهِ . وَهَذِهِ  
الْأَمثلةُ دَلِيلٌ عَلَى مَا أوردناه . وَأَعْرَبُ أَذْنٌ لَا تُتْلَمُ عَلَى اسْتِعْمَالِ  
الْأَعْرَبِ الْحَسَنِ مِنَ الْأَلْفَاظِ وَإِنَّمَا تُتْلَمُ عَلَى الْغَرِيبِ الْقَبِيحِ . وَأَمَّا  
الْحَضَرِيُّ فَإِنَّهُ عَلَى اسْتِعْمَالِ الْقَسَمَيْنِ مَعًا وَهُوَ فِي أَحَدِهِمَا أَشَدُّ مَلَاءَةً  
مِنْهُ فِي الْآخَرِ

## البحث الخامس

### في الالفاظ المترادفة والاسماء المشتركة

( عن المثل السائر لابن الاثير )

( راجع صفحة ٦ من علم الادب )

وَيَفْتَقِرُ مُؤَلَّفُ الْكَلَامِ إِلَى مَعْرِفَةِ عِدَّةِ أَسْمَاءٍ لِمَا يَقَعُ اسْتِعْمَالُهُ فِي النَّظْمِ وَالنَّثْرِ لِجِدِّ إِذَا ضَاقَ بِهِ مَوْضِعٌ فِي كَلَامِهِ بِإِيرَادِ بَعْضِ الْأَلْفَافِ فِيهِ الْعُدُولُ عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ مِمَّا هُوَ فِي مَعْنَاهُ . وَهَذِهِ الْأَسْمَاءُ تُسَمَّى الْمُتَرَادِفَةَ وَهِيَ اتِّحَادُ الْمُسَمَّى وَاخْتِلَافُ أَسْمَائِهِ كَقَوْلَانَا : الْحُمْرُ وَالرَّاحُ وَاللَّدَامُ . فَإِنَّ الْمُسَمَّى بِهَذِهِ الْأَسْمَاءِ شَيْءٌ وَاحِدٌ وَأَسْمَاؤُهُ كَثِيرَةٌ . وَكَذَلِكَ يَحْتَاجُ إِلَى مَعْرِفَةِ الْأَسْمَاءِ الْمُشْتَرَكَةِ لِيَسْتَعِينَ بِهَا عَلَى اسْتِعْمَالِ التَّجْنِيسِ فِي كَلَامِهِ وَهِيَ اتِّحَادُ الْأَسْمِ وَاخْتِلَافُ الْمُسَمَّيَاتِ . كَالْعَيْنِ فَإِنَّهَا تَطْلُقُ عَلَى الْعَيْنِ النَّاطِرَةِ وَعَلَى يَتْبُوعِ الْمَاءِ وَعَلَى الْمَطَرِ وَغَيْرِهِ . إِلَّا أَنَّ الْمُشْتَرَكَةَ تَفْتَقِرُ فِي الْاسْتِعْمَالِ إِلَى قَرِينَةٍ تُخَصِّصُهَا كَمَا لَا تَكُونُ مُبْهَمَةً . لِأَنَّا إِذَا قُلْنَا : عَيْنٌ . ثُمَّ سَكَمْنَا وَقَعَ ذَلِكَ عَلَى مُحْتَمَلَاتٍ كَثِيرَةٍ مِنَ الْعَيْنِ النَّاطِرَةِ وَالْعَيْنِ النَّابِغَةِ وَالْمَطَرِ وَغَيْرِهِ مِمَّا هُوَ مَوْضِعٌ بِإِزَاءِ هَذَا الْأَسْمِ . وَإِذَا قُرِنَ إِلَيْهِ قَرِينَةٌ تُخَصِّصُ زَالَ ذَلِكَ الْإِلْهَامُ بِأَن تَقُولَ : عَيْنٌ حَسَنَاءُ أَوْ عَيْنٌ نَضَاجَةٌ أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ . وَهَذَا مَوْضِعٌ لِلْعُلَمَاءِ فِيهِ مُجَادَاتٌ جَدَلِيَّةٌ . فَنَهْمُ مَنْ يُنْكِرُ أَنْ يَكُونَ اللَّفْظُ الْمُشْتَرِكُ حَقِيقَةً فِي الْمَعْنَيْنِ جَمِيعًا وَيَقُولُ :

إِنَّ ذَلِكَ يُجِلُّ بِفَائِدَةٍ وَضَعِ اللَّغَةَ لِأَنَّ اللَّغَةَ إِنَّمَا هِيَ وَضَعُ الْأَلْفَافِ  
فِي دَلَالَتِهَا عَلَى الْمَعْنَى أَيْ وَضَعِ الْأَسْمَاءِ عَلَى الْمُسَمَّيَاتِ لِتَكُونَ  
مُنْبَتَّةً عَنْهَا عِنْدَ إِطْلَاقِ اللَّفْظِ وَالْإِشْتِرَاكِ لَا يَبَانَ فِيهِ وَأَمَّا هُوَ ضِدُّ  
الْبَيَانِ. لَكِنْ طَرِيقَ الْبَيَانِ أَنْ يُجْعَلَ أَحَدُ الْمَعْنَيْنِ فِي اللَّفْظِ الْمُشْتَرَكِ  
حَقِيقَةً وَالْآخَرُ مَجَازِيًا. فَإِذَا قُلْنَا هَذِهِ كَلِمَةٌ. وَأَطْلَقْنَا الْقَوْلَ فُهِمَ مِنْهُ  
الْلَفْظَةُ الْوَاحِدَةُ. وَإِذَا قِيدْنَا اللَّفْظَ فَقُلْنَا هَذِهِ كَلِمَةٌ شَاعِرَةٌ. فُهِمَ مِنْهُ  
الْقَصِيدَةُ الْمُقَصَّدَةُ مِنَ الشَّعْرِ وَهِيَ مَجْمُوعُ كَلِمَاتٍ كَثِيرَةٍ. وَلَوْ أَطْلَقْنَا  
مِنْ غَيْرِ تَقْيِيدٍ وَآرَدْنَا الْقَصِيدَةَ وَنَ الشَّعْرَ لَمَا فُهِمَ مُرَادُنَا أَلْبَسَتْ .  
هَذَا خُلَاصَةٌ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ مِنْ يَنْكِرُ وَقَوْلُ اللَّفْظِ الْمُشْتَرَكِ فِي الْمَعْنَيْنِ  
حَقِيقَةً. وَفِي ذَلِكَ مَا فِيهِ . وَسَأَتَيْنَ مَا يَدْخُلُهُ مِنَ الْخَلَلِ فَأَقُولُ فِي  
الْجَوَابِ عَنْ ذَلِكَ مَا اسْتَحْرَجْتُهُ بِفِكْرِي وَلَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ فِيهِ قَوْلٌ مِنْ  
قَبْلِي وَهُوَ : أَمَّا قَوْلُكَ : إِنَّ فَائِدَةَ وَضَعِ اللَّغَةَ إِنَّمَا هِيَ الْبَيَانُ عِنْدَ  
إِطْلَاقِ اللَّفْظِ وَالْلَفْظُ الْمُشْتَرَكِ يُجِلُّ بِهِدِ الْفَائِدَةَ . فَهَذَا غَيْرُ مُسَلَّمٍ  
بَلْ فَائِدَةُ وَضَعِ اللَّغَةَ هِيَ الْبَيَانُ وَالْتَّحْسِينُ

( أَمَّا الْبَيَانُ ) فَقَدْ وَفَى الْأَسْمَاءُ الَّتِي بَيَانَةٌ أَيْ كُلُّ اسْمٍ وَاحِدٍ  
دَلَّ عَلَى مُسَمًى وَاحِدٍ . فَإِذَا أُطْلِقَ اللَّفْظُ فِي هَذِهِ الْأَسْمَاءِ كَانَ بَيِّنًا  
مَفْهُومًا لَا يَحْتَاجُ إِلَى قَرِينَةٍ وَلَوْ لَمْ يَضَعِ الْوَاضِعُ مِنَ الْأَسْمَاءِ شَيْئًا  
غَيْرَهَا لَكَانَ كَافِيًا فِي الْبَيَانِ

(وَأَمَّا التَّحْسِينُ) فَإِنَّ الْوَاضِعَ لِهَذِهِ اللَّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ  
اللُّغَاتِ نَظَرًا إِلَى مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ أَرْبَابُ الْقَصَاحَةِ وَابْلَاغَةِ فِيمَا يَصُوغُونَهُ

من نظم وَذَرَّ وَرَأَى أَنَّ مِنْ مُهِمَّاتِ ذَلِكَ التَّجْنِيسَ وَلَا يَقُومُ بِهِ إِلَّا  
الْأَسْمَاءُ الْمُشْتَرِكَةُ الَّتِي هِيَ كُلُّ أَسْمٍ وَاحِدٍ دَلَّ عَلَى مُسَمَّيْنِ فَصَاعِدًا  
فَوَضَعَهَا مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ . وَهَذَا الْمَوْضِعُ يَجَادِبُهُ جَانِبَانِ يَتَرَجَّحُ أَحَدُهُمَا  
عَلَى الْآخَرِ . وَيَبَيِّنُهُ أَنَّ التَّحْسِينَ يَقْضِي بَوَاضِعَ الْأَسْمَاءِ الْمُشْتَرِكَةِ  
وَوَضْعَهَا يَنْهَبُ بِفَائِدَةِ الْبَيَانِ عِنْدَ إِطْلَاقِ الْإِظْفَارِ . وَعَلَى هَذَا فَإِنْ  
وَضَعَهَا الْوَاضِعُ ذَهَبَ بِفَائِدَةِ الْبَيَانِ وَإِنْ لَمْ يَضَعْ ذَهَبَ بِفَائِدَةِ  
التَّحْسِينِ . لَكِنَّهُ إِنْ وَضَعَ اسْتَدْرَكَ مَا ذَهَبَ مِنْ فَائِدَةِ الْبَيَانِ بِالْقَرِينَةِ  
وَإِنْ لَمْ يَضَعْ لَمْ يَسْتَدْرِكْ . مَا ذَهَبَ مِنْ فَائِدَةِ التَّحْسِينِ فَتَرَجَّحَ حِينَئِذٍ  
جَانِبُ الْوَضْعِ فَوُضِعَ

### المبحث السادس

## في فصاحة المفرد وفصاحة المركب

( من شرح ديبعة العميان لابن جابر الاندلسي باختصار )

( راجع صفحة ٤٠٥ من علم الادب )

الفصاحة في المفرد هي أَنْ تَكُونَ مِمَّا اسْتَعْمَلَتْ الْعَرَبُ الْفَصَحَاءُ  
كثِيرًا وَدَارَ عَلَى أَلْسِنِهِمْ فَسَلِمَ مِنْ سِتَةِ أَشْيَاءَ . ( الْأَوَّلُ ) : أَنْ  
لَا يَتَرَكَ مِنْ حُرُوفٍ مُتَافِرَةٍ كَلْفِظَةٍ ( الْعُجْجُ ) وَهُوَ نَبْتُ . سُلُّ أَعْرَابِيٍّ  
عَنْ نَاقَتِهِ فَقَالَ : تَرَكَتُهَا تَرَعَى الْعُجْجَ . وَإِنَّمَا تَنَافَرَتْ حُرُوفُ هَذِهِ  
الْكَلِمَةِ لِكُونِهَا مِنْ مَخْرَجٍ وَاحِدٍ وَهُوَ الْخَلْقُ . ( الثَّانِي ) : أَنْ  
لَا تَتَوَالَى فِيهِ أَكْثَرُ مِنْ حَرَكَتَيْنِ يَحْدُثُ بِسَبَبِهِمَا ثِقَلٌ . ( الثَّلَاثُ ) :

ان لَا يَكُونُ مُتَّاهِيًا فِي كَثْرَةِ الْحُرُوفِ بِلَا زِيَادَةِ مَعْنَى نَحْوِ :  
 خَدَرِيسَ . وَلَا فِي قِلَّتِهَا نَحْوِ : جِدَّ عَنْ ذَا الْمَرْءِ . وَخَيْرَ الْأُمُورِ أَوْسَطُهَا  
 وَهُوَ الثَّلَاثِي إِذَا لَا فَضْلَةَ فِيهِ عَمَّا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ حَرْفِ الْإِبْتِدَاءِ .  
 وَحَرْفِ الْوَقْفِ وَحَرْفِ فَاصِلٍ بَيْنَ الْوَقْفِ وَالْإِبْتِدَاءِ . أَمَّا لَوْ كَانَتْ  
 زِيَادَةُ الْحُرُوفِ تَدُلُّ عَلَى مَعْنَى زَائِدَةٍ لَكَانَتِ الْفِظَةُ فَصِيحَةً نَحْوِ :  
 أَخْشَوْشَنَ . مَعْنَاهُ أَزِيدُ مِنْ خَشْنٍ . ( الرَّابِعُ ) : أَنْ لَا يَكُونَ وَحْشِيًّا  
 غَيْرَ مَأْلُوفٍ نَحْوِ : الْأَسْفِطُ لِلْخَمْرِ وَالْخَنْشَلِيلُ لِلسَّيْفِ وَالْفِدْوَكْسُ  
 لِلْأَسَدِ . فَهَذِهِ الْأَلْفَاظُ غَرِيبَةٌ يَحْجُجُهَا الطَّبَعُ وَلَا يُطْلَعُ عَلَى مَعْنَاهَا إِلَّا  
 بَعْدَ تَحْقِيقٍ فِي كُتُبِ اللُّغَةِ . ( الْخَامِسُ ) : أَنْ لَا يَكُونَ مَبْذُولًا وَذَلِكَ  
 نَحْوُ أَنْ يُخْرَجَ الْفِظَةُ عَنْ أَصْلِ وَضْعِهِ وَيُسْتَعْمَلُ فِي شَيْءٍ مُسْتَشْجَعٍ .  
 ( السَّادِسُ ) : أَنْ لَا يَكُونَ مُشْتَرَكًا بَيْنَ مَعْنَيْنِ أَحَدَهُمَا مَكْرُوهٌ كَمَا لَوْ  
 قَالَتْ : لَقِيتُ فُزْرَانًا فَغَزَرْتُهُ . فَإِنَّهُ يَحْتَمِلُ الْإِكْرَامَ وَالْأَهَانَةَ . وَلَوْ كَانَ فِي  
 الْكَلَامِ قَرِينَةٌ تَدُلُّ عَلَى الْمَعْنَى الْحَسَنِ أَمَا الْفِظَةُ فَصَحِيحًا كَقَوْلِكَ :  
 لَقِيتُ فُلَانًا فَغَزَرْتُهُ وَنَصَرْتُهُ . فَلَفِظُ ( نَصَرْتُهُ ) يُعَيِّنُ فِيهِ الْمَعْنَى الْحَسَنَ .  
 وَعَلَيْهِ يَكُونُ الْفِظَةُ حَسَنًا فِي نَفْسِهِ فَيَعْدُ قَبِيحًا بِسَبَبِ مَحَلِّهِ مِنَ الْكَلَامِ  
 وَمَوْقَعِهِ مِنْهُ .

وَأَمَّا الْفَصَاحَةُ فِي التَّرْكِيبِ فَهُوَ أَنْ يَسْلَمَ مِنْ خَمْسَةِ أَشْيَاءَ .  
 ( الْأَوَّلُ ) : سَلَامَةٌ مُفْرَدَاتِهِ وَنَاسِئَةِ الْأَشْيَاءِ الْمُتَقَدِّمَةِ الَّتِي كَرَّرَ فِي  
 الْفُرْدِ لِأَنَّ لِلْمُرْكَبِ حُكْمَ مَا تَرَكَبَ مِنْهُ . ( الثَّانِي ) : أَنْ يَسْلَمَ مِنْ  
 ضَعْفِ التَّلَافُيفِ وَهُوَ خُرُوجُهُ عَنْ قَوَاعِدِ الْعَرَبِيَّةِ كَقَوْلِهِ :

جَزَاءُ رَبِّهِ عَنِّيَ عَبْدِيَّ بْنِ حَاتِمٍ جَزَاءُ الْكِلَابِ أَلْعَاوِيَّاتِ وَقَدْ قَعَلَ  
فَأَنَّهُ خَالَفَ أَلْقِيَّاسَ فِي إِعَادَةِ الضَّمِيرِ فِي (رَبِّهِ) إِلَى عَدِيٍّ  
وَهُوَ مُتَأَخِّرُ لَفْظًا وَمَعْنَى . وَأَلْقَاعِدَةُ الْعَرَبِيَّةُ أَنْ يَعُودَ الضَّمِيرُ عَلَى مَا  
قَبْلَهُ أَوْ عَلَى مَا بَعْدَهُ لَفْظًا لَا مَعْنَى . (الثَّالِثُ) : أَنْ يَسْلَمَ مِنْ  
تَنَافُرِ الْكَلِمَةِ وَذَلِكَ أَنْ تَكُونَ الْكَلِمَةُ حَالِ الْأَفْرَادِ غَيْرِ مُتَنَافِرَةٍ  
فَإِذَا رُكِبَتْ حَصَلَ التَّنَافُرُ نَحْوُ قَوْلِهِ :

وَقَبْرَ حَرْبٍ (١) بِمَكَانٍ قَفْرٍ وَلَيْسَ قَرْبٌ قَبْرٌ حَرْبٌ قَبْرٌ  
قِيلَ : إِنَّ هَذَا أَلْبَيْتَ لَا يُمَكِّنُ إِنْشَادُهُ فِي الْعَالِبِ ثَلَاثَ  
مَرَّاتٍ مُتَوَالِيَةٍ إِلَّا وَيَقَاطُ الْمُنْشِدُ فِيهِ لِأَنَّهُ نَفْسَ أَجْتِمَاعِ الْكَلَامِ  
وَأَلْقَرْبَ فِي التَّخَارُجِ يُخْرِجُ ثَانٍ ثَقَلًا . وَإِذَا كَانَ التَّنَافُرُ فِي حُرُوفِ  
الْكَلِمَةِ فَهُوَ رَاجِعٌ إِلَى عَدَمِ فَصَاحَةِ الْمَفْرُودِ وَلَا يَسْلَمُ الْمُرَكَّبُ مِنَ  
التَّنَافُرِ مَتَى تَسْلَمَ مُفْرَدَاتُهُ كَقَوْلِ أَبِي تَمَّامٍ :

كَرِيمٌ مَتَى أَمَدَحُهُ أَمَدَحُهُ وَالْوَرَى مَعِيَ وَإِذَا مَا لَمْتُهُ لَمْتُهُ وَحَدِي  
فَالْتَّنَافُرُ فِيهِ مِنْ وَجْهِ تَكَرُّارِ (أَمَدَحُهُ) لِأَمِنْ وَجْهِ أَنْ حُرُوفَ  
(أَمَدَحُهُ) مُتَنَافِرَةٌ لِأَجْتِمَاعِ حَرْفِي الْخَلْقِ . (الرَّابِعُ) : أَنْ يَسْلَمَ  
مِنْ التَّعْقِيدِ وَهُوَ إِيرَادُ كَلَامٍ خَفِيَ الدَّلَالَةُ عَلَى مَعْنَاهُ وَهُوَ مِنْ جِهَةِ  
الْلَفْظِ وَمِنْ جِهَةِ الْمَعْنَى . فَمِنْ جِهَةِ اللَّفْظِ كَتَأْخِيرِ الْأَلْفَاظِ وَتَقْدِيمِهَا  
عَلَى مَوَاضِعِهَا وَحُصُولِ الْفَضْلِ إِذَا ذَاكَ بَيْنَ الْأَشْيَاءِ الْمُتَلَاذِمَةِ كَقَوْلِ  
الْفَرَزْدَقِ يَمْدَحُ إِبْرَاهِيمَ خَالَ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ :

وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ إِلَّا الْمَلِكُ أَبُو أُمِّهِ حَيٌّ يُقَارَبُهُ (١)  
التَّقْدِيرُ: وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ حَيٌّ يُقَارَبُهُ فِي الشَّرَفِ إِلَّا الْمَلِكُ أَبُو  
أَمٍّ ذَلِكَ الْمَلِكُ أَبُو هَذَا الْمَدُوحِ. فَتَأْمَلْ مَا فِيهِ مِنَ التَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ  
الْمَوْذُونِ بِالتَّعْقِيدِ اللَّفْظِيِّ . وَأَمَّا مِنْ جِهَةِ الْمَعْنَى فَهُوَ أَنْ يُرِيدَ  
أَلْتَكَلَّمُ الدَّلَالَةَ فِي اللَّفْظِ عَلَى لَازِمِ مَعْنَاهُ فِي اعْتِقَادِهِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ  
فِي الْمَشْهُورِ مِنْ كَلَامِ أَفْصَحَاءِ كَقَوْلِ الْعَبَّاسِ بْنِ الْأَخْنَفِ :

سَاطِلُ بَعْدَ الدَّارِ عَنْكُمْ تَقَرَّبُوا وَتَسْكُبُ عَيْنَايَ الدَّمُوعَ لِتَجْمَدَا (٢)  
فَجَعَلَ سَكْبَ الدَّمُوعِ كِنَايَةً عَمَّا يَلْزُمُ فِرَاقَ الْأَحِبَّةِ مِنَ الْكَاثِبَةِ  
وَالْحُزْنِ وَأَصَابَ . لَكِنَّهُ أَخْطَأَ فِي جَعْلِ جُمُودِ الْعَيْنِ كِنَايَةً عَمَّا يُوجِبُهُ  
دَوَامُ التَّلَاقِ مِنَ الْفَرَحِ وَالسُّرُورِ لِاعْتِقَادِهِ أَنَّ السُّرُورَ بِمَعْنَى الْجُمُودِ .  
لِأَنَّ جُمُودَ الْعَيْنِ عِنْدَ أَفْصَحَاءِ إِنَّمَا يَلْزُمُ نُجْهًا بِالدَّمُوعِ عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ  
لَا السُّرُورَ . وَأَعْلَمَ أَنَّ شَرَفَ الدِّينِ الطَّيْسِيِّ جَعَلَ بَيْتَ الْعَبَّاسِ  
( سَاطِلُ بَعْدَ الدَّارِ ) مِنَ الْمَطَابَقَةِ الْحَسَنَةِ وَلَيْسَ فِيهِ عِنْدَهُ تَعْقِيدٌ  
مَعْنَوِيٌّ لِأَنَّهُ رَأَى أَنَّ سَكْبَ الدَّمُوعِ فِي الْبَيْتِ عِبَارَةٌ عَنِ الْحُزْنِ .  
وَالْجُمُودُ عِبَارَةٌ عَنِ السُّرُورِ فَخَصَّتْ بَيْنَهُمَا مَطَابَقَةً بِهَذَا اللَّفْظِ . وَجَعَلَ  
التَّعْقِيدَ اللَّفْظِيَّ فِيمَا يَخْدُثُ مِنْ التَّثْقُلِ مِنْ تَوَلَّى الْمُضَافَاتِ وَالضَّمَائِرِ  
وَالصِّفَاتِ وَالْأَفْعَالِ مِنْ غَيْرِ عَطْفٍ وَتَكَرُّارِ الْأَنْفَازِ وَمَا جَرَى مَجْرَى

( ١ ) أي ليس في الناس مثل المدوح حي يقاربه إلا ابن اخته وهو هشام

المملك أي المعطى المملك

( ٢ ) المعنى : أي أطيب نفساً بالبعد والفراق ووطنها على مقاساة الحزن

واقترح غصصاً تفيض لاجلها الدموع من عيني إلى أن يأتي بعد العسر يسراً



ذَلِكَ. (الْحَامِسُ) أَنْ يَنْسَلَمَ مِنْ التَّكَرَّارِ الْمَوْجِبِ فِي الثَّقَلِ كَتَّكَرَّارِ  
الْفِظَةِ ذَاتِهَا وَتَوَالِي الْأِضَافَاتِ وَالصِّفَاتِ وَلَا يُحِلُّ بِالْقَصَاحَةِ قَطْعًا تَكَرَّارُ  
الْفِظَةِ لِلتَّوَكِيدِ وَأَمَّا يُعَابُ قُبْحُ التَّكَرَّارِ بِلا فائدةٍ كَقَوْلِ بَعْضِهِمْ :  
كُنْتُ كُنْتُ كُنْتُ التَّرَكُّنْتُ كَمَا

كُنَّا وَكُنْتُ وَلَكِنْ ذَاكَ لَمْ يَكُنْ  
فَجَاءَتْ الْحُرُوفُ قَلِيلَةً مَكْدُودَةً غَيْرَ مُتَمَكِّنَةٍ فِي مَوَاضِعِهَا. (وَتَتَابَعُ  
الْإِضَافَاتِ) مِثْلُ قَوْلِ أَبِي فَاذِلٍ :

حَمَامَةٌ جَرَعًا حَوْمَةً الْجَنْدَلِ أَنْجَبِي فَأَنْتِ بَرَايَ مِنْ سَعَادٍ وَمَسْمَعٍ (١)  
فَفِيهِ إِضَافَةٌ حَمَامَةٍ إِلَى جَرَعًا وَجَرَعًا إِلَى حَوْمَةٍ وَحَوْمَةٍ إِلَى الْجَنْدَلِ .  
وَلَيْسَ هَذَا بِفَصِيحٍ مَا نُوَسَّسُ

( وَتَوَالِي الصِّفَاتِ ) ذَكَرَهُ الطَّبَّيُّ ذَلِكَ بِمَا يُجْدِثُ فِي الْكَلَامِ  
ثَقُلًا وَاسْتَشْهَدَ عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلِ الْمُتَنَبِّي :  
دَانٍ بَعِيدٌ مَحَبُّ مُبْغَضٌ بِهِجٌ أَعَزُّ حُلُوٌّ مُرٌّ لَيْتَنَ شَرَسُ

(١) الحمرات تخفيف الحرماء وموئث الاجرع وهي ارض ذات رمل لاتنبت  
شئاً. والحومة معطم الشيء. والجنديل ارض ذات حجارة يقول : اسمى يا حمامة ارضي  
قفرة سجة فان سعاد تراك وتسعمك



## الفصل الثاني

في البلاغة

البحث الاول

في الابانة عن حدّ البلاغة

( من كتاب الصاعتين للعسكري )

( راجع صفحة ٩ من علم الادب )

البلاغة كُلُّ مَا تَبَغُّ بِهِ الْمَعْنَى قَلْبَ السَّامِعِ فَتَسْكُنُهُ فِي نَفْسِهِ  
كَتَسْكُنِهِ فِي نَفْسِكَ مَعَ ضُورَةٍ مَقْبُولَةٍ وَمَعْرِضٍ حَسَنٍ . وَإِنَّمَا جَعَلْنَا  
حُسْنَ الْمَعْرِضِ وَقَبُولَ الصُّورَةِ شَرْطًا فِي الْبَلَاغَةِ لِأَنَّ الْكَلَامَ إِذَا  
كَانَتْ عِبَارَتُهُ رَثَّةً وَمَعْرِضُهُ خَلْقًا لَمْ يُسَمَّ بَلِيغًا وَإِنْ كَانَ مَفْهُومُ الْمَعْنَى  
مَكْشُوفًا الْمَغْزَى . أَلَا تَرَى إِلَى مَعْنَى الْكَاتِبِ الَّذِي كَتَبَ إِلَى  
بَعْضِ مُعَاوَلِيهِ : ( قَدْ تَأَخَّرَ الْأَمْرُ فِيمَا وَعَدْتُ حَمْلَهُ صُخْرَةً أَتَاهَا  
وَأَلْقَوْهُ غَيْرَ مُقِيمِينَ لَيْسَ لَهُمْ صَبْرٌ . فَإِنْ رَأَيْتَ فِي إِزَاحَةِ الْعِلَّةِ مَعَ  
الْجَهْدِ فَعَلْتَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ) . فَمَعْنَاهُ مَفْهُومٌ وَمَغْزَاهُ مَعْلُومٌ وَلَيْسَ كَلَامُهُ  
بِلَيِّغٍ فَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مِنْ شَرْطِ الْبَلَاغَةِ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى مَفْهُومًا  
وَاللَّفْظُ مَقْبُولًا عَلَى مَا قَدَّمَاهُ . وَمَنْ قَالَ إِنَّ الْبَلَاغَةَ إِنَّمَا هِيَ إِفْهَامُ  
الْمَعْنَى فَقَطْ فَقَدْ جَعَلَ الْفَصَاحَةَ وَاللُّكْنَةَ وَالْخَطَأَ وَالصَّوَابَ وَالْإِغْلَاقَ

وَالْإِبَابَةُ سَوَاءٌ . وَآيضًا فَلَوْ كَانَ الْكَلَامُ الْوَاضِحُ السَّهْلُ وَالْقَرِيبُ  
السَّيْسُ لَخَلُّوا بَلِيغًا وَمَا خَالَفَهُ مِنْ الْكَلَامِ الْمُسْتَهْجِ الْمُسْتَفْقِ  
وَالْمُتَكَافِ الْمَتَعَدِّ آيضًا بَلِيغًا لَكَانَ كُلُّ ذَلِكَ مُحْمُودًا وَمَمْدُوحًا  
مَقْبُولًا لِأَنَّ الْبَلَاغَةَ أَسْمُ يَمْدَحُ بِهِ الْكَلَامُ . فَلَمَّا رَأَيْنَا أَحَدَهُمَا  
مُسْتَحْسَنًا وَالْآخَرَ مُسْتَهْجَنًا عَلِمْنَا أَنَّ الَّذِي يُسْتَحْسَنُ هُوَ الْبَلِيغُ وَالَّذِي  
يُسْتَهْجَنُ لَيْسَ بِبَلِيغٍ . وَقَالَ الْعِتَابِيُّ : كُلُّ مَنْ أَفْهَمَكَ حَاجَتَهُ فَهُوَ  
بَلِيغٌ . وَإِنَّمَا عَنَى أَنَّ مَنْ أَفْهَمَكَ حَاجَتَهُ بِالْأَلْفَاظِ الْحَسَنَةِ وَالْعِبَارَةِ  
الْتِيَّةِ فَهُوَ بَلِيغٌ . وَلَوْ حَمَلْنَا هَذَا الْكَلَامَ عَلَى ظَاهِرِهِ لَلَزِمَ أَنَّ  
يَكُونُ الْأَلَكُنُ بَلِيغًا لِأَنَّهُ يَفْهَمُنَا حَاجَتَهُ بَلْ يَلْزِمُ أَنَّ يَكُونَ كُلُّ  
النَّاسِ بَالِغَاءَ حَتَّى الْأَطْفَالُ لِأَنَّ كُلَّ أَحَدٍ لَا يَعْدُمُ أَنْ يَدُلَّ عَلَى غَرَضِهِ  
بِفَحْمَتِهِ وَلِكُنْتَهُ وَإِيْمَانِهِ وَإِشَارَتِهِ بَلْ لَزِمَ أَنْ يَكُونَ السَّنُورُ بَلِيغًا  
لَأَنَّا نَسْتَدِلُّ بِخُفَاتِهِ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ إِرَادَتِهِ وَهَذَا ظَاهِرُ الْأَحَالَةِ .  
وَنَحْنُ نَفْهَمُ رَطَانَةَ السُّوقِ وَجَنَاحَةَ الْأَعْجَمِيِّ لِلْعَادَةِ الَّتِي جَرَتْ لَنَا فِي  
سَمَاعِهَا لِأَنَّ تِلْكَ بَلَاغَةٌ . أَلَا تَرَى أَنَّ الْأَعْرَابِيَّ أَنْ سَمِعَ ذَلِكَ لَمْ  
يَفْهَمْهُ إِذْ لَا عَادَةَ لَهُ بِسَمَاعِهِ . وَآرَادَ رَجُلٌ أَنْ يَسْأَلَ بَعْضَ الْأَعْرَابِ  
عَنْ أَهْلِهِ فَقَالَ : كَيْفَ أَهْلُكَ ( بِالْكَسْرِ ) . فَقَالَ لَهُ الْأَعْرَابِيُّ :  
صَابًا . إِذْ لَمْ يَشْكُ أَنَّهُ إِنَّمَا يَسْأَلُهُ عَنِ السَّبَبِ الَّذِي يَهْلِكُ بِهِ . وَسَمِعَ  
أَعْرَابِيٌّ قَصِيدَةَ أَبِي تَامٍ فِي خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ :

طَلَّلَ أَتَجَمِّعُ لَقَدْ عَفَرْتَ حَمِيدًا

فَقَالَ : إِنَّ فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ أَشْيَاءَ أَفْهَمُهَا وَأَشْيَاءَ لَا أَفْهَمُهَا

فَأَمَّا أَنْ يَكُونَ قَائِلُهَا أَشْعَرَ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ جَمِيعُ  
النَّاسِ أَشْعَرَ مِنْهُ . وَنَحْنُ نَفْهَمُ مَعَانِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ بِأَسْرَها لِعَادَتِنَا  
لِسَمَاعِ مِثْلِهَا لَا لِأَنَّا أَعْرَفُ بِالْكَلَامِ مِنَ الْأَعْرَابِ . وَمَا يُؤَيِّدُ مَا  
قُلْنَا مِنْ أَنَّ الْبَلَاغَةَ إِنَّمَا هِيَ إِيضَاحُ الْمَعْنَى وَتَحْسِينُ اللَّفْظِ قَوْلُ بَعْضِ  
الْحُكَمَاءِ : الْبَلَاغَةُ تَضَحِيحُ الْأَقْسَامِ وَاخْتِيَارُ الْكَلَامِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ .  
وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَفِيَّةِ : الْبَلَاغَةُ قَوْلٌ يَضْطَرُّ الْعُقُولَ إِلَى فَهْمِهِ بِأَسْهَلِ  
الْعِبَارَةِ . فَقَوْلُهُ : (يَضْطَرُّ الْعُقُولَ إِلَى فَهْمِهِ) عِبَارَةٌ عَنْ إِيضَاحِ الْمَعْنَى .  
وَقَوْلُهُ : (بِأَسْهَلِ الْعِبَارَةِ) تَنْبِيهُ عَلَى تَسْلِيْسِ اللَّفْظِ وَتَرْكِ تَنْقِيحِهِ

## البحث الثاني

### اقوال في تحديد البلاغة

(ملخص عن زهر الاداب المصري وكتاب الصناعتين للمصري)

قَالَ أَعْرَابِيٌّ : الْبَلَاغَةُ التَّقَرُّبُ مِنَ الْبَعِيدِ وَالتَّبَاعُدُ مِنَ الْكُلْفَةِ  
وَالدَّلَالَةُ بِقَلِيلٍ عَلَى كَثِيرٍ . قَالَ عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ يُحْيَى : الْبَلَاغَةُ تَقْرِيرُ  
الْمَعْنَى فِي الْأَفْهَامِ مِنْ أَقْرَبِ وَجْهِ الْكَلَامِ . قَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ :  
الْبَلَاغَةُ الْبُلُوغُ إِلَى الْمَعْنَى وَلَمْ يَطُلْ سَفَرُ الْكَلَامِ . قَالَ سَهْلُ بْنُ  
هَارُونَ : الْبَيَانُ تَرْجُمَانُ الْعُقُولِ وَرَوْضُ الْقُلُوبِ . وَقَالَ أَيْضًا : الْعَقْلُ  
رَأْدُ الرُّوحِ وَالْعِلْمُ رَأْدُ الْعَقْلِ وَالْبَيَانُ تَرْجُمَانُ الْعِلْمِ . قَالَ إِبْرَاهِيمُ  
الْإِمَامُ : يَكْفِي مِنَ الْبَلَاغَةِ أَنْ لَا يُؤْتِيَ السَّامِعُ مِنْ سَوْءِ فَهْمٍ النَّاطِقُ  
وَلَا يُؤْتِيَ النَّاطِقُ مِنْ سَوْءِ فَهْمِ السَّامِعِ . قَالَ الْعِتَابِيُّ : الْبَلَاغَةُ مَدُّ

الْكَلَامِ بِمَعْنَاهِ إِذَا قُصِرَ وَحُسِّنَ التَّأْلِيفُ إِذَا طَالَ . قَالَ أَغْرَابِيُّ :  
 أَلْبَلَاغَةُ إِجْزَاءُ فِي غَيْرِ عَجْزٍ وَاطْنَابٌ فِي غَيْرِ خَطَلٍ . وَقَدْ قِيلَ لِلْيُونَانِيِّ :  
 مَا أَلْبَلَاغُهُ . قَالَ : تَضَحِيجُ الْأَقْسَامِ وَاخْتِيَارُ الْكَلَامِ . وَقِيلَ لِلرُّومِيِّ :  
 مَا أَلْبَلَاغُهُ . قَالَ : حُسْنُ الْإِقْتِصَابِ عِنْدَ الْبِدَاهَةِ وَالْعَرَاةِ يَوْمَ  
 الْإِطَالَةِ . وَقِيلَ لِلْهِنْدِيِّ : مَا أَلْبَلَاغُهُ . قَالَ : وَضُوحُ الدَّلَالَةِ وَأَنْتِهَازُ  
 الْفُرْصَةِ وَحُسْنُ الْأَشَارَةِ . وَقِيلَ لِلْفَارِسِيِّ : مَا أَلْبَلَاغُهُ . قَالَ : مَعْرِفَةُ  
 الْفَصْلِ مِنَ الْوَصْلِ . وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى الرُّمَانِيُّ : أَلْبَلَاغَةُ إِيْصَالُ  
 الْمَعْنَى إِلَى الْقَلْبِ فِي حُسْنِ صُورَةٍ مِنْ أَلْفَظٍ . وَسُئِلَ بَعْضُهُمْ عَنْ  
 أَلْبَلَاغَةٍ . قَالَ : أَلْبَغَمُ الْكَلَامِ مَا حَسَّنَ إِجْزَاءَهُ . وَقِيلَ مَجَازُهُ . وَكَثُرَ  
 عَجَازُهُ . وَتَنَاسَبَتْ صُدُورُهُ وَعَجَازُهُ . وَقِيلَ لِبُغْفَرِ بْنِ خَالِدٍ : مَا  
 أَلْبَلَاغَةُ . قَالَ : اتَّقَرُّبُ مِنَ الْمَعْنَى الْبَعِيدِ وَالْدَّلَالَةُ بِالْقَلِيلِ عَلَى  
 الْكَثِيرِ . وَقِيلَ لِآخَرَ : مَا أَلْبَلَاغُهُ . قَالَ : تَطْوِيلُ الْقَصِيرِ وَتَقْصِيرُ  
 الطَّوِيلِ . وَقِيلَ لِأَغْرَابِيِّ : مَا أَلْبَلَاغُهُ . قَالَ : حَذْفُ الْفُضُولِ  
 وَتَقَرُّبُ الْبَعِيدِ وَحُسْنُ الْأِسْتِعَارَةِ . وَقِيلَ لَجَالِينُوسَ : مَا أَلْبَلَاغُهُ .  
 قَالَ : إِضْحَاحُ الْمُفْضِلِ وَفَكُّ الْمَشْكِ . وَقِيلَ لِلْحَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ : مَا  
 أَلْبَلَاغُهُ . فَقَالَ : مَا قَرُبَ طَرَفَاهُ وَبَعْدَ مُنْتَهَاهُ . وَقِيلَ لِحَالِدِ بْنِ صَفْوَانَ :  
 مَا أَلْبَلَاغُهُ . قَالَ : إِصَابَةُ الْمَعْنَى وَالْمَقْصِدُ إِلَى الْحُجَّةِ . وَقِيلَ لِآخَرَ :  
 مَا أَلْبَلَاغُهُ . قَالَ : تَصْوِيرُ الْحَقِّ فِي صُورَةِ الْبَاطِلِ وَتَصْوِيرُ الْبَاطِلِ فِي  
 صُورَةِ الْحَقِّ (١) . وَقِيلَ لِابْنِ بَرَكِيَّةٍ : مَا أَلْبَلَاغُهُ . فَقَالَ : الْحِرَاقَةُ وَالْإِصَالَةُ

(١) لا يجوز ذلك الا على طريقة المعايير في الامور القابلة المدح والذم

قَالَ إِسْحَاقُ بْنُ حَسَّانَ : لَمْ يُفسِّرْ أَحَدُ الْبَلَاغَةِ تَفْسِيرَ ابْنِ الْمُلقَعِ  
إِذْ قَالَ : الْبَلَاغَةُ لِمَعَانٍ تَجْرِي فِي وُجُوهِ كَثِيرَةٍ : فَيُنْهَى مَا يَكُونُ فِي  
الْإِشَارَةِ . وَمِنْهَا مَا يَكُونُ فِي الْحَدِيثِ . وَمِنْهَا مَا يَكُونُ فِي الْإِسْتِمَاعِ  
وَمِنْهَا مَا يَكُونُ فِي الْإِخْتِجَاجِ . وَمِنْهَا مَا يَكُونُ شِعْرًا . وَمِنْهَا مَا يَكُونُ  
أَبْتَدَاءً . وَمِنْهَا مَا يَكُونُ جَوَابًا . وَمِنْهَا مَا يَكُونُ سَجْعًا . وَمِنْهَا مَا يَكُونُ  
خُطْبًا . وَمِنْهَا رُبَّمَا كَانَتْ رِسَالًا . فَتَأْيِيهِ ( ١ ) هَذِهِ الْأَبْوَابُ الْوَحْيِيَّةُ  
فِيهَا وَالْإِشَارَةُ إِلَى الْمَعْنَى الْمُبْغَى وَالْإِيجَازُ هُوَ الْبَلَاغَةُ . فَالْسُّكُوتُ يَسْتَمَعُ  
بَلَاغَةً مَجَازًا وَهُوَ فِي حَالَةٍ لَا يَتَجَمَّعُ فِيهَا الْقَوْلُ وَلَا يَنْفَعُ فِيهَا إِقَامَةُ  
الْمُجْتَمِعِ . إِمَّا عِنْدَ جَاهِلٍ لَا يَفْهَمُ الْخُطَابَ أَوْ عِنْدَ وَضِيعٍ لَا يَرْهَبُ  
الْجَوَابَ . أَوْ ظَالِمٍ سَلِيطٍ يَحْكُمُ بِالْهَوَى وَلَا يَرْتَدُّ بِكَلِمَةِ الْمُتَّقَى  
وَإِذَا كَانَ الْكَلَامُ يَعْرِى مِنَ الْخَيْرِ أَوْ يَجْلِبُ الشَّرُّ فَالْسُّكُوتُ أَوَّلَى  
كَمَا قَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ :

مَا كُلُّ نُطْقٍ لَهُ جَوَابٌ جَوَابُ مَا يَكْرَهُ السُّكُوتُ  
وَرُبَّمَا كَانَ صَنْتُكَ فِي حَالٍ أَرْفَقَ مِنْ كَلَامِكَ وَلَهُ وَجْهٌ آخَرُ وَهُوَ  
قَوْلُهُمْ : كُلُّ صَوْتٍ نَاطِقٌ مِنْ جِهَةِ الدَّلَالَةِ . وَذَلِكَ أَنَّ دَلَالَاتِ الصَّنَةِ  
فِي جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ وَاضِحَةٌ . وَالْمَوْعِظَةُ فِيهَا قَائِمَةٌ . وَقَدْ قَالَ الرَّقَاشِيُّ :  
سَلِ الْأَرْضَ مَنْ شَقَّ أَنْهَارُكَ وَغَرَسَ اشْجَارُكَ وَجَنَى ثَمَارُكَ . فَإِنْ لَمْ  
تَجِبْكَ جَوَارِدَا أَجَابَتِكَ أَعْتَبَارًا . وَقَوْلُ ابْنِ الْمُلقَعِ : ( رُبَّمَا كَانَتْ  
الْبَلَاغَةُ بِالِاسْتِمَاعِ ) فَلِأَنَّ الْمُخَاطَبَ إِذَا لَمْ يُجَسِّسِ الْإِسْتِمَاعَ لَمْ

يَقِفُ عَلَى الْمَعْنَى الْمَوْدِي إِلَى الْحِطَابِ . فَالِاسْتِمَاعُ الْحَسَنُ عَوْنُ  
لِلْبَلِيغِ عَلَى إِفْهَامِ الْمَعْنَى

وَقَدْ جَاءَ لِلْبَلَاغَةِ تَعْرِيفَاتٌ أُخَرُ مِنْهَا قَوْلُ بَعْضِ حُكَمَاءِ الْهِنْدِ :  
جَمَاعُ الْبَلَاغَةِ الْبَصَرُ بِالْحُجَّةِ وَالْمَعْرِفَةُ بِمَوَاقِعِ الْفُرْصَةِ وَوِنَ الْبَصَرُ بِالْحُجَّةِ  
أَنْ تَدَعَ الْإِفْصَاحَ بِهَا إِلَى الْكِنَايَةِ عَنْهَا إِذَا كَانَ طَرِيقُ الْإِفْصَاحِ  
وَعَرًا وَكَانَتِ الْكِنَايَةُ أَحْضَرَ نَفْعًا . قَالَ آخَرُ : أَبْلَغُ الْكَلَامِ مَا  
يُؤْنَسُ مَسْمَعُهُ . وَيُؤْنَسُ مَصْنَعُهُ . وَالْبَلِيغُ مَنْ يَحْتَاجُ مِنْ الْأَلْفَاظِ أَنْوَاعَهَا .  
وَمِنْ الْمَعَانِي غَارَهَا . لَيْسَتْ الْبَلَاغَةُ أَنْ يُطَالَ عِنَانُ الْقَلَمِ أَوْ سِنَانُهُ .  
أَوْ يُبَسِّطَ رِهَانُ الْقَوْلِ وَمِيدَانُهُ . بَلْ هِيَ أَنْ يَبْلُغَ أَسَدُ الْمُرَادِ  
بِالْفَظِ أَعْيَانَ وَمَعَانَ أَفْرَادٍ مِنْ حَيْثُ لَا تَرِيدُ عَلَى الْحَاجَةِ وَلَا إِخْلَالَ  
يُفْضِي إِلَى الْفَاقَةِ . وَصَفَ بَعْضُهُمُ الْبَلَاغَةَ قَالَ : هِيَ مِيدَانٌ لَا يُقْطَعُ  
إِلَّا بِسَوَاقِي الْأَذْهَانِ . وَلَا يُسَلَّكَ إِلَّا بِبَصَائِرِ الْبَيَانِ . يَبْغُثُ صَاحِبُهَا  
بِالْكَلَامِ . وَيَقُودُهُ بِالْيَدَيْنِ زِمَامٌ . حَتَّى كَانَ الْأَلْفَاظُ تَتَحَاشَدُ فِي التَّسَابُقِ إِلَى  
خَوَاطِرِهِ وَالْمَعَانِي تَتَغَايَرُ فِي الْأَنْثِيَالِ عَلَى أَنْوَالِهِ كَقَوْلِ أَبِي تَمَامٍ الطَّائِي :  
تَغَايَرُ الشَّعْرِ فِيهِ إِذْ سَهَرْتُ لَهُ حَتَّى طَنَنْتُ قَوَافِيهِ سَتَقَسَّلُ  
وَقِيلَ فِي بَلِيغٍ : فَلَانٌ مَشْرِفِي الْمَشْرِقِ . وَصِيرِي الْمَنْطِقِ .  
الْبَيَانُ أَضْعَفُ صِفَاتِهِ . وَالْبَلَاغَةُ أَقْوَى خَطَرَاتِهِ . كَأَنَّهُ أُوحِيَ بِالتَّوْفِيقِ إِلَى  
صَدْرِهِ . وَحَسُنَ الصَّوَابُ بَيْنَ طَبَعِهِ وَفِكَرِهِ . يَحْزُ . مَفَاضِلُ الْكَلَامِ .  
وَيَسْبِقُ فِيهَا إِلَى دَرَكِ الْمَرَامِ . كَمَا جَمَعَ الْكَلَامُ حَوْلَهُ حَتَّى أَنْتَقَى وَهُوَ  
وَأَنْتَحَبَ . وَتَنَازَلَ مِنْهُ مَا طَلَبَ . وَتَرَكَ بَعْدَ ذَلِكَ أَذْنَا بَا لَارُؤُسَا .

وَأَجْسَادًا لَا تُهْوَسًا . وَقِيلَ فِي آخَرٍ : يَرْضَى بِغَفْرِ الطَّبَعِ . وَيَقْشَعُ بِمَا  
خَفَّ عَلَى السَّنْعِ . وَيُوجِزُ فَلَا يُجِلُّ . وَيُطِيبُ فَلَا يُلِّ . فَلِلَّهِ فَلَانٌ أَخَذَ  
بِأَرْمَةِ الْقَوْلِ يَقُودُهَا كَيْفَ أَرَادَ وَيَجْذِبُهَا إِلَى شَاءٍ فَلَا تَقْصِيهِ  
بَيْنَ الصَّغْبِ وَالذُّلُولِ . وَلَا تُسْلِمُهُ عِنْدَ الْحُزْنِ وَالسُّهُولِ . كَلَامُهُ  
يَشْتَدُّ مَرَّةً حَتَّى تَقُولَ : الصَّخْرُ الْأَمْلَسُ . وَيَلِينُ تَارَةً حَتَّى تَقُولَ : أَلْمَاءُ  
أَوْ أَسْلَسُ . يَقُولُ : فَيُصُولُ . وَيُجِيبُ . فَيُصِيبُ . وَيَكْتُبُ فَيُطِيقُ الْمَفْصِلَ .  
وَيَنْسُقُ الدَّرَّ الْمَفْصِلَ . وَيَرِدُ مَشَارِعَ الْكَلَامِ وَهِيَ صَافِيَةٌ لَمْ تُطْرَقْ .  
وَجَامَةٌ لَمْ تُرْتَقِ . حَاطِرُهُ الْبَرَقُ أَوْ أَسْرَعُ لَمَعًا . وَالسَّيْفُ أَوْ أَحَدُ قِطْعَاهُ .  
وَأَلْمَاءُ أَوْ أَسْلَسُ جَرِيًا . وَأَلْفَلَكُ أَوْ أَقَوْمٌ هَدْيًا . يَسْهَلُ الْكَلَامُ عَلَى  
لَفْظِهِ وَتَتَرَاخَمُ أَلْمَاعِي عَلَى طَبْعِهِ فَيَتَنَاوَلُ الْمُرْمَى الْبَعِيدَ بِقَرِيبِ سَفِيهِ .  
وَيَسْتَسْبِطُ الْمَشْرَعَ الْعَمِيقَ بِبَسِيرِ جَرِيهِ . لِسَانُهُ يَفْلُقُ الصُّخُورَ . وَيُفِيضُ  
الْجُورَ . خُطِيبٌ لَا تَنَالُهُ حُبْسَةٌ وَلَا تَرْتَهِنُهُ لُكْنَةٌ وَلَا تَحْجِفُ بَيَانُهُ عُجْمَةٌ  
وَلَا تَعَارِضُ لِسَانُهُ عُقْدَةٌ يُحْسِنُ السَّفَارَةَ . وَيَسْتَوْفِي الْعِبَارَةَ . وَيُؤَدِّي  
الْأَلْفَاظَ . وَيَسْتَعْرِقُ الْأَغْرَاضَ . قَالَ حَتَّى قَالَ الْكَلَامُ : لَوْ أَعْقَيْتَ .  
وَكَتَبَ حَتَّى قَالَتْ الْأَقْلَامُ : قَدْ أَحَقَيْتَ

### البحث الثالث

في أوصاف البلاغات على السنة اقوام من اهل البلاغات

(عن زهر الاداب للتقديواني)

قَالَ بَعْضُ مَنْ وُلِدَ عَقَائِلُ هَذَا الْمَشْهُورِ . وَآلِفِ فَوَاصِلِ هَذِهِ



الشُّدُورِ : تَجَمَّعَ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الصَّنَاعَاتِ فَوَصَفُوا بِلَاغَتِهِمْ مِنْ طَرِيقِ  
صِنَاعَاتِهِمْ . ( قَالِ الْجَوْهَرِيُّ ) : أَحْسَنُ الْكَلَامِ نِظَامًا مَا تُقَبِّلُهُ  
يَدُ الْفِكْرَةِ وَنَظْمَتُهُ الْفِطْنَةُ وَوُصِلَ جَوْهَرُ مَعَانِيهِ فِي سُيُوطِ الْقَافِظِ  
فَاخْتَمَلَتْهُ نُحُورُ الرُّوَاةِ . ( وَقَالَ الْعَطَّارُ ) : أَطْيَبُ الْكَلَامِ مَا عُجِنَ  
عَنْبَرُ الْقَافِظِ بِمِسْكِ مَعَانِيهِ فَفَاحَ نَسِيمُ نَشْقِهِ . وَسَطَعَتْ رَائِحَةُ عَيْقِهِ .  
فَتَمَلَّقَتْ بِهِ الرُّوَاةُ وَتَعَطَّرَتْ بِهِ الْأَسْرَاءُ . ( وَقَالَ الْأَصْنَاعِيُّ ) : خَيْرُ الْكَلَامِ  
مَا أَحْمَيْتُهُ بِكَبِيرِ الْفِكْرِ . وَسَبَكْتُهُ بِمَسَاعِلِ النَّظَرِ . وَخَلَصْتُهُ مِنْ خَبَثِ  
الْأُظُنَابِ فَبَرَزَ بُرُوزُ الْإِبْرِيزِ . فِي مَعْنَى وَجِيزٍ . ( وَقَالَ الصَّيْرَفِيُّ ) :  
خَيْرُ الْكَلَامِ مَا نَقَدْتُهُ يَدُ الْبَصِيرَةِ وَجَلَّتْهُ عَيْنُ الرُّوِيَّةِ وَوَزَنَتْهُ بِمِغْيَارِ  
الْفَصَاحَةِ فَلَا تَطْرُقُ يَرْيَفُهُ وَلَا سَمَاعُ يَبْهَرُجُهُ . ( وَقَالَ الْخَدَّادُ ) : أَحْسَنُ  
الْكَلَامِ مَا نَصَبْتَ عَلَيْهِ وَنُفْحَةَ الْقَرْمِيحَةِ وَأَشَعَلْتَ عَلَيْهِ نَارَ الْبَصِيرَةِ  
ثُمَّ أَخْرَجْتَهُ مِنْ قَحْمِ الْإِلْفَامِ . وَرَفَّقْتَهُ بِفُطَيْسِ الْإِفْهَامِ . ( وَقَالَ  
الْحَجَّارُ ) : خَيْرُ الْكَلَامِ مَا اخْتَكَمْتَ تَجَرَ . مَعْنَاهُ بِقُدُومِ التَّقْدِيرِ . وَنَشَرْتُهُ  
بِعَنْشَارِ التَّدْيِيرِ . فَصَارَ أَبَا لَيْتِ الْبَيَانِ . وَعَارِضَةً لِسَقْفِ اللِّسَانِ .  
( وَقَالَ الْحَجَّادُ ) : أَحْسَنُ الْكَلَامِ مَا لَطَفْتَ رِقَافُ الْقَافِظِ وَحَسُنَتْ  
طَارِحُ مَعَانِيهِ فَتَنَزَّهَتْ فِي ذَرَايِي مُحَاسِنِهِ عُيُونُ النَّاطِلِينَ . وَوَصَّاحَتْ  
لِنَارِقِ بِهَيْجَةِ آذَانِ السَّامِعِينَ . ( وَقَالَ الْمَاتِحِيُّ ) : آتَيْنُ الْكَلَامَ مَا  
عَلَقْتَ وَذَمَّ الْقَافِظِ بِكَرَةِ مَعَانِيهِ ثُمَّ أَرْسَلْتَهُ فِي قَلْبِ الْفِطْنِ رِيًّا  
فَأَمْتَنَتْ بِهِ سِقَاءُ يَكْشِفُ الشُّبُهَاتِ . وَأَسْتَبَطْتَ بِهِ مَعْنَى يَزُوي وَمِنْ  
ظُلَمٍ الْأَشْكِالَاتِ . ( وَقَالَ الْحَيَّاطُ ) : الْبَلَاغَةُ رِدَاءُ فُجْرَانِهِ الْبَيَانُ

وَجَبَّهُ الْمَعْرِفَةُ وَكَدَّاهُ الْوَجَازَةُ وَدَخَّارِيصُهُ الْإِفْهَامُ وَدَرُوزُهُ الْحَلَاوَةُ  
وَلَا يَسُهُ جَسَدُ اللَّفْظِ وَرُوحُ الْمَعْنَى . ( وَقَالَ الصَّبَّاحُ ) : أَحْسَنُ  
الْكَلَامِ مَا لَمْ تَنْضَ بِفَهْمِهِ إِجْزَاهُ . وَلَمْ تُكْشِفْ صَبْغَةَ إِجْزَاهُ .  
قَدْ صَقَلَتْهُ يَدُ الرُّوِيَّةِ مِنْ كُمُودِ الْأَشْكَالِ فَرَاعَ كَوَاعِبَ الْأَدَابِ .  
وَأَلْفَ عَذَارَى الْأَلْبَابِ . ( وَقَالَ الْخَالِكُ ) : أَحْسَنُ الْكَلَامِ مَا  
اتَّصَلَتْ لُحْمَةُ الْفَاطِظِ بِسَدَى مَعَانِيهِ فَخَرَجَ مُقَوِّفًا مُتَيَّرًا وَمَوْشَى مُحَبَّرًا .  
( وَقَالَ الْبَرَّازُ ) : أَحْسَنُ الْكَلَامِ مَا صَدَقَ رَقْمُ الْفَاطِظِ وَحَسُنَ  
نَشْرُ مَعَانِيهِ فَلَمْ يُسْتَحْجَمْ عَنْكَ نَشْرُ وَلَمْ يُسْتَهْجَمْ عَلَيْكَ طَيِّ . ( وَقَالَ  
الرَّائِضُ ) : خَيْرُ الْكَلَامِ مَا لَمْ يَخْرُجْ عَنْ حَدِّ التَّخْلِيعِ إِلَى مَزِلَّةِ التَّقْرِيبِ إِلَّا  
بَعْدَ الزِّيَادَةِ وَكَانَ كَالْمُهْرِ الَّذِي أَطْمَعَ أَوَّلُ رِيَاصَتِهِ فِي تَمَامِ ثِقَاتِهِ .  
( وَقَالَ الْجَمَّالُ ) : الْبَلِيغُ مَنْ أَخَذَ بِخِطَامِ كَلَامِهِ فَأَنَاقَهُ فِي مَبْرَكِ الْمَعْنَى  
ثُمَّ جَعَلَ الْأَخْتِصَارَ لَهُ عَقْلًا وَالْإِيحَازَ لَهُ مَجَالًا . فَلَمْ يَبْدَعْ عَنِ الْأَدَانِ . وَلَمْ  
يَشُدَّ عَنِ الْأَدَهَانِ . ( وَقَالَ الْحَمَارُ ) : أَبَاغُ الْكَلَامِ مَا طَلَبَتْهُ مَرَايِلُ  
الْعِلْمِ وَصَفَّاهُ رَاوِقُ الْفَهْمِ وَضَمَّتْهُ دَنَانُ الْحِكْمَةِ فَتَمَشَّتْ فِي  
الْمَفَاصِلِ عُدُوبَتُهُ وَفِي الْأَفْكَارِ دِقَّتُهُ وَفِي الْقَوْلِ حِدَّتُهُ . ( وَقَالَ  
الْفُقَاعِيُّ ) : خَيْرُ الْكَلَامِ مَا رَوَّحَتْ الْفَاطَةُ عَبَاوَةَ الشَّكِّ وَدَقَّتْ  
دِقَّتُهُ قَظَاطَةَ الْجَهْلِ فَطَابَ جُشَاءُ قَطْبِهِ وَعَذَبَ مَصُّ جُرْعِهِ . ( وَقَالَ  
الطَّيِّبُ ) : خَيْرُ الْكَلَامِ إِذَا بَاشَرَ دَوَاءَ بَيَانِهِ سُقْمُ الشُّبْهَةِ  
أَسْطَلَقَتْ طَبِيعَةُ الْقَبَاوَةِ فَشَقَى مِنْ سُوءِ التَّفْهَمِ وَأَوْرَثَ صِحَّةَ التَّوَهُّمِ .  
( قَالَ الْكَحْهَالُ ) : كَمَا أَنَّ الرَّمْدَ قَذَى الْأَبْصَارِ فَالْشُّبْهَةُ قَذَى الْأَبْصَارِ

فَأَحْلَ عَيْنَ اللَّكْنَةِ بِمِيلِ الْبَلَاغَةِ وَأَجَلَ رَمَصِ الْغَفْلَةِ يَمْرُودَ الْيَقْظَةِ.  
(ثُمَّ قَالَ): أَجْعُوا كُلَّهُمْ عَلَى أَنَّ أَبْلَغَ الْكَلَامِ مَا إِذَا أَشْرَقَتْ  
شَمْسُهُ أُنْكَشَفَ لَبْسُهُ وَإِذَا صَدَقَتْ أَنْوَاذُهُ أَخْضُرَتْ أَحْمَاؤُهُ

## الفصل الثالث

في المعاني

البحث الأول

في حقيقة المعاني

(عن كشاف اصطلاحات الفنون بتصرف)

(راجع صفحة ١٠ من علم الادب)

الْمَعْنَى لُغَةً الْمَقْصُودُ وَفِي الْأَصْطِلَاحِ هُوَ الصُّورَةُ الْتَهْنِئَةُ مِنْ  
حَيْثُ إِنَّهُ وَضَعَ بِإِذَائِهَا اللَّفْظُ أَيَّ مِنْ حَيْثُ إِنَّهَا تُقْصَدُ مِنْهُ. وَذَلِكَ  
إِنَّمَا يَكُونُ بِالْوَضْعِ فَإِنْ عُبِّرَ عَنْهَا بِلَفْظٍ مُفْرَدٍ يُسَمَّى غَنَى مُفْرَدًا .  
وَإِنْ عُبِّرَ عَنْهَا بِلَفْظٍ مُرَكَّبٍ سُمِّيَ مُرَكَّبًا . فَأَلْفَرَادُ وَالْتَرْكِيبُ  
صِفَتَانِ لِلْأَلْفَافِ حَقِيقَةٌ وَيُوصَفُ بِهِنَّ الْمَعْنَى تَبَعًا . وَعِلْمُ الْمَعْنَى عِلْمُ  
يُحْتَزَرُ بِهِ عَنِ الْخَطَا فِي تَأْدِيَةِ الْمُرَادِ وَتُعْرَفُ أَحْوَالُ اللَّفْظِ الْعَرَبِيِّ  
الَّتِي بِهَا يُطَابِقُ اللَّفْظُ مُقْتَضَى الْحَالِ وَهُوَ مِنْ أُصُولِ الْعُلُومِ الْعَرَبِيَّةِ  
يَبْحَثُ عَنِ الْمُرَكَّبَاتِ عَلَى الْأِطْلَاقِ بِإِعْتِبَارِ إِفَادَتِهَا لِمَعْنَى زَائِدَةٍ عَلَى  
أَصْلِ الْمَعْنَى . قَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْمَعْنَى : الْكَلَامُ الَّذِي يُوصَفُ

بِالْبَلَاغَةِ هُوَ الَّذِي يَدُلُّ بِلَفْظِهِ عَلَى مَعْنَاهُ اللَّغَوِيِّ أَوْ الْغُرْفِيِّ أَوْ  
الشَّرْعِيِّ . ثُمَّ تَحْدُ لَذَلِكَ الْمَعْنَى دَلَالَةً ثَانِيَةً عَلَى الْمَعْنَى الْقَصُودِ  
الَّذِي يُرِيدُ الْمَتَكَلِّمُ إِثْبَاتَهُ أَوْ نَفْيَهُ فَهُنَاكَ الْفَاطُ وَمَعَانٍ أَوَّلٌ وَمَعَانٍ  
ثَوَانٍ . فَالْمَعْنَى الْأَوَّلُ هِيَ مَدْلُولَاتُ الْأَرَاكِبِ وَالْأَلْفَاظِ الَّتِي  
تُسَمَّى فِي عِلْمِ النَّحْوِ أَصْلَ الْمَعْنَى . وَالْمَعْنَى الثَّوَانِي الْأَغْرَاضُ الَّتِي  
يُسَاقُ لَهَا الْكَلَامُ . وَلِذَا قِيلَ : مُقْتَضَى الْحَالِ هُوَ الْمَعْنَى الثَّوَانِي .  
كَرَّرَ الْأِنْكَارَ وَدَفَعَ الشَّكَّ مَثَلًا إِذَا قُلْنَا : إِنَّ زَيْدًا قَاتِلٌ . فَالْمَعْنَى  
الْأَوَّلُ هُوَ الْقِيَامُ الْمَوْكَدُ وَالْمَعْنَى الثَّوَانِي رَدُّ الْإِنْكَارِ وَدَفْعُ الشَّكِّ .  
وَإِذَا قُلْنَا : هُوَ أَسَدٌ فِي صُورَةِ الْإِنْسَانِ . فَالْمَعْنَى الْأَوَّلُ هُوَ مَدْلُولُ هَذَا  
الْكَلَامِ وَالْمَعْنَى الثَّوَانِي هُوَ أَنَّهُ شَجَاعٌ . فَالْمَعْنَى الثَّوَانِي هُوَ الَّذِي يُرَادُ  
إِيرَادُهُ فِي الطَّرْقِ الْمُخْتَلَفَةِ وَالْمَفْهُومِ مِنْ تِلْكَ الطَّرْقِ هُوَ الْمَعْنَى الْأَوَّلُ .  
وَتَسْمِيَتُهُ بِالْمَعْنَى الثَّوَانِي لِكَوْنِ اللَّفْظِ دَالًّا عَلَيْهِ بِوَاسِطَةِ الْمَعْنَى الْأَوَّلِ .  
فَدَلَالَةُ الْمَعْنَى الْأَوَّلِ عَلَى الثَّوَانِي عَقْلِيَّةٌ قَطْعًا وَأَمَّا دَلَالَةُ اللَّفْظِ عَلَى  
الْمَعْنَى الْأَوَّلِ فَقَدْ تَكُونُ وَضْعِيَّةً وَقَدْ تَكُونُ عَقْلِيَّةً . وَقَدْ تُسَمَّى  
الْمَعْنَى الْأَوَّلُ بِالْخُصُوصِيَّاتِ وَالْكَفَيَّاتِ الزَّائِدَةِ عَلَى أَصْلِ الْمَعْنَى  
وَبِالْصُّورِ وَالْخَوَاصِ وَالزَّوَايَا مَجَازًا . ثُمَّ إِنَّهُمْ سَمَوْا تَرْتِيبَ الْمَعْنَى الْأَوَّلِ  
وَكَذَا الْمَعْنَى الْأَوَّلِ الْفَاطَا . وَفَضِيلَةُ الْكَلَامِ بِاعْتِبَارِ هَذَا التَّرْتِيبِ  
لِكَوْنِ الْمَعْنَى الْأَوَّلِ مَحَلَّ الْفَضِيلَةِ لِأَنَّ تَرْتِيبَ الْمَعْنَى الْأَصْلِيَّةِ فِي  
النَّفْسِ ثُمَّ تَرْتِيبَ الْأَلْفَاظِ فِي التَّنْقِطِ عَلَى حَذْوِهَا عَلَى وَجْهِ يَنْتَقِلُ مِنْهَا  
الذَّهْنُ بِتَوَسُّلِهَا إِلَى الْخَوَاصِ فِي الْإِفَادَةِ بَلَا إِخْلَالٍ وَلَا تَعْقُدُ

الْبَلَاغَةُ. فَيَكُونُ تَرْتِيبُ الْمَعَانِي الْأَوَّلِ عَلَى الْوَجْهِ الْخُصُوصِ مَنَشَأُ  
الْفَضِيلَةِ وَمَنَاطُ الْبَرَاةِ بِالشَّكِّ . قَالَ الشَّيْخُ : وَلَمَّا كَانَتْ الْمَعَانِي  
تَتَبَيَّنُ بِالْأَلْفَاظِ وَلَمْ يَكُنْ لِتَرْتِيبِ الْمَعَانِي سَبِيلٌ إِلَّا بِتَرْتِيبِ الْأَلْفَاظِ  
فِي النَّطْقِ تَجَوَّزُوا فَعَبَرُوا عَنْ تَرْتِيبِ الْمَعَانِي بِتَرْتِيبِ الْأَلْفَاظِ ثُمَّ  
بِالْأَلْفَاظِ بِجَدَفِ التَّرْتِيبِ . وَإِذَا وَضَعُوا اللَّفْظَ بِمَا يَدُلُّ عَلَى تَفْخِيمِهِ  
كَانَ يُقَالُ أَلْبَلَاغَةُ رَاجِعَةٌ إِلَى اللَّفْظِ . أَوْ هُوَ مَحَلُّ الْفَضِيلَةِ الَّتِي بِهَا  
يَسْتَحِقُّ الْإِتِّصَافَ بِالْفَصَاحَةِ وَنَحْوِهَا لَمْ يُرِيدُوا اللَّفْظَ الْمَنْطُوقَ وَلَكِنْ  
أَرَادُوا مَعْنَى اللَّفْظِ الَّذِي دَلَّ عَلَى الْمَعْنَى الثَّانِي

### البحث الثاني

### في صحة المعاني

(عن ادب الدنيا والدين للماوردي)

( راجع صفحة . ١١١ من علم الادب )

أَمَّا صِحَّةُ الْمَعَانِي فَتَكُونُ مِنْ ثَلَاثَةِ أَجْزَاءَ : ( أَحَدُهَا ) إِضَاحُ  
تَفْسِيرِهَا حَتَّى لَا تَكُونَ مُشْكَكَةً وَلَا مُجْمَلَةً . ( وَالثَّانِي ) اسْتِيفَاءُ تَقْسِيمِهَا  
حَتَّى لَا يَنْخَلَّ فِيهَا مَا لَيْسَ مِنْهَا وَلَا يَخْرُجَ عَنْهَا مَا هُوَ فِيهَا . ( وَالثَّلَاثُ )  
صِحَّةُ مُقَابَلَاتِهَا . وَالْمُقَابَلَةُ تَكُونُ مِنْ وَجْهَيْنِ : ( أَحَدُهُمَا ) مُقَابَلَةُ الْمَعْنَى بِمَا  
يُؤَافِقُ وَحَقِيقَةُ هَذِهِ الْمُقَابَلَةِ لِأَنَّ الْمَعَانِي تُصِيرُ مُتَشَاكِلَةً . وَالثَّانِي  
مُقَابَلَتُهُ بِمَا يُضَادُّهُ وَهُوَ حَقِيقَةُ الْمُقَابَلَةِ . وَلَيْسَ لِلْمُقَابَلَةِ إِلَّا أَحَدُ هَذَيْنِ  
الْوَجْهَيْنِ : الْمُؤَافَقَةُ فِي الْإِتِّصَافِ وَالْمُضَادَّةُ مَعَ الْإِخْتِلَافِ . فَأَمَّا فَصَاحَةُ

الْأَلْفَاطُ فَتَكُونُ بِثَلَاثَةِ أَوجِهٍ : ( أَحَدُهَا ) مُجَابَةِ الْغَرِيبِ الْوَحْشِيِّ  
 حَتَّى لَا يَجِبَ سَمْعُ وَلَا يَنْفِرَ مِنْهُ طَبْعٌ . ( وَالثَّانِي ) تَنْكِبُ الْاَلْفَاطُ الْمُبْتَدَلِ  
 وَالْعُدُولُ عَنِ الْكَلَامِ الْمُسْتَزْدَلِ حَتَّى لَا يَسْتَسْقِطَهُ خَارِصِي وَلَا يَذْبُو  
 عَنْهُ فَهْمُ عَاتِمِي كَمَا قَالَ الْجَلِيزُ فِي كِتَابِ الْبَيَانِ : أَمَّا أَنَا فَلَمْ أَرِ  
 قَوْمًا أَمَثَلَ طَرِيقَةٍ فِي الْبَلَاغَةِ مِنْ الْكُتَّابِ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ قَدْ اَلْتَمَسُوا  
 مِنَ الْأَلْفَاطِ مَا لَمْ يَكُنْ مُتَوَعَّرًا وَحْشِيًّا وَلَا سَاقِطًا عَامِيًّا . ( وَالثَّالِثُ )  
 أَنْ يَكُونَ بَيْنَ الْأَلْفَاطِ وَمَعَانِيهَا مُنَاسَبَةٌ وَمُطَابَقَةٌ . أَمَّا الْمُطَابَقَةُ  
 فَهِيَ أَنْ تَكُونَ الْأَلْفَاطُ كَالْقَوَالِبِ لِمَعَانِيهَا فَلَا تَرِيدُ عَلَيْهَا وَلَا  
 تَنْقُصُ عَنْهَا . وَقَالَ بَشْرُ بْنُ الْمُعْتَمِرِ فِي وَصِيَّتِهِ فِي الْبَلَاغَةِ : إِذَا لَمْ  
 تَجِدِ الْكَلِمَةَ وَاقِعَةً مَوْضِعَهَا وَلَا صَائِرَةً إِلَى مُسْتَقَرِّهَا وَلَا حَالَةً فِي  
 مَرْكَزِهَا بَلْ وَجَدْتَهَا فَلَقَّاهُ فِي مَكَانِهَا نَافِرَةً عَنْ مَوْضِعِهَا فَلَا تُكْرِهْهَا عَلَى  
 الْقَرَارِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَتَعَاطَ قَرْضَ الشَّعْرِ الْمَوْزُونِ  
 وَلَمْ تَتَكَلَّفْ اخْتِيَارَ الْمُنْثَوْرِ لَمْ يَعْيبَكَ بِتَرْكِ ذَلِكَ أَحَدٌ وَإِذَا أَنْتَ  
 تَكَلَّفْتَهُمَا وَلَمْ تَكُنْ حَازِقًا فَهِيمَا عَابَكَ مَنْ أَنْتَ أَقْلُ عَيْنًا مِنْهُ  
 وَآذَرَى عَلَيْكَ مَنْ أَنْتَ قَوَّةٌ . وَأَمَّا الْمُنَاسَبَةُ فَهِيَ أَنْ يَكُونَ اللَّفْظُ  
 يَلِيقُ بِغَضِّ الْأَلْفَاطِ إِمَّا لِعُرْفٍ مُسْتَعْمَلٍ أَوْ لِاتِّفَاقٍ مُسْتَحْسَنٍ حَتَّى  
 إِذَا ذَكَرْتَ تِلْكَ أَلْمَاعِي بِنَعِيرِ تِلْكَ الْأَلْفَاطِ كَانَتْ نَافِرَةً عَنْهَا وَإِنْ  
 كَانَتْ أَفْضَحَ وَأَوْضَحَ لِإِعْتْيَادِ مَا سِوَاهَا . وَقَالَ بَعْضُ الْبُلَّغَاءِ :  
 لَا يَكُونُ الْبَلِغُ بَلِغًا حَتَّى يَكُونَ مَعْنَى كَلَامِهِ أَسْبَقَ إِلَى فَهْمِكَ مِنْ  
 لَفْظِهِ إِلَى سَمْعِكَ . وَأَمَّا مُعَاطَاةُ الْأَعْرَابِ وَتَجَنُّبُ اللَّحْنِ فَلَا تَمَّا هُوَ مِنْ

صِفَاتِ الصَّوَابِ . وَأَبْلَاغُهُ أَعْلَى مِنْهُ رُبَّةً وَأَشْرَفُ مَنَزَلَةً وَلَيْسَ لِمَنْ  
لَحَنَ فِي كَلَامِهِ مَنَخَلٌّ فِي الْأَدْبَاءِ فَضْلًا عَنْ أَنْ يَكُونَ فِي عِدَادِ  
أَبْلَغَاءِ

### البحث الثالث

### في انواع المعاني

( ملخص عن زهر الاداب للقبرواني )

( راجع صفحة ١٢ من علم الادب )

قَالَ أَبُو عُمَانَ عَمْرُو بْنُ بَجْرٍ الْجَلِيزِيُّ : قَالَ بَعْضُ جِهَانِ بَذَّةِ الْأَلْفَاظِ  
وَنُقَادِ الْمَعَانِي : الْمَعَانِي الْقَائِمَةُ فِي صُدُورِ النَّاسِ الْمُتَصَوِّرَةِ فِي أَذْهَانِهِمْ  
الْمُخْتَلِفَةِ فِي تَفْسِيرِهِمْ الْمُتَّصِلَةُ بِمَحَاوِطِهِمْ وَالْحَادِثَةُ عَنْ فِكْرِهِمْ  
مَسْتَوْرَةٌ خَفِيَّةٌ وَبَعِيدَةٌ وَحَشِيَّةٌ وَمَخْجُوبَةٌ مَكْنُونَةٌ وَمَوْجُودَةٌ فِي مَعْنَى  
مَعْدُومَةٌ لَا يَعْرِفُ إِلَّا نَسَانُ ضَمِيرِ صَاحِبِهِ وَلَا حَاجَةٌ أَخِيهِ وَخَلِيطِهِ وَلَا  
مَعْنَى شَرِيكِهِ وَالْمَعَانِي لَهُ عَلَى أَمْرِهِ وَعَلَى مَا لَا يَبْلُغُهُ مِنْ حَاجَاتِ نَفْسِهِ  
إِلَّا بِغَيْرِهِ . وَإِنَّمَا يُنْجِي تِلْكَ الْمَعَانِي ذِكْرُهُمْ لَهَا وَإِخْبَارُهُمْ عَنْهَا  
وَأَسْتِعْمَالُهُمْ إِيَّاهَا . وَهَذِهِ الْخِصَالُ هِيَ الَّتِي تُقَرَّبُهَا مِنَ الْفَهْمِ وَتَجْلُوهَا  
لِلْعَقْلِ وَتَجْعَلُ الْخَفِيَّ مِنْهَا ظَاهِرًا وَأَنْعَابَ شَاهِدًا وَأَلْبَعِيدَ قَرِيبًا . وَهِيَ  
الَّتِي تُلْخِصُ الْمُلْتَبَسَ وَتَحُلُّ الْمُنْعَقِدَ وَتَجْمَلُ الْمُهْمَلَ مُقَيَّدًا وَالْمُقَيَّدَ مُطْلَقًا  
وَالْمُجْهُولَ مَعْرُوفًا وَالْوَحْشِيَّ مَأْلُوفًا . وَعَلَى قَدَرِ وُضُوحِ الدَّلَالَةِ وَصَوَابِ  
الْإِشَارَةِ وَحُسْنِ الْإِخْتِصَارِ وَرِقَّةِ الْمَنْخَلِ يَكُونُ ظُهُورُ الْمَعْنَى وَكُلَّمَا

كَانَتْ الدَّلَالَةُ أَوْضَحَ وَأَفْصَحَ وَكَانَتْ الْإِشَارَةُ أَيْنَ وَأَنُورَ كَانَتْ  
 أَنْفَعُ وَأَنْجَعُ فِي الْبَيَانِ . ثُمَّ أَعْلَمَ حَفْظَكَ اللَّهُ أَنَّ مُحْكَمَ أَلْعَامِي خِلَافُ  
 مُحْكَمِ الْأَلْفَاظِ لِأَنَّ أَلْعَامِي مَبْسُوطَةٌ إِلَى غَايَةٍ وَتُمْتَدُّ إِلَى غَيْرِهَا بِاسْمَاءِ  
 أَلْعَامِي مَحْضُورَةٌ مَعْدُودَةٌ وَمُحْصَلَةٌ مُحْذَرَةٌ . وَجَمِيعُ أَصْنَافِ الدَّلَالَةِ عَلَى  
 أَلْعَامِي مِنْ لَفْظٍ أَوْ غَيْرِ لَفْظٍ خَمْسَةُ أَشْيَاءَ لَا تَنْقُصُ وَلَا تَزِيدُ : أَوَّلُهَا  
 اللَّفْظُ . ثُمَّ الْإِشَارَةُ . ثُمَّ الْعَقْدُ . ثُمَّ الْخَطُّ . ثُمَّ الْحَالُ الَّتِي تُسَمَّى نُصْبَةً . وَالنُّصْبَةُ  
 هِيَ الْحَالُ الدَّلَالَةُ الَّتِي تَقُومُ مَقَامَ تِلْكَ الْأَصْنَافِ وَلَا تُقْصِرُ عَنْ تِلْكَ  
 الدَّلَالَاتِ . وَكُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْ هَذِهِ الدَّلَائِلِ الْخَمْسَةِ ضُورَةٌ بَاطِنَةٌ مِنْ  
 ضُورَةٍ صَاحِبَتِهَا وَحِلْيَةٍ مُخَالِفَةٍ لِحِلْيَةِ أُخْتِهَا . وَهِيَ الَّتِي تَكْشِفُ لَكَ عَنْ  
 أَعْيَانِ أَلْعَامِي فِي الْجُمْلَةِ وَعَنْ حَقَائِقِهَا فِي التَّفْسِيرِ وَعَنْ أَجْنَاسِهَا  
 وَأَقْدَارِهَا وَعَنْ خَاصِّهَا وَعَامِّهَا وَعَنْ طَبَقَاتِهَا فِي السَّارِ وَالْخَاسِرِ وَعَمَّا  
 يَكُونُ مِنْهَا لَهَوًا مَبْهَرَجًا وَسَاقِطًا مَطْرَحًا . وَفِي نَحْوِ قَوْلِ أَبِي عُثْمَانَ  
 ( إِنْ أَلْعَامِي غَيْرُ مَقْضُورَةٍ وَلَا مَحْضُورَةٍ ) يَقُولُ أَبُو تَمَّامٍ الطَّائِي لِأَبِي  
 دُلْفِ بْنِ عَيْسَى الْعِجْلِيِّ :

وَلَوْ كَانَ يَفْنَى الشَّعْرُ أَفْتَنَهُ مَا قَوَّتْ حِيَاضُكَ مِنْهُ فِي الْعُصُورِ الذَّوَاهِبِ  
 وَلَكِنَّهُ فَيْضُ الْقَوْلِ إِذَا تَجَلَّتْ سَحَابُ وَنُهُ أُعْقِبَتْ بِسَحَابِ  
 وَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ بْنُ الْمُعْتَرِ : لَحْظَةُ الْقَلْبِ أَسْرَعُ مِنْ لَحْظَةِ  
 الْبَصَرِ وَابْعَدُ بِمَجَالٍ وَهِيَ أَلْفَاظُ فِي أَعْمَاقِ أَوْدِيَةِ الْفِكْرِ وَالْمُتَأَمِّلَةِ  
 لَوْجُوهِ الْعَوَاقِبِ وَالْجَامِعَةِ بَيْنَ مَا غَابَ وَحَضَرَ وَالْمِيزَانَ الشَّاهِدُ عَلَى  
 مَا نَفَعَ وَضَرَ . وَالْقَلْبُ كَأَلْمَلِي لِلْكَلَامِ عَلَى اللِّسَانِ إِذَا نَطَقَ وَآلَيْدُ



إِذَا كَتَبْتُ . وَالْعَاقِلُ يَكْسُو الْمَعَانِي وَشَيَ الْكَلَامِ فِي قَلْبِهِ ثُمَّ  
يُنْدِيهَا بِالْفَظِ كَوَاسٍ فِي أَحْسَنِ زِينَةٍ . وَالْجَاهِلُ يَسْتَجْلِبُ بِإِظْهَارِ  
الْمَعَانِي قَبْلَ الْعِنَايَةِ بِزَيْنِ مَعَارِضِهَا وَأَسْتِكْمَالِ مُحَاسِنِهَا . قِيلَ لِبَشَارِ  
أَنْ بُرْدَ : مَا قُفْتُ أَهْلَ غَمْرِكَ وَسَبَقْتُ أَهْلَ عَصْرِكَ فِي حُسْنِ مَعَانِي  
الشَّعْرِ وَتَهْذِيبِ الْفَظِ . فَقَالَ : لِأَنِّي لَمْ أَقْبَلْ كُلَّ مَا تُورِدُهُ عَلَيَّ  
فَرِيحِي وَيُنَاجِيَنِي بِهِ طَبْعِي وَيَعْنُهُ فِكْرِي . وَنَظَرْتُ إِلَى مَعَارِسِ  
الْفُطْنِ وَمَعَادِنِ الْحَقَائِقِ وَلَطَائِفِ التَّشْبِيهِاتِ فَسَمَّيْتُهَا بِهَا بِفَهْمِ  
جَيْدٍ وَغَرِيزَةٍ قَوِيَّةٍ فَأَحْكَمْتُ سَيْرَهَا وَأَتَّقَيْتُ حُرَّهَا وَكَشَفْتُ عَنْ حَقَائِقِهَا  
وَأَحْتَرَزْتُ مِنْ مُتَكَلِّفِهَا وَمَا مَلَكَ قِيَادِي قَطُّ إِلَّا عَجَابُ شَيْءٍ مِمَّا  
آتَى بِهِ

### المبحث الرابع

### في الحكم على المعاني

( من المثل السائر لاس الاثير باختصار وتصرف )

فَإِذْ هَذَا الْفَضْلُ الْإِحَاطَةُ بِأَسَالِيبِ الْمَعَانِي عَلَى اخْتِلَافِهَا  
وَتَبَيُّانِهَا . وَصَاحِبُ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ مُفْتَقِرٌ إِلَى هَذَا الْفَضْلِ وَالَّذِي يَلِيهِ  
بِخِلَافٍ غَيْرِهِمَا مِنْ هَذِهِ الْفُضُولِ الْمَذْكُورَةِ لَا سِيَّمَا مُفْتَسِرِي الْأَشْعَارِ  
فَإِنَّهُمْ بِهِ أَغْنَى . وَاعْلَمْ أَنَّ الْأَضْلَ فِي الْمَعْنَى أَنْ يُجْمَلَ عَلَى ظَاهِرِ  
لَفْظِهِ وَمَنْ يَذْهَبُ إِلَى التَّأْوِيلِ يَفْتَقِرُ إِلَى دَلِيلٍ كَقَوْلِ الْقَائِلِ :  
وَيَا بَكَ فَطَهَّرْ . فَالظَّاهِرُ مِنْ لَفْظِ (الْيَابِ) هُوَ مَا يُلْبَسُ وَمَنْ تَأَوَّلَ  
ذَهَبَ إِلَى أَنَّ الْمُرَادَ هُوَ الْقَلْبُ لَا الْمَلْبُوسُ . وَهَذَا لَا بُدَّ لَهُ مِنْ

دَلِيلٍ لِأَنَّهُ غَدُولٌ عَنْ ظَاهِرِ الْفِعْلِ . وَكَذَلِكَ وَرَدَ عَنْ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ : إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تُصَلِّيَ فَادْخُلْ بَيْتَكَ وَاغْلُقْ بَابَكَ . فَالظَّاهِرُ مِنْ هَذَا هُوَ الْبَيْتُ وَالْبَابُ . وَمَنْ تَأَوَّلَ ذَهَبَ إِلَى أَنَّهُ أَرَادَ أَنَّكَ تَجْمَعُ عَلَيْكَ هَمَّ قَلْبِكَ وَتَمْنَعُ أَنْ يَخْطُرَ بِهِ سِوَى أَمْرِ الصَّلَاةِ . فَعَبَّرَ عَنِ الْقَلْبِ بِالْبَيْتِ وَعَنِ الْمَنْعِ الْخَوَاطِرَ الَّتِي تَخْطُرُ أَهْلَ الْبَيْتِ بِالْبَابِ . وَهَذَا يَحْتَاجُ إِلَى دَلِيلٍ لِأَنَّهُ غَدُولٌ عَنْ ظَاهِرِ الْفِعْلِ . فَالْمَعْنَى لِتَحْمُولِ عَلَى ظَاهِرِهِ لَا يَقَعُ فِي تَفْسِيرِهِ خِلَافٌ وَالْمَعْنَى الْمَعْدُولُ عَنْ ظَاهِرِهِ إِلَى التَّأْوِيلِ يَقَعُ فِيهِ الْخِلَافُ إِذَا بَابُ التَّأْوِيلِ غَيْرُ مَحْضُورٍ . وَالْعُلَمَاءُ تَفَاوَتُوا فِي هَذَا فَإِنَّهُ قَدْ يَأْخُذُ بَعْضُهُمْ وَجْهًا ضَعِيفًا مِنَ التَّأْوِيلِ فَيَكْسُوهُ بِعِبَارَتِهِ قُوَّةً تُمَيِّزُهُ عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الْوُجُوهِ الْقَوِيَّةِ فَإِنَّ السَّيْفَ بِضَارِبِهِ

إِنَّ السُّيُوفَ مَعَ الَّذِينَ قُلُوبُهُمْ كَقُلُوبِهِمْ إِذَا اتَّفَقَ الْجَمْعَانِ تَلَقَّى الْحُسَامَ عَلَى جَرَاءَةِ حَدِّهِ وَمِثْلَ الْجَبَانِ يَكْفَى كُلَّ جَبَانٍ وَهَذَا الْفَضْلُ الَّذِي نَحْنُ بِصَدْوِ ذِكْرِهِ هَاهُنَا يَرْجِعُ أَكْثَرُهُ إِلَى التَّأْوِيلِ لِأَنَّهُ أَدْرُؤُ وَلَا يَخْلُو تَأْوِيلُ الْمَعْنَى مِنْ ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ : إِمَّا أَنْ يُفْهَمَ مِنْهُ شَيْءٌ وَاحِدٌ لَا يُحْتَمَلُ غَيْرُهُ . وَإِمَّا أَنْ يُحْتَمَلَ الشَّيْءُ وَغَيْرُهُ . وَتِلْكَ الْقِيزَةُ إِمَّا أَنْ تَكُونَ ضِدًّا أَوْ لَا تَكُونَ ضِدًّا وَلَيْسَ لَنَا قِسْمٌ رَابِعٌ . ( فَالْأَوَّلُ ) يَقَعُ عَلَيْهِ أَكْثَرُ الْأَشْعَارِ وَلَا يَجْرِي فِي الدَّقَّةِ وَاللِّطَاقَةِ بِجَرَى الْقِسْمَيْنِ الْآخَرَيْنِ . ( وَآمَّا الْقِسْمُ الثَّانِي ) فَإِنَّهُ قَلِيلُ الْوُقُوعِ جَدًّا وَهُوَ مِنَ التَّأْوِيلَاتِ الْمَغْنَوِيَّةِ . لِأَنَّ

دَلَالَةَ اللَّفْظِ عَلَى الْغِنَى وَضِدَّوْهُ أَغْرَبُ مِنْ دَلَالَتِهِ عَلَى الْغِنَى وَغَيْرِهِ .  
فِيمَا جَاءَ مِنْهُ قَوْلُهُ : إِذَا لَمْ تَسْتَحْ فَأَضْعْ مَا شِئْتَ . وَهَذَا يَشْتَبِلُ عَلَى  
مَعْنَيْنِ ضِدَّيْنِ : ( أَحَدُهُمَا ) أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ إِذَا لَمْ تَفْعَلْ فَعَلًا تَسْتَحِي  
مِنْهُ فَأَفْعَلْ مَا شِئْتَ . ( وَالْآخَرُ ) أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَكَ  
حَيَاءٌ يَنْزَعُكَ عَنْ فِعْلِ مَا يُسْتَحَى مِنْهُ فَأَفْعَلْ مَا شِئْتَ . وَهَذَانِ  
مَعْنَيَانِ ضِدَّانِ أَحَدُهُمَا مَدْحٌ وَالْآخَرُ ذَمٌّ . وَيَجْرِي عَلَى هَذَا النَّفْعُ مِنَ  
الشَّعْرِ قَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ فِي قَصِيدَةٍ يَمْدَحُ بِهَا كَافُورًا :

وَأَظْلَمُ أَهْلِ الظُّلْمِ مَنْ بَاتَ حَاسِدًا لِمَنْ بَاتَ فِي نِعْمَانِهِ يَتَقَلَّبُ  
وَهَذَا أَلْبَيْتٌ يُسْتَحْجَجُ مِنْهُ مَعْنَيَانِ ضِدَّانِ : ( أَحَدُهُمَا ) أَنَّ الْمُنْعَمَ  
عَلَيْهِ يَحْسِدُ الْمُنْعَمَ . ( وَالْآخَرُ ) أَنَّ الْمُنْعَمَ يَحْسِدُ الْمُنْعَمَ عَلَيْهِ . وَكَذَلِكَ  
وَرَدَّ قَوْلُهُ أَيْضًا مِنْ قَصِيدَةٍ يَمْدَحُهُ :

فَإِنْ نِلْتُ مَا أَمَلْتُ مِنْكَ فَرَبَّمَا شَرِبْتُ رَبَّمَا يُعْجِزُ الطَّيْرَ وَرِزْدُهُ  
فَإِنَّ هَذَا أَلْبَيْتٌ يَحْتَمِلُ مَدْحًا وَذَمًّا وَإِذَا أُخِذَ بِمُفْرَدِهِ مِنْ غَيْرِ  
نَظَرٍ إِلَى مَا قَبْلَهُ فَإِنَّهُ يَكُونُ بِالذَّمِّ أَوَّلَى مِنْهُ بِالْمَدْحِ لِأَنَّهُ يَتَضَمَّنُ  
وَصْفَ نَوَالِهِ بِالْبُعْدِ وَالشَّدَوِذِ وَصَدْرُ أَلْبَيْتٍ مُفْتَتَحٍ ( بِإِن ) الشَّرْطِيَّةِ وَقَدْ  
أَجِيبَ بِلَفْظَةِ ( رَبِّ ) الَّتِي مَعْنَاهَا التَّقْلِيلُ أَيْ : لَسْتُ مِنْ نَوَالِكَ عَلَى  
يَقِينٍ فَإِنَّ نِلْتَهُ فَرَبَّمَا وَصَلْتُ إِلَى مُورِدٍ لَا يَصِلُ إِلَيْهِ الطَّيْرُ ابْعُدْهُ .  
وَإِذَا نُظِرَ إِلَى مَا قَبْلَ هَذَا أَلْبَيْتِ دَلَّ عَلَى الْمَدْحِ خَاصَّةً لِأَرْبَابِهِ  
بِالْغِنَى الَّذِي قَبْلَهُ . وَكَثِيرًا مَا كَانَ يَقْصِدُ الْمُتَشَبِّهُ هَذَا الْقِسْمَ فِي شَعْرِهِ  
كَقَوْلِهِ مِنْ قَصِيدَةٍ أَوَّلُهَا :

عَذُوكَ مَذْمُومٌ بِكُلِّ لِسَانٍ وَلَوْ كَانَ مِنْ أَعْدَائِكَ الْقَمْرَانِ  
وَلِلَّهِ سِرٌّ فِي عُصَاكَ وَإِنَّمَا كَلَامُ الْعِدَى ضَرْبٌ مِنَ الْهَذْيَانِ  
ثُمَّ قَالَ :

فَمَا لَكَ تَغْنِي بِالْأَنَسَةِ وَالْقَنَا وَجَدَّكَ طَعَانٌ بِغَيْرِ سِنَانٍ  
فَإِنَّ هَذَا بِالذَّمِّ أَشْبَهُ مِنْهُ بِالذُّخِّ لِأَنَّهُ يَقُولُ : لَمْ تَبْلُغْ مَا بَلَغْتَهُ  
بِسُغْيِكَ وَاهْتِمَامِكَ بَلْ بِجِدِّ وَسَعَادَةٍ . وَهَذَا لَا فَضْلَ فِيهِ لِأَنَّ السَّعَادَةَ  
تَنَالُ الْخَائِلُ وَالْجَاهِدَ وَمَنْ لَا يَسْتَحْتُمُهَا . وَكَثُرَ مَا كَانَ الْمُتَسَتِّي  
يَسْتَفْعِلُ هَذَا الْقِسْمَ فِي قَصَائِدِهِ الْكَافُورِيَّاتِ . . . . . وَهَذَا الْقِسْمُ مِنَ  
الْكَلَامِ يُسَمَّى الْمَوْجَهَ أَيُّ لَهُ وَجْهَانِ وَهُوَ يَمَّا يَدُلُّ عَلَى بَرَاءَةِ الشَّاعِرِ  
وَحُسْنِ تَأْيِيهِ . ( وَأَمَّا الْقِسْمُ الثَّلَاثُ ) فَإِنَّهُ يَكُونُ أَكْثَرَ وَقُوعًا مِنْ  
الْقِسْمِ الثَّانِي وَهُوَ وَاسِطَةٌ بَيْنَ طَرَفَيْنِ . لِأَنَّ الْقِسْمَ الْأَوَّلَ كَثِيرُ  
الْوُقُوعِ . وَالْقِسْمَ الثَّانِي قَلِيلُ الْوُقُوعِ . وَهَذَا الْقِسْمُ الثَّلَاثُ وَسَطٌ  
بَيْنَهُمَا فَمَّا جَاءَ مِنْهُ قَوْلُهُ : وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ . فَإِنَّ هَذَا لَهُ وَجْهَانِ  
وَمِنْ التَّأْوِيلِ أَحَدُهُمَا الْقَتْلُ الْحَقِيقِيُّ الَّذِي هُوَ مَعْرُوفٌ وَالْآخَرُ هُوَ  
الْقَتْلُ الْحَاجَزِيُّ وَهُوَ الْإِكْبَابُ عَلَى الْعَاصِي فَإِنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا أَكَبَّ  
عَلَى الْعَاصِي قَتَلَ نَفْسَهُ فِي الْآخِرَةِ . . . . . وَمِمَّا يَجْرِي عَلَى هَذَا النَّهْجِ  
مَا يُنْحَكِي عَنْ أَفْلَاطُونٍ أَنَّهُ قَالَ : تَرَكُ الدَّوَاءَ دَوَاءً . فَذَهَبَ بَعْضُ  
الْأَطِبَّاءِ إِلَى أَنَّهُ أَرَادَ : إِنْ لَطَفَ الْمَزَاجُ وَأَنْتَهَى إِلَى غَايَةٍ لَا يَحْتَمِلُ  
الدَّوَاءَ فَتَرَكُهُ حِينَئِذٍ وَالْإِضْرَابُ عَنْهُ دَوَاءً . وَذَهَبَ آخَرُونَ إِلَى أَنَّهُ  
أَرَادَ بِالَّتَرْكِ الْوَضْعَ أَيُّ : وَضَعَ الدَّوَاءَ عَلَى الدَّاءِ دَوَاءً . يُشِيرُ بِذَلِكَ

إِلَى حَذَقِ الطَّيِّبِ فِي أَرْقَاتِ عِلَاجِهِ . وَمِثْلُهُ فِي الشَّعْرِ قَوْلُ الْفَرَزْدَقِ :  
 إِذَا جَفَعْتُ مَرَّتَ عَلَى هَضْبَةِ الْحَمَى فَقَدْ أَخَذَ الْأَحْيَاءُ وَنَهَا قُبُورَهَا  
 وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى مَعْنَيْنِ : ( أَحَدُهُمَا ) ذَمُّ الْأَحْيَاءِ وَالْآخَرُ ذَمُّ الْأَمْوَاتِ .  
 أَمَّا ( ذَمُّ الْأَحْيَاءِ ) فَهُوَ أَنَّهُمْ خَذَلُوا الْأَمْوَاتَ يُرِيدُ أَنَّهُمْ تَلَقَّوْا قَتْلَهُمْ  
 وَقَوْمًا آخَرِينَ فَقَرَّ الْأَحْيَاءُ عَنْهُمْ وَأَسَدُّهُمْ أَوْ إِنَّهُمْ اسْتَجَدُّوهُمْ فَلَمْ  
 يُجِدُوهُمْ . وَأَمَّا ( ذَمُّ الْأَمْوَاتِ ) فَهُوَ أَنَّ لَهُمْ مَخَارِي وَفَضَائِحَ تُجِبُّ عَارًا  
 وَشَرَارًا فَهُمْ يَعُدُّونَ بِهَا الْأَحْيَاءَ وَيُلْصِقُونَهَا بِهِمْ . وَعَلَى هَذَا وَرَدَ قَوْلُ  
 أَبِي تَمَّامٍ :

بِالشَّعْرِ طُولٌ إِذَا اضْطَكَّتْ قَصَائِدُهُ

فِي مَعْشَرٍ وَبِهِ عَن مَعْشَرٍ قَصْرٌ  
 فَهَذَا أَلْيَتُ يُحْتَمِلُ تَأْوِيلَيْنِ . ( أَحَدُهُمَا ) أَنَّ الشَّعْرَ يَتَسَعَّ بِحَالِهِ  
 بِمَدْحِكَ وَيَضِيقُ بِمَدْحٍ غَيْرِكَ . يُرِيدُ بِذَلِكَ أَنَّ مَا يُرَدُّ كَثِيرَةٌ وَمَا آثَرُ  
 غَيْرِهِ قَلِيلَةٌ . ( وَالْآخَرُ ) أَنَّ الشَّعْرَ يَكُونُ ذَا فَخْرٍ وَنَبَاهَةٍ بِمَدْحِكَ وَذَا  
 حَمُولٍ بِمَدْحٍ غَيْرِكَ . فَلَنُظَلِّهِ الطُّوْلُ : يَفْهَمُ وَنَهَاضُ الْقَصْرِ وَيَفْهَمُ وَنَهَا  
 أَلْفَخْرٍ مِنْ قَوْلِنَا : طَالَ فُلَانٌ عَلَى فُلَانٍ أَيْ فَخَّرَ عَلَيْهِ . وَمِمَّا يَنْتَظِمُ  
 بِهِذَا السِّلَكِ قَوْلُ أَبِي كَبِيرٍ الْهَنْدَلِيِّ :

عَجِثُ لِسَعِي الدَّهْرِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ فَلَمَّا انْقَضَى مَا بَيْنَنَا سَكَنَ الدَّهْرُ  
 وَهَذَا يُحْتَمِلُ وَجْهَيْنِ مِنَ التَّأْوِيلِ . ( أَحَدُهُمَا ) أَنَّهُ أَرَادَ بِسَعِي  
 أَلَدَّهِرٍ سُرْعَةً تَقْضِي الْأَوْقَاتَ مُدَّةَ الْوَصَالِ . فَلَمَّا انْقَضَى الْوَصْلُ عَادَ  
 أَلَدَّهِرُ إِلَى حَالَتِهِ فِي السُّكُونِ وَالْبَطْ . ( وَالْآخَرُ ) أَنَّهُ أَرَادَ بِسَعِي

الدَّهْرُ بِالْأَنَامِ وَالْوَشَايَاتِ فَلَمَّا أَتَقَضَى مَا كَانَ بَيْنَهُمَا مِنَ الْوَصْلِ  
سَكَنُوا أَوْ تَرَكُوا السَّعَايَةَ . وَهَذَا مِنْ بَابِ وَضَعَ الْإِضَافِ إِلَيْهِ مَكَانَ  
الْإِضَافِ كَقَوْلِهِ : وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ أَيَّ أَهْلِ الْقَرْيَةِ . وَمِنْ الدَّقِيقِ  
الْمَعْنَى فِي هَذَا أَلْبَابِ قَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ الْمُنْتَبِي فِي عَضِدِ الدَّوْلَةِ وَنَ  
جُمْلَةِ قَصِيدَتِهِ الَّتِي أَوَّلُهَا ( أَوْ بِدِيلٍ مِنْ قَوْلِي وَاهَا ) فَقَالَ :

لَوْ فَطَنْتُ خَيْلَهُ لَنَائِلِهِ لَمْ يُرِضْهَا أَنْ تَرَاهُ يُرِضَاهَا  
وَهَذَا يُسْتَنْبَطُ مِنْهُ مَعْنِيَانِ . ( أَحَدُهُمَا ) أَنْ خَيْلَهُ لَوْ عَلِمَتْ  
وَمَقْدَارَ عَطَايَاهُ الْفَاسِدَةِ لَمَا رَضِيَتْ لَهُ بِأَنْ تَكُونَ مِنْ جُمْلَةِ عَطَايَاهُ لِأَنَّ  
عَطَايَاهُ أَتَقَسُّ مِنْهَا . ( الْآخَرُ ) أَنَّ خَيْلَهُ لَوْ عَلِمَتْ أَنَّ يَهْبِئُهَا مِنْ جُمْلَةِ  
عَطَايَاهُ لَمَا رَضِيَتْ ذَلِكَ إِذْ تَكْرَهُ خُرُوجَهَا عَنْ مَلِكِهِ . وَهَذَا مِنَ الْجَوَاهِرِ  
أَنَا ذَكَرْتُهَا وَإِنَّا الْمَذْكُورُ مِنْهُمَا أَحَدُهُمَا . وَهَذَا الَّذِي أَشْرْتُ إِلَيْهِ  
مِنْ الْكَلَامِ عَلَى الْمَعَانِي وَتَأْوِيلَاتِهَا كَفِ لِمَنْ عِنْدَهُ ذَوْقٌ وَلَهُ قُوَّةٌ  
عَلَى حَمَلِهَا عَلَى أَشْبَاهِهَا وَظَاهِرِهَا

### البحث الخامس

## في الترجيح بين المعاني

( عن المثل السائر باختصار )

هَذَا الْفَضْلُ هُوَ وَبِزَانِ الْخَوَاطِرِ الَّذِي يُوزَنُ بِهِ نَقْدُ دِرْهَمِهَا  
وَدِينَارِهَا بَلِ الْحِكْمُ الَّذِي يَعْلَمُ مِنْهُ وَمَقْدَارُ عِيَارِهَا وَلَا يَزِنُ بِهِ إِلَّا ذُو  
فِكْرَةٍ مُتَقَدِّدَةٍ وَلَحْظَةٍ مُتَقَدِّدَةٍ . فَلَيْسَ كُلُّ مَنْ حَمَلَ مِيزَانًا سَتِي صَرَفًا .

وَلَا كُلُّ مَنْ وَزَنَ بِهِ سُتِيَ عَرَفًا . وَالْفَرْقُ بَيْنَ هَذَا التَّرْجِيحِ وَالتَّرْجِيحِ  
 الْفَقْهِيِّ أَنَّ هُنَاكَ يُرْجَحُ بَيْنَ دَلِيلِي الْخُصْمَيْنِ فِي حُكْمٍ شَرْعِيٍّ وَهَهُنَا  
 يُرْجَحُ بَيْنَ جَانِبَيْ فَصَاحَةٍ وَبَلَاغَةٍ فِي أَلْفَاظٍ وَمَعَانٍ خُطَابِيَّةٍ . وَبَيَّانُ  
 ذَلِكَ أَنَّ صَاحِبَ التَّرْجِيحِ الْفَقْهِيَّ يُرْجَحُ بَيْنَ خَبَرِ التَّوَاتُرِ مِثْلًا وَبَيْنَ  
 خَبَرِ الْإِحَادِ أَوْ بَيْنَ الْمُسْنَدِ وَالْمُرْسَلِ أَوْ مَا جَرَى هَذَا الْحَجَرَى . وَهَذَا  
 لَا يُعْرَضُ إِلَيْهِ صَاحِبُ عِلْمِ الْبَيَانِ لِأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ شَأْنِهِ وَلَكِنَّ الَّذِي  
 هُوَ مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يُرْجَحَ بَيْنَ حَقِيقَةٍ وَمَجَازٍ أَوْ بَيْنَ حَقِيقَتَيْنِ أَوْ بَيْنَ  
 مَجَازَيْنِ وَيَكُونُ نَظَرًا فِي ذَلِكَ كُلِّهِ إِلَى الصَّنَاعَةِ الْخُطَابِيَّةِ . وَارْتَبَا  
 اتَّفَقَ هُوَ وَصَاحِبُ التَّرْجِيحِ الْفَقْهِيِّ فِي بَعْضِ الْمَرَاضِعِ كَالْتَّرْجِيحِ بَيْنَ  
 عَامٍ وَخَاصٍّ أَوْ مَا شَابَهُ ذَلِكَ . وَكُنَّا قَدْ قَدَّمْنَا الْقَوْلَ فِي الْحُكْمِ  
 عَلَى الْمَعَانِي وَأَنْقَسَامِهَا . وَلَتَبَيَّنَ فِي هَذَا الْفَصْلِ مَوَاضِعُ التَّرْجِيحِ بَيْنَ  
 وَجُوهٍ تَأْوِيلَاتِيهَا فَنَقُولُ : ( أَمَّا الْقِسْمُ الْأَوَّلُ ) مِنْ الْمَعَانِي فَلَا تَعَلُّقَ  
 لِلتَّرْجِيحِ بِهِ إِذَا مَا دَلَّ عَلَيْهِ ظَاهِرُ لَفْظِهِ لَا يَحْتَمِلُ إِلَّا وَجْهًا وَاحِدًا  
 فَلَيْسَ مِنْ هَذَا الْبَابِ فِي شَيْءٍ . وَالتَّرْجِيحُ إِنَّمَا يَقَعُ بَيْنَ مَعْنَيْنِ يَدُلُّ  
 عَلَيْهِمَا لَفْظٌ وَاحِدٌ وَلَا يَخْلُو التَّرْجِيحُ بَيْنَهُمَا مِنْ ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ إِمَّا أَنْ  
 يَكُونَ اللَّفْظُ حَقِيقَةً فِي أَحَدِهِمَا مَجَازًا فِي الْآخَرِ . أَوْ حَقِيقَةً فِيهِمَا جَمِيعًا  
 أَوْ مَجَازًا فِيهِمَا جَمِيعًا وَلَيْسَ لَنَا قِسْمٌ رَابِعٌ . وَالتَّرْجِيحُ بَيْنَ الْحَقِيقَتَيْنِ أَوْ  
 بَيْنَ الْمَجَازَيْنِ يَحْتَاجُ إِلَى نَظَرٍ . ( وَأَمَّا التَّرْجِيحُ بَيْنَ الْحَقِيقَةِ وَالْمَجَازِ )  
 فَإِنَّهُ يُعْلَمُ بِبَدِيهَةِ النَّظَرِ لِمَكَانِ الْأَخْتِلَافِ بَيْنَهُمَا . وَالسَّبَبَانِ الْمُخْتَلِفَانِ  
 يَظْهَرُ أَلْفَرْقُ بَيْنَهُمَا بِخِلَافٍ مَا يَظْهَرُ بَيْنَ الشَّيْنَيْنِ الْمَشْبَهَيْنِ . . . .

( وَأَمَّا مِثَالُ الْمُنَيْنِ ) إِذَا كَانَا حَقِيقَتَيْنِ فَقَوْلُهُ : أَلْتَمِسُوا الرِّزْقَ فِي حَبَايَا الْأَرْضِ وَالْحَبَايَا حَيَّةٌ وَهِيَ كُلُّ مَا يُحْبَأُ كَأَنَّهَا مَا كَانَ . وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى مَعْنَيْنِ حَقِيقَتَيْنِ : ( أَحَدُهُمَا ) الْكُنُوزُ الْخَبُوءَةُ فِي بُطُونِ الْأَرْضِ . ( وَالْآخَرُ ) الْحَرْثُ وَالْغِرَاسُ . وَجَانِبُ الْحَرْثِ وَالْغِرَاسِ أَرْجَحُ لِأَنَّهُ مُوَاضِعُ الْكُنُوزِ لَا تَعْلَمُ حَتَّى تُلْتَمَسَ وَهُوَ لَا يَأْمُرُ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ شَيْءٌ مُجْهُولٌ غَيْرُ مَعْلُومٍ فَبَقِيَ الْمُرَادُ بِحَبَايَا الْأَرْضِ مَا يُحْرَثُ وَيَغْرَسُ . ( وَأَمَّا مِثَالُ الْحَازِنِ ) فَقَوْلُ أَبِي تَمَامٍ :

قَدْ بَلَوْنَا أَبَا سَعِيدٍ حَدِيثًا وَبَلَوْنَا أَبَا سَعِيدٍ قَدِيمًا  
وَوَرَدَنَاهُ سَاحِلًا وَقَلْبِيًا وَرَعَيْنَاهُ بَارِضًا وَجَمِيًا  
فَعَلَمْنَا أَن لَيْسَ إِلَّا بِشَقِيمٍ أَنفُسُ صَارَ الْكَرِيمُ يَدْعَى كَرِيمًا  
فَالسَّاحِلُ وَالْقَلْبِيُّ يُسْتَخْرَجُ مِنْهُمَا تَأْوِيلَانِ مُجَازِيَانِ : ( أَحَدُهُمَا )  
أَنَّهُ أَرَادَ بِهِمَا الْكَثِيرَ وَالْقَلِيلَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى السَّاحِلِ وَالْقَلْبِيِّ .  
( وَالْآخَرُ ) أَنَّهُ أَرَادَ بِهِمَا السَّبَبَ وَغَيْرَ السَّبَبِ . فَإِنَّ السَّاحِلَ  
لَا يُحْتَاجُ فِي وَرْدِهِ إِلَى سَبَبٍ وَالْقَلْبِيُّ يُحْتَاجُ فِي وَرْدِهِ إِلَى سَبَبٍ .  
وَكِلَاهُمَا هَذَيْنِ الْمُنَيْنِ مُجَازٌ . فَإِنَّ حَقِيقَةَ السَّاحِلِ وَالْقَلْبِيِّ غَيْرُهُمَا  
وَأَوَّلُهُ هُوَ الثَّلَاثِي لِأَنَّهُ هُوَ أَدَلُّ عَلَى بَلَاغَةِ الْقَائِلِ وَمَدْحِ الْقَوْلِ فِيهِ .  
أَمَّا بَلَاغَةُ الْقَائِلِ فَالْإِسْلَامَةُ مِنْ فَحْشَةِ التَّكْرِيرِ بِالْخُفَاةِ بَيْنَ صَدْرِ  
الْبَيِّنَةِ وَعَجْزِهِ . فَإِنَّ عَجْزَهُ يَدُلُّ عَلَى الْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ لِأَنَّ الْبَارِضَ  
هُوَ أَوَّلُ الثَّلَاثِ حِينَ يَبْدُو فَإِذَا كَثُرَ وَتَكَثَّفَ سُمِّيَ حَمِيمًا . فَكَأَنَّهُ  
قَالَ : أَخَذْنَا مِنْهُ تَبَرُّعًا وَمَسْئَلَةً وَقَلِيلًا وَكَثِيرًا . وَأَمَّا مَدْحُ الْقَوْلِ



فِيهِ فَلْتَعَدَادِ حَالَاتِهِ الْأَرْبَعِ فِي تَبَرُّعِهِ وَسَوْءِ إِلِهِ وَإِكْتَارِهِ وَإِقْلَالِهِ وَمَا فِي مَعَانَاةِ هَذِهِ الْأَحْوَالِ مِنَ الْمَشَاقِّ . فَهَذَا إِمَّا يَتَعَلَّقُ بِالْأَرْجَحِ الْمُبْلَغِي بَيْنَ الْحَقِيقَةِ وَالْحَقِيقَةِ وَبَيْنَ الْحَجَازِ وَالْحَجَازِ وَبَيْنَ الْحَقِيقَةِ وَالْحَجَازِ

## المبحث السادس

### في الفصل والوصل

( عن صناعة الترسل لشهاب الدين الحلبي باختصار )

( راجع صفحة ١٨ من علم الادب )

الْفَصْلُ وَالْوَصْلُ هُوَ الْعِلْمُ بِوَضْعِ الْعَطْفِ وَالْإِسْتِثْنَاءِ وَالْهُدَى إِلَى كَيْفِيَّةِ إِيقَاعِ حُرُوفِ الْعَطْفِ فِي وَاضِعِهَا . وَهُوَ مِنْ أَكْثَرِ أَرْكَانِ الْبَلَاغَةِ حَتَّى إِنْ بَعْضُهُمْ حَدَّ الْبَلَاغَةَ بِأَنَّهَا مَعْرِفَةُ الْفَصْلِ وَالْوَصْلِ . وَقَالَ عَبْدُ الْقَاهِرِ : إِنَّهُ لَا يَكْمَلُ لِأَخْرَازِ الْفَضِيلَةِ فِيهِ أَحَدٌ إِلَّا كَمَلَ لِسَائِرِ مَا يَلِي الْبَلَاغَةَ . إِنْ عِلْمُ أَنَّ فَائِدَةَ الْعَطْفِ التَّشْرِيكَ بَيْنَ الْمُعْطُوفِ وَالْمُعْطُوفِ عَلَيْهِ . ثُمَّ مِنْ الْحُرُوفِ الْعَاطِفَةِ مَا لَا يُفِيدُ إِلَّا هَذَا الْقَدْرَ وَهُوَ أَلُوَاوُ . وَمِنْهَا مَا يُفِيدُ فَائِدَةً زَائِدَةً كَالْفَاءِ وَثَمَّ وَاوُ . وَغَرَضُنَا هَاهُنَا تَعَلُّقُ مَا لَا يُفِيدُ إِلَّا الْإِسْتِرَاكَ فَقَوْلُ : الْعَطْفُ إِمَّا أَنْ يَكُونَ فِي الْمَفْرَدَاتِ كَقَوْلِكَ : مَرَرْتُ بِرَجُلٍ خَلَقَهُ حَسَنٌ وَخُلِقَ قَبِيحٌ . فَقَدْ أَشْرَكَتَ بَيْنَهُمَا فِي الْأَعْرَابِ وَالْمَعْنَى لِأَشْتِرَاكِهِمَا فِي كَوْنِ كُلِّ وَاحِدٍ نَهْمًا مُقْتَدًا لِلْمَوْصُوفِ . وَلَا يَتَصَوَّرُ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ مَعْنَى يَقَعُ ذَلِكَ الْإِسْتِرَاكَ فِيهِ وَحَتَّى يَكُونَا كَالنَّظِيرَيْنِ وَالشَّرِيكَيْنِ بِحَيْثُ إِذَا عَرَفَ

السَّمْعُ حَالَةَ الْأَوَّلِ عَسَادُ يَعْرِفُ حَالَةَ الثَّانِي . يَذْكَرُ عَلَى ذَلِكَ أَنَّكَ إِذَا عَطَفْتَ عَلَى الْأَوَّلِ شَيْئًا لَيْسَ مِنْهُ سَبَبٌ وَلَا هُوَ بِمَا يَذْكَرُ بِذِكْرِهِ لَمْ يَسْتَقِمْ . فَلَوْ قُلْتَ : ( خَرَجْتُ الْيَوْمَ مِنْ دَارِي وَاحْسَنَ الَّذِي يَقُولُ بَيِّنَ كَذَا ) قُلْتَ مَا يُضْحِكُ مِنْهُ . وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي قُوَّةِ الْفَرْدِ فَهُوَ عَلَى قَسَمَيْنِ : ( الْأَوَّلُ ) أَنْ يَكُونَ مَعْنَى أَحَدَى الْجُمْلَتَيْنِ لِدَاثِهِ مُتَعَلِّقًا بِمَعْنَى الْأُخْرَى كَمَا إِذَا كَانَتْ كَالْتَوْكِيدِ لَهَا أَوْ كَالصِّفَةِ فَلَا يَجُوزُ ادْخَالُ الْعَاطِفِ عَلَيْهِ لِأَنَّ التَّوْكِيدَ وَالصِّفَةَ مُتَعَلِّقَانِ بِالْمَوْكَّدِ وَالْمَوْصُوفِ لِذَاتِيهِمَا . وَالتَّعَلُّقُ الذَّائِي يُغْنِي عَنْ لَفْظِ يَذْكَرُ عَلَى التَّعَلُّقِ . فَمَثَالُ التَّوْكِيدِ قَوْلُهُ : وَمَنْ النَّاسُ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَيَا أَيُّهَا الْآخِرُ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ . وَلَمْ يَقُلْ : ( وَيُخَادِعُونَ ) لِأَنَّ الْخَادِعَةَ لَيْسَتْ شَيْئًا غَيْرَ قَوْلِهِمْ : آمَنَّا مَعَ أَنَّهُمْ غَيْرُ مُؤْمِنِينَ . وَمِمَّا جَاءَ فِيهِ الْإِتِّبَاتُ ( بَيِّنَ وَإِلَّا ) عَلَى هَذَا أَحَدُ قَوْلِهِ : إِنَّهُ هُوَ الْوَخِيُّ يُوْحِي . فَالْإِتِّبَاتُ فِي قَوْلِهِ تَأْكِيدٌ لِنَفْيِ مَا يُنْفَى . ( الْقِسْمُ الثَّانِي ) أَنْ يَكُونَ بَيْنَ الْجُمْلَتَيْنِ تَعَلُّقٌ ذَائِيٌّ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمَا مُنَاسَبَةٌ فَجِبَّ تَرْكُ الْعَاطِفِ أَيْضًا لِأَنَّ الْعَاطِفَ لِلتَّشْرِيكِ وَلَا تَشْرِيكَ . وَمِنْ هَاهُنَا عَابُوا عَلَى أَبِي قَامَ قَوْلُهُ :

لَا وَالَّذِي عَالِمٌ أَنَّ النَّوَى مُرٌّ وَأَنَّ أَبَا الْحُسَيْنِ كَرِيمٌ  
إِذْ لَا مُنَاسَبَةَ بَيْنَ مَرَارَةِ النَّوَى وَبَيْنَ كَرَمِ أَبِي الْحُسَيْنِ . وَلِذَلِكَ لَمْ يُخَسِّنْ جَوَازَ الْعَاطِفِ . وَإِنْ كَانَ بَيْنَهُمَا مُنَاسَبَةٌ فَمَا أَنْ يَكُونَ بِالَّذِي أُخْبِرَ بِهِمَا أَوْ بِالَّذِي أُخْبِرَ عَنْهُمَا أَوْ بِهِمَا كِلَيْهِمَا . وَهَذَا الْآخِرُ

هو الْمُعْتَبَرُ فِي الْعَظْفِ وَمَعْنَى الْمُنَاسَبَةِ أَنْ يَكُونَا مُتَشَابِهَيْنِ كَقَوْلِكَ :  
 زَيْدٌ كَاتِبٌ وَعَمْرُو . أَوْ مُتَضَادَّيْنِ تَضَادًّا عَلَى الْخُصُوصِ كَقَوْلِكَ : زَيْدٌ  
 طَوِيلٌ وَعَمْرُو قَصِيرٌ . وَكَقَوْلِكَ : الْعَالَمُ حَسَنٌ وَالْجَهْلُ قَبِيحٌ . فَلَوْ  
 قُلْتَ : زَيْدٌ طَوِيلٌ وَعَمْرُو شَاعِرٌ اخْتَلَّ إِذَا لَا مُنَاسَبَةَ بَيْنَ طُولِ الْقَامَةِ  
 وَالشَّعْرِ . وَإِنْ كَانَ أَلْعَدْتُ عَنْهُ فِي الْجَمْعَيْنِ شَيْئًا وَاحِدًا كَقَوْلِكَ :  
 فَلَانٌ يَقُولُ وَيَفْعَلُ وَيَضُرُّ وَيَنْفَعُ وَيَأْمُرُ وَيَنْهَى وَيُسَيِّئُ وَيُحْسِنُ . يَجِبُ  
 إِدْخَالُ الْعَاطِفِ فَإِنَّ الْفَرْضَ جَعَلَهُ فَأَيْلًا لِلْمَرْمِينِ . فَلَوْ قُلْتَ : يَقُولُ  
 يَفْعَلُ بِلَا عَاطِفٍ لَتَوَهَّمَ أَنَّ الثَّانِي رُجُوعٌ عَنِ الْأَوَّلِ . وَإِذَا أَفَادَ  
 الْعَاطِفُ الْإِجْتِمَاعَ أَزْدَادَ الْإِسْتِرَاكَ كَقَوْلِكَ : أَلْعَجِبُ مِنْ أَنَّكَ أَحْسَنْتَ  
 وَأَسَاتَ . وَأَلْعَجِبُ مِنْ أَنَّكَ تَنْهَى عَنْ شَيْءٍ تَأْتِي وَمِثْلُهُ . وَكَقَوْلِهِ :  
 لَا تَطْمَعُوا أَنْ تَهَيِّنُونَا وَتُنْكَرَ مَكْمَلُكُمْ وَأَنْ نَكُفَّ الْأَذَى عَنْكُمْ وَتُوذُونَا  
 فَإِنَّ الْمَعْنَى جَعَلَ الْفَعْلَيْنِ فِي حُكْمٍ وَاحِدٍ أَيْ لَا تَطْمَعُوا أَنْ  
 تَرَوْا إِكْرَاهَنَا إِيَّاكُمْ يُوجِدُ مَعَ إِهَانَتِكُمْ إِيَّانَا . وَأَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ يَجِبُ  
 إِسْقَاطُ الْعَاطِفِ فِي بَعْضِ الْمَوَاضِعِ لِاخْتِلَالِ الْمَعْنَى عِنْدَ إِتْبَاعِهِ  
 كَقَوْلِهِ : وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا : إِنَّا نَحْنُ  
 مُصْحِحُونَ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ . فَقَوْلُهُ : (أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ) كَلَامٌ  
 مُسْتَأْتَفٌ وَهُوَ إِخْبَارٌ . ثُمَّ . فَلَوْ أَتَى بِالْوَاوِ لَكَانَ إِخْبَارًا عَنِ الْيَهُودِ  
 بِأَنَّهُمْ وَصَفُوا أَنْفُسَهُمْ بِأَنَّهُمْ مُفْسِدُونَ فَجِئْتُ بِالْمَعْنَى . قَالَ عَبْدُ الْقَاهِرِ :  
 وَإِذَا اسْتَقْرَيْتَ وَجَدْتَ هَذَا الَّذِي ذَكَرْتَ لَكَ مِنْ تَرْجِيلِهِمُ الْكَلَامَ  
 إِذَا جَاءَ بِعَقَبٍ مَا يَقْتَضِي سُؤَالَ تَرْجِيلِهِ إِذَا صَرَّحَ بِذَلِكَ السُّؤَالِ

كثيراً . فَمَنْ لَطِيفِ ذَلِكَ قَوْلُهُ :

زَعَمَ الْعَوَازِلُ أَنِّي فِي غَمْرَةٍ صَدَّقُوا وَلَكِنْ غَمْرَتِي لَا تَبْجَلِي  
لَا حَكِي عَنِ الْعَوَازِلِ قَوْلُهُمْ إِنَّهُ فِي غَمْرَةٍ وَكَانَ ذَلِكَ بِمَا نَحْرَكَ  
السَّامِعَ عَلَى أَنْ يَسْأَلَهُ : فَأَجَابَكَ عَنْ ذَلِكَ . أَخْرَجَ الْكَلَامَ مُخْرَجَهُ  
إِذَا كَانَ قَدْ قِيلَ فَقَالَ : أَقُولُ صَدَّقُوا . أَنَا كَمَا قَالُوا وَلَكِنْ لَا مَطْمَعَ  
لَهُمْ فِي فَلَاحِي . وَلَوْ قَالَ : وَصَدَّقُوا لَكِنْ لَمْ يَضَعْ نَفْسَهُ فِي أَنَّهُ  
مَسْئُولٌ . وَأَمَّا ذَلِكَ كَثِيرَةٌ . وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَلَا حَاجَةَ إِلَى  
الْعَاطْفِ بِخِلَافِ قَوْلِهِ : يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ . وَمَكْرُوا وَمَكَرَ  
اللَّهُ : فَانْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْجَمْعَيْنِ خَبَرٌ

( وَمَا يَجِبُ ) ذِكْرُهُ هَاهُنَا الْجُمْلَةُ إِذَا وَقَعَتْ حَالًا فَانْهَا تَجِيءُ مَعَ الْوَاوِ  
تَارَةً وَبِدُونِهَا أُخْرَى . فَقَوْلُ الْجُمْلَةِ إِذَا وَقَعَتْ حَالًا فَلَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ  
خَبَرِيَّةً تَحْتَمِلُ الصِّدْقَ وَالْكَذْبَ وَهُوَ عَلَى قِسْمَيْنِ : ( الْأَوَّلُ ) وَلَهُ  
أَحْوَالٌ : ( الْأَوَّلَى ) أَنْ يَجْمَعَ لَهَا بَيْنَ الْوَاوِ وَضَمِيرِ صَاحِبِ الْحَالِ كَقَوْلِكَ :  
جَاءَ زَيْدٌ وَمَعَهُ غُلَامُهُ وَلَقِيتُ زَيْدًا وَفَرَسَهُ سَابِقُهُ . وَهَذِهِ الْوَاوُ تُسَمَّى  
وَإِوَالِحًا . ( الثَّانِيَّةُ ) أَنْ تَجِيءَ بِالضَّمِيرِ مِنْ غَيْرِ وَإِوَاكُ قَوْلِكَ :  
كَلِمَتُهُ فُوهَ إِلَى فِي . وَهُوَ فِي مَعْنَى مُشَافَهَا وَالرَّابِطُ الضَّمِيرُ . ( الثَّالِثَةُ )  
أَنْ تَجِيءَ بِالْوَاوِ مِنْ غَيْرِ ضَمِيرٍ وَهُوَ كَثِيرٌ كَقَوْلِكَ : لَقِيتُكَ وَأُلْجِشُ  
قَادِمُ . وَذَرْتَنِي وَالشِّتَاءَ خَارِجُ . قَالَ أَمْرُو الْقَيْسِ :

وَقَدْ اغْتَدِي وَالطَّيْرُ فِي وَكُنَاتِهَا يُبْجَرِدُ قَيْدَ الْوَاوِ بِهَيْكَلِ  
وَيُجَوِّزُ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَ حَالَيْنِ : مُفْرَدٌ وَجُمْلَةٌ . إِذَا أَجَزْنَا وَتَوَعَّ حَالَيْنِ

كَقَوْلِكَ : لَقِيتُكَ رَاكِبًا وَالْحَسَنُ قَادِمٌ . فَأَجْلَمَهُ حَالُهُ مِنَ الْتَأَهُ أَوْ  
مِنَ الْكَافِ وَالْعَامِلُ فِيهَا (لَقِيتُ) أَوْ مِنْ ضَمِيرِ (رَاكِبٍ) وَرَاكِبٌ  
هُوَ الْعَامِلُ فِيهَا . (الْقِسْمُ الثَّانِي) الْجُمْلَةُ الْفِعْلِيَّةُ . وَلَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ  
مَاضِيًا أَوْ مُضَارِعًا . أَمَّا الْمَاضِي فَلَا بُدَّ مَعَهُ مِنَ الْإِثْنَانِ بِالْوَاوِ وَقَدْ  
أَوْ بِأَحَدِهِمَا كَقَوْلِكَ : نَكَلَمْتُ وَقَدْ عَجَلْتُ . وَجَاءَ زَيْدٌ قَدْ ضَرَبَ  
غَمْرًا . وَجِئْتُ وَاسْرَعْتُ فِي الْحَجِي . وَلَمْ يُجْزِ الْبَصْرِيُّونَ خُلُوهُ عَنْهُمَا  
وَقَالُوا فِي قَوْلِ أَبِي صَخْرٍ الْهَذْلِيُّ :

وَأَيُّ لَتَعْرُونِي لَذِكْرَاكَ هِزَّةٌ كَمَا اتَّقَفَضَ الْعُضْفُورُ بَلَلَهُ الْقَطْرُ  
إِنَّ (قَدْ) مُقَدَّرَةٌ فِيهَا فَإِنَّ الشَّيْءَ إِذَا عُرِفَ مَوْضِعُهُ جَازَ حَذْفُهُ .  
وَأَمَّا الْمُضَارِعُ فَإِنْ كَانَ مُوجِبًا فَلَا يُوْثِقُ مَعَهُ بِالْوَاوِ تَقُولُ : جَاءَ زَيْدٌ  
يَضْحَكُ وَجَاءَ غَمْرٌ يُسْرِعُ وَجَلَسَ يُحْدِثُنَا (بِالزَّعْفَرَانِ) أَيُّ مُحَمَّدًا لَنَا  
بِتَجْرِيدِهِ عَمَّا يُغَيِّرُ مَعْنَاهُ أَشْبَهَ أَنْتُمْ الْفَاعِلَ إِذَا وَقَعَ حَالًا . وَإِنْ كَانَ  
مَنْفِيًا جَازَ حَذْفُ الْوَاوِ مُرَاعَاةً لِأَصْلِ الْفِعْلِ الَّذِي هُوَ الْإِيجَابُ وَجَازَ  
إِثْبَاتُهَا لِأَنَّ الْفِعْلَ لَيْسَ هُوَ الْحَالُ . فَإِنَّ مَعْنَى قَوْلِكَ : (جَلَسَ زَيْدٌ  
وَلَمْ يَتَكَلَّمْ) جَلَسَ زَيْدٌ غَيْرُهُ تَكَلَّمَ . فَجَرَى مَجْرَى الْجُمْلَةِ الْأَسْمِيَّةِ .  
فَالْحَذْفُ كَقَوْلِكَ : جَاءَ زَيْدٌ مَا يَفُوهُ بِنْتِ شَفَةِ . وَكَقَوْلِهِ : أَحَلَّنَا  
دَارَ الْقَلَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا نُعُوبٌ . فَقَوْلُهُ :  
(لَا يَمَسُّنَا) فِي مَوْضِعِ نَصَبٍ عَلَى الْحَالِ مِنْ ضَمِيرِ الَّرَفُوعِ فِي أَحَلَّنَا .  
وَالْإِثْبَاتُ كَقَوْلِكَ : جَلَسَ زَيْدٌ وَلَمْ يَتَكَلَّمْ . وَقَالَ : أَفَلَا يَرُونَ  
أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا . وَشَبَّهُوا بِهِ الْفِعْلَ

الْمَلْأِي قَالُوا : جَاءَ زَيْدٌ مَا ضَرَبَ عَمْرًا . وَجَاءَ زَيْدٌ وَمَا ضَرَبَ عَمْرًا

### البحث السابع

في تأكيد الكلام وقصره وتعزيزه وإنما

( عن صناعة (الترسل ايضا )

( راجع صفحة ١٩ من علم الادب )

أَمَّا ( إِنَّ ) فَلَهَا فَوَائِدُ : ( الأولى ) أَنَّهَا تَرْبِطُ الْجُمْلَةَ الثَّانِيَةَ  
بِالْأُولَى وَبِسَبَبِهَا يَحْضُلُ التَّأْلِيفُ بَيْنَهُمَا حَتَّى كَانَ الْكَلَامُ مُفْرَغًا  
أَفْرَاغًا وَاحِدًا وَلَوْ أَسْقَطْنَا كَانَ الثَّانِي نَائِبًا عَنِ الْأَوَّلِ كَقَوْلِهِ :  
يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ . ( الثَّانِيَةُ )  
أَنَّكَ تَرَى لِضَمِيرِ الشَّانِ وَالْقِصَّةِ فِي الْجُمْلَةِ الشَّرْطِيَّةِ مَعَ ( إِنَّ ) وَنَ  
الْحُسْنِ وَاللُّطْفِ مَا لَا تَرَاهُ إِذَا هِيَ لَمْ تَدْخُلْ عَلَيْهَا كَقَوْلِهِ : إِنَّهُ  
مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ . ( الثَّالِثَةُ ) أَنَّهَا  
تُهِتِي النِّكَرَةَ وَتُضِلُّهَا لِأَن يَحْدَثَ عَنْهَا وَإِنْ كَانَتْ النِّكَرَةُ مَوْضُوعَةً  
جَازَ حَذْفُهَا وَلَكِنْ دَخُولُهَا أَضْلَحُ كَقَوْلِ حَسَنِ :

إِنَّ دَهْرًا يَلْفُ شَمْلِي بِجُمْلٍ لَزَمَانٌ بِهِمُ بِالْإِحْسَانِ  
( الرَّابِعَةُ ) أَنَّهَا تُغْنِي عَنِ الْخَبَرِ كَمَا إِذَا قِيلَ لَكَ : النَّاسُ  
الْبُؤَا عَلَىكُمْ فَهَلْ لَكُمْ أَحَدٌ . فَقُلْتُ : إِنَّ زَيْدًا أَوْ إِنَّ عَمْرًا .  
أَيَّ لَنَا . قَالَ الْأَعَشَى :

إِنَّ مَحَلًّا وَإِنْ مُرْتَحِلًا وَإِنْ فِي السَّفَرِ إِذْ مَضَوْا مَهَلًا

(الْحَامِسَةُ) قَالَ الْمُرَدُّ إِذَا قُلْتَ : إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ قَائِمٌ . فَهُوَ  
جَوَابٌ عَنْ سُؤَالِ سَائِلٍ . فَإِذَا قُلْتَ : إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ لِقَائِمٌ . فَهُوَ جَوَابٌ  
عَنْ انْكَارِ مُنْكَرٍ لِقِيَامِهِ سَوَاءٌ كَانَ الْمُنْكَرُ هُوَ السَّائِلُ أَوِ الْخَاضِرِينَ  
(وَأَمَّا إِنَّمَا) فَتَارَةٌ تَحْيِي لِلْمُحْضَرِ بِمَعْنَى أَنَّ هَذَا الْحُكْمَ لَا يُوجَدُ فِي  
سِيرِ الْمَذْكُورِ وَهُوَ بِمَنْزِلَةِ (لَيْسَ إِلَّا) كَقَوْلِهِ : إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ  
يَسْمَعُونَ . وَقَوْلِهِ : إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنْ أَتَّبَعَ الذِّكْرَ . وَقَوْلِهِ : إِنَّمَا أَنْتَ  
مُنْذِرُ مَنْ يُخْشَاهَا . وَتَارَةٌ تَحْيِي لِبَيَانِ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ ظَاهِرٌ عِنْدَ كُلِّ  
أَحَدٍ سَوَاءٌ كَانَ كَذَلِكَ أَوْ فِي زَعْمِ الْمُتَكَلِّمِ . وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ :

إِنَّمَا مُضَعَّبٌ شَرَابٌ مِنَ اللَّهِ مَ تَجَلَّتْ مِنْ وَجْهِهِ الظُّلُمَاءُ  
مُدْعِيًا أَنَّ ذَلِكَ بِمَا لَا يَنْكُرُهُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ . (فَائِدَةٌ) إِذَا  
دَخَلَ (مَا وَإِلَّا) عَلَى الْجُمْلَةِ الْمُسْتَلْزِمَةِ عَلَى الْمَنْصُوبِ كَانَ الْمَقْصُودُ بِالْاِتِّكَارِ  
مَا أَتَّصَلَ (بِإِلَّا) مُتَأَخِّرًا عَنْهُ . فَإِذَا قُلْتَ : مَا ضَرَبَ عَمْرًا إِلَّا زَيْدٌ .  
فَالْمَقْصُودُ الْمَرْفُوعُ . وَإِذَا قُلْتَ : مَا ضَرَبَ زَيْدٌ إِلَّا عَمْرًا . فَالْمَقْصُودُ  
الْمَنْصُوبُ . وَإِذَا قُلْتَ : مَا ضَرَبَ زَيْدٌ إِلَّا عَمْرًا . فَالْاِخْتِصَاصُ بِالضَّارِبِ .  
وَإِذَا قُلْتَ : مَا ضَرَبَ إِلَّا زَيْدًا عَمْرًا . فَالْاِخْتِصَاصُ بِالْمَضْرُوبِ . وَإِذَا  
قُلْتَ : لَمْ أَكُنْ إِلَّا زَيْدًا جَبَةً . فَالْمَعْنَى تَحْصِصُ سُسُوءَةِ الْجَبَةِ بَيْنَ  
النَّاسِ بِزَيْدٍ . وَكَذَلِكَ الْحُكْمُ حَيْثُ يَكُونُ يَدُلُّ أَحَدُ الْمَفْعُولَيْنِ جَارًا  
وَمُحْزَرًا كَقَوْلِ السَّيِّدِ الْحَمِيرِيِّ :

لَوْ خَيْرَ الْمَنْبَرِ فُرْسَانُهُ مَا اخْتَارَ إِلَّا مِنْكُمْ قَارِيسَا  
وَكَذَلِكَ حُكْمُ الْمُبْتَدَأِ وَالْخَبَرِ وَالْفَعْلِ وَالْفَاعِلِ كَقَوْلِكَ : مَا

زَيْدٌ إِلَّا قَائِمٌ وَمَا قَائِمٌ إِلَّا زَيْدٌ. وَإِنَّمَا) فَلَاخْتِصَاصٌ فِيهَا يَقَعُ مَعَ  
الْمُتَأَخِّرِ. فَإِذَا قُلْتَ: إِنَّمَا ضَرَبَ زَيْدًا عَمْرُو. فَلَاخْتِصَاصٌ فِي الضَّارِبِ.  
وَقَوْلُهُ: ( إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ) فَلَاغْرَضُ بَيَانِ الْمَرْفُوعِ  
وَهُوَ أَنَّ الْخَاشِينَ هُمُ الْعُلَمَاءُ. وَلَوْ قُدِّمَ الْمَرْفُوعُ لَصَارَ الْمَقْصُودُ بَيَانًا  
لِالْخَشْيَةِ وَنَهْ فَالْأَوَّلُ أَتَمُّ. وَمِنْهُ قَوْلُ الْفَرَزْدَقِ:

أَنَا أَرَاكَ أَلْحَامِي الدَّمَارَ وَإِنَّمَا يُدَافِعُ عَنْ أَحْسَابِكُمْ أَنَا أَوْ مِثْلِي  
فَإِنَّ غَرَضَهُ أَنْ يَحْصُرَ الْمُدَافِعَ بِأَنَّهُ هُوَ لَا الْمُدَافِعَ عَنْهُ. وَلَوْ قَالَ:  
إِنَّمَا أَنَا أَدَافِعُ عَنْ أَحْسَابِكُمْ. تَوَجَّهَ التَّخْصِصُ إِلَى الْمُدَافِعِ عَنْهُ. إِذَا  
أَدْخَلْتَ عَلَيْهِمَا ( إِنَّمَا ) فَإِنَّ قَدَمَتَ الْخَبَرِ فَلَاخْتِصَاصٌ لِلْمُبْتَدَأِ. وَإِنْ  
لَمْ تُقَدِّمَهُ فَلِالْخَبَرِ. فَإِذَا قُلْتَ: إِنَّمَا هَذَا لَكَ فَلَاخْتِصَاصٌ فِي ( لَكَ )  
بِدَلِيلِ أَنَّكَ تَقُولُ بَعْدَهُ: لَا لغيرِكَ. وَإِنْ قُلْتَ: إِنَّمَا لَكَ هَذَا.  
فَلَاخْتِصَاصٌ فِي هَذَا بِدَلِيلِ أَنَّكَ تَقُولُ بَعْدَهُ لِذَاكَ. ثُمَّ قَدْ يَجْتَمِعُ  
مَعَهُ حَرْفُ النِّفْيِ إِمَّا مُتَأَخِّرًا كَقَوْلِكَ: إِنَّمَا يَحْيَى زَيْدٌ لَا عَمْرُو. وَقَالَ  
ابَيْدُ:

وَإِذَا جُوزِيتَ قَرْضًا فَاجْرُو إِنَّمَا يَخْزِي أَلْفَتَى لَيْسَ الْحَمَلُ  
وَأَمَّا مُقَدِّمًا عَلَيْهِ كَقَوْلِكَ: مَا جَاءَنِي زَيْدٌ وَإِنَّمَا جَاءَنِي عَمْرُو.  
فَهَا هُنَا لَوْ لَمْ تَقُلْ: ( إِنَّمَا ). وَقُلْتَ: مَا جَاءَنِي زَيْدٌ وَجَاءَنِي عَمْرُو.  
لَكَانَ الْكَلَامُ مَعَ مَنْ ظَنَّ أَنَّهَا جَاءَتْ جَمِيعًا. وَإِذَا أَدْخَلْتَهَا كَانَ  
الْكَلَامُ مَعَ مَنْ غَلِطَ فِي الْجُلُوبِ أَنَّهُ زَيْدٌ لَا عَمْرُو. وَأَعْلَمُ أَنَّ أَقْوَى مَا  
يَكُونُ إِنَّمَا إِذَا كَانَ لَا يَرَادُ بِالْكَلَامِ الَّذِي بَعْدَهَا نَفْسُ مَعْنَاهَا



وَلَكِنَّ التَّعْرِيضَ بِأَمْرٍ هُوَ مُقْتَضَاهُ . وَهَذَا أَلْعَرَضُ لَا يَخْصُلُ بِدُونِ  
( أَمَّا ) لِأَنَّ مِنْ إِبْثَاتِهَا تَضْمِينَ الْكَلَامِ مَعْنَى النَّفْيِ بَعْدَ الْإِثْبَاتِ .  
فَإِذَا أَسْقَطْتَ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا إِبْثَاتُ الْحُكْمِ لِلْمَذْكُورِينَ فَلَا يَدُلُّ  
عَلَى نَقْيِ غَيْرِهِمْ إِلَّا أَنْ يُذَكَّرَ فِي مَعْرُضٍ سَدَحِ الْإِنْسَانِ بِالتَّسْقِطِ  
وَالْكَرَمِ وَآمَالِهِمَا كَمَا يُقَالُ : كَذَلِكَ يَفْعَلُ الْعَاقِلُ وَهَكَذَا يَفْعَلُ  
الْكَرِيمُ

### البحث الثامن

### في التقديم والتأخير

( عن صناعة الترسل ايضاً )

( راجع علم الادب صفحة ١٩ )

إِذَا قُدِّمَ الشَّيْءُ عَلَى غَيْرِهِ قَالِمَا أَنْ يَكُونَ فِي نِيَّةِ التَّأْخِيرِ كَمَا  
إِذَا قُدِّمَ الْخَبَرُ عَلَى الْمُبْتَدَأِ . وَأَمَّا أَنْ يَكُونَ فِي نِيَّةِ التَّأْخِيرِ وَلَكِنْ  
أَنْتَقَلَ الشَّيْءُ مِنْ حُكْمٍ إِلَى آخَرٍ . كَمَا إِذَا جِئْتَ إِلَى أَسْمَيْنِ جَازَ أَنْ  
يَكُونَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مُبْتَدَأً فَجَعَلْتَ أَحَدَهُمَا مُبْتَدَأً كَقَوْلِكَ : زَيْدٌ  
الْمُنْطَلِقُ وَالْمُنْطَلِقُ زَيْدٌ . قَالَ الْجُرْجَانِيُّ : كَانَتْهُمْ يُقَدِّمُونَ الَّذِي يَبْأَنُهُ  
أَهَمُّ لَهُمْ وَهُمْ يَبْأَنُهُ أَعْنَى وَإِنْ كَانَا جَمِيعًا يَهْمَانِهِمْ وَيَعْنِيَانِهِمْ . وَمِثَالُهُ  
إِنَّ النَّاسَ إِذَا تَعَلَّقَ غَرَضُهُمْ بِقَتْلِ خَارِجِيٍّ مُفْسِدٍ وَلَا يَعْلَمُونَ مَنْ  
صَدَرَ الْقَتْلُ مِنْهُ وَارَادَ مُرِيدُ الْأَخْبَارِ بِذَلِكَ فَإِنَّهُ يُقَدِّمُ ذِكْرَ الْخَارِجِيِّ  
فَيَقُولُ : قَتَلَ الْخَارِجِيَّ زَيْدٌ . وَلَا يَقُولُ : قَتَلَ زَيْدٌ الْخَارِجِيَّ . لِأَنَّهُ يَعْلَمُ

أَنَّ قَتَلَ الْخَارِجِيِّ هُوَ الَّذِي يَفْعِلُهُمْ . وَإِنْ كَانَ قَدْ وَقَعَ قَتْلُ وَنَ  
رَجُلٍ يَبْعُدُ فِي اعْتِقَادِ النَّاسِ وَقُوعِ الْقَتْلِ مِنْ مِثْلِهِ قَدَّمَ الْخَبَرَ ذَكَرَ  
الْفَاعِلِ فَيَقُولُ : قَتَلَ زَيْدٌ رَجُلًا . لِاعْتِقَادِ النَّاسِ فِي الْمَذْكُورِ خِلَافَ  
ذَلِكَ ( اهـ ) . وَلِذَلِكَ مِنْهُ ثَلَاثَةٌ مَوَاضِعُ يَعْرِفُ بِهَا مَا لَمْ يَذْكُرْ :  
( الْأَوَّلُ الْأِسْتِفْهَامُ ) فَإِذَا ادْخَلْتَهُ عَلَى الْفِعْلِ وَقُلْتَ : اضْرَبْتَ  
زَيْدًا . كَانَ الشَّكُّ فِي وَجُودِ الْفِعْلِ مُحَقَّقًا وَالشَّكُّ فِي تَعْيِينِ الْفَاعِلِ  
وَهَكَذَا حُكْمُ النِّكَارَةِ . فَإِذَا قُلْتَ : أَجَاءَكَ رَجُلٌ فَإِنَّ الْمَقْصُودَ  
هَلْ وَجَدَ الْحَاجِي مِنْ رَجُلٍ . فَإِذَا قُلْتَ : ارْجُلٌ جَاءَكَ كَانَ ذَلِكَ  
سُوءَ الْأَعْنَ جِنْسٍ مَنْ جَاءَ بَعْدَ الْحُكْمِ بِوُجُودِ الْحَاجِي مِنْ إِنْسَانٍ .  
وَقَسَّ عَلَيْهِ الْخَبَرَ فِي قَوْلِكَ : ضَرَبْتَ زَيْدًا وَزَيْدًا ضَرَبْتَ . وَجَاءَ نِي  
رَجُلٌ تَمِيعِي . وَرَجُلٌ تَمِيعِي جَاءَ نِي . ثُمَّ الْأِسْتِفْهَامُ قَدْ يَجِي لِلْإِنْكَارِ :  
وَهُوَ إِمَّا لِلتَّقْرِيرِ وَالتَّوْبِيخِ وَعَلَيْهِ قَوْلُهُ : أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِأَلْهِنَا . وَإِمَّا  
لِلْإِنْكَارِ أَنَّهُ الْفَاعِلُ مَعَ تَحْقِيقِ الْفِعْلِ كَقَوْلِكَ لِمَنْ اتَّخَلَّ شَعْرًا :  
أَنْتَ قُلْتَ هَذَا . وَإِنْ كَانَ الْفِعْلُ مُضَارِعًا فَإِنْ ادْخَلْتَ حَرْفَ  
الْإِسْتِفْهَامِ عَلَيْهِ كَانَ إِمَّا لِلْإِنْكَارِ وَجُودِهِ كَقَوْلِهِ : انْزِمِ كُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا  
كَارِهُونَ . أَوْ لِلْإِنْكَارِ أَنَّهُ يَقْدِرُ عَلَى الْفِعْلِ كَقَوْلِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ :  
أَيَقْتُلْنِي وَالْمَشْرِفِيُّ مُضَاجِعِي وَمَسْنُونُهُ زُرْقٌ كَأَنْبَابِ أَغْوَالٍ  
أَوْ لِإِزَالَةِ طَمَعٍ مِنْ طَمَعٍ فِي أَمْرٍ لَا يَكُونُ فَيَجْهَأُ فِي طَمَعِهِ  
كَقَوْلِكَ : أَرْضَى عَنْكَ فَلَانٌ وَأَنْتَ عَلَى مَا يَكْرَهُ . أَوْ لِتَغْنِيفِ مَنْ  
يُضِيعُ الْحَقَّ كَقَوْلِ الشَّاعِرِ :

أَتَرَكَ إِن قَالَتْ دَرَاهِمُ خَالِدٍ زِيَارَتُهُ إِنِّي إِذَا لَلَّيْتُ  
أَوْ لَتَقْدِيرِ الْفِعْلِ كَمَا تَقُولُ لِمَنْ يَرْكَبُ الْخَطَرَ : أَتَرَكَ فِي هَذَا  
الْوَقْتِ . وَإِنْ أَدَخَلْتَهُ عَلَى الْإِسْمِ فَهُوَ لِإِنْكَارِ صُدُورِ الْفِعْلِ مِنْ  
ذَلِكَ الْفَاعِلِ إِمَّا لِاسْتِحْقَارِ كَقَوْلِكَ : أَأَنْتَ تَنْعِي . أَوْ لِتَعْظِيمِ  
كَقَوْلِكَ : أَهْوَى يَسْأَلُ النَّاسَ . أَوْ لِلْمُبَالَغَةِ أَمَّا فِي كَرَمِهِ كَقَوْلِكَ :  
أَهْوَى يَنْعُ مَا لَهُ . وَأَمَّا فِي خَسَاسَتِهِ كَقَوْلِكَ : أَهْوَى يَسْمَحُ بِمِثْلِ هَذَا .  
وَقَدْ يَكُونُ لِبَيَانِ اسْتِحَالَةِ فِعْلِ ظَنْ تُمْكِينًا قَوْلُهُ : أَفَأَنْتَ تَسْمَعُ  
الْعَمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمَى . وَكَذَلِكَ إِذَا أَدَخَلْتَهُ عَلَى الْفَعُولِ كَقَوْلِهِ :  
أَغَيَّرَ اللَّهُ اتَّخَذَ وَلِيًّا وَآغَيَّرَ اللَّهُ تَدْعُونَ . وَأَبْشَرْنَا مِنَّا وَاحِدًا تَبَعُهُ .

بَنُوا كَفَرَهُمْ عَلَى أَنَّ الْبَشْرَ أَيْسَ بِمِثَالِهِ أَنْ يَتَّبِعَ وَيُطَاعَ

( فِي التَّقْدِيرِ وَالتَّخْيِيرِ فِي النَّفْيِ ) إِذَا أَدَخَلْتَ النَّفْيَ عَلَى الْفِعْلِ  
فَقُلْتَ : مَا ضَرَبْتُ زَيْدًا . فَقَدْ نَفَيْتَ عَنْ زَيْدٍ ضَرْبًا وَاقْعَا بَزِيدٍ وَهَذَا  
لَا يَقْتَضِي كَوْنَ زَيْدٍ مَضْرُوبًا . وَإِذَا أَدَخَلْتَهُ عَلَى الْإِسْمِ فَقُلْتَ : مَا  
أَنَا ضَرَبْتُ زَيْدًا . أَقْتَضِي مِنْ بَابِ دَلِيلِ الْخَطَابِ كَوْنَ زَيْدٍ مَضْرُوبًا  
وَعَلَيْهِ قَوْلُ الْمُتَنَبِّي :

وَمَا أَمَا وَحْدِي قَالَتْ ذَا الشَّعْرُ كُلُّهُ وَلَكِنْ لِشَعْرِي فِيكَ مِنْ نَفْسِهِ شَعْرٌ  
وَكَذَلِكَ ( حَكَمَ الْجَارِ وَالْمَجْرُورِ وَحُكْمَ الْمَفْعُولِ ) . فَإِذَا قَالَتْ : مَا  
أَمَرْتُكَ بِهَذَا . لَمْ يَقْتَضِ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَمَرْتُهُ بِشَيْءٍ غَيْرِ هَذَا . وَإِذَا  
قَالَتْ : مَا بِهَذَا أَمَرْتُكَ . أَقْتَضَاهُ . وَإِذَا قَدِمَتْ صِفَةُ الْعُمُومِ عَلَى  
السَّابِ وَقَالَتْ : كُلُّ ذَلِكَ لَمْ أَفْعَلْهُ بِرَفْعٍ ( كُلِّ ) كَانَ نَفْيًا عَامًا

وَيُنَاقِضُهُ الْإِثْبَاتُ الْخَاصُّ . فَلَوْ فَعَلْتَ بَعْضَهُ كُنْتَ كَاذِبًا . وَإِنْ قَدِمْتَ  
الْسَّلْبَ وَقُلْتَ : لَمْ أَفْعَلْ كُلَّ ذَلِكَ . كَانَ نَهْيًا لِلْعُمُومِ وَلَا يُنْكَاسِي  
الْإِثْبَاتُ الْخَاصُّ فَلَوْ فَعَلْتَ بَعْضَهُ لَمْ تَكُنْ كَاذِبًا . (الثَّالِثُ فِي التَّقْدِيمِ  
وَالْتَأْخِيرِ فِي الْحَبْرِ الْمُثَبَّتِ) مَا تَقَدَّمَ فِي الِاسْتِفْهَامِ وَالنَّفْيِ قَائِمٌ هَاهُنَا  
فَإِذَا قَدِمْتَ الْأَيْمَ وَقُلْتَ : زَيْدٌ فَعَلَ وَأَنَا فَعَلْتُ . فَالْقَضَى أَنْ  
الْفَاعِلَ إِمَّا لَتَخْصِصِ ذَلِكَ الْفِعْلَ بِهِ كَقَوْلِكَ : أَنَا شَفَعْتُ فِي شَأْنِهِ  
مَدَنِيًّا الْإِقْرَادَ بِذَلِكَ . أَوْ لَتَأَكْثِدَ إِثْبَاتَ الْفِعْلِ لَهُ لَا لِلْحَصْرِ  
كَقَوْلِكَ : هُوَ يُعْطِي الْجَزِيلَ . لِيَتِمَّكَنَ فِي نَفْسِ السَّامِعِ أَنَّ ذَلِكَ  
دَابُّهُ دُونَ نَفْيِهِ عَنْ غَيْرِهِ كَقَوْلِ دُرَّةَا بِنْتِ عَشْعَشَةَ :

هُمَا يَلْبَسَانِ أَحْمَدَ أَحْسَنَ لِبْسَةٍ شَحِيحَانِ مَا أَسْطَاءَا عَلَيْهِ كَلَاهُمَا  
وَالسَّبَبُ فِي هَذَا التَّأَكُّيدِ إِذَا قُلْتَ مَثَلًا : (زَيْدٌ) . فَقَدْ أَسْعَرْتَ  
بِأَنَّكَ تَزِيدُ الْحَدِيثَ عَنْهُ فَيُخْصَلُ لِلسَّامِعِ تَشْرِيقُ إِلَى مَعْرِفَتِهِ . فَإِذَا  
ذَكَرْتَهُ قَبْلَتَهُ النَّفْسُ قَوْلَ الصَّدِيقِ صَدِيقِهِ فَيَكُونُ ذَلِكَ أَبْلَغَ فِي  
الْتَحْقِيقِ وَنَفْيِ الشَّكِّ وَالشُّبْهِ . وَلِهَذَا تَقُولُ لِمَنْ تَعَدُّهُ : أَنَا أَعْطَبُكَ .  
أَنَا أَكْثَفُكَ . أَنَا أَقْوَمُ بِهَذَا الْأَمْرِ . وَذَلِكَ إِذَا كَانَ مِنْ شَأْنٍ مَنْ  
سَبَقَ لَهُ وَعَدُّ أَنْ يَعْتَرِضَهُ الشَّكُّ فِي وفائه . وَلِذَلِكَ يُقَالُ فِي الْمَدْحِ :  
أَنْتَ تُعْطِي الْجَزِيلَ . أَنْتَ تَجُودُ حِينَ لَا يَجُودُ أَحَدٌ . وَهَذَا هَاهُنَا  
تَعْرِفُ الْفَضْلَانَةَ فِي الْجَمَلِ آتِي فِيهَا ضَمِيرُ الشَّأْنِ وَالْقَصَّةِ كَقَوْلِهِ : فَإِنَّمَا  
لَا تَعْنَى الْأَبْصَارُ وَالْكَنْ تَعْنَى الْقُلُوبُ آتِي فِي الضُّدُورِ . وَكَقَوْلِهِ :  
إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ . (وَأَنَّهَا) فِيهَا مَا لَيْسَ فِي قَوْلِكَ : فَإِنَّ

الْبَصَارَ لَا تَعْمَى وَإِنَّ الْكَافِرِينَ لَا يُفْلِحُونَ . وَهَذَا الْكَلَامُ فِي الْخَبَرِ  
الْمُنْفِيِّ . فَإِذَا قُلْتَ . أَنْتَ لَا تُحْسِنُ هَذَا . كَانَ أَلْبَغَ مِنْ أَنْ تَقُولَ :  
لَا تُحْسِنُ هَذَا . فَإِلَّا أَوَّلُ لَنْ هُوَ أَشَدُّ إِعْجَابًا بِنَفْسِهِ وَأَكْثَرُ دَعْوَى  
بِأَنَّهُ يُحْسِنُ . وَأَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ يَكُونُ تَقْدِيمُ الْأَسْمِ كَاللَّازِمِ وَهُوَ :  
( كَمَثَلِ ) فِي نَحْوِ قَوْلِهِ :

يَا عَائِلِي دَعْنِي مِنْ عَذْلِكَ      مِثْلِي لَا يَقْبَلُ مِنْ مِثْلِكَ  
وَقَوْلِ الْمُسْتَسْتَبِي :

مِثْلَكَ يَشْنِي الْخُزْنَ عَنْ صَوْبِهِ      وَيَسْتَرْذُ الدَّمْعَ عَنْ غَرْبِهِ  
وَقَوْلِ النَّاسِ : مِثْلَكَ يَرْغَى الْحَقُّ وَالْخُرْمَةُ . وَمَا أَشَبَّ ذَلِكَ مِمَّا  
لَا يَقْصِدُ فِيهِ الْإِنْسَانُ سِوَى الَّذِي أُضِيفَ إِلَيْهِ وَحِجِّي بِهِ لِلْمُبَالَغَةِ .  
وَالْمَعْنَى أَنَّ مَنْ كَانَ مِثْلُهُ فِي الْخَالِ وَالصِّفَةِ كَانَ مِنْ مُقْتَضَى الْقِيَاسِ  
أَنْ يَفْعَلَ مَا ذَكَرَ فَكَيْفَ بِهِ . وَقَدْ عَبَّرَ الْمُسْتَبِي عَنْ هَذَا الْمَعْنَى فَقَالَ :  
وَلَمْ أَقُلْ وَمِثْلَكَ أَعْنِي بِهِ      سَوَاكَ يَأْفَرِدًا بِلَا مُشَبِّهٍ

وَكَذَلِكَ حُكْمُ ( غَيْرِ ) إِذَا سَأَلَ فِيهِ هَذَا الْمَسْلُوكَ كَقَوْلِ الْمُسْتَبِي :  
غَيْرِي بِأَكْثَرِ هَذَا النَّاسِ يَخْدَعُ      إِنْ قَاتَلُوا جَبْنُوا أَوْ حَدَّثُوا شَجَعُوا  
أَيُّ لَسْتُ مِمَّنْ يَخْدَعُ وَيَعْتَرُّ . وَلَوْ لَمْ يُقَدِّمَ ( مِثْلًا وَغَيْرًا ) فِي  
هَذِهِ الصُّورِ لَمْ يَزِدْ هَذَا الْمَعْنَى

( أَمَّا مَوَاضِعُ التَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ ) فَقَدْ يُحْسِنُ التَّقْدِيمُ فِي مَوَاضِعَ :  
( الْأَوَّلُ ) أَنْ تَكُونَ الْحَاجَةُ إِلَى ذِكْرِهِ أَشَدَّ كَقَوْلِكَ : قَطَعَ الْأَصَّ  
الْأَمِيرُ . ( الثَّانِي ) أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ أَلْتَقَى بِمَا قَبْلَهُ مِنَ الْكَلَامِ أَوْ

بِمَا بَعْدَهُ كَقَوْلِهِ: وَتُعْشِي وَجُوهَهُمُ النَّارَ. فَإِنَّهُ أَشْكَلُ بِمَا بَعْدَهُ.  
وَهُوَ قَوْلُهُ: إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ. وَبِمَا قَبْلَهُ وَهُوَ: مُقْرِنِينَ فِي  
الْأَصْفَادِ. (الثَّالثُ) أَنْ يَكُونَ اعْرِفَ أَوْ أَشَدَّ تَعْلُقًا بِمَا بَعْدَهُ  
كَقَوْلِكَ: زَيْدٌ قَامَ. وَقَامَ زَيْدٌ. وَزَيْدٌ الطَّوِيلُ. (الرَّابِعُ) أَنْ  
يَكُونَ مِنَ الْخُرُوفِ الَّتِي لَهَا صَدْرُ الْكَلَامِ كَخُرُوفِ الْأَسْتِفْهَامِ وَالْتَفِي  
فَإِنَّ الْأَسْتِفْهَامَ طَلَبُ فَهْمِ الشَّيْءِ وَهُوَ حَالَةٌ إِضَافِيَّةٌ فَلَا تَسْتَقِلُّ  
بِالْمَفْهُومِيَّةِ فَيَسْتَدُ اتِّصَالَهُ بِمَا بَعْدَهُ. (الخَامِسُ) تَقْدِيمُ الْكَلِمَةِ  
عَلَى جُزْئِيَّاتِهِ. فَإِنَّ الشَّيْءَ كُلَّمَا كَانَ أَكْثَرَ عُمُومًا كَانَ أَعْرِفَ فَإِنَّ  
الْوُجُودَ لَمَّا كَانَ أَعَمَّ الْأُمُورِ كَانَ أَعْرِفَهَا عِنْدَ الْعَقْلِ. (الْسَّادِسُ)

تَقْدِيمُ الدَّلِيلِ عَلَى الْمَذْلُولِ

وَأَمَّا التَّأْخِيرُ فَيَحْسُنُ فِي مَوَاضِعَ: (الْأَوَّلُ) تَمَامُ الْأِسْمِ كَالصَّلَةِ  
وَالْمُضَافِ إِلَيْهِ. (الثَّانِي) تَوَابِعُ الْأَسْمَاءِ. (الثَّالثُ) الْفَاعِلُ.  
(الرَّابِعُ) الْمَضَرُّ وَهُوَ أَنْ كَانَ مُتَأَخِّرًا لَفْظًا وَتَقْدِيرًا كَقَوْلِكَ:  
ضَرَبَ زَيْدٌ غُلَامَهُ. أَوْ: وَخَرَّ فِي الْفَلْظِ مُقَدِّمًا فِي الْمَعْنَى كَقَوْلِهِ: وَإِذَا  
أَبْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبَّهُ. أَوْ بِالْعَكْسِ كَقَوْلِكَ: ضَرَبَ غُلَامَهُ زَيْدٌ. جَازَ.  
وَأَنْ تَقَدَّمَ لَفْظًا وَمَعْنَى لَمْ يَجُزْ كَقَوْلِكَ: ضَرَبَ غُلَامَهُ زَيْدًا.  
(الخَامِسُ) مَا يُفْضِي إِلَى اللَّبْسِ كَقَوْلِكَ: ضَرَبَ مُوسَى عِيسَى. وَكَرَّمَ  
هَذَا هَذَا. فَيَجِبُ فِيهِ تَقْدِيمُ الْفَاعِلِ. (الْسَّادِسُ) الْعَامِلُ الَّذِي يَضَعُ  
عَمَلَهُ كَالضَّمَّةِ الشَّيْبَةِ وَالْتَمِيزِ وَمَا عَمِلَ فِيهِ حَرْفٌ أَوْ مَعْنَى كَقَوْلِكَ: هُوَ  
حَسَنٌ وَجْهًا. وَكَرِيمٌ أَبًا. وَتَصَبَّبَ عَرَقًا. وَحَسَنَةٌ وَعِشْرُونَ دِرْهَمًا. وَإِنَّ

زَيْدًا قَائِمٌ . وَفِي الدَّارِ سَعْدٌ جَالِسٌ . وَلَا يَجُوزُ الْفَصْلُ بَيْنَ الْعَامِلِ  
وَالْمَعْمُولِ بِمَا لَيْسَ مِنْهُ فَلَا تَقُولُ : كَانَتْ زَيْدًا الْحَمَى تَأْخُذُ . إِذَا  
رَفَعْتَ الْحَمَى بِكَانَتْ لِلْفَصْلِ بَيْنَ الْعَامِلِ وَمَا عَمِلَ فِيهِ . فَإِنْ  
اَضْمَرْتَ الْحَمَى فِي كَانَتْ صَحَّتِ الْمُسْتَلَّةُ

### البحث التاسع

### في الحذف والاضمار

( عصابة الترسل ايضا )

( راجع صفحة ٢٠ من علم الادب )

إِغْلَمَ أَنَّ الْأَفْعَالَ الْمُتَعَدِّيَّةَ أَيْ يَتْرُكُ ذِكْرَ مَفْعُولَاتِهَا عَلَى قَسَمَيْنِ :  
( الْأَوَّلُ ) أَنْ لَا يَكُونَ لَهُ مَفْعُولٌ مُعَيَّنٌ فَقَدْ يَتْرُكُ مَفْعُولُهُ لَفْظًا  
وَيُقَدِّرُ وَيُجْعَلُ حَالُهُ كَحَالِ غَيْرِ الْمُتَعَدِّي كَقَوْلِهِمْ : فَلَانِ يَحُلُ وَيَعْقُدُ  
وَيَأْمُرُ وَيَنْهَى وَيَضُرُّ وَيَنْفَعُ . وَالْمَقْصُودُ اثْبَاتُ الْمَعْنَى فِي نَفْسِهِ الشَّيْءِ  
مَنْ غَيْرِ تَعَرُّضِ حَدِيثِ الْأَفْعُولِ فَكَأَنَّكَ قُلْتَ : بِحَيْثُ يَكُونُ مِنْهُ  
حَلٌّ وَعَقْدٌ وَأَمْرٌ وَنَهْيٌ وَضَرْ وَنَفْعٌ . وَبِالْجُمْلَةِ مَتَى كَانَ أَنْغَرَضُ بَيَانِ  
حَالِ الْأَفْعَالِ فَنَفْطُ فَلَا تُعَدُّ الْأَفْعَالُ فَإِنْ تَعَدَّيْتَهُ تَنْقُصُ الْأَفْعَالُ . أَلَا  
تَرَى أَنَّكَ إِذَا قُلْتَ : فَلَانٌ يُعْطِي الدَّانِيَّ كَانَ الْمَقْصُودُ بَيَانِ  
جِنْسِ مَا تَنَاوَلَهُ الْأَعْطَا لَا بَيَانَ حَالِ كَوْنِهِ مُعْطِيًا . ( الثَّانِي ) أَنْ  
يَكُونَ لَهُ مَفْعُولٌ مُعْلُومٌ إِلَّا أَنَّهُ يُحْذَفُ مِنَ اللَّفْظِ لِأَغْرَاضٍ : ( الْأَوَّلُ )  
أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بَيَانَ حَالِ الْأَفْعَالِ وَأَنَّ ذَلِكَ الْأَفْعَالُ دَائِبَةٌ لَا بَيَانَ

الْمَفْعُولُ كَقَوْلِ طُفِيلٍ :

جَزَى اللَّهُ عَنَّا جَعْفَرًا حِينَ أَرَلَّتْ بِنَا تَعَلَّنَا فِي أَلْوَابِ بْنِ فَرَلَتْ  
أَبَوَا أَنْ يَمْلُونَا وَلَوْ أَنْ أَمَّنَا تَلَاقي أَلْذِي لَأَقْوَهُ مِنَّا لَمَلَتْ  
هُمْ خَلَطُونَا بِالْأَنْفُسِ وَالْجُلُودِ إِلَى حُجَرَاتِ أَدَفَاتِ وَأَظَلَّتِ  
وَالْأَضَلُّ أَنْ يَقُولَ : لَمَلَّتْنَا وَالْجُلُودُ وَأَدَفَاتْنَا وَأَظَلَّتْنَا فَحَذَفَ

الْمَفْعُولُ الْمُعَيَّنُ مِنْ هَذِهِ الْمَوَاضِعِ الْأَرْبَعَةِ وَكَأَنَّهُ قَدْ أَنَبَهُمْ وَلَمْ يُقْصِدْ  
قَصْدَ شَيْءٍ يَقَعُ عَلَيْهِ كَمَا يَقُولُ : قَدْ مَلَ فُلَانٌ . تُرِيدُ قَدْ دَخَلَ عَلَيْهِ  
الْمَلَالُ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُحْصَى شَيْئًا بَلْ لَا تُرِيدُ عَلَى أَنْ تَجْعَلَ الْمَلَالَ مِنْ  
صِفَتِهِ . فَكَذَلِكَ الشَّاعِرُ جَعَلَ هَذِهِ الْأَوْصَافَ مِنْ ذَاتِهِمْ وَلَوْ أَضَافَ  
إِلَى مَفْعُولٍ مُعَيَّنٍ لَبَطَلَ هَذَا الْفَرَضُ . (الثاني) أَنْ يَكُونَ الْمَقْصُودُ ذِكْرُهُ  
إِلَّا إِنَّكَ لَا تَذْكُرُهُ إِيهَامًا لِأَنَّكَ لَا تَقْصِدُ ذِكْرَهُ كَقَوْلِ الْبُخْتَرِيِّ :

شَجُو حَسَادِهِ وَغَيْظُ عِدَاةِ أَنْ يَرَى مُبْصِرٌ وَيَسْمَعُ وَاعٍ  
الْمَعْنَى أَنْ يَرَى مُبْصِرٌ مُحَاسِنَهُ وَأَنْ يَسْمَعَ وَاعٍ أَخْبَارَهُ . وَلَكِنَّهُ  
نَغَافِلُ عَنْ ذَلِكَ إِذَا بَانَ قَضَائُهُ يَكْفِي فِيهَا أَنْ يَقَعَ عَلَيْهَا بَصَرٌ  
وَيَعِيهَا سَمْعٌ حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّهُ الْمُتَفَرِّدُ بِالْقَضَائِلِ فَلَيْسَ لِحَسَادِهِ وَعِدَاةِ  
أَشْجَى مِنْ عَلَيْهِمْ بَانَ هَاهُنَا مُبْصِرًا وَسَامِعًا . (الثالثُ) أَنْ يُحْذَفَ  
لِكُونِهِ بَيِّنًا كَقَوْلِهِمْ : أَضَعَيْتُ إِلَيْكَ . أَيُّ أَدْنَى . وَأَغَضَيْتُ عَلَيْكَ .  
أَيُّ جَفَنِي

( فَضْلٌ فِي حَذْفِ الْمُبْتَدَأِ وَالْخَبَرِ ) قَدْ يُحْسَنُ حَذْفُ الْمُبْتَدَأِ حَيْثُ  
يَكُونُ الْفَرَضُ أَنَّهُ قَدْ بَلَغَ فِي اسْتِحْقَاقِ الْوَصْفِ بِمَا جُعِلَ وَضْعًا لَهُ



إِلَى حَيْثُ يُعْلَمُ بِالضَّرُورَةِ أَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ إِلَّا لَهٗ سَوَاءٌ كَانَ فِي نَفْسِهِ  
كَذَلِكَ أَوْ بِحَسَبِ دَعْوَى الشَّاعِرِ عَلَى طَرِيقِ الْمُبَالَغَةِ فَذِكْرُهُ يُنْطَلِ  
هَذَا الْفَرَضَ . وَلِهَذَا قَالَ عَبْدُ الْقَاهِرِ : مَا مِنْ أُنْمٍ يُحَذَفُ فِي الْحَالَةِ  
يُنْبَغِي أَنْ يُحَذَفَ فِيهَا إِلَّا وَحَذَفُهُ أَحْسَنُ مِنْ ذِكْرِهِ فَمَنْ حَذَفَ  
الْمُبْتَدَأَ قَوْلُ الشَّاعِرِ :

لَا يُبْعِدُ اللَّهُ التَّائِبَ مَ وَالْفَارَاتِ إِذْ قَالَ الْحَيْسُ نَعَمْ  
أَيُّ هَذِهِ نَعَمْ . قَالَ عَبْدُ الْقَاهِرِ : وَمِنْ الْمَوَاضِعِ الَّتِي يَطْرُقُ  
فِيهَا حَذْفُ الْمُبْتَدَأِ بِالْقَطْعِ وَالِاسْتِنَافِ انَّهُمْ يَبْدَأُونَ بِذِكْرِ الرَّجُلِ  
وَيُقَدِّمُونَ بَعْضَ أَمْرِهِ ثُمَّ يَدْعُونَ الْكَلَامَ الْأَوَّلَ فَيَسْتَأْنِفُونَ كَلَامًا  
آخَرَ إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ آتَوْا فِي أَكْثَرِ الْأَمْرِ بِجَهْرِ مِنْ غَيْرِ مُبْتَدَأٍ مِثَالُ ذَلِكَ :  
وَعَلِمْتُ أَيُّ يَوْمَ ذَا لِكَ مُنَازِلَ كَعْبًا وَنَهْدًا  
قَوْمٌ إِذَا لَبَسُوا الْحَدِيدَ مَ تَنَمَّرُوا حَلْفًا وَقَدَا  
وَقَوْلُ الْخَطِيبَةِ :

هُمُ حَلُّوا مِنْ الشَّرَفِ الْمَعْلَى وَمِنْ حَسَبِ الْعَشِيرَةِ حَيْثُ شَاءُوا  
أَسَاءَ مَكَارِمِ وَأَسَاءَ كَلِمِ دِمَاؤُهُمْ مِنْ الْكَلْبِ الشِّقَاءِ  
وَأَمِثْلُهُ كَثِيرَةٌ . وَبِزْنِ حَذْفِ الْخَبَرِ قَوْلُهُ : لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا  
هُوَ وَبَيْنَ أَيُّ لَوْلَا أَنْتُمْ مُضِلُّونَا . وَقَوْلُ عُمَرَ : لَوْلَا عَلِيٌّ لَهْلَكَ عُمَرُ . أَيُّ  
لَوْلَا عَلِيٌّ حَاضِرٌ أَوْ مُفْتٍ . وَمِمَّا يَحْتَمِلُ الْأَمْرَيْنِ قَوْلُهُ : طَاعَةٌ وَقَوْلُ  
مَعْرُوفٍ . وَقَوْلُهُ : فَصَبْرٌ جَمِيلٌ  
الْإِضْمَارُ عَلَى شَرْيْطَةِ التَّفْسِيرِ كَقَوْلِكَ : أَكْرَهَنِي وَأَكْرَهْتَ عَبْدَ اللَّهِ أَيُّ

أَكْرَمَنِي عَبْدُ اللَّهِ وَآكَرَمْتُ عَبْدَ اللَّهِ. وَمِمَّا يُشْبَهُ ذَلِكَ مَفْعُولُ الْمَشِيئَةِ إِذَا  
جَاءَتْ بَعْدَ (لَوْ). فَإِنْ كَانَ مَفْعُولَهَا عَظِيماً أَوْ غَرِيباً قَالُوا لَوْ ذِكْرُهُ كَقَوْلِهِ :  
وَلَوْ شِئْتُ أَنْ أَبْكِي دَمًا لَبَكَيْتُهُ عَلَيْهِ وَلَكِنْ سَاعَةُ الصَّبْرِ أَوْسَعُ  
فَإِنْ بُكَّاءُ الْإِنْسَانِ دَمًا عَجِيبٌ. وَإِنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ قَالُوا لَوْ  
حَذَفُهُ كَقَوْلِهِ : وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى. وَالتَّقْدِيرُ : وَلَوْ شَاءَ  
اللَّهُ أَنْ يَجْمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى لَجَمَعَهُمْ . وَأَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ تَرَكُ الْكِنَايَةَ  
إِلَى التَّصْرِيحِ لِمَا فِيهِ مِنْ زِيَادَةِ الْفَحَاةِ كَقَوْلِ الْبُخَّارِيِّ :  
قَدْ طَلَبْنَا فَلَمْ نَجِدْ لَكَ فِي السُّورِ دُودًا وَالْحَبْدَ وَالْمِـ<sup>أَرِمَ</sup> وَمِثْلًا  
الْمَعْنَى قَدْ طَلَبْنَا لَكَ مِثْلًا. ثُمَّ حُذِفَ لِأَنَّ هَذَا الْمَدْحَ إِنَّمَا يَتِمُّ بِنَفْيِ  
الْمِثْلِ فَلَوْ قَالَ : قَدْ طَلَبْنَا لَكَ مِثْلًا فِي السُّودِ وَالْحَبْدِ فَلَمْ نَجِدْ  
لَكَ مَا قَدْ أَوْقَعَ نَفْيَ الْوُجُودِ عَلَى ضَمِيرِ (الْمِثْلِ) فَلَمْ يَكُنْ فِيهِ مِنْ  
الْمُبَالَغَةِ مَا إِذَا أَوْقَعَهُ عَلَى صَرِيحِ الْمِثْلِ . فَإِنَّ الْكِنَايَةَ لَا تَبْلُغُ مَبْلَغَ  
الصَّرِيحِ . وَعَلَى ذَلِكَ قَوْلُ الشَّاعِرِ :  
لَا أَرَى الْمَوْتَ يَسْبِقُ الْمَوْتَ شَيْئًا نَقَصَ الْمَوْتُ ذَا الْغِنَى وَالْفَقِيرَا

### البحث العاشر

### في جوامع الكلم

( عن المثل السائر لابن الاثير باختصار )

إِنَّ الْكَلِمَ جَمْعُ كَلِمَةٍ . وَالْجَوَامِعُ جَمْعُ جَامِعَةٍ . وَالْجَامِعَةُ اسْمُ  
فَاعِلَةٍ مِنْ جَمَعَتْ فَهِيَ جَامِعَةٌ . كَمَا يُقَالُ فِي الْمَذْكُورِ جَمْعٌ فَهُوَ جَامِعٌ

وَأَلْمَزَادُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ الْكَلِمُ الْجَوَامِعُ لِلْمَعَانِي. وَهُوَ عِنْدِي يَنْقَسِمُ  
قِسْمَيْنِ : ( الْقِسْمُ الْأَوَّلُ ) مِنْهُمَا هُوَ مَا اسْتَحْرَجْتُهُ وَنَبَّهْتُ عَلَيْهِ وَلَمْ  
يَكُنْ لِأَحَدٍ فِيهِ قَوْلٌ سَابِقٌ وَهُوَ أَنَّ لَنَا أَلْفَاظًا تَتَضَمَّنُ مِنَ الْمَعْنَى  
مَا لَا تَتَضَمَّنُهُ أَحْوَاثُهَا بِمَا يَجُوزُ أَنْ يُسْتَعْمَلَ فِي مَكَانِهَا . فَمِنْ  
ذَلِكَ مَا يَأْتِي عَلَى حُكْمِ الْجَزَائِرِ . وَمِمَّا مَا يَأْتِي عَلَى حُكْمِ الْحَقِيقَةِ .  
وَقَدْ وَرَدَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ فِي أَقْوَالِ الشُّعْرَاءِ الْمُفْلِقِينَ . وَلَقَدْ تَصَفَّحْتُ  
الْأَشْعَارَ قَدِيمَهَا وَحَدِيثَهَا وَحَفِظْتُ مَا حَفِظْتُ مِنْهَا وَكُنْتُ إِذَا مَرَرْتُ  
بِنَظَرِي فِي دِيَوَانٍ مِنَ الدَّوَاوِينِ وَيُلَوِّحُ لِي فِيهِ مِثْلُ هَذِهِ الْأَلْفَاظِ أَجَدُ  
لَهَا نَشْوَةً كَنَشْوَةِ الْخَمْرِ وَطَرَبًا كَطَرَبِ الْأَلْحَانِ . وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاطِلِينَ  
وَالنَّائِرِينَ يَمُرُّ عَلَى ذَلِكَ وَلَا يَتَفَتَّنُ لَهُ سِوَى أَنَّهُ يَسْتَحْسِنُهُ مِنْ غَيْرِ  
نَظَرٍ فِيمَا نَظَرْتُ أَنَا فِيهِ وَيُظَنُّ كَعَايِرِهِ مِنَ الْأَلْفَاظِ الْمُسْتَحْسِنَةِ .  
فَمَا جَاءَ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ أَبِي نَمَامٍ :

كَمْ صَارِمٍ عَضِبَ أَنَا فَعَلَى قَفَا مِنْهُمْ لِأَعْبَاءِ أَلْوَعَى حِمَالِ  
سَبَقَ الْمَشِيبَ إِلَيْهِ حَتَّى أَبْتَرَّهُ وَطَنُ النُّهَى مِنْ مَفَرِّقٍ وَقَدَالَ  
فَقَوْلُهُ : ( وَطَنُ النُّهَى ) مِنَ الْكَلِمَاتِ الْجَامِعَةِ وَهِيَ عِبَارَةٌ  
عَنِ الرَّأْسِ وَلَا يُجَاءُ بِمِثْلِهَا فِي مَعْنَاهَا بِمَا يَسُدُّ مَسَدَهَا . وَكَذَلِكَ وَرَدَ  
قَوْلُ الْبُخَّارِيِّ :

قَلْبٌ يُطِلُّ عَلَى أَفْكَارِهِ وَيَدُّ نَحْضِي الْأُورِ وَنَقْسٌ لَهَا هَا التَّعَبُ  
فَقَوْلُهُ : ( قَلْبٌ يُطِلُّ عَلَى أَفْكَارِهِ ) مِنَ الْكَلِمَاتِ الْجَوَامِعِ .  
وَمُرَادُهُ بِذَلِكَ أَنَّ قَلْبَهُ لَا تَمْلَأُهُ الْأَفْكَارُ وَلَا تُحِيطُ بِهِ وَإِنَّمَا هُوَ عَالِمٌ

عَلَيْهَا يَصِفُ بِذَلِكَ عَدَمَ اخْتِفَالِهِ بِالْفَوَاحِ وَقَلَّةَ مُبَالَاتِهِ بِالْخُطُوبِ  
الَّتِي تُحَدِّثُ أَفْكَارًا تَسْتَعْرِقُ الْقُلُوبَ وَهَذِهِ عِبَارَةٌ عَجِيبَةٌ لَا يُؤْتِي بِمِثْلِهَا  
مِمَّا يَسُدُّ مَسَدَهَا . ( وَامَّا ) مَا يَأْتِي عَلَى حُكْمِ الْحَقِيقَةِ فَكَقَوْلِ ابْنِ  
الرُّومِيِّ :

سَقَى اللَّهُ أَوْطَارًا لَنَا وَمَارِبًا      تَقَطَّعَ مِنْ أَقْرَانِهَا مَا تَقَطَّعًا  
إِيَالًا تُتَسَيَّنِي إِلَيَّالِي حِسَابِهَا      بُلْهَنِيَّةٌ أَقْضِي بِهَا الْحَوْلَ أَجْمَعًا  
سَوَى عِزَّةٍ لَا أَعْرِفُ الْيَوْمَ بِأَسْمِهِ      وَأَعْمَلُ فِيهِ اللَّهُمَّ رَأَى وَمَسْمَعًا  
فَقَوْلُهُ : ( لَا أَعْرِفُ الْيَوْمَ بِأَسْمِهِ ) وَنَ الْكَلِمَاتِ الْجَامِعَةِ أَيِ  
إِنِّي قَدْ شُغِلْتُ بِالذَّاتِ عَنْ مَعْرِفَةِ إِلَيَّالِي وَالْأَيَّامِ وَلَوْ وَصَفَ  
اشْتِغَالَهُ بِالذَّاتِ مِنْهَا وَصَفَ لَمْ يَأْتِ بِمِثْلِ قَوْلِهِ : ( لَا أَعْرِفُ الْيَوْمَ  
بِأَسْمِهِ ) . ( وَامَّا الْقِسْمُ الثَّانِي ) وَنَ جَوَامِعِ الْكَلِمِ فَأَلْمَرَادُ بِهِ الْإِيحَازُ  
الَّذِي يُدَلُّ بِهِ بِالْأَلْفَافِ الْقَلِيلَةِ عَلَى الْمَعَانِي الْكَثِيرَةِ أَيِ تَكُونُ  
الْأَلْفَافُ جَامِعَةً الْمَعَانِي الْمَقْصُودَةِ عَلَى إِيجَازِهَا وَاخْتِصَارِهَا . وَسَيَأْتِي  
فِي بَابِ الْإِيحَازِ مِنْهُ مَا فِيهِ كِفَايَةٌ وَمَقْنَعٌ . ( فَإِنْ قِيلَ ) : فَمَا الْفَرْقُ بَيْنَ  
هَذَيْنِ الْقِسْمَيْنِ الَّذِينَ ذَكَرْتُهُمَا فَانْهَمَا بِالنَّظَرِ سَوَاءٌ . ( قُلْتُ فِي  
الْجَوَابِ ) : إِنَّ الْإِيحَازَ هُوَ أَنْ يُؤْتَى بِالْأَلْفَافِ دَالَّةً عَلَى مَعْنَى وَنَ غَيْرِ  
أَنْ تَرِيدَ عَلَى ذَلِكَ الْمَعْنَى وَلَا يُشْتَرَطُ فِي تِلْكَ الْأَلْفَافِ أَنَّهَا لَا تَظِيرُ  
لَهَا فَانْهَا تَكُونُ قَدْ اتَّصَفَتْ بِوَصْفِ آخَرٍ خَارِجٍ عَنْ وَصْفِ الْإِيحَازِ .  
وَحِينَئِذٍ يَكُونُ إِيجَازًا أَوْ زِيَادَةً . وَامَّا هَذَا الْقِسْمُ الْآخَرُ فَإِنَّهُ أَلْفَافُ  
أَفْرَادٍ فِي حُسْنِهَا لَا تَظِيرُ لَهَا . فَتَارَةً تَكُونُ مُوجِزَةً وَتَارَةً لَا تَكُونُ

مُوجَزَةً . وَلَيْسَ أَلْفَرَضُ مِنْهَا أَلِإِجْازَ وَرَأَمَّا أَلْفَرَضُ مَكَانَهَا مِنْ أَلْحُسْنِ  
أَلَّذِي لَا تَظْهَرُ لَهَا فِيهِ . أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِ أَبِي تَمَّامٍ : ( وَطَنَ أَلنَّهْيِ )  
فَإِنَّ ذَلِكَ عِبَارَةٌ عَنْ أَلرَّأْسِ وَلَا شَكَّ أَنَّ أَلرَّأْسَ أَوْجَزُ لِأَنَّ أَلرَّأْسَ  
لَفِظَةٌ وَاحِدَةٌ . وَوَطَنَ أَلنَّهْيِ لَفِظَتَانِ . إِلَّا إِنْ ( وَطَنَ أَلنَّهْيِ ) أَحْسَنُ فِي  
أَلتَّعْيِيرِ عَنْ أَلرَّأْسِ . فَبِإِنْ هَذَا أَنَّ أَحَدَ هَذَيْنِ أَلْقِسْمَيْنِ غَيْرِ أَلْآخَرِ

### البحث الحادي عشر

### في الانسجام

( عن شرح بديعة العميان لابن جابر وبديعة الحموي )

( راجع صفحة ٢١ من علم الادب )

أَلْأَنْسِجَامُ لُغَةً جَرِيانُ أَلْمَاءِ وَعِنْدَ أَهْلِ أَلْبَلَاغَةِ هُوَ أَنْ يَأْتِيَ  
أَلنَّاطِلُ أَوْ أَلنَّائِرُ بِكَلَامٍ خَالٍ مِنْ أَلتَّعْقِيدِ أَللَّفْظِيِّ وَأَلتَّعْنُويِّ بِسِيطَا  
مَفْهُومًا دَقِيقَ أَلْأَلْفَاظِ جَلِيلٍ أَلتَّعْنَى لَا تَكْتَلِفُ فِيهِ وَلَا تَعْسُفُ يَتَحَدَّرُ  
كَتَحَدَّرُ أَلْمَاءُ . أَلْمُنْسَجِمُ فَيَكَادُ لِسُهُولَةِ تَرْكِيبِهِ وَعُدُوبَةِ أَلْفَاظِهِ أَنْ يَسِيلَ  
رِقَّةً . وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا فِي مَنْ هُوَ مَطْبُوعٌ عَلَى سَلَامَةِ أَلذَّوقِ  
وَتَوْقُدِ أَلْفِكْرَةَ وَبَرَاعَةِ أَلْإِنْشَاءِ وَحُسْنِ أَلْأَسَالِيبِ . فَإِنْ كَانَ  
صَنُوعًا فَلَا بُدَّ أَنْ يَقَعَ فِيهِ غَالِبًا مَا يُظْهَرُ صِنَاعَتُهُ مَعَ مُقَابَلَتِهِ بِغَيْرِهِ  
مِنْ نَفْسِ صَانِعِهِ . وَإِنْ فُحِّلَ هَذَا أَلْمِيدَانِ مَا أَثَقَلُوا كَاهِلَ سُهُولَتِهِ  
بِنَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ أَلْبَدِيعِ أَللَّهِمَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَ عَفْوَ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ .  
وَعَلَى هَذَا أَتَمَعَ أَلْعُلَمَاءُ أَلْبَدِيعِ فِي حَدِّ هَذَا أَلنَّوعِ فَلَانْتَهُمُ قَرَرُوا : أَنْ  
يَكُونَ بَعِيدًا فِي أَلتَّصْنُعِ خَالِيًا مِنْ أَلْأَنْوَاعِ أَلْبَدِيعِيَّةِ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَ

فِي ضَمْنِ السُّهُولَةِ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ. وَإِنْ كَانَ إِلَّا تَسْجِماً فِي التَّثَرُّ تَكُونُ  
غَالِبَ قَرَأَتِهِ مَوْزُونَةً مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ لِقُوَّةِ اتِّسَاجِهِ . وَإِنْ كَانَ فِي  
النَّظْمِ فَتَكَادُ الْآيَاتُ أَنْ تَسِيلَ رَقَّةً وَعُدُوبَةً . وَرَبَّمَا دَخَلَتْ فِي  
الْمُطَرَّبِ وَالْمُرْقَصِ

### البحث الثاني عشر

### في القول في النظم

( عن صناعة الترسل لشهاب الدين الحلبي باختصار )

( راجع صفحة ٢٤ من علم الادب )

النَّظْمُ عِبَارَةٌ عَنْ تَوَاحِي مَعَانِي النَّحْوِ فِيمَا بَيْنَ الْكَلَامِ . وَذَلِكَ  
أَنْ تَضَعَ كَلَامَكَ الْوَضْعَ الَّذِي يَقْتَضِيهِ عِلْمُ النَّحْوِ بِأَنْ تَنْظُرَ فِي  
كُلِّ نَابٍ إِلَى قَوَائِنِهِ وَالْفُرُوقِ أَيْ بَيْنَ مَعَانِي اخْتِلَافِ صِيغِهِ وَتَضَعُ  
الْحُرُوفَ مَوَاضِعَهَا وَتُرَاعِي سَرَائِطَ التَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ وَمَوَاضِعَ الْفَضْلِ  
وَالْوُضُلِ وَمَوَاضِعَ حُرُوفِ الْعَطْفِ عَلَى اخْتِلَافِ مَعَانِيهَا وَتَقْتَسِرُ  
الْأَصَابَةَ فِي طَرِيقِ التَّشْبِيهِ وَالتَّمثِيلِ . وَقَدْ أَطَبَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى تَعْظِيمِ  
شَأْنِ النَّظْمِ . وَإِنْ لَا فَضْلَ مَعَ عَدَمِهِ وَلَوْ بَلَغَ الْكَلَامُ فِي غَرَابَةِ مَعْنَاهُ  
إِلَى مَا بَلَغَ . وَإِنَّ سَبَبَ فَسَادِهِ تَرْكُ الْعَمَلِ بِقَرَائِنِ النَّحْوِ وَأَسْتِعْمَالُ  
شَيْءٍ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ . ثُمَّ الْجَمْلُ الْكَبِيرَةُ إِذَا نُظِمَتْ نَظْماً وَاحِداً  
فَهِيَ عَلَى قِسْمَيْنِ : ( الْأَوَّلُ ) أَنْ يَتَعَلَّقَ الْبَعْضُ بِالْبَعْضِ فَلَا يَحْتَاجُ  
وَاضِعُهُ إِلَى فِكْرٍ وَرَوِيَّةٍ فِي اسْتِخْرَاجِهِ بَلْ هُوَ كَمَنْ عَمَدَ إِلَى الْأَلْيَنِ

يَنْظِمُهَا فِي سِلْكٍ . وَمِثَالُهُ قَوْلُ الْجَلِيزِ : جَنَّبَكَ اللَّهُ الشُّبُهَةَ وَعَصَمَكَ  
 مِنَ الْخَيْرَةِ وَجَعَلَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْمَعْرُوفِ نَسَبًا وَبَيْنَكَ وَالصِّدْقِ  
 سَبَبًا . وَكَقَوْلِ النَّابِغَةِ النُّعْمَانِ : يُفَاخِرُكَ ابْنُ أَبِي جَفْنَةَ وَإِنَّ لَقَفَاكَ  
 خَيْرٌ مِنْ وَجْهِهِ وَلَشِمَالِكَ خَيْرٌ مِنْ يَمِينِهِ وَلَا تَحْصُصْكَ خَيْرٌ مِنْ رَأْسِهِ  
 وَلِحِطَّاكَ خَيْرٌ مِنْ صَوَابِهِ وَلِحَدِّكَ خَيْرٌ مِنْ قُوَمِهِ . وَهَذَا النَّظْمُ لَا يَسْتَحِقُّ  
 الْقَضَلَ إِلَّا بِسَلَامَةٍ مَعْنَاهُ وَسَلَامَةُ الْفَاعِلِ إِذْ لَيْسَ فِيهِ مَعْنَى دَقِيقٌ  
 لَا يُدْرِكُ إِلَّا بِثَابِتِ الْفِكْرِ . وَرَبَّمَا ظَنَّ بِالْكَلَامِ أَنَّهُ مِنْ هَذَا  
 الْجَنْسِ وَلَا يَكُونُ مِنْهُ . ( الثَّانِي ) أَنْ تَكُونَ الْجُمْلَةُ الْمَذْكُورَةُ  
 يَتَعَلَّقُ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ وَهَنَّاكَ تَطْهَرُ قُوَّةُ الطَّبْعِ وَجُودَةُ الْقَرِيحَةِ وَاسْتِقَامَةُ  
 الذَّهْنِ . ثُمَّ لَيْسَ لِهَذَا أَلْبَابٌ قَانُونٌ يُحْفَظُ فَإِنَّمَا يُجِيءُ عَلَى وَجْهِ شَيْءٍ :  
 ( فَمِنْهَا الْإِيجَازُ ) وَهُوَ التَّغْيِيرُ عَنِ الْقَرَضِ بِأَقْلَرِ مَا يُمَكِّنُ مِنَ  
 الْحُرُوفِ وَهُوَ عَلَى صَرِيحَيْنِ : ( أَحَدُهُمَا ) إِيْجَازٌ قَصْرٌ وَهُوَ تَقْلِيلُ اللَّفْظِ  
 وَتَكْثِيرُ الْمَعْنَى . ( وَالثَّانِي ) إِيْجَازٌ حَذْفٌ وَهُوَ الْأَسْتِغْنَاءُ بِالْمَذْكُورِ  
 عَمَّا لَمْ يُذَكَّرْ . ( وَمِنْهَا التَّأَكِيدُ ) وَهُوَ تَقْوِيَةُ الْمَعْنَى وَتَقْرِيرُهُ أَمَّا  
 بِإِظْهَارِ الْبَهَانِ كَقَوْلِ قَابُوسَ :

يَاذَا الَّذِي بَصُرُوفِ الدَّهْرِ عَيْنَا      هَلْ عَانَدَ الدَّهْرُ إِلَّا مَنَ لَهُ خَطَرُ  
 أَمَا تَرَى الْجَبْرَ يَغْلُو قُوَّةَ جَيْفُ      وَتَسْتَقِرُّ بِأَقْصَى قَعْرِهِ الدَّرُ  
 وَفِي السَّمَاءِ نُجُومٌ غَيْرُ ذِي عَدَدٍ      وَلَيْسَ يَكْشِفُ إِلَّا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ  
 ( أَوْ بِالْعَزِيمَةِ ) كَقَوْلِهِ : فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ .

( أَوْ بِالتَّكْرَارِ ) كَقَوْلِهِمْ : اللَّهُ اللَّهُ وَالْأَسَدُ الْأَسَدُ

## الفصل الرابع

في البيان

البحث الاول

### في تحديد البيان على وجه الاجمال

( من كتاب البيان والتبيين للجاحظ وقرر الخصائص للوطواط بتصرف )

( راجع صفحة ٢٧ و ٢٨ من علم الادب )

الْبَيَانُ اسْمُ كُلِّ شَيْءٍ كَشَفَ اَنَّ عَلَى بَيَانِ الْمَعْنَى وَهَتَكَ  
لَكَ الْخُجْبَ دُونَ الضَّمِيرِ حَتَّى يُفْضِيَ السَّامِعُ إِلَى حَقِيقَتِهِ وَيَفْهَمَ عَلَى  
مَحْضِهِ كَأَنَّمَا كَانَ ذَلِكَ اَلْبَيَانُ وَمِنْ أَيْ جَنْسٍ كَانَ ذَلِكَ اَلدَّلِيلُ .  
لِأَنَّ مَدَارَ الْأَمْرِ وَالْعَايَةَ الَّتِي يَجْرِي إِلَيْهَا الْقَائِلُ وَالسَّامِعُ إِنَّمَا هُوَ  
اَلْفَهْمُ وَالْإِفْهَامُ فَبِأَيِّ شَيْءٍ بَلَغْتَ الْإِفْهَامَ وَأَوْضَحْتَ عَنْ الْمَعْنَى  
فَذَلِكَ هُوَ اَلْبَيَانُ فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ . وَقِيلَ لَجَفَرِ بْنِ يَحْيَى اَلْبَرْمَكِيِّ :  
مَا اَلْبَيَانُ . قَالَ : أَنْ يَكُونَ اَلْأَسْمُ يُحِيطُ بِمَعْنَاكَ وَيَكْشِفُ عَنْ  
مَغْزَاكَ وَيُخْرِجُهُ مِنَ اَلشَّرَكَةِ وَلَا يُسْتَعَانُ عَلَيْهِ بِأَفْكَرَةٍ وَيَكُونُ سَلِيمًا  
وَنَ اَلتَّكْلُفِ بَعِيدًا مِنَ اَلصَّنْعَةِ بَرِيئًا مِنَ اَلتَّعْقِيدِ غَنِيًّا عَنِ اَلتَّأْوِيلِ .  
وَقَالُوا : اَلْبَيَانُ بَصَرٌ وَالْعَبْرُ عَمَى كَمَا أَنَّ اَلْعِلْمَ بَصَرٌ وَاَلْجَهْلَ عَمَى  
وَالْبَيَانُ مِنْ نَتَائِجِ اَلْعِلْمِ وَالْعَبْرُ مِنْ نَتَائِجِ اَلْجَهْلِ . وَقَالُوا : حَيَاةُ  
اَلْمُرُوءَةِ اَلصِّدْقُ وَحَيَاةُ الرُّوحِ اَلْعَافُ وَحَيَاةُ اَلْجُلْمِ اَلْعِلْمُ وَحَيَاةُ اَلْعِلْمِ



أَلَيَّانُ . وَقَالَ ابْنُ التَّوَّامِ : أَلُرُّوحُ عِمَادُ أَلْبَدَنِ وَالْعِلْمُ عِمَادُ أَلرُّوحِ  
وَأَلَيَّانُ عِمَادُ الْعِلْمِ . وَقَدْ ذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَنَّ أَلْكَلَامَ إِذَا كَثُرَ  
عَنْ قَدْرِ الْحَاجَةِ وَزَادَ عَلَى حَدِّ الْكِفَايَةِ وَكَانَ صَوَابًا لَا يَشُوْبُهُ خَطْلٌ  
وَسَلِيمًا لَا يَنْقُصُهُ ذَلَلٌ فَهُوَ أَلَيَّانُ وَالتَّخَرُّجُ الْحَلَالُ . (وَفِي كُتُبِ  
أَلْحُكَمَاءِ) : أَلَيَّانُ هُوَ أَنْ يُحْسِنَ الْعِبَارَةَ عَنْ أَلْعَانِي أَلَّتِي تَهْجِسُ  
فِي الضَّمِيرِ فَيُجْتَاجُ إِلَى نَقْلِ صَوْرِهَا أَلْمُخَيَّلَةِ أَوْ أَلْمُعْقُولَةِ إِلَى ضَمِيرٍ مَنْ  
يُخَاطَبُهُ . وَقَالَ آخَرُ : خَيْرُ أَلَيَّانٍ مَا كَانَ مُصَرَّحًا عَنْ أَلْعَنَى لِيُسْرَعَ  
إِلَى أَلْفَهْمِ تَلَفُّهُ وَمَوْجَزَ الْخِيفَةِ عَلَى أَللِّسَانِ تَعَاهُدُهُ . قَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ :  
أَلَيَّانُ تَرْجُمَانُ أَلْقُلُوبِ وَعَيْقَلُ أَلْعُقُولِ . وَقَالَ سَهْلُ بْنُ هَارُونَ :  
أَلَيَّانُ تَرْجُمَانُ أَللِّسَانِ وَرَوْضُ أَلْقُلُوبِ

### البحث الثاني

#### في تعريف علم البيان

(عن الكشاف للتهانوي وكشف الطنون للحاج خلعا)

( راجع صفحة ٢٧ من علم الادب )

أَلَيَّانُ لُغَةٌ أَلْكَشَفُ وَالتَّوَضُّيْعُ وَالظُّهُورُ وَهُوَ فِي الْأَصْطِلَاحِ  
عِبَارَةٌ عَنْ أَلْمُنْطَقِ أَلْفَصِيحِ أَلْمُعْتَبَرِ عَمَّا فِي الضَّمِيرِ . وَقَدْ يُسْتَعْمَلُ  
بِمَعْنَى أَلْإِبْطَاتِ بِأَلدَّلِيلِ . وَقِيلَ : أَلْفَرْقُ بَيْنَ أَلَيَّانِ وَأَلتَّيَّانِ بِأَنَّ  
أَلَيَّانَ هُوَ أَظْهَرُ أَلْمُرَادِ . وَأَلتَّيَّانُ يَحْتَوِي عَلَى كَدِّ أَلْخَاطِرِ وَأَعْمَالِ  
أَلْقَلْبِ . وَقَرِيبٌ مِنْهُ مَا قِيلَ : أَلتَّيَّانُ يَأْنُ مَعَ دَلِيلٍ وَبُرْهَانٍ .

وَأَلْيَانُ عِنْدَ الْبُلْغَاءِ : هُوَ عِلْمٌ يُعْرَفُ بِهِ إِيْرَادُ الْمَعْنَى الْوَاحِدِ  
بِتَرَكَيبٍ مُخْتَلَفَةٍ فِي وَضُوحِ الدَّلَالَةِ عَلَى الْقَصْدِ بِأَنْ يَكُونَ دَلَالَةُ  
بَعْضِهَا أَجْلَى مِنْ بَعْضٍ . وَوَضُوعُهُ الَّلَفْظُ الْبَلِيغُ مِنْ حَيْثُ وَضُوحُ  
الدَّلَالَةِ عَلَى الْمَعْنَى الْمُرَادِ . وَغَرَضُهُ تَحْصِيلُ مَلَكَهٖ الْإِفَادَةِ بِالدَّلَالَةِ  
الْعَقْلِيَّةِ وَفَهْمِ مَذَلُولَاتِهَا . وَغَايَتُهُ الْإِحْتِرَازُ عَنِ الْخَطَا فِي تَعْيِينِ الْمَعْنَى  
الْمُرَادِ . وَمَبَادِئُهَا بَعْضُهَا عَقْلِيَّةٌ كَأَقْسَامِ الدَّلَالَةِ وَالتَّشْبِيهَاتِ وَالْعِلَاقَاتِ .  
وَبَعْضُهَا وَجْدَانِيَّةٌ ذَوْقِيَّةٌ كَوُجُوهِ التَّشْبِيهَاتِ وَأَقْسَامِ الْإِسْتِعَارَاتِ  
وَكَيْفِيَّةِ حُسْنِهَا . وَإِنَّمَا اخْتَارُوا فِي عِلْمِ أَلْيَانِ وَضُوحَ الدَّلَالَةِ لِأَنَّ  
بَحْثَهُمْ لَمَّا اقْتَصَرَ عَلَى الدَّلَالَةِ الْعَقْلِيَّةِ أَغْنَى التَّضْيِيفَ وَالْإِلْتِرَافِيَّةَ  
وَكَانَتْ تِلْكَ الدَّلَالَةُ خَفِيَّةً سِيْمَا إِذَا كَانَ الزُّرُومُ بِحَسَبِ أَعَادَاتِ  
وَالطَّبَائِعِ فَوَجَبَ التَّعْيِيرُ عَنْهَا بِلَفْظٍ أَوْضَحَ . سَلَا : إِذَا كَانَ الْمُرْتَبِ  
دَقِيقًا فِي الْغَايَةِ تَحْتَاجُ الْخَاسَّةُ فِي إِبْصَارِهَا إِلَى شُعَاعٍ قَوِيٍّ بِخِلَافِ  
الْمُرْتَبِ إِذَا كَانَ جَلِيلًا . وَكَذَا الْحَالُ فِي الرُّوْيَةِ الْعَقْلِيَّةِ أَغْنَى الْفَهْمَ  
وَالْإِذْرَاكَ . وَالْحَاصِلُ أَنَّ الْمَعْتَرِدَ فِي عِلْمِ أَلْيَانِ دِقَّةُ الْمَعَانِي الْمَعْتَبَرَةِ  
فِيهَا مِنَ الْإِسْتِعَارَاتِ وَالْكِنَايَاتِ مَعَ وَضُوحِ الْأَلْفَازِ الدَّلَالَةِ عَلَيْهَا



### البحث الثالث

## في الحقيقة والمجاز

( من المثل السائر لابن الاثير )

( راجع صفحة ٢٩ من علم الادب )

هَذَا الْفَضْلُ مُهِمٌّ كَثِيرٌ مِنْ مُهِمَّاتِ عِلْمِ الْبَيَانِ لَا بَلْ هُوَ عِلْمُ  
الْبَيَانِ بِأَجْمَعِهِ . فَإِنَّ فِي تَضْرِيفِ الْعِبَارَاتِ عَلَى الْأَسْلُوبِ الْحَجَازِيِّ  
فَوَائِدَ كَثِيرَةً . وَالْكَلَامُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ عَلَى جَمَاتِهَا دُونَ تَفْصِيلِهَا .  
فَأَمَّا الْحَقِيقَةُ فَهِيَ اللَّفْظُ الدَّالُّ عَلَى مَوْضُوعِهِ الْأَصْلِيِّ . وَأَمَّا الْحِجَازُ  
فَهُوَ مَا أُريدَ بِهِ غَيْرُ الْمَعْنَى الْمَوْضُوعِ لَهُ مِنْ أَصْلِ اللُّغَةِ وَهُوَ مَا خُوذَ  
مِنْ جَازٍ . وَنَ هَذَا الْمَوْضِعِ إِلَى هَذَا الْمَوْضِعِ إِذَا تَخَطَّاهُ إِلَيْهِ . فَالْحِجَازُ  
إِذَا أُنِمْ لِلْمَكَانِ الَّذِي يُحَازُ فِيهِ كَالْمَلْعَاجِ وَالْمَزَارِ وَأَشْبَاهِهِمَا . وَحَقِيقَتُهُ  
هِيَ الْإِنْتِقَالُ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ . فَجَعَلَ ذَلِكَ لِنَقْلِ الْأَلْفَازِ مِنْ  
مَحَلٍّ إِلَى مَحَلٍّ كَقَوْلِنَا : زَيْدٌ أَسَدٌ . فَإِنَّ زَيْدًا إِنْسَانٌ وَالْأَسَدُ هُوَ  
هَذَا الْحَيَوَانُ الْمَعْرُوفُ . وَقَدْ جُزْنَا مِنَ الْإِنْسَانِيَّةِ إِلَى الْأَسَدِيَّةِ . أَيْ  
عَبَرْنَا مِنْ هَذِهِ إِلَى هَذِهِ لَوْضَلَةٍ بَيْنَهُمَا وَتِلْكَ الْوَضَلَةُ هِيَ صِفَةُ الشَّجَاعَةِ .  
وَقَدْ يَكُونُ الْعُبُورُ لِعَبْرٍ وَضَلَةٍ . وَذَلِكَ هُوَ الْإِتْسَاعُ كَقَوْلِهِمْ فِي كِتَابِ  
كَلِيلَةِ وَدَمْنَةَ : قَالَ الْأَسَدُ . قَالَ الثَّعْلَبُ . فَإِنَّ الْقَوْلَ لَا وَضَلَةَ  
بَيْنَهُ وَبَيْنَ هَذَيْنِ بِحَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ . وَإِنَّمَا أُجْرِيَ عَلَيْهِمَا إِتْسَاعًا مُحْضًا  
لَا غَيْرُ . . . . . وَقَدْ ذَهَبَ قَوْمٌ إِلَى أَنَّ الْكَلَامَ كُلَّهُ حَقِيقَةٌ لَا حِجَازَ  
فِيهِ . وَذَهَبَ آخَرُونَ : إِلَى أَنَّهُ كُلُّهُ حِجَازٌ لِحَقِيقَةٍ فِيهِ . وَكِلَاهُمَا هَذَيْنِ

الْمُتَهَبِّينَ فَاسِدٌ عِنْدِي. وَسَاجِبُ الْخُصَمَاءِ أَدْعَاهُ فِيهِمَا فَأَقُولُ : مَحَلُّ  
الْإِتْرَاعِ هُوَ إِنْ أَلْفَعَةٍ كُلُّهَا حَقِيقَةٌ أَوْ إِنَّمَا كُلُّهَا مَجَازٌ. وَلَا فَرْقَ عِنْدِي  
بَيْنَ قَوْلِكَ إِنَّمَا كُلُّهَا حَقِيقَةٌ أَوْ إِنَّمَا مَجَازٌ. فَإِنْ كِلَا الطَّرَفَيْنِ عِنْدِي  
سَوَاءٌ. لِأَنَّ مُكْرَهُمَا غَيْرُ مُسْلِمٍ لِهَمَّا. وَأَنَا بِصَدَدٍ أَنْ أُبَيِّنَ أَنَّ فِي  
أَلْفَعَةٍ حَقِيقَةً وَمَجَازًا. وَالْحَقِيقَةُ اللَّغَوِيَّةُ هِيَ حَقِيقَةُ الْأَلْفَازِ فِي دَلَالَتِهَا  
عَلَى الْمَعْنَى وَلَيْسَتْ بِالْحَقِيقَةِ الَّتِي هِيَ ذَاتُ الشَّيْءِ أَيْ نَفْسُهُ وَعَيْنُهُ .  
فَالْحَقِيقَةُ اللَّفْظِيَّةُ إِذَا هِيَ دَلَالَةُ اللَّفْظِ عَلَى الْمَعْنَى الْمَوْضُوعِ لَهُ فِي أَصْلِ  
أَلْفَعَةٍ . وَالْمَجَازُ هُوَ نَقْلُ الْمَعْنَى عَنِ اللَّفْظِ الْمَوْضُوعِ لَهُ إِلَى لَفْظٍ آخَرَ  
غَيْرِهِ . وَتَقْرِيرُ ذَلِكَ بِأَنْ أَقُولَ : الْحَوَالِقَاتُ كُلُّهَا تَفْتَقِرُ إِلَى أَسْمَاءٍ  
يُسْتَدَلُّ بِهَا عَلَيْهَا لِيُعْرَفَ كُلُّ مَنَّا بِأَسْمِهِ مِنْ أَجْلِ اتِّفَاقِهِمْ بَيْنَ  
النَّاسِ . وَهَذَا يَقَعُ ضَرُورَةً لَا بُدَّ مِنْهَا . فَالْأَسْمَاءُ الْمَوْضُوعُ بِإِزَاءِ الْمُسَمَّى  
هُوَ حَقِيقَةٌ لَهُ فَإِذَا نُقِلَ إِلَى غَيْرِهِ صَارَ مَجَازًا . وَمِثَالُ ذَلِكَ أَنَا إِذَا  
قُلْنَا : شَمْسٌ . أَرَدْنَا بِهِ هَذَا الْكَوْكَبَ الْعَظِيمَ الْكَثِيرَ الضَّوْءِ .  
وَهَذَا الْأَسْمُ لَهُ حَقِيقَةٌ لِأَنَّهُ وُضِعَ بِإِزَائِهِ . وَكَذَلِكَ إِذَا قُلْنَا : بَحْرٌ .  
أَرَدْنَا بِهِ هَذَا الْمَاءَ الْعَظِيمَ الْمُجْتَمِعَ الَّذِي طَمَعُهُ مِلْحٌ . وَهَذَا الْأَسْمُ  
أَهُ حَقِيقَةٌ لِأَنَّهُ وُضِعَ بِإِزَائِهِ . فَإِذَا تَقَلْنَا الشَّمْسَ إِلَى أَلْوَجِهِ الْمَلِيحِ  
أَسْتِعَارَةً كَانَ لَهُ ذَلِكَ مَجَازًا لِحَقِيقَتِهِ . وَكَذَلِكَ إِذَا تَقَلْنَا الْبَحْرَ إِلَى  
الرَّجْلِ الْجَوَادِ أَسْتِعَارَةً كَانَ ذَلِكَ لَهُ مَجَازًا لِحَقِيقَتِهِ . ( فَإِنْ قِيلَ ) :  
إِنْ أَلْوَجَهُ الْمَلِيحُ يُقَالُ لَهُ شَمْسٌ وَهُوَ حَقِيقَةٌ فِيهِ . وَكَذَلِكَ يُقَالُ لِلرَّجْلِ  
الْجَوَادِ بَحْرٌ وَهُوَ حَقِيقَةٌ فِيهِ . ( فَالْجَوَابُ ) عَنْ ذَلِكَ مِنْ وَجْهَيْنِ : ( أَحَدُهُمَا )

نَظَرِي وَالْآخِرُ وَضِعِي . ( أَمَّا النَّظَرِي ) فَهُوَ أَنَّ الْأَلْفَاظَ إِنَّمَا جُعِلَتْ  
أَدَلَّةً عَلَى إِفْهَامِ الْمَعْنَى وَلَوْ كَانَ مَا ذَهَبَتْ إِلَيْهِ صَحِيحًا لَكَانَ  
الْبَحْرُ يُطْلَقُ عَلَى هَذَا الْمَاءِ الْعَظِيمِ الْمَلْحِ وَعَلَى الرَّجُلِ الْجَوَادِ بِالِاشْتِرَاكِ .  
وكَذَلِكَ الشَّمْسُ أَيْضًا فَإِنَّهَا كَانَتْ تُطْلَقُ عَلَى هَذَا الْكَوْكَبِ الْعَظِيمِ  
الْكَثِيرِ الضَّوِّ وَعَلَى هَذَا الْوَجْهِ الْمَلِيحِ بِالِاشْتِرَاكِ . وَحِينَئِذٍ فَإِذَا وَرَدَ  
أَحَدُ هَذَيْنِ اللفظَيْنِ مُطْلَقًا بغيرِ قَرِينَةٍ مُخَصِّصَةٍ فَلَا يُفْهَمُ الْمُرَادُ بِهِ مَا  
هُوَ مِنْ أَحَدِ الْمَعْنَيْنِ الْمُشْتَرَكَيْنِ الَّتِي تَنْدَرِجَانِ تَحْتَهُ وَنَحْنُ نَرَى الْأَمْرَ  
بِمُخَالَفَةِ ذَلِكَ فَإِنَّا إِذَا قُلْنَا: شَمْسٌ أَوْ بَحْرٌ . وَأَطْلَقْنَا الْقَوْلَ لَا يُفْهَمُ  
مِنْ ذَلِكَ وَجْهٌ مَلِيحٌ وَلَا رَجُلٌ جَوَادٌ . وَإِنَّمَا يُفْهَمُ مِنْ ذَلِكَ الْكَوْكَبُ  
الْمَعْنُومُ وَذَلِكَ الْمَاءُ الْمَعْلُومُ لِأَنَّهُ قَبْلُ إِذَا مَا ذَهَبَتْ إِلَيْهِ بِمَا بَيَّنَّاهُ  
وَأَوْضَحْنَاهُ . ( فَإِنْ قُلْتَ ) : إِنْ الْعَرَفَ يَخَالِفُ مَا ذَهَبَتْ إِلَيْهِ فَإِنَّ مَنْ  
أَلْفَاظٍ مَا إِذَا أُطْلِقَ لَمْ يَذْهَبِ أَلْفَهُمْ مِنْهُ إِلَّا إِلَى التَّجَازِي دُونَ  
الْحَقِيقَةِ . ( قُلْتَ فِي الْجَوَابِ ) : هَذَا شَيْءٌ ذَهَبَ إِلَيْهِ بَعْضُهُمْ وَلَيْسَ  
الْأَمْرُ كَمَا ذَهَبُوا إِلَيْهِ . لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ إِطْلَاقُ اللفظِ فِيهِ بَيْنَ عَامَةٍ  
وَأَخْرَاسٍ فَهُوَ لَا يَفْهَمُونَ إِلَّا الْمَعْنَى التَّجَازِيَّةَ . لِأَنَّهُمْ لَمْ يَعْلَمُوا أَصْلَ  
وَضْعِ الْكَلِمَةِ . وَأَمَّا خَاصَّةُ النَّاسِ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ أَصْلَ الْوَضْعِ  
فَانْتَبَهُوا لَا يَفْهَمُونَ عِنْدَ إِطْلَاقِ اللفظِ إِلَّا الْحَقِيقَةَ لَا غَيْرَ . . . ( وَأَمَّا  
أَلَوْجَةُ الْوَضْعِي ) فَهُوَ أَنَّ الْمَرْجِعَ فِي هَذَا وَمَا يَجْرِي تَجْرَاهُ إِلَى أَصْلِ  
اللُّغَةِ الَّتِي هِيَ وَضْعُ الْأَسْمَاءِ عَلَى التَّسْمِيَّاتِ وَلَمْ يُوجَدْ فِيهَا أَنَّ أَلَوْجَةَ  
الْمَلِيحِ يُسَمَّى شَمْسًا وَلَا أَنَّ الرَّجُلَ الْجَوَادَ يُسَمَّى بَحْرًا . وَإِنَّمَا أَهْلُ

الخطابة والشعر تَوَسَّعُوا فِي الْأَسَالِيبِ الْمَغْنَوِيَةِ فَقَبَّلُوا الْحَقِيقَةَ إِلَى الْحِجَازِ  
وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مِنْ وَاضِعِ اللَّغَةِ فِي أَصْلِ الْوَضْعِ وَلِهَذَا اخْتَصَّ كُلُّ  
وَنَهِمْ بِشَيْءٍ اخْتَرَعَهُ فِي التَّوَسُّعَاتِ الْحِجَازِيَةِ . هَذَا أَمْرٌ الْقَيْسِ  
تَمَرَّخَ أَخْتَرَعَ شَيْئًا لَمْ يَكُنْ قَبْلَهُ . فَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ عَبَّرَ عَنِ الْفَرَسِ  
بِقَوْلِهِ : ( قَبْدُ الْأَوَابِدِ ) . وَلَمْ يُسَمَّ ذَلِكَ لِأَحَدٍ مِنْ قَبْلِهِ . . .  
وَوَاضِعُ اللَّغَةِ مَا ذَكَرْ شَيْنًا مِنْ ذَلِكَ فَعَلِمْنَا حِينَئِذٍ أَنَّ مِنَ اللَّغَةِ  
حَقِيقَةً بَوَاضِعِهِ وَحِجَازًا بِتَوَسُّعَاتِ أَهْلِ الْخَطَابَةِ وَالشَّعْرِ . وَفِي زَمَانِنَا هَذَا  
قَدْ يَحْتَرِغُونَ أَشْيَاءَ مِنَ الْحِجَازِ عَلَى حُكْمِ الْأَسْتِعَارَةِ لَمْ تَكُنْ مِنْ  
قَبْلُ . وَلَوْ كَانَ هَذَا مَوْثُوقًا مِنْ جِهَةٍ وَاضِعِ اللَّغَةِ لَمَا اخْتَرَعَهُ أَحَدٌ  
مِنْ بَعْدِهِ وَلَا رِيدَ فِيهِ وَلَا نَقَصَ مِنْهُ . وَأَمَّا الْفَرْقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْحَقِيقَةِ  
فَهُوَ أَنَّ الْحَقِيقَةَ جَارِيَةٌ عَلَى الْعُدُومِ فِي تَطَايُرِ . أَلَا تَرَى إِذَا قُلْنَا :  
فُلَانٌ عَالِمٌ . صَدَقَ عَلَى كُلِّ ذِي عِلْمٍ . بِخِلَافِ ( وَأَسَالِ الْقَرْيَةِ ) . لِأَنَّهُ  
لَا يَصِحُّ إِلَّا فِي بَعْضِ الْجَوَادَاتِ ذُونَ بَعْضٍ إِذَا أَلْمَزَادُ أَهْلُ الْقَرْيَةِ  
لَا تَهْمُ تَمِّنُ يَصِحُّ السُّؤَالُ لَهُمْ . وَلَا يُجِوزُ أَنْ يُقَالَ : وَأَسَالِ الْحَجَرَ  
وَالْأُتْرَابَ . وَقَدْ يَحْسُنُ أَنْ يُقَالَ : وَأَسَالِ الرَّبْعَ وَالطَّلَلَ . ( وَأَعْلَمُ )  
أَنَّ كُلَّ حِجَازٍ فَلَهُ حَقِيقَةٌ لِأَنَّهُ لَمْ يَصِحَّ أَنْ يُطْلَقَ عَلَيْهِ اسْمُ الْحِجَازِ إِلَّا  
عَنْ حَقِيقَةِ مَوْضُوعَةٍ لَهُ إِذَا الْحِجَازُ هُوَ اسْمٌ لِلْمَوْضُوعِ الَّذِي يُنْقَلُ فِيهِ  
مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ فَيُجْعَلُ ذَلِكَ لِنَقْلِ الْأَلْفَاظِ مِنَ الْحَقِيقَةِ إِلَى  
غَيْرِهَا . وَإِذَا كَانَ كُلُّ حِجَازٍ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ حَقِيقَةٍ قَلَّ عَنْهَا إِلَى حَالَةٍ  
أَلْحِجَازِيَةِ فَكَذَلِكَ لَيْسَ مِنْ ضَرُورَةٍ كُلِّ حَقِيقَةٍ أَنْ يَكُونَ لَهَا حِجَازٌ . فَإِنَّ

مِنَ الْأَسْمَاءِ مَا لَا حِجَازَ لَهُ كَأَسْمَاءِ الْأَعْلَامِ لِأَنَّهَا وُضِعَتْ لِلْفَرْقِ بَيْنَ  
الذَّوَاتِ لَا لِلْفَرْقِ بَيْنَ الصِّفَاتِ

وَكَذَلِكَ فَاعْلَمْ أَنَّ الْحِجَازَ أَوَّلَى بِالِاسْتِعْمَالِ مِنَ الْحَقِيقَةِ فِي بَابِ  
الْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ لِأَنَّهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ كَذَاكَ لَكَانَتْ الْحَقِيقَةُ الَّتِي هِيَ  
الْأَوَّلُ أَوَّلَى مِنْهُ حَيْثُ هُوَ فَرْعٌ عَلَيْهَا . وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ لِأَنَّهُ  
ثَبَتَ وَتَحَقَّقَ أَنَّ فَائِدَةَ الْكَلَامِ الْخَطَإِيَّ هُوَ اثْبَاتُ الْغَرَضِ الْمَقْصُودِ  
فِي نَفْسِ السَّامِعِ بِالتَّخْيِيلِ وَالتَّصْوِيرِ حَتَّى يَكَادَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ عَيْنًا . أَلَا  
تَرَى أَنَّ حَقِيقَةَ قَوْلِنَا : زَيْدٌ أَسَدٌ . هِيَ قَوْلُنَا : زَيْدٌ شَجَاعٌ . لَكِنْ  
فُوقَ بَيْنَ الْقَوْلَيْنِ فِي التَّصْوِيرِ وَالتَّخْيِيلِ وَاثْبَاتِ الْغَرَضِ الْمَقْصُودِ فِي  
نَفْسِ السَّامِعِ . لِأَنَّ قَوْلِنَا : زَيْدٌ شَجَاعٌ . لَا يَتَخَيَّلُ مِنْهُ السَّامِعُ سِوَى  
أَنَّهُ رَجُلٌ جَرِيٌّ مُقْدَامٌ . فَاذًا قُلْنَا : زَيْدٌ أَسَدٌ . يُخَيَّلُ عِنْدَ ذَلِكَ  
صُورَةَ الْأَسَدِ وَهَيْئَتَهُ وَمَا عِنْدَهُ مِنَ الْبَطْشِ وَالْقُوَّةِ وَدَقِّ الْأَفْرَاسِ .  
وَقَوْلُ أَمْرِي أَلْقَيْسٍ فِي الْفَرَسِ : ( قَيْدُ الْأَوَابِدِ ) هُوَ أَبْلَغُ مِنْ قَوْلِهِ  
لَوْ قَالَ : مَا نَعُ الْأَوَابِدُ عَنِ الذَّهَابِ وَالْإِفْلَاتِ . وَالْقَيْدُ مِنْ أَعْلَى  
مَرَاتِبِ الْمَنَعِ عَنِ التَّصَرُّفِ لِأَنَّكَ تُشَاهِدُ مَا فِي الْقَيْدِ مِنَ الْمَنَعِ فَلَا  
تَشْكُ فِيهِ . وَكَقَوْلِهِمْ : هَذَا مِيزَانُ الْقِيَاسِ أَيُّ تَعْدِيلِهِ . وَالْحِجَازُ  
أَبْلَغُ لِأَنَّ الْمِيزَانَ يَصُورُ لَكَ التَّعْدِيلَ حَتَّى تَعَانِيهِ وَلِلْعَيْنِ فَضْلٌ عَلَى  
مَا سِوَاهُ . وَكَذَلِكَ : الْغُرُوضُ مِيزَانُ الشَّعْرِ أَيُّ حَقِيقَتِهِ تَقْوِيمِهِ . وَهَذَا  
لَا تَرَاعُ فِيهِ . وَاعْجَبْ مَا فِي الْعِبَارَةِ الْحِجَازِيَّةِ أَنَّهَا تَثْقُلُ السَّامِعَ  
عَنْ خُلُقِهِ الطَّبِيعِيِّ فِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ حَتَّى إِنَّهَا يَسْمَعُ بِهَا التَّخْيِيلَ

وَيَسْمَعُ بِهَا الْجَبَانُ وَيُحْكَمُ بِهَا الطَّائِشُ أَلْتَسْرِعُ وَيَجِدُ الْمُخَاطَبُ بِهَا  
عِنْدَ سَمَاعِهَا نَشْوَةَ كَنْشَوَةِ الْخَمْرِ حَتَّى إِذَا قُطِعَ عِنْدَ ذَلِكَ الْكَلَامِ  
أَفَاقَ وَنَدِمَ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ مِنْ بَذْلِ مَالٍ . أَوْ تَرَكَ عُقُوبَةً . أَوْ  
أَقْدَامَ عَلَى أَمْرِ مَهُولٍ وَهَذَا هُوَ فَحْوَى السَّيْرِ الْحَلَالِ الْمُسْتَقْنِي مِنْ  
إِلْقَاءِ أَلْعَصَا وَالْجِبَالِ . ( وَأَعْلَمَ ) أَنَّهُ إِذَا وَرَدَ عَلَيْكَ كَلَامٌ . يَجُوزُ أَنْ  
يُحْمَلَ مِنْهُ عَلَى طَرِيقِ الْحَقِيقَةِ وَعَلَى طَرِيقِ الْهَجَازِ بِاخْتِلَافِ لَفْظِهِ  
فَأَنْظُرْ فَإِنْ كَانَ لَا مَزِيَّةَ لِمَعْنَاهُ فِي حَمْلِهِ عَلَى طَرِيقِ الْهَجَازِ فَلَا يَنْبَغِي  
أَنْ يُحْمَلَ إِلَّا عَلَى طَرِيقِ الْحَقِيقَةِ لِأَنَّهَا هِيَ الْأَصْلُ وَالْهَجَازُ هُوَ الْفُرْعُ  
وَلَا يُعْدَلُ عَنِ الْأَصْلِ إِلَى الْفُرْعِ إِلَّا الْفَائِدَةُ

### البحث الرابع

### في الاستعارة

( عن صناعة الترسل لشهاب الدين الحلبي باختصار )

( راجع صفحة ٢٩ من علم الادب )

هِيَ أَدْعَاءُ مَعْنَى الْحَقِيقَةِ فِي الشَّيْءِ لِلْمُبَالَغَةِ فِي التَّشْبِيهِ مَعَ طَرَحِ  
ذِكْرِ التَّشْبِيهِ وَنَ الْبَيْنِ لَفْظًا وَتَقْدِيرًا . وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ : هُوَ جَعَلَ  
الشَّيْءَ لِلشَّيْءِ لِأَجْلِ الْمُبَالَغَةِ فِي التَّشْبِيهِ . فَالْأَوَّلُ كَقَوْلِكَ : لَقِيتُ  
أَسَدًا نَزَعَنِي الرَّجُلَ الشُّجَاعَ . وَالثَّانِي كَقَوْلِ لَبِيدٍ :  
إِذَا أَضْبَحْتَ يَبِيدُ الشَّمَالُ زِمَامَهَا



أَثَبَ أَلِيدَ لِلشَّمَالِ مُبَالَغَةً فِي تَشْبِيهِهَا بِالْقَادِرِ فِي التَّصَرُّفِ فِيهِ .  
وَحَدَّ الرُّمَائِيُّ الْإِسْتِعَارَةَ فَقَالَ : هِيَ تَغْلِيْقُ عِبَارَةً عَلَى غَيْرِ مَا وُضِعَتْ  
لَهُ فِي أَصْلِ اللُّغَةِ عَلَى سَبِيلِ النَّقْلِ لِلإِبَانَةِ . وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَرِ : هِيَ  
إِسْتِعَارَةُ الْكَلِمَةِ مِنْ شَيْءٍ قَدْ عُرِفَ بِهَا إِلَى شَيْءٍ لَمْ يُعْرَفْ بِهَا .  
وَذَكَرَ الْخَفَاجِيُّ كَلَامَ الرُّمَائِيِّ وَقَالَ : وَتَفْسِيرُ هَذِهِ الْجُمْلَةِ أَنَّ قَوْلَهُ مَثَلًا :  
(وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْئًا) . إِسْتِعَارَةٌ لِأَنَّ الْإِسْتِعَالَ لِلنَّارِ وَلَمْ تَوْضَعْ فِي أَصْلِ  
اللُّغَةِ لِلشَّيْبِ فَلَمَّا نَقَلَ إِلَيْهِ بَانَ الْمَعْنَى لِمَا اسْتَكْسَبَهُ مِنَ التَّشْبِيهِ .  
لِأَنَّ الشَّيْبَ لَمَّا كَانَ نَافِذًا فِي الرَّأْسِ شَيْئًا فَشَيْئًا حَتَّى يُجْهِلَهُ إِلَى غَيْرِ  
لَوْنِهِ الْأَوَّلِ كَانَ بِمِثَرَةِ النَّارِ الَّتِي تَسْرِي فِي الخَشَبِ حَتَّى تُجْهِلَهُ إِلَى  
غَيْرِ حَالَتِهِ الْمُبْتَدَأَةِ . فَهَذَا مِنْ نَقْلِ الْعِبَارَةِ عَنِ الْحَقِيقَةِ فِي الْوَضْعِ  
لِلْبَيَانِ وَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ أَوْضَحَ مِنْ الْحَقِيقَةِ لِأَجْلِ التَّشْبِيهِ الْعَارِضِ  
فِيهَا . لِأَنَّ الْحَقِيقَةَ لَوْ قَامَتْ مَقَامَهَا لَكَانَتْ أَوَّلَى بِهَا لِأَنَّهَا الْأَصْلُ  
وَلَيْسَ يُخْفَى عَلَى الْمُتَأَمِّلِ أَنَّ قَوْلَهُ : (وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْئًا) . أَبْلَغُ مِنْ :  
كَثُرَ شَيْبُ الرَّأْسِ . وَهُوَ حَقِيقَةُ هَذَا الْمَعْنَى . وَقَوْلُهُ : (يَوْمٌ يُكْشَفُ عَنْ  
سَاقٍ) . أَحْسَنُ وَأَبْلَغُ فِي مَا قُصِدَ لَهُ مِنْ قَوْلِهِ لَوْ قَالَ : يَوْمٌ يُكْشَفُ  
عَنْ مِثْدَةِ الْأَمْرِ . وَإِنْ كَانَ الْمُغْنِيَانِ وَاحِدًا . الْآتَرَى أَنَّكَ تَقُولُ  
لِمَنْ يَحْتَاجُ إِلَى الْجِدِّ فِي أَمْرِهِ : شَرِّعْ عَنْ سَاقِكَ . فَيَكُونُ هَذَا الْقَوْلُ  
مِنْكَ أَزْكَرَ فِي نَفْسِهِ مِنْ قَوْلِكَ : جِدَّ فِي أَمْرِكَ . وَقَالَ دُرَيْدُ بْنُ  
الْصِّمَّةِ :

كَبَيْتِ الْأِرَارَ خَارِجُ نِصْفِ سَاقِهِ صَبُورٌ عَلَى الْخِزَاءِ طَلَّاعُ أَنْجَدِ

وَقَالَ أَهْدِنِي :

وَكُنْتُ إِذَا جَارَ دَعَا بِغُومِهِ أَشْرُحَتِي يَنْصِفُ السَّاقَ مِثْرِي  
وَلَا بُدَّ لِلْإِسْتِعَارَةِ مِنْ حَقِيقَةٍ هِيَ أَصْلُهَا وَهِيَ : مُسْتَعَارٌ مِنْهُ .  
وَمُسْتَعَارٌ بِهِ . وَمُسْتَعَارٌ لَهُ . فَالْتَّارُ فِي قَوْلِهِ : ( أَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْئًا ) .  
مُسْتَعَارٌ مِنْهَا . وَالْإِسْتِعَالُ مُسْتَعَارٌ . وَالشَّيْبُ مُسْتَعَارٌ لَهُ . وَآمَّا قَوْلُنَا : ( مَعَ  
طَرَحٍ ذَكَرِ الْمَشْبَى ) . فَأَعْلَمَ أَنَّنَا إِذَا طَرَحْنَاهُ كَقَوْلِنَا : رَأَيْتُ أَسَدًا .  
وَأَرَدْنَا الرَّجُلَ الشَّجَاعَ فَهُوَ اسْتِعَارَةٌ بِالْإِتْفَاقِ وَإِنْ ذَكَرْنَا مَعَهُ الْمَشْبَى  
وَقُلْنَا : زَيْدٌ أَسَدٌ . فَالْحُتَارُ أَنَّهُ لَيْسَ بِاسْتِعَارَةٍ إِذْ فِي الْفِعْلِ مَا يَدُلُّ  
عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ بِأَسَدٍ فَلَمْ تَحْصُلِ الْمُبَالَغَةُ . وَإِذَا قُلْتَ : زَيْدٌ الْأَسَدُ .  
فَهُوَ أَبْعَدُ عَنِ الْإِسْتِعَارَةِ فَإِنَّ الْأَوَّلَ خَرَجَ بِالتَّنْكِيرِ مِنْ أَنْ يَحْسُنَ  
فِيهِ كَافُ التَّشْبِيهِ . فَإِنَّ قَوْلَكَ : زَيْدٌ كَأَسَدٍ . كَلَامٌ نَازِلٌ بِخِلَافِ  
الثَّانِي . قَالَ ضِيَاءُ الدِّينِ بْنِ الْأَيْمَرِ : وَهَذَا التَّشْبِيهُ الْمُضْمَرُ الْأَدَاةُ  
قَدْ خَلَطُوهُ بِالْإِسْتِعَارَةِ وَلَمْ يَفْرُقُوا بَيْنَهُمَا وَذَلِكَ خَطَأٌ مُحْضٌ . وَسَاوِضِحْ وَجْهَ  
الْخَطَأِ فِيهِ وَأَحَقِّقْ الْقَوْلَ فِي الْفَرْقِ بَيْنَهُمَا فَأَقُولُ : إِنَّ التَّشْبِيهَ  
أُظْهِرَ الْأَدَاةَ فَلَا حَاجَةَ لِيَبَانَ ذِكْرُهُ لِأَنَّهُ لَا خِلَافَ فِيهِ وَلَكِنْ  
نَذَكَّرُ التَّشْبِيهَ الْمُضْمَرُ الْأَدَاةَ فَنَقُولُ : إِذَا ذُكِرَ التَّنْقُولُ وَالتَّنْقُولُ  
إِلَيْهِ عَلَى أَنَّهُ تَشْبِيهُ الْمُضْمَرِ الْأَدَاةَ قِيلَ فِيهِ : زَيْدٌ أَسَدٌ . أَيْ كَأَلَّاسِدٍ .  
فَأَدَاةُ التَّشْبِيهِ فِيهِ مُضْمَرَةٌ مُقَدَّرَةٌ . وَإِذَا أُظْهِرَتْ حَسَنُ ظُهُورِهَا  
وَلَمْ تَقْدَحْ فِي الْكَلَامِ الَّذِي أُظْهِرَتْ فِيهِ وَلَمْ تَزَلْ عَنْهُ فَصَاحَتَهُ وَبَلَاغَتَهُ  
وَهَذَا بِخِلَافِ مَا إِذَا ذُكِرَ التَّنْقُولُ إِلَيْهِ دُونَ التَّنْقُولِ فَإِنَّهُ لَا يَحْسُنُ

فِيهِ ظُهُورُ أَدَاةِ التَّشْبِيهِ وَإِذَا أَظْهَرْتَ أَرَاكَ عَنْ ذَلِكَ الْكَلَامِ مَا  
كَانَ مُتَّصِفًا بِهِ مِنَ الْحُسْنِ وَالْقَصَاحَةِ... فَأَلْفَرْقُ إِذَا بَيْنَ التَّشْبِيهِ  
الْمُضْمَرِ الْأَدَاةِ وَبَيْنَ الْإِسْتِعَارَةِ أَنَّ التَّشْبِيهِ الْمُضْمَرِ الْأَدَاةُ يَحْسُنُ  
إِظْهَارُ أَدَاةِ التَّشْبِيهِ فِيهِ وَالْإِسْتِعَارَةُ لَا يَحْسُنُ ذَلِكَ فِيهَا . وَالْإِسْتِعَارَةُ  
أَخْصٌ مِنَ الْعَجَازِ إِذَا قَصِدَ الْمُبَالِغَةُ شَرْطٌ فِي الْإِسْتِعَارَةِ دُونَ الْعَجَازِ .  
وَأَيْضًا فَكُلُّ اسْتِعَارَةٍ مِنَ الْبَدِيعِ وَلَيْسَ كُلُّ عَجَازٍ مِنْهُ وَلَاحِقُ أَنَّ  
الْمَعْنَى يُعَارَى أَوَّلًا ثُمَّ بِوَسِطَتِهِ يُعَارَى اللفظ . وَلَا تَحْسُنُ الْإِسْتِعَارَةُ إِلَّا  
حَيْثُ كَانَ التَّشْبِيهُ مُقَرَّرًا بَيْنَهُمَا ظَاهِرٌ أَوْ لَا فَلَا بُدَّ مِنَ التَّصْرِيحِ  
بِالتَّشْبِيهِ . فَلَوْ قُلْتَ : رَأَيْتُ نَخْلَةً أَوْ حَامَةً . وَأَنْتَ تُرِيدُ مَوْئِنًا إِمَارَةً  
إِلَى قَوْلِهِ : مِثْلُ الْمُؤْمِنِ كَمِثْلِ النُّخْلَةِ أَوْ مِثْلِ الْحَامَةِ . لَكُنْتَ  
كَالْمُنْغِزِ التَّارِكِ لِمَا يُفْهَمُ وَكَلَّمَا زَادَ التَّشْبِيهُ خَفَا . زَادَتْ الْإِسْتِعَارَةُ  
حُسْنًا بِحَيْثُ يَكُونُ الْأَطْفَافُ مِنَ التَّصْرِيحِ بِالتَّشْبِيهِ . وَرَبَّمَا جَمَعَ بَيْنَ عِدَّةٍ  
اسْتِعَارَاتٍ إِحْلَاقًا لِلشَّكْلِ بِالشَّكْلِ لِإِتْمَامِ التَّشْبِيهِ فَتُرِيدُ الْإِسْتِعَارَةَ  
بِهِ حُسْنًا كَقَوْلِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ فِي صِفَةِ الْمَيْلِ :

قُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى بِصُلْبِهِ وَارْدَفَ عَجَازًا وَنَاءً بِكُلِّ كَلٍ  
وَأَعْلَمُ أَنَّهُ لَا بُدَّ أَيْضًا مِنْ مَعْنَى يَشْتَرِكُ بَيْنَ الْمُسْتَعَارِ وَالْمُسْتَعَارِ  
مِنْهُ . فَالْمَعْنَى الْمَشْتَرِكُ بَيْنَ قَيْدِ الْأَوَابِدِ مِثْلًا وَمَانِعِ الْأَوَابِدِ هُوَ  
الْحُسْنُ وَعَدَمُ الْإِفْلَاقِ . وَبَيْنَ مِيزَانِ الْقِيَاسِ وَتَعْدِيلِ حُصُولِ الْإِسْتِعَارَةِ  
هُوَ ارْتِفَاعُ الْحَيْفِ وَالْمَيْلِ إِلَى أَحَدِ الْجَانِبَيْنِ . وَهَكَذَا جَمِيعُ  
الْإِسْتِعَارَاتِ وَالْعَجَازَاتِ

## المبحث الخامس

### فيما تدخله الاستعارة وما لا تدخله

( عن صناعة (الترسل ايضا )

الْأَعْلَامُ لَا يَدْخُلُهَا الْإِسْتِعَارَةُ لِمَا تَقَدَّمَ فِي الْحِجَازِ . وَأَمَّا الْفِعْلُ  
فَالْإِسْتِعَارَةُ تَقَعُ أَوَّلًا فِي الْمَصْدَرِ ثُمَّ تَقَعُ بِوَاسِطَةِ ذَلِكَ فِي الْفِعْلِ .  
فَإِذَا قُلْتَ : طَلَقْتَ الْحَالَ بِكَذَا . فَهَذَا إِنَّمَا يَصَحُّ لِأَنَّكَ وَجَدْتَ الْحَالَ  
شَاطِئَةً لِلطَّلُقِ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى الشَّيْءِ فَلَا جَرَمَ اسْتَعَرْتَ الْأُطْقَ لِتِلْكَ  
الْحَالَةِ ثُمَّ نَقَلْتَهُ إِلَى الْفِعْلِ . وَالْأَنَّمَا الْمَشْتَقَّةُ فِي ذَلِكَ كَالْفِعْلِ . فَظَهَرَ  
أَنَّ الْإِسْتِعَارَةَ إِنَّمَا تَقَعُ وَفَوْقًا أَوَّلًا فِي أَسْمَاءِ الْأَجْنَاسِ . ثُمَّ الْفِعْلِ  
إِذَا كَانَ مُسْتَعَارًا فَاسْتِعَارَتُهُ إِمَّا مِنْ جِهَةِ فَاعِلِهِ كَقَوْلِهِ : طَلَقْتَ الْحَالَ  
بِكَذَا أَوْ لَمَبَتِ بِهِ الْهُمُومُ . وَكَقَوْلِ جَرِيرٍ :

يُخْشَى الرِّوَامِسَ رَبُّهَا فَجِدُّهُ      بَعْدَ أَلْيَى وَثَمِيثُهُ الْأَمْطَارُ  
أَوْ مِنْ جِهَةِ مَفْعُولِهِ كَقَوْلِ ابْنِ الْمُعْتَزِّ :

جُمِعَ الْحَقُّ لَنَا فِي إِمَامٍ      قَتَلَ الْجُورَ وَآخِيَا السَّمَا حَا  
أَوْ مِنْ جِهَةِ الْفَاعِلِ وَالْمَفْعُولِ كَقَوْلِهِ : يَكَاذُ السَّبْرُ يُخْطَفُ  
أَبْصَارُهُمْ . وَيَتَّصِلُ بِهَذَا تَرْشِيحُ الْإِسْتِعَارَةِ وَتَجْرِيدُهَا . أَمَّا تَرْشِيحُهَا فَهُوَ  
أَنْ تَنْظُرَ فِيهَا إِلَى الْمُسْتَعَارِ وَتُرَاعِيَ جَانِبَهُ وَتُؤَلِّيهَ مَا تَسْتَدْعِيهِ وَتَضُمُّ  
إِلَيْهِ مَا تَقْتَضِيهِ كَقَوْلِ النَّابِغَةِ :

وَصَدْرُ آزَاحِ اللَّيْلِ عَازِبٌ هَتِهِ      تَضَاعَفَ فِيهِ الْخُزْنُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ

الْمُسْتَعَارُ فِيهِ وَهُوَ الْأَرَاخَةُ مَنْظُورٌ إِلَيْهِ فِي لَفْظِ الْأَعَارِبِ . وَأَمَّا  
تَجْرِيدُهَا فَهُوَ أَنْ يَكُونَ الْمُسْتَعَارُ لَهُ مَنْظُورٌ إِلَيْهِ كَقَوْلِهِ : فَادَّاقَهَا اللَّهُ  
لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ . فَإِنَّ الْأِدَاقَةَ وَقَعَتْ عِبَارَةً عَمَّا يُدْرِكُ مِنْ  
أَثَرِ الضَّرَرِ وَالْأَلَمِ تَشْبِيهَا لَهُ بِمَا يُدْرِكُ مِنْ طَعْمِ الْمُرِّ . الشَّبَعُ وَاللِّبَاسُ  
عِبَارَةٌ عَمَّا يَفْشَى مِنْهُمَا وَيَلْبَسُ فَكَأَنَّهُ قَالَ : فَادَّاقَهَا مَا غَشِيَهَا مِنْ  
أَلَمِ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ . وَكَقَوْلِ زُهَيْرٍ :

لَدَى أَسَدٍ شَاكِي السَّلَاحِ مُقَدَّفٍ لَهُ لَبَدٌ أَظْفَارُهُ لَمْ تُقَلِّمْ  
فَلَوْ نَظَرَ إِلَى الْمُسْتَعَارِ لَقَالَ : لَدَى أَسَدٍ دَائِمِي أَوْ دَائِمِي الْبَرَاثِنِ

ثَلَاثًا . وَنَظَرَ زُهَيْرٌ فِي آخِرِ الْبَيْتِ إِلَى الْمُسْتَعَارِ . وَمِنْهُ قَوْلُ كَثِيرٍ :

غَمْرُ الرِّدَاءِ إِذَا تَبَسَّمَ ضَاحِكًا غَلَقَتْ لَصْحَكَتِهِ رِقَابُ الْمَالِ  
إِسْتِعَارَ الرِّدَاءِ لِلْمَعْرُوفِ لِأَنَّهُ يَصُونُ عِرْضَ صَاحِبِهِ صَوْنَ الرِّدَاءِ  
لَمَا يَلْقَى عَلَيْهِ . وَوَصَفَهُ بِالْغَمْرِ الَّذِي هُوَ وَصْفُ الْمَعْرُوفِ وَالنَّوَالِ لَا  
وَصْفُ الرِّدَاءِ

وَيَقْرَبُ مِنْ ذَلِكَ الْإِسْتِعَارَةُ بِالْكِنَايَةِ وَهُوَ أَنْ لَا يُصْرَحَ بِذِكْرِ  
الْمُسْتَعَارِ بَلْ يَذْكُرُ بَعْضَ لَوَازِيهِ تَنْبِيْهَا بِهِ كَقَوْلِهِ : شَجَاعٌ يَفْتَرِسُ  
أَقْرَانَهُ وَعَالِمٌ يَفْتَرِفُ مِنْهُ النَّاسُ . وَكَقَوْلِ أَبِي ذُوَيْبٍ :

وَإِذَا الْمَنِيَّةُ انْشَبَتْ أَظْفَارَهَا أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لَا تَنْفَعُ  
تَنْبِيْهَا عَلَى أَنَّ الشَّجَاعَ أَسَدٌ وَالْعَالِمُ بَحْرٌ وَالْمَنِيَّةُ سَبْعٌ . وَهَذَا  
وَإِنْ كَانَ يُشَبِّهُ الْإِسْتِعَارَةَ الْحُرْدَةَ إِلَّا أَنَّهُ أَغْرَبُ وَأَعْجَبُ . وَيَقْرَبُ  
مِنْهُ قَوْلُ زُهَيْرٍ :

وَمَنْ يَعْصِ أَطْرَافَ الزَّمَاحِ فَإِنَّهُ يُطِيعُ الْعَوَالِي رُكِبَتْ كُلُّ هَذِهِ  
 أَرَادَ أَنْ يَقُولَ : مَنْ لَمْ يَرْضَ بِأَحْكَامِ الصُّلْحِ رَضِيَ بِأَحْكَامِ  
 الْحَرْبِ أَيْ أَشْرَعُوا الْأَسِنَّةَ وَآخَرُوا الزَّمَاحَ . وَقَدْ يُسَمَّى هَذَا التَّنَوُّعُ  
 الْمُمَالَّةَ أَيْضًا . وَقَدْ يُنْزَلُونَ الْأِسْتِعَارَةَ مِثْرَةً لِحَقِيقَةٍ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ  
 يَسْتَعِيرُونَ الْوَصْفَ الْحَسُّوسَ الشَّيْءَ الْمَعْقُولَ . وَيَجْعَلُونَ كَانَ تِلْكَ  
 الْصِفَةَ ثَابِتَةً لِذَلِكَ الشَّيْءِ فِي الْحَقِيقَةِ وَأَنَّ الْأِسْتِعَارَةَ لَمْ تُوْجَدْ اِتِّسَالًا .  
 مِثْلَهُ اسْتِعَارَتُهُمُ الْعُلُوَّ لِزِيَادَةِ رَجُلٍ عَلَى غَيْرِهِ فِي الْفَضْلِ وَالْقَدْرِ  
 وَالسُّلْطَانِ ثُمَّ وَضَعَهُمُ الْكَلَامَ وَضَعَ مَنْ يَذْكُرُ عُلوًّا مَكَانِيًّا .  
 كَقَوْلِ أَبِي تَمَامٍ :

وَيَضَعُدُ حَتَّى يَطْنَ الْحُسُودُ      بَانَ لَهُ حَاجَةٌ فِي السَّمَاءِ  
 وَكَقَوْلِهِ أَيْضًا :

مَكَّارُمُ لَجْتُ فِي عُلوِّكَ كَأَنَّمَا      نَحْوَالُ ثَارًا عِنْدَ بَعْضِ الْكَوَاكِبِ

## البحث السادس

### في اقسام الاستعارة

( عن صناعة التمرسل ايضاً )

( راجع صفحة ٣٢ من علم الادب )

هِيَ عَلَى نَوْعَيْنِ : ( الْأَوَّلُ ) أَنْ يُعْتَمَدَ نَفْسُ التَّشْبِيهِ وَهُوَ أَنْ  
 يَشْتَرِكَ شَيْئَانِ فِي وَصْفٍ وَاحِدٍ هُمَا أَنْقَصُ مِنَ الْآخِرِ . فَيُعْطَى النَّاقِصُ

أَسْمَ الزَّائِدِ مُبَالَغَةً فِي تَحْقِيقِ ذَلِكَ لَوَصَفِ لَهُ كَقَوْلِكَ : رَأَيْتُ أَسَدًا .  
وَأَنْتَ تَعْنِي رَجُلًا شَجَاعًا . (وَالثَّانِي) تُعْتَمِدُ لَوَازِمُهُ عِنْدَمَا يَكُونُ جِهَةً  
الِاشْتِرَاكِ وَضَمًّا وَإِنَّمَا ثَبَتَ كَمَالُهُ فِي الْمُسْتَعَارِ فِي وَاسِطَةِ شَيْءٍ آخَرَ  
فَقَبِلْتُ ذَلِكَ الشَّيْءَ لِلْمُسْتَعَارِ لَهُ مُبَالَغَةً فِي إِثْبَاتِ الْمَشْتَرَكِ . كَقَوْلِ  
تَابَطُ شَرًّا :

إِذَا هَزَهُ فِي عَظَمِ قِرْنٍ تَهَلَّلَتْ      تَوَاجِدُ أَفَوَاهِ الْمَنَايَا الضَّوَاجِكُ  
لَمَّا شَبَّهَ الْمَنَايَا عِنْدَ هَزَةِ السِّيفِ بِالسُّرُورِ وَكَمَالِ الْفَرَحِ وَالسُّرُورِ  
إِنَّمَا يَظْهَرُ بِالْفَحْكِ الَّذِي يَتَهَلَّلُ بِهِ التَّوَاجِدُ أَثْبَتَهُ تَحْقِيقًا لِلْوَصْفِ  
الْمَقْصُودِ وَالْأَقْلَسُ لِلْمَنَايَا مَا يَنْقُلُ إِلَيْهِ أَمُّمُ التَّوَاجِدِ . وَهَكَذَا  
الْكَلَامُ فِي قَوْلِ الْحَمَائِي :

سَقَاهُ الرَّدَى سَيْفٌ إِذَا سَلَّ أَوْ مَضَتْ      إِلَيْهِ مَنَايَا أَلْمُوتِ مِنْ كُلِّ مَرْقَبٍ  
وَمِنْ هَذَا أَلْبَابُ قَوْلِهِمْ : فَلَانْ مُرْخَى الْعَيْنَانِ وَمَلَقَى الزَّمَامِ .  
وَالْفَرْقُ بَيْنَ التَّمْسِينِ أَنَّكَ إِنْ رَجَعْتَ فِي الْأَوَّلِ إِلَى التَّشْبِيهِ الَّذِي  
هُوَ الْمَقْصِدُ مِنْ كُلِّ اسْتِعَارَةٍ مُقَيَّدَةٌ وَجَدْتَهُ يَأْتِيكَ عَفْوًا كَقَوْلِكَ :  
رَأَيْتُ رَجُلًا كَالْأَسَدِ أَوْ وَثْلَهُ أَوْ شَبَّهَهُ . وَإِنْ رُدُّتَهُ فِي الثَّانِي لَإِيَّاتِكَ  
تِلْكَ الْمَوَاقِفَ إِذَا لَوَجَّهَ أَنْ تَقُولَ : شَيْءٌ مِثْلُ أَلِيدٍ لِلشِّمَالِ . وَإِنَّمَا  
تَهَيَّأَ لَكَ التَّشْبِيهُ بَعْدَ أَنْ تَحْرُقَ إِلَيْهِ سِتْرًا أَوْ تَعْمَلَ تَأْثُلًا وَفِكَرًا .  
وَفِي أَغْفَالِ هَذَا الْأَصْلِ وَقُوعٌ فِي التَّشْبِيهِ . وَذَلِكَ أَنَّ مَنْ وَضَعَ فِي  
نَفْسِهِ أَنَّ كُلَّ أَمٍّ يَسْتَعَارُ فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ شَيْءٌ يُمْكِنُ  
الْإِشَارَةُ إِلَيْهِ تَتَنَاوَلُهُ فِي حَالِهِ الْعَجَازِ كَمَا تَتَنَاوَلُ مُسَمَّاهُ فِي حَالِهِ

الْحَقِيقَةِ . ثُمَّ ظَهَرَ إِلَى قَوْلِهِ : وَلَتَضَعَنَّ عَلَى عَيْنِي . وَقَوْلِهِ : تَجْرِي بِنَاغِينَا .  
 أَرَبْتَكَ فِي الشَّكِّ وَحَامَ حَوْلَ الظَّاهِرِ وَوَقَعَ فِي التَّشْبِيهِ الَّذِي هُوَ  
 الضَّلَالُ الْبَعِيدُ . فَبَيَّنَ مَعْرِفَةَ هَذَا اخْلَاصُ مَنْ ذَلِكَ التَّشْبِيهِ وَيَسَمَّى  
 هَذَا النَّوْعَ اسْتِعَارَةَ تَخْيُّلِيَّةً وَهُوَ كَأَثْبَاتِ الْجَنَاحِ لِلذَّلِّ فِي قَوْلِهِ :  
 وَأَخْفَضَ لَهَا جَنَاحَ الذَّلِّ مِنْ الرَّحْمَةِ . إِذَا عُرِفَ هَذَا فَالنَّوْعُ الْأَوَّلُ  
 عَلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ : ( الْأَوَّلُ ) أَنْ يَسْتَعَارَ الْمُخْسُوسُ لِلْمُخْسُوسِ .  
 وَذَلِكَ إِمَّا أَنْ يَشْتَرِكَ فِي الذَّاتِ وَيُخْتَلَفُ فِي الصِّفَاتِ كَاسْتِعَارَةِ  
 الطَّيْرَانِ لِغَيْرِ ذِي جَنَاحٍ فِي السَّرْعَةِ . فَإِنَّ الطَّيْرَانِ وَالْعَدُوَّ يَشْتَرِكَانِ  
 فِي الْحَقِيقَةِ وَهِيَ الْحَرَكَةُ الْمَكَايِدَةُ إِلَّا أَنَّ الطَّيْرَانِ أَسْرَعُ . أَوْ بِأَنْ  
 يُخْتَلَفُ فِي الذَّاتِ وَيَشْتَرِكَ فِي صِفَةٍ إِمَّا الْمُخْسُوسَةَ كَقَوْلِهِمْ : رَأَيْتُ شَيْئًا .  
 وَيُرِيدُونَ إِنْسَاءً يَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ . وَكَقَوْلِهِ : وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْئًا .  
 فَالْمُسْتَعَارُ مِنْهُ النَّارُ وَالْمُسْتَعَارُ لَهُ الشَّيْبُ . وَالْجَاوِعُ الْإِنْبِسَاطُ وَلَكِنَّهُ  
 فِي النَّارِ أَقْوَى . وَإِمَّا غَيْرَ مُخْسُوسَةٍ كَقَوْلِهِ : إِذَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ  
 أَلْعَقِمَ . الْمُسْتَعَارُ لَهُ الرِّيحُ وَالْمُسْتَعَارُ مِنْهُ الْمَرْءُ وَالْجَامِعُ الْمَنْعُ مِنْ ظُهُورِ  
 النَّتِيجَةِ . ( الثَّانِي ) أَنْ يَسْتَعَارَ شَيْءٌ مَقُولٌ لَشَيْءٍ مَقُولٍ لِأَشْرَاقِهِمَا  
 فِي وَصْفِ عَدَمِيٍّ أَوْ ثُبُوتِيٍّ وَاحِدُهُمَا أَكْمَلُ مِنْ ذَلِكَ أَلَوْصَفِ  
 فَيُذَلُّ النَّاقِصُ مِثْلُهُ الْكَامِلُ كَاسْتِعَارَةِ اسْمِ الْعَدَمِ لِلْوُجُودِ إِذَا  
 اشْتَرَكَ فِي عَدَمِ الْفَائِدَةِ أَوْ اسْتِعَارَةِ اسْمِ الْوُجُودِ لِلْعَدَمِ إِذَا بَقِيَتْ  
 آثَارُهُ الْمَطْلُوبَةُ مِنْهُ كَتَشْبِيهِ الْجَهْلِ بِالْمَوْتِ لِإِشْرَاقِ الْمَوْصُوفِ بِهِمَا فِي  
 عَدَمِ الْأِذْرَاقِ وَالْعَقْلِ . وَكَقَوْلِهِمْ : فُلَانٌ لَقِيَ الْمَوْتَ إِذَا لَقِيَ



الشدائد لِأَشْتَرَاكِهَمَا فِي الْمَكْرُوهِيَّةِ . وَقَوْلُهُ : وَلَا سَكَتَ عَنْ دُوسَى  
الغَضَبِ . وَالسُّكُوتُ وَالزَّوَالُ أَمْرَانِ مَعْقُولَانِ . ( آثَالِث ) أَنْ  
يُسْتَعَارَ الْخُشُوسُ لِلْمَعْقُولِ كَأَسْتِعَارَةِ الثَّوْرِ الَّذِي هُوَ مُحْشُوسٌ  
وَأَسْتِعَارَةِ الْقِنْطَاسِ لِلْعَدْلِ . وَقَوْلُهُ : بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ  
فَيَدْمَغُهُ . فَالْقَذْفُ وَالذَّمْغُ مُسْتَعَارَانِ . وَقَوْلُهُ : فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ .  
وَقَوْلُهُ : أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَمِيمُونَ . الْوَادِي وَالْهَيْمَانُ  
مُسْتَعَارَانِ . ( الرَّابِعُ ) أَنْ يُسْتَعَارَ أَمُّ الْمَعْقُولِ لِلْخُشُوسِ عَلَى التَّأْوِيلِ  
الْمَذْكُورِ فِي التَّشْبِيهِ كَقَوْلِهِ : إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ  
تَكَادُ تَمُتُّ مِنْ الْغَيْظِ . فَالشَّهِيقُ وَالْغَيْظُ مُسْتَعَارَانِ . وَقَوْلُهُ : حَتَّى  
تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا

### البحث السابع

#### في جيد الاستعارة وردئها ومتوسطها

( عن كتاب الصناعتين وصناعة الترسيل )

قَالَ مُحَمَّدٌ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سِنَانَ الْخَفَّاجِيُّ : وَقَدْ اخْتَارَ أَبُو الْقَاسِمِ  
ابْنُ بَشِيرٍ الْأَمْدِيُّ مِنْ جُمْلَةِ الْأَسْتِعَارَةِ قَوْلَ أَمْرِئِ الْقَيْسِ :  
قُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى بِضَلْبِهِ وَارْدَفَ أَعْجَازًا وَنَاءَ بِكُلِّ كَلٍّ  
وَقَالَ : إِنَّ هَذِهِ الْأَسْتِعَارَةَ فِي غَايَةِ الْحُسْنِ . لِأَنَّهُ إِنَّمَا قَصَدَ  
وَصَفَ أَحْوَالَ اللَّيْلِ فَذَكَرَ امْتِدَادَ وَسْطِهِ وَتَنَاوُلَ صَدْرِهِ لِلذَّهَابِ  
وَالْإِنْبَعَاثِ وَتَرَادُفَ أَعْجَازِهِ وَأَوَاخِرُهُ شَيْئًا فَشَيْئًا . وَقَالَ الْخَفَّاجِيُّ :

وَهَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ أَبُو الْقَاسِمِ لَا أَرْضَى بِهِ غَايَةَ الرِّضَى وَلَوْ كُنْتُ  
 أَسْكُنُ إِلَى تَقْلِيدِ أَحَدٍ مِنْ عُلَمَاءِ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ لَقَلَّدْتُه لِحُسْنِ  
 نَظَرِهِ وَصِحَّةِ فِكْرِهِ وَهُوَ عِنْدِي مِنَ الْوَسْطِ لَيْسَ مِنْ جَيْدِ الْأَسْتِعَارَةِ  
 وَلَا مِنْ رَدِيئِهَا . وَ إِنَّمَا قُلْتُ ذَلِكَ لِأَنَّ أَبَا الْقَاسِمِ قَدْ أَفْضَحَ بِأَنَّ  
 أَمْرَهُ الْقَيْسَ لَمَّا جَعَلَ لِلَّيْلِ وَسْطًا وَعَجَزَا اسْتِعَارَ لَهُ اسْمَ الصُّلْبِ  
 وَجَعَلَهُ تَمَطُّيًا مِنْ أَجْلِ اتِّدَادِهِ وَجَعَلَ الْكَلْكَلَ مِنْ أَجْلِ  
 نُحُوضِهِ وَكُلُّ هَذَا إِنَّمَا يَحْسُنُ بَعْضُهُ لِأَجْلِ بَعْضٍ . فَذَكَرَ الصُّلْبَ إِنَّمَا  
 حَسَنَ لِأَجْلِ الْعَجَزِ . وَالْتَمَطَّى لِأَجْلِ الصُّلْبِ . وَالْكَلْكَلُ لِيَجْمُوعَ  
 ذَلِكَ . وَهَذِهِ الْأَسْتِعَارَةُ الْمُبْنِيَّةُ عَلَى غَيْرِهَا فَلِذَلِكَ لَمْ أَرَأَنَّ تَجْعَلَ مِنْ  
 أَبْلَغِ الْأَسْتِعَارَاتِ وَكَانَتْ اسْتِعَارَةُ طُفِيلِ الْغَنَوِيِّ فِي قَوْلِهِ :

وَجَعَلْتُ رَحْلِي فَوْقَ نَاحِيهِ يَثْنَتُ شَحْمَ سَنَامِهَا الرَّحْلُ  
 أَوْفَقَ وَأَوْضَحَ . لِأَنَّهَا غَنِيَّةٌ بِنَفْسِهَا غَيْرَ مُفْتَقِرَةٍ إِلَى مُقَدِّمَةِ جَلِيَّتِهَا .  
 ( وَقَالَ ) وَقَدْ كُنْتُ مَثَلْتُ فِي بَعْضِ مَوَاضِعِ الْأَسْتِعَارَةِ الْحَمُودَةَ  
 وَالْمَذْمُومَةَ بَيْنَتَيْنِ أَحَدُهُمَا قَوْلُ ابْنِ نَبَاتَةَ :

حَتَّى إِذَا بَهَرُوا الْآبَاطِحَ وَالْأَثَرَى نَظَرُوا إِلَيْكَ بِأَعْيُنِ النُّوَارِ  
 فَظَرُّ أَعْيُنِ النُّوَارِ مِنْ أَشْبِهِ الْأَسْتِعَارَاتِ وَالْيَقِيهَا . لِأَنَّ النُّوَارَ  
 يُشَبِّهُ الْعُيُونَ إِذَا كَانَ مُقَابِلًا لِمَنْ يُرَى بِهِ كَأَنَّهُ مُنَاطِرٌ إِلَيْهِ . وَابْتِئْتُ  
 الثَّلَاثِي بَيْتُ أَبِي تَمَامَ :

قَرَّتْ بِفِرْزَانَ عَيْنِ الدِّينِ وَاسْتَرَتْ بِالْأَشْتَرَيْنِ عُيُونَ الشَّرِكِ فَاصْطَلَحَا  
 وَقَرَّةُ عَيْنِ الدِّينِ وَاسْتَارَ عُيُونَ الشَّرِكِ مِنْ أَقْبَحِ الْأَسْتِعَارَاتِ

أَعَدَمَ الشَّيْءِ الَّذِي لَا إِلَهَ جَعَلَ لِلشِّرْكِ عُيُونًا. وَنَ تَأَلَّ هَذَيْنِ الْبَيِّنَتَيْنِ  
لَا يَفْهَمُ مَعْنَى الْأَسْتِعَارَةِ لِأَنَّ الثُّوَارَ وَالشِّرْكَ لَا عُيُونَ لَهُمَا عَلَى الْحَقِيقَةِ.  
وَقَدْ قُبِحَتْ اسْتِعَارَةُ الْعُيُونِ لِأَحَدِهِمَا وَحَسُنَتْ لِلْآخَرِ. وَالْعِلَّةُ فِيهِ أَنَّ  
الثُّوَارَ يُشَبَّهُ الْعُيُونَ. وَالَّذِينَ وَالشِّرْكَ لَيْسَ فِيهِمَا مَا يُشَبَّهُهَا وَلَا يُقَارِبُهَا.  
وَمِنْ أَحْسَنِ الْأَسْتِعَارَاتِ كَقَوْلِ الشَّرِيفِ الرَّضِيِّ :

رَمَا النَّسِيمُ بِوَادِيكُمْ وَلَا بَرَحَتْ حَوَامِلُ الْمِزْنِ فِي أَجْدَاثِكُمْ تَضَعُ  
وَلَا يَزَالُ جَنِينُ الثَّبَتِ بَرِضْعُهُ عَلَى قُبُورِكُمْ الْعَرَاصَةُ الَّتِي هَمُّهُ  
لِأَنَّ الْمِزْنَ تَحْمِلُ الْمَاءَ وَإِذَا حَمَلَتْ تَضَعُهُ فَاسْتِعَارَةُ الْحَمْلِ لَهَا  
وَالْوَضْعُ الْمَعْرُوفَيْنِ مِنْ أَقْرَبِ شَيْءٍ وَاشْبَهَهُ. وَكَذَلِكَ جَنِينُ الثَّبَتِ  
لِأَنَّ الْجَنِينَ الْمَسْتَوْرَ مَأْخُودٌ مِنَ الْجَنَّةِ. وَإِذَا كَانَ الثَّبَتُ مَسْتَوْرًا  
وَالْغَيْثُ يَسْقِيهِ كَانَ ذَلِكَ بِمَنْزِلَةِ الرَّخَاعِ

وَأَمْثَالُ الْحَاسِنِ فِي ذَلِكَ وَالْمَسَاوِي كَثِيرَةٌ وَقَدْ أَخَذَ الْقَوْلُ  
فِي هَذَا أَلْبَابَ حَقِّهِ. مَعَ أَنَّ أَقْوَالَ الْعُلَمَاءِ بِهَذَا الْقَوْلِ فِيهِ أَكْثَرُ  
وَنَ ذَلِكَ

## البحث الثامن

### في ما جاء من الاستعارات في كلام العرب

( عن كتاب الصناعتين للمسكري وسمرا العربية للتعالي )

وَأَمَّا مَا جَاءَ فِي قَوْلِ الْعَرَبِ مِنَ الْإِسْتِعَارَاتِ فَكَثِيرٌ وَنَهْ  
قَوْلُهُمْ : هَذَا رَأْسُ الْأَمْرِ وَوَجْهُهُ وَرَأْسُ الْمَالِ . وَهَذَا الْأَمْرُ فِي جَنْبِ  
غَيْرِهِ يَسِيرٌ . وَيَقُولُونَ : هَذَا جَنَاحُ الْحَرْبِ وَقَلْبُهَا وَجَنَاحُ الطَّرِيقِ .  
وَهَؤُلَاءِ رُؤُوسُ الْقَوْمِ وَحِمَاهُمْ وَعُيُونُهُمْ . وَفُلَانٌ ظَهَرَ فُلَانٌ وَلِسَانُ  
قَوْمِهِ وَنَائِبُهُمْ وَعَضْدُهُمْ . وَهَذَا كَلَامٌ لَهُ ظَهَرٌ وَبَطْنٌ . وَفِي الْعَرَبِ :  
الْجَمَاجِمُ . وَالْقَبَائِلُ . وَالْأَخْطَاذُ . وَالْبُطُونُ . وَخَرَجَ عَلَيْنَا غُنْتُ مِنَ النَّاسِ  
وَأَهُ عِنْدِي يَدٌ بَيْضَاءُ . وَهَذِهِ عَيْنُ الْمَاءِ . وَحَاجِبُ الشَّمْسِ . وَلِسَانُ  
النَّارِ . وَهَذَا أَنْفُ الْجَبَلِ . وَبَطْنُ الْوَادِي . وَكَيْدُ السَّمَاءِ . وَسَاقُ  
الشَّجَرَةِ . وَيَقُولُونَ فِي التَّفَرُّقِ : أَنْشَقَتْ عَصَاهُمْ . وَشَالَتْ نَعَامَتُهُمْ .  
وَمَرُّوا بَيْنَ سَمْعِ الْأَرْضِ وَبَصَرِهَا . وَكَقَوْلِهِمْ فِي اشْتِدَادِ الْأَمْرِ :  
كَشَفَتْ الْحَرْبُ عَنْ سَاقِيهَا . أَبْدَى الشَّرُّ نَاجِدِيهِ . حَمَى الْوَطِيسُ .  
دَارَتْ رَحَى الْحَرْبِ . وَكَقَوْلِهِمْ فِي ذِكْرِ الْأَثَارِ الْعُلُويَّةِ : أَفْتَرَ الضُّنْجُ  
عَنْ نَوَاجِدِهِ . ضَرَبَ بِعَمُودِهِ . سُلَّ سَيْفُ الضُّنْجِ مِنْ غَمْدِ الظَّلَامِ .  
نَعَرَ الضُّنْجُ فِي قَعَا اللَّيْلِ . بَاحَ الصَّبَاحُ بِسِرِّهِ . وَهِيَ نِطَاقُ الْجُوزَاءِ .  
إِنْحَطَّ قَدِيلُ الثُّرَيَّا . ذَرَّ أَرْنُ الشَّمْسِ . إِرْتَفَعَ النَّهَارُ . تَرَجَلَتْ  
الشَّمْسُ بِحِمَرَاتِ الظَّهِيرَةِ . بَقَلَ وَجْهُ النَّهَارِ . خَفَقَتْ رَايَاتُ الظَّلَامِ .

تَوَرَّتْ حَدَائِقُ الْجَوِّ . شَابَ رَأْسُ اللَّيْلِ . لَبَسَتْ الشَّمْسُ جِلْبَابَهَا . قَامَ  
خَطِيبُ الرَّعْدِ . حَقَّقَ قَلْبُ الْبَرْقِ . اِحْلَلَّ عَقْدُ السَّمَاءِ . وَهِيَ عِشْدُ  
الْأَنْدَاءِ . اِنْقَطَعَ شِرْيَانُ الْعَمَامِ . تَنَفَّسَ الرَّيِّعُ . تَطَطَّرَ النَّسِيمُ .  
تَبَرَّجَتِ الْأَرْضُ . قَوِيَ سُلْطَانُ الْحَرِّ . أَنَّ أَنْ يَحْيِشَ مَرْجَلُهُ . وَيُثَوِّرَ  
قَسْطَلُهُ . اِنْحَصَرَ قِنَاعُ الصَّيْفِ . جَاشَتْ جُيُوشُ الْحَرْيفِ . حَلَّتِ الشَّمْسُ  
الْمِيزَانَ . وَعَدَلَ الزَّمَانَ . دَبَّتْ عَقَارِبُ الْبَرْدِ . أَقْدَمَ الشِّتَاءُ كُلَّكَلَةٍ .  
شَابَتْ مَفَارِقُ الْجِبَالِ . يَوْمَ عُبُوسٍ قَطْرِيرٍ . كَشَّرَ عَنْ نَابِ الزَّمْهَرِيرِ .  
وَكَقَّوْلِهِمْ فِي مُحَاسِنِ الْكَلَامِ : الْأَدَبُ غِذَاءُ الرُّوحِ . الشَّبَابُ  
بَاكُورَةُ الْحَيَاةِ . النَّارُ فَاكِهَةُ الشِّتَاءِ . الْعِيَالُ سُوسُ الْمَالِ . النَّيْذُ كِيمِيَاءُ  
الْفَرَجِ . الْوَحْدَةُ قَبْرُ الْحَيِّ . الصَّبْرُ وَقْتَاخُ الْفَرَجِ . الدِّينُ دَاءُ الْكِرَامِ .  
النَّمَامُ جِسْرُ الشَّرِّ . الْأَرْجَافُ زَنْدُ الْفِتْنَةِ . الشُّكْرُ نَسِيمُ النِّعَمِ .  
الرَّيِّعُ شَبَابُ الزَّمَانِ . الْوَلَدُ رِيحَانَةُ الرُّوحِ . الشَّمْسُ قَطِيقَةُ الْمَسَاكِينِ .  
الطَّيْبُ لِسَانُ الْمُرُوءَةِ . وَيُسَوِّنَ النَّبَاتُ نَوَا . قَالَ : وَجَفَّ أَنْوَاءُ  
السَّحَابِ . أَيِ جَفَّ الْبَقْلُ . وَيَقُولُونَ الْمَطَرُ سَمَاءُ . قَالَ الشَّاعِرُ :

إِذَا سَقَطَ السَّمَاءُ بِأَرْضِ قَوْمٍ رَعَيْنَاهَا وَإِنْ كَانُوا غَضَابَا  
وَيَقُولُونَ : صَحِيكَتِ الْأَرْضُ إِذَا أَنْبَتَتْ لِأَنَّهَا تُبْدِي عَنْ حُسْنِ  
النَّبَاتِ كَمَا يَقْتَرِ الضَّاحِكُ عَنْ الثَّغْرِ . وَيُقَالُ : صَحِيكَتِ الظُّلْمَةُ .  
وَالْتَوَرَّدُ يَضَاحِكُ الشَّمْسُ . قَالَ الْأَعَشَى :

يَضَاحِكُ الشَّمْسُ مِنْهُ كَوَكَبٌ مُشْرِقٌ

سُوِّرَ لِعِمِّمِ النَّبْتِ مُكْتَهَلٌ

وَيَقُولُونَ : ضَحِكَ السَّحَابُ بِالْبَرْقِ وَحَنَّ بِالرَّعْدِ وَبَكَى بِالْقَطْرِ .  
وَيَقُولُونَ : لَقِيتُ مِنْ فُلَانٍ عَرَقَ الْفَرْبَةِ أَيْ شِدَّةَ وَمَشَقَّةَ . ( وَأَصْلُ  
هَذَا أَنَّ حَامِلَ الْفَرْبَةِ يَتَعَبُ مِنْ ثِقَلِهَا حَتَّى يَفْرَقَ ) . وَيَقُولُونَ أَيْضًا :  
لَقِيتُ مِنْهُ عَرَقَ أَجْلَيْنِ . وَالْعَرَبُ تَقُولُ : بِأَرْضِ فُلَانٍ شَجَرٌ قَدْ صَاحَ .  
وَذَلِكَ إِذَا طَالَ قَتْبَيْنِ لِلنَّازِلِ بِطُولِهِ وَدَلَّ عَلَى نَفْسِهِ لِأَنَّ الصَّالِحَ  
يَدُلُّ عَلَى نَفْسِهِ بِصَوْتِهِ . وَمِثْلُهُ قَوْلُ الْحَاجِّ :

كَالكَرَمِ إِذَا تَادَى مِنَ الْكَافُورِ

وَيَمَّا جَاءَ أَيْضًا فِي هَذَا الْبَابِ فِي الْقُرْآنِ وَكَلَامِ الصَّحَابَةِ  
وغيرِهِمْ مَا نَصُّهُ : الْبَلَاءُ مُوَكَّلٌ بِالنَّطْقِ . وَقَوْلُهُ : أَذْكُرُوا هَادِمَ  
الَّذَاتِ . وَقَوْلُهُ : اخْفِضْ لَهَا جَنَاحَ الذَّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ . وَقَوْلُهُ :  
أَذَقَهَا اللَّهُ لِيَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ . وَقَوْلُهُ : أَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْئًا . وَقَوْلُهُ :  
وَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ الْعَذَابِ . وَقَوْلُهُ : لَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ  
وَقَالَ عَلِيُّ : السَّفَرُ مِيزَانُ الْقَوْمِ . وَقَالَ : وَأَمَّا وَقَدْ اتَّسَعَ نِطَاقُ  
الْإِسْلَامِ . وَلَهُ قَوْلُهُ لِابْنِ عَبَّاسٍ : أَرَدْتُ رَاغِبَهُمْ وَأَحْلَلْتُ عُقْدَةَ الْخَوْفِ  
عَنْهُمْ . وَقَوْلُهُ : أَلْعِلْمُ قُفْلٌ مِفْتَاحُهُ الْمُسْتَلْهُ . وَقَوْلُهُ : أَلْحِلْمُ وَالْأَنَاءُ  
تَوَآمَانِ يُتَجَمَّعَانِ عَلَوُ الْهَيْمَةِ . وَقَالَ فِي بَعْضِ خُطْبِهِ يَصِفُ الدُّنْيَا :  
إِنَّ أَمْرًا لَمْ يَكُنْ مِنْهَا فِي فَرْحَةٍ إِلَّا أَعْقَبَتْهُ بَعْدَهَا تَرْحَةٌ وَلَمْ يَلْقَ مِنْ  
سَرَابِهَا بَطْنًا إِلَّا أَمْتَحَتْهُ مِنْ قُرَائِبِهَا ظَهْرًا . وَلَمْ تَهْلُكْ فِيهَا غَابَةُ رَخَاءٍ إِلَّا  
هَبَّتْ عَلَيْهِ مُزْنَةٌ بَلَاءٍ . وَلَمْ يَمْسِ مِنْهَا فِي جَنَاحِ آمِنٍ إِلَّا أَضْحَجَ مِنْهَا  
عَلَى قَوَادِمِ خَوْفٍ . وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : إِنَّ أَلَمَكَ إِذَا مَلَكَ زَهْدُهُ اللَّهُ

فِي مَالِهِ وَرَغْبَةٍ فِيمَا فِي يَدِ غَيْرِهِ وَأَشْرَبَ قَلْبُهُ الْإِسْفَاقَ . فَهُوَ يَحْسُدُ عَلَى الْقَلِيلِ وَيَسْتَحْطُ عَلَى الْكَثِيرِ جَزَلُ الظَّاهِرِ حَزِينُ الْبَاطِلِ . فَاذًا وَجِبَتْ نَفْسُهُ وَتَفَرَّ عُمُرُهُ وَضَحِيَ ظِلُّهُ حَاسِبُهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَاشَدَّ حَسَابُهُ وَأَقْلَعَ عَقْرُهُ . وَكَتَبَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ إِلَى مَرَاذِيَةِ فَارِسَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَصَرَ خِدْمَتَكُمْ وَفَرَّقَ كَلِمَتَكُمْ . وَقَالَ الْحَجَّاجُ : ذُلُّنِي عَلَى رَجُلٍ سَحِينِ الْأَمَانَةِ أَنْجَفَ الْحَيَاةِ . وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهَبٍ : أَرَأَيْي لِأَصْحَابِهِ لَا خَيْرَ فِي أَرَأْيِ الْفَطِيرِ وَالْكَلَامِ الْقَضِيبِ . فَلَمَّا بَايَعُوهُ قَالَ : دَعُوا أَرَأْيِي يَغِبُ فَإِنَّ غُيُوبَهُ يَكْشِفُ لَكُمْ عَنْ تَحَلُّهِ . وَقِيلَ لِأَعْرَابِيٍّ : إِنَّكَ لَحَسَنُ الْكُدْيَةِ . قَالَ : عِذْرَانُ نِعْمَةِ اللَّهِ عِنْدِي . وَقَالَ أَكْثَمُ بْنُ صَيْفِيٍّ : الْحِلْمُ دَعَاةُ الْعَمَلِ . وَقَالَ خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ لِرَجُلٍ : رَحِمَ اللَّهُ أَمَّاكَ فَإِنَّهُ كَانَ يَقْرِي الْعَيْنَ جَمَالًا وَالْأَذْنَ بَيَانًا . وَقِيلَ لِرَوْثَةَ : كَيْفَ تَرَكْتِ مَا وَرَاكَ . قَالَ : التُّرَابُ يَا بَسَ وَالْمَالُ عَابِسٌ . وَقَالَ الْمَنْصُورُ لِبَعْضِهِمْ : بَلِّغْنِي أَنَّكَ بِخَيْلٍ : قَالَ : مَا أَجْمَدُ فِي حَقِّهِ وَلَا أَذُوبُ فِي بَاطِلِهِ . وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ الْمُوَصِّلِيُّ : قُلْتُ لِلْعَبَّاسِ : ابْنُ الْحُسَيْنِ : أَيُّي لَأُحِبُّكَ . قَالَ : رَأَيْتُ ذَلِكَ عِنْدِي . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : الْأَسْتِطَاةُ لِسَانُ الْجَهَالَةِ . وَقَالَ يُحْيَى بْنُ خَالِدٍ : الشُّكْرُ كُفُوُ النِّعْمَةِ . وَقَالَ أَعْرَابِيٌّ : خَرَجْتُ فِي لَيْلَةٍ حَنْدَسٍ قَدْ أَقَمْتُ عَلَى الْأَرْضِ أَذْرَاعَهَا فَفَحَتْ صُورَةَ الْأَبْدَانِ فَأَكُنَّا نَتَعَارَفُ إِلَّا بِالْأَذَانِ . وَقَالَ أَعْرَابِيٌّ لِآخَرٍ : يَسَارُ النَّفْسِ خَيْرٌ مِنْ يَسَارِ الْمَالِ وَرُبَّ شَبْعَانَ مِنْ أَلْتَعَمَ غَرْقَانٍ مِنْ الْكَرَمِ . وَقَالَ آخَرُ فِي حَرْبٍ : جَعَلُوا الْحَرْبَ

أَرْشِيَةَ الْمَوْتِ وَأَسْتَقْوَاهَا أَرْوَاحَ الْعَدُوِّ . وَقَالَ آخَرُ : فُلَانٌ أَمْلَسُ لَيْسَ فِيهِ مُسْتَقَرٌّ بَحْرٍ وَلَا شَرٌّ . وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ يُوسُفَ وَقَدْ شَتَّهَ رَجُلٌ بَيْنَ يَدَيِ الْإِيمَانِ : رَأَيْتُهُ يَسْتَمْلِي مَا يَلْقَانِي بِهِ مِنْ عَيْنِكَ . وَقِيلَ لِأَعْرَابِيٍّ : أَيُّ طَعَامٍ أَطِيبُ . قَالَ : الْجُوعُ ابْصُرْ . وَمَدَحَ أَعْرَابِيٌّ رَجُلًا قَالَ : كَانَ يَقْتَعُ مِنَ الرِّثْيِ أَبْوَابًا مُنْسَدَةً وَيَفْسِلُ مِنَ الْغَارِ وَجُوهًا مُسْوَدَّةً . إِذَا عَرَضَتْ لَهُ زِينَةُ الدُّنْيَا هَجَّتْهَا صُورَةُ الْحَمْدِ عِنْدَهُ وَإِنْ لِلْمَصَانِعِ لَعَارَةٌ عَلَى أَمْوَالِهِ كَغَارَةُ سُيُوفِهِ عَلَى أَعْدَائِهِ . وَمَدَحَ أَعْرَابِيٌّ قَوْمًا فَقَالَ : أَوْلَايُنَاكَ غُرٌّ تُخْفِي فِي ظُلَمِ الْأُمُورِ الْمَشْكِلَةِ قَدْ صَنَعْتَ أَذَانَ الْحَجْدِ إِلَيْهِمْ . وَقَالَ أَعْرَابِيٌّ يَدْحُ رَجُلًا : إِنَّهُ لَيُعْطِي عَطَاءَ مَنْ يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ مَادَّتُهُ . وَمَدَحَ أَعْرَابِيٌّ رَجُلًا فَقَالَ : لِسَانُهُ أَحْلَى مِنْ الشَّهَدِ وَقَلْبُهُ سَجْنُ الْحَقِّدِ . إِنْ آسَأْتَ إِلَيْهِ أَحْسَنَ وَكَأَنَّهُ الْمُسِيءُ . وَإِذَا أَجْرَمْتَ غَفَرَ وَكَأَنَّهُ الْجُرِّمُ . إِشْرَى بِالْمَعْرُوفِ عَرْضَهُ مِنَ الْأَذَى فَهُوَ وَإِنْ كَانَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِأَسْرِهَا قَوْهَبَهَا رَأَى بَعْدَ ذَلِكَ عَلَيْهِ حُقُوقًا لَا يَسْتَعَذِبُ الْحَتَى وَلَا يَسْتَحْسِنُ غَيْرَ الْوَفَاءِ . وَقَالَ أَعْرَابِيٌّ لِرَجُلٍ : لَا تُدَسِّسْ شِعْرَكَ بِعَرَضِ فُلَانٍ فَإِنَّهُ سَيُنْ أَلْمَالِ مَهْزُولُ الْمَعْرُوفِ مِنَ الْمَرْزُوقِينَ فَجَاءَهُ قَصِيرُ عُمَرُ الْغَنَى طَوِيلُ حَيَاةِ الْفَقْرِ . وَسَالَ أَعْرَابِيٌّ فَقِيلَ لَهُ : عَلَيْكَ بِالصِّيَارِفِ . فَقَالَ : هُنَاكَ قَرَارَةُ اللَّوْمِ . وَذَكَرَ أَعْرَابِيٌّ قَوْمًا فَقَالَ : أَوْلَايُنَاكَ قَوْمٌ قَدْ سَلَحَتْ أَقْفَاءُهُمْ بِالْهَجَاءِ وَدَبَنْتْ جُلُودُهُمْ بِاللَّوْمِ . فَلْيَأْسَهُمْ فِي الدُّنْيَا أَلَمَامَةٌ وَزَادَهُمْ فِي الْآخِرَةِ أَلْتَدَامَةُ . وَذَمَّ أَعْرَابِيٌّ قَوْمًا فَقَالَ : هُمْ أَقْلُ ذُنُوبًا إِلَى أَعْدَائِهِمْ



وَأَكْثَرُ تَجَرُّمًا عَلَى أَصْدِقَائِهِمْ . يَصُومُونَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيُفْطِرُونَ عَلَى  
الْخِشَاءِ . وَذَمَّ اَعْرَابِيٌّ رَجُلًا فَقَالَ : ذَاكَ رَجُلٌ تَغْدُو اِلَيْهِ مَوَاقِبُ  
الصَّلَاةِ وَتَرْجِعُ مِنْ عِنْدِهِ بِذُورٍ اَلَا تَأْمُ مُعْدَمٌ مِمَّا يُحِبُّ مَثَرٌ مِمَّا يُكْرَهُ .  
وَقَالَ آخَرُ : مَا رَأَيْتُ دَمْعَةً تَرْفُقُ فِي عَيْنٍ وَتَجْرِي عَلَى خَدٍّ اَحَرٍّ مِنْ  
عَبْرَةٍ اَمْطَرَتْهَا عَيْنَاهُ وَاعْتَشَبَ لَهَا قَلْبِي . وَقَالَ اَعْرَابِيٌّ وَذَكَرَ زُهَادًا :  
فَازَ قَوْمٌ اَدَبَتْهُمْ الْحِكْمَةُ وَاحْكَمَتْهُمْ التَّجَارِبُ وَلَمْ تَغْرِهُمْ السَّلَامَةُ  
الْغَطْوِيَّةُ عَلَى الْهَلَكَةِ . وَرَحَلَ عَنْهُمْ التَّنْصِيفُ الَّذِي قَطَعَ بِهِ النَّاسُ  
مَسَاقَةَ اَجَالِهِمْ وَاحْسَنُوا الْمَقَالَ وَشَفَعُوهُ بِالْفِعَالِ تَرَكَوا النِّعَمَ لِيَتَنَعَّمُوا .  
لَهُمْ عَبَرَاتٌ مُتَدَاغَةٌ لَا يَرَاهُمْ اِلَّا فِي وَجْهِهِ عِنْدَ اللَّهِ وَجْهِهِ . وَوَصَفَ  
اَعْرَابِيٌّ وَاِلْيَا فَقَالَ : كَانَ اِذَا وُلِّيَ لَمْ يَطَاقِ بَيْنَ جُفُونِهِ وَارْسَالِ  
الْعُيُونِ عَلَى عِيُونِهِ . فَهُوَ شَاهِدٌ مَعَهُمْ غَائِبٌ عَنْهُمْ فَالْخُسْنُ اَوْنٌ وَالْمُسِيءُ  
خَائِفٌ . وَذَكَرَ اَعْرَابِيٌّ رَجُلًا فَقَالَ : كَانَ اَلْفُحْمُ مِنْهُ ذَا اُذُنَيْنِ وَالْجَوَابُ  
مِنْهُ ذَا لِسَانَيْنِ . لَمْ اَرِ اَحَدًا كَانَ ارْتَقَ لِحْلِ السَّرَّاءِ مِنْهُ كَانَ بَعِيدَ  
مَسَاقَةِ الرَّأْيِ يَرْمِي بِطَرْفِهِ حَيْثُ اَشَارَ الْكُرْمُ . وَمَا زَالَ يُحْسِي مَرَادَةَ  
الْاِخْوَانِ وَيُسَيِّغُهُمُ الْعَذْبَ . وَوَصَفَ اَعْرَابِيٌّ قَوْمَهُ فَقَالَ : اِذَا اضْطَفُّوا  
تَحْتَ اَلْقَتَامِ سَفَرَتْ بَيْنَهُمُ السِّهَامُ بِوُقُوفِ الْحِمَامِ . وَاِذَا تَصَافَحُوا  
بِالسُّيُوفِ قَعَرَتْ اَلْمَنَآيَا بِاَفْوَاهِهَا . فَكَمْ مِنْ يَوْمٍ عَارِمٍ قَدْ اَحْسَنُوا  
اَدَبَهُ وَحَرَّبَ عَبُوسٍ قَدْ ضَاكَّتْهَا اَسِنَّتُهُمْ وَخَطَبَ قَدْ ذَلُّوا مَنَاكِبَهُ .  
اِنَّمَا كَانُوا كَالنَّجْرِ الَّذِي لَا يَنْكَشِ غِمَارُهُ وَلَا يُنْهَنُ تَيَّارُهُ . وَقِيلَ  
لِاَعْرَابِيٍّ : لِمَ لَا تَشْرَبُ اَلنَّبِيدَ . فَقَالَ : لَا اَشْرَبُ مَا يَشْرَبُ عَقْلِي .

وَقَالَ آخَرُ : أَخْطُ مَرْكَبُ أَلْبِيَانِ . وَقَالَ غَيْرُهُ : أَلَقَلَّمُ لِسَانُ أَلْبِيَانِ .  
وَسَمِعْتُ بَعْضَ الْأَطِبَّاءِ يَقُولُ : أَلْمَاءُ ، مَطِيَّةُ الطَّعَامِ . وَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ  
وَهْبٍ لِكَاتِبِهِ : لَا تُكْذِرْ مَاءً مَعْرُوفِي بِالْمَنْ فَإِنَّ أَعْتِدَادَكَ بِالْمَعْرُوفِ  
يَعْقِلُ لِسَانُ الشُّكْرِ . وَأَمَّا هَذَا كَثِيرٌ فِي مَنْشُورِ الْكَلَامِ وَفِيَا أَوْرَدْنَاهُ  
كِفَايَةً . وَأَمَّا الْأَسْتِعَارَةُ فِي أَشْعَارِ الْمُتَقَدِّمِينَ فَأَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَى

### البحث التاسع

### في مراعاة النظر

( من شرح بدعيية العميان لابن جابر الاندلسي باختصار )

( راجع صفحة ٣١ من علم الادب )

يُسَمَّى أَيْضًا هَذَا النَّوعُ التَّنَاسُبَ وَالْإِتِّلَافَ وَالتَّوْفِيقَ وَالْمُؤَلَّغَةَ .  
وَهُوَ فِي أَصْطِلَاحِ الْبَدِيعِيِّينَ أَنْ يُجْمَعَ بَيْنَ أَمْرٍ وَمَا يُنَاسِبُهُ لَا عَلَى  
جِهَةِ التَّنَاضُدِ . وَهُوَ عَلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ . ( الْأَوَّلُ ) يُذَكَّرُ فِيهِ الشَّيْءُ  
مَعَ مَا يُنَاسِبُهُ فَقَطُّ كَقَوْلِ ابْنِ الْحَشَّابِ لِلْخَلِيقَةِ الْمُسْتَضِيَّةِ :

وَرَدَّ أَلُورَى سَنَسَالٍ جُودِكَ فَارْتَوَوْا      وَوَقَفْتُ دُونَ أَلُورِدِ وَقَفَّةَ حَائِمٍ  
ظَنَانٍ أَطْلُبُ ضَمَّةً مِنْ رَحْمَةٍ      وَأَلُورِدُ لَا يَزِدَادُ غَيْرَ تَرَاحِمٍ  
فَأَنْظُرُ حُسْنَ هَذَيْنِ أَلْبَيْتَيْنِ كَيْفَ جَرَّيَا كَأَلْمَاءٍ فِي طَلَاوِثِهِ . وَوَقَعَا  
مِنْ أَلْقَابٍ كَأَلشَّهِدِ فِي حَلَاوِثِهِ . وَمَنْ أَنَّ نَظْمَهُمَا مَا خَرَجَ عَنْ وَصْفِ  
أَلْمَاءِ كَلَامُهُ . وَلَا تَعْدَى ذَلِكَ أَلْمَعْنَى نَظْمُهُ . فَأَوْدَعَهُمَا فِي عَشْرِ مَوَاضِعَ  
مُرَآةِ النَّظِيرِ . فِيهَا مِنَ الْحُسْنِ مَا لَيْسَ لَهُ مِنْ نَظِيرٍ . لَكِنَّهُ مَا سَلِمَ

مَلِيحٌ مِنْ عَيْبٍ. وَلَا خَلَا مِنْ رَفُوعِ رَيْبٍ. قَمَعَ هَذِهِ الْحَاسِنِ الظَّرِيفَةِ  
 نَا سَلِمَ أَلْبَيْتَانِ مِنْ عَيْبِ الْقَافِيَةِ. فَقَدْ غَيَّرَ النَّاطِلُ كَسْرَةَ الدَّخِيلِ عَلَى  
 الضَّمَّةِ. وَجَاءَ فِي ذَلِكَ بِمَا عَابَهُ كُلُّ آدِيبٍ وَدَمَّه. وَمِنْهُ قَوْلُ السَّلَامِيِّ:  
 وَالتَّقَعُّ ثَوْبٌ بِالنُّشُورِ مُطَرَّرٌ وَالْأَرْضُ فَرْشٌ بِالْجِيَادِ مُخْمَلٌ  
 وَسُطُورٌ خَيْلُكَ إِنَّمَا أَلْفَاتُهَا سُمُرٌ تُنْقِطُ بِالْأَلْمَاءِ وَتُشَكِّلُ  
 نَاسَبَ بَيْنِ الثَّوْبِ وَالتَّطْرِيزِ وَالْخَمَلِ وَبَيْنَ السُّطُورِ وَالْأَلْفَاتِ  
 وَالتَّقِطِ وَالشَّكْلِ

( تَنْبِيْهُ ) وَلَوْ ذَكَرَ الشَّيْءُ مَعَ مَا لَا يُنَاسِبُهُ كَانَ ذَلِكَ عِنْدَهُمْ  
 عَيْبًا. كَقَوْلِ أَبِي نُوَّاسٍ :

وَقَدْ حَلَفْتُ عَيْنًا مَبْرُورَةً لَا تُكَذِّبُ  
 بِرَبِّ ذَمِّمِ وَالْحَوْضُ وَالصَّفَا وَالْحُصْبُ

عَابُوا عَلَيْهِ ذِكْرَ الْحَوْضِ مَعَ ذَمِّمِ وَالصَّفَا وَالْحُصْبِ. وَإِنَّهُ غَيْرُ  
 مُنَاسِبٍ ذِكْرُهُ مَعَهَا. وَإِنَّمَا يُنَاسِبُ ذِكْرُ الْحَوْضِ مَعَ أَلْبَيْتَانِ وَالصِّرَاطِ  
 وَشِبْهَيْهِمَا بِمَا هُوَ مَنْوُطٌ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ

( تَنْبِيْهُ ثَانٍ ) لَوْ جَاءَ الْكَاتِبُ بِمُتَنَاسِبَيْنِ فَأَفْرَدَ أَحَدَهُمَا وَشَتَّى  
 الْآخَرَ أَوْ جَمَعَهُ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ كَانَ عَيْبًا كَقَوْلِ الشَّاعِرِ :

أَلَا يَا بَنِيَّ الَّذِينَ فَنُوا وَمَاتُوا أَمَا وَاللَّهِ مَا مَاتُوا لَتَبَقَى  
 وَمَا لَكَ فَأَعْلَمَنْ فِيهَا بَقَاءً إِذَا اسْتَكْمَلْتَ أَجَالًا وَرَزَقًا

فَجَمَعَ (الْأَجَلَ) وَأَفْرَدَ (الرِّزْقَ) مَعَ أَنَّهُمَا مُتَنَاسِبَانِ. ( الثَّانِي ) أَنْ  
 يُذَكَّرَ شَيْءٌ أَوْ أَشْيَاءُ كُلُّ وَاحِدٍ مَعَ مَا يُنَاسِبُهُ فِي جُمْلٍ مُسْتَوِيَةٍ

الْمَقْدَارِ . وَيُسَمَّى هَذَا التَّنَوُّعُ التَّقْوِيفَ لِشِبْهِهِ بِالتَّقْوَبِ الْمَقْوَفِ وَهُوَ  
الَّذِي فِيهِ خُطُوطٌ مُسْتَوِيَةٌ وَتَشْبِيهُ الْجَمَلِ بِاسْتِواءِ تِلْكَ الْخُطُوطِ .  
وَتَكُونُ هَذِهِ الْجَمَلُ طَوَالًا كُلُّهَا أَوْ مُتَوَسِّطَةً . وَكُلُّهَا إِمَّا أَنْ يَكُونَ  
آخِرُهَا فِي بَعْضِ جُزْءِ التَّفْعِيلِ وَهِيَ الْمُدْحَجَةُ . وَإِمَّا أَنْ يُوَافِقَ آخِرُهَا  
آخِرَ جُزْءِ التَّفْعِيلِ وَهِيَ الْغَيْرُ الْمُدْحَجَةُ وَهُوَ الْأَحْسَنُ . فَمِنْ قَوْلِ ابْنِ  
عَتِينِ :

دَعَتْ فِي آعَالِي السُّغْدِ يَوْمًا حَمَامَةً عَلَى فَنَيْنٍ مِنْ كُلِّ رِيَانٍ كَلَامٌ  
فَهَاجَتْ مَشُوقًا وَاسْتَفَزَتْ مُتَبِمًا وَأَبَكَتْ غَرِيبًا وَأَسْتَحَفَّتْ آخَا عِلْمِ  
( السُّغْدُ . وَضَعُ بَسْرَقَنْدَ قَدْ اتَّخَذَ لِلزَّاهَةِ يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ فِي  
الْحُسْنِ ) . وَكَقَوْلِ الشَّاعِرِ فِي مَدْحِ :

وَالدَّهْرُ يُثْقِلُ أَنْ تُثْقِلَ وَيُعْرِضُ أَنْ تُعْرِضَ وَغَيْرَ الَّذِي قَدَرْتُمْ لَمْ يَزِمِ  
أَنْ قُلْتُ يَسْمَعُ وَإِنْ تَأْمُرْ يَطْعُ وَمَتَى فَعَلْتُ تُسَعِدُ وَإِنْ لَاحَظْتُ تُحْزِمِ  
وَقَدْ بَلَغَ بِهَا الْمُتَنَبِّي إِلَى أَرْبَعِ عَشْرَةِ جُمْلَةٍ لَكِنْ بِغَيْرِ حَرْفٍ  
عَظِيمٍ فَثَقُلْتُ وَخَرَجْتُ عَنْ سِلْكِ الْبَلَاغَةِ . وَهِيَ قَوْلُهُ :

أَقْلُ أَيْلٍ أَقْطِعُ أَحْمَلَ عَلَى سَلٍّ أَعْدُ زِدْ هَشَّ بَشٍّ تَفْضُلُ أَدْنِ سُرْصِلِ  
( الْثَالِثُ ) مِنْ مُرَاعَاةِ الظَّيْرِ أَنْ تَذَكُرَ شَيْئَيْنِ مُتَنَاسِبَيْنِ وَيُجَمَّعُ  
الْكَلَامُ بِشَيْئَيْنِ : أَحَدُهُمَا يُلَاقِي وَاحِدًا مِمَّا تَقَدَّمَ . وَالْآخَرُ يُلَاقِي  
الْآخَرَ . وَيُسَمَّى هَذَا التَّنَوُّعُ تَنَاسُبَ الْأَطْرَافِ . وَمِنْهُ قَوْلُهُ : لَا تُذَكِّرْهُ  
الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُذَكِّرُكَ الْأَبْصَارَ . وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ . فَاللَّطِيفُ يُنَاسِبُ  
مَا لَا يُذَكِّرُكَ لِمَا فِيهِ مِنَ الْخَفَاءِ . وَالْخَبِيرُ يُنَاسِبُ مَنْ هُوَ مُذَكِّرُكَ لِلطَّائِفِ

الْأَشْيَاءُ. (الرَّابِعُ) أَنْ تَذَكَّرَ الشَّيْءَ ثُمَّ تَذَكَّرَ مَعَهُ لَفْظًا مُشْتَرَكًا  
بَيْنَ أَمْرَيْنِ: أَحَدُهُمَا يُلَاحِظُ الْأَوَّلَ وَالْآخَرُ لَا يُلَاحِظُهُ فَيَتَوَهَّمُ السَّامِعُ  
أَنَّهُ مُرَادِفُ الْمُلَاحِظِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ. وَيُسَمَّى هَذَا التَّنَوُّعُ إِيهَامَ النَّظِيرِ.  
كَقَوْلِ الْقَائِلِ: الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِجُسْبَانٍ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ.  
فَيَتَوَهَّمُ مُرَاعَاةَ النَّظِيرِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ لِأَنَّ الْمُرَادَ بِالنَّجْمِ النَّبَاتُ لَا  
الْكَوْكَبُ لِطَفِ الشَّجَرِ عَلَيْهِ

### البحث العاشر

#### في المجاز المرسل

(من السكاكي والدسوقي والتعالي باختصار)

(راجع صفحة ٣٣ من علم الادب)

إِنَّ عِلَاقَةَ الْمَجَازِ الْمُصَحَّحَةِ لَهُ إِمَّا أَنْ تَكُونَ مُشَابِهَةً لِمَنْقُولٍ  
إِلَيْهِ بِالْمَنْقُولِ عَنْهُ فِي شَيْءٍ فَيُسَمَّى الْمَجَازُ اسْتِعَارَةً كَمَا مَرَّ. وَإِمَّا أَنْ  
تَكُونَ عِلَاقَةُ الْمَجَازِ غَيْرَ الْمُشَابِهَةِ فَيُسَمَّى مُرْسَلًا كَلَفْظِ الْيَدِ إِذَا  
اسْتَعْمِلَ فِي النِّعْمَةِ وَالْقُدْرَةِ كَمَا يُقَالُ: جَلَّتْ أَيَادِيهِ عِنْدِي. أَيْ  
كَثُرَتْ نِعْمَتُهُ لَدَيَّ. وَاتَّسَعَتْ الْيَدُ فِي الْبَلَدِ. وَالْيَدُ فِي اللُّغَةِ الْغَضُوبُ  
الْخُصُوصُ وَالْعِلَاقَةُ كَرْنُ ذَلِكَ الْغَضُوبِ مَصْدَرًا لِلنِّعْمَةِ فَإِنَّهَا تَصِلُ  
إِلَى الْمُنْعَمِ عَلَيْهِ مِنْ الْيَدِ فَتَكُونُ الْجَارِحَةُ الْخُصُوصَةُ بِمِثْلَةِ أَلْعَلَّةِ  
أَلْفَاعِلِيَّةِهَا. وَأَيْضًا بِالْيَدِ تَظْهَرُ النِّعْمَةُ فَتَكُونُ بِمِثْلَةِ أَلْعَلَّةِ الصُّورِيَّةِ  
لَهَا. وَإِذَا اسْتَعْمِلَتْ لِلْقُدْرَةِ فَلِأَنَّ أَكْثَرَ مَا يَظْهَرُ سُلْطَانُ الْقُدْرَةِ فِي  
الْيَدِ وَبِهَا تَكُونُ الْأَفْعَالُ الدَّالَّةُ عَلَى الْقُدْرَةِ مِنَ الْبَطْشِ وَالضَّرْبِ

وَالْقَطْعَ وَالْأَخْذَ وَغَيْرَ ذَلِكَ . وَأَنْوَاعُ الْعَلَاقَةِ الْمُنْتَبَهَةِ كَثِيرَةٌ مِنْهَا  
عَائِدَةٌ إِلَى ( التَّصْنِ ) وَهِيَ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى زِيَادَةِ أَوْ نُقْصَانِ . ( فَمِنْ  
النُّقْصَانِ ) تَسْمِيَةُ الشَّيْءِ بِأَنَّهُمْ جُزئُوهُ وَإِطْلَاقُ الْخَاصِّ لِلْعَامِّ . وَهَذَا  
مِنْ سُنَنِ الْعَرَبِ فَإِنَّهُمْ يَنْتَصِرُونَ عَلَى بَعْضِ الشَّيْءِ وَهُمْ يُرِيدُونَ  
كُلَّهُ فَيَقُولُونَ : قَعَدَ عَلَى ظَهْرِ رَاحِلَتِهِ . وَكَقَوْلِ الشَّاعِرِ :

الْوَاطِنِينَ عَلَى صُدُورِ نَعَالِهِمْ

وَكَقَوْلِ لَبِيدٍ :

أَوْ يَرِيطُ بَعْضَ النَّفُوسِ حَمَامِهَا  
وَفِي الْقُرْآنِ : قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ . وَالْمُرَادُ يَغُضُّوا  
أَبْصَارَهُمْ كُلَّهَا . ( وَكَذَلِكَ ) يَصِفُونَ أَلْبَعْضَ بِصِفَةِ الْكُلِّ كَقَوْلِهِ :  
نَاصِيَةٌ كَاذِبَةٌ خَاطِئَةٌ . فَالْخَطَأُ صِفَةُ الْكُلِّ وَصَفَ بِهِ النَّاصِيَةَ . وَمِثْلُ  
ذَلِكَ إِطْلَاقُهُمْ لَفْظَ ( بَعْضٌ ) مُرَادًا بِهِ الْكُلُّ كَقَوْلِهِ : لَا بَيْنَ لَكُمْ  
بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ أَيِ كُلِّهِ . وَمِنْ سُنَنِ الْعَرَبِ أَنْ تُقِيمَ الْوَاحِدَ  
قَامَ الْجَمْعِ فَيَقُولُونَ : قَرَرْنَا بِهِ عَيْنًا . أَيْ عَيْنًا . وَكَقَوْلِهِ : لَا تُفَرِّقْ  
بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ . وَالتَّفْرِيقُ لَا يَكُونُ إِلَّا بَيْنَ أَشْيَيْنِ . وَالتَّقْدِيرُ : لَا تُفَرِّقْ  
بَيْنَهُمْ . وَمِنْ هَذَا أَلْبَابِ سُنَةِ الْعَرَبِ أَنْ يَقُولُوا لِلرَّجُلِ الْعَظِيمِ وَالْمَلِكِ  
الْكَبِيرِ : أَنْظِرُوا فِي أَمْرِي . وَلِأَنَّ السَّادَةَ وَالْمُلُوكَ يَقُولُونَ : نَحْنُ  
قَعَلْنَا وَإِنَّا أَمَرْنَا . فَعَلَى قَضِيَةِ هَذَا الْإِتِّدَاءِ يُخَاطَبُونَ فِي الْجَوَابِ .  
( وَمِنْ الزِّيَادَةِ ) وَهُوَ عَكْسُ مَا قَبْلَهُ إِطْلَاقُ أَسْمِ الْعَامِّ لِلْخَاصِّ وَمِثْلُهُ  
بَابُ التَّخْصِصِ بِأَسَرِهِ وَإِطْلَاقُ أَسْمِ الْكُلِّ عَلَى الْجُزْءِ نَحْوُ : يَجْعَلُونَ

أَصَابَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّارِقِ . يُرِيدُ الْآفَاقَةَ وَهِيَ جُزْءٌ مِنَ  
الْأَصَابِعِ . وَالْفَرَضُ وَهُوَ الْمَبَالغةُ كَأَنَّهُ جَعَلَ جَمِيعَ الْأَصَابِعِ فِي الْأُذُنِ  
لِتَلَّا بِسَمْعٍ شَيْئًا مِنَ الصَّاعِقَةِ . (وَمِنْ سُنَنِهِمْ) أَيْضًا الْإِتْيَانُ بِالْجَمْعِ  
وَيُرِيدُونَ بِهِ الْوَاحِدَ كَقَوْلِهِ : مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ .  
وَأَمَّا أَرَادَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ . وَتَقُولُ الْعَرَبُ : أَفْعَلًا ذَلِكَ . وَالْحُطَّابُ  
وَاحِدٌ . وَكَقَوْلِهِ : أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ . وَهُوَ حُطَّابٌ لِحَازِنِ  
النَّارِ وَحَدَه . وَكَمَا قَالَ الْأَعشى :

وَصَلَّ عَلَى خَيْرِ الْعَشِيَّاتِ وَالضُّحَى وَلَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ وَاللَّهَ فَاعْبُدَا  
وَيُقَالُ إِنَّهُ أَرَادَ : وَاللَّهِ فَاعْبُدْنِ . فَقَلْبُ النَّوْنِ الْخَفِيفَةُ الْفَاءُ .  
وَكَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ : أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ . (وَمِنْ أَنْوَاعِ) الْعِلَاقَةِ الَّتِي تَعْتَبَرُ فِي  
الْإِحْجَازِ أَنْ تُرْسِلَ مَا يَقُودُ إِلَى (الْإِسْتِزَامِ) وَهُوَ مَا أَقْتَضَى مَعْنَاهُ مَعْنَى آخَرَ  
لِاجْتِلَاءِ عِلَاقَتِهِ . (فَمِنْ ذَلِكَ) إِطْلَاقُ اسْمِ الْمَلْزُومِ عَلَى الْمَلْزَمِ وَالْإِزْمِ  
عَلَى الْمَلْزُومِ نَحْوُ : هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ . أَيْ هَلْ يَفْعَلُ . أَطْلَقَ الْإِسْطِطَاعَةَ  
عَلَى الْفِعْلِ لِأَنَّهَا لَازِمَةٌ لَهُ . وَكَقَوْلِهِ : يُرْسِلُ السَّمَاءَ وَمِذْرَارًا . أَيْ  
الْمَطَرَ . لِأَنَّهُ مِنْهَا يَنْزِلُ . (وَمِنْهُ) تَسْمِيَةُ الشَّيْءِ بِاسْمِ سَبَبِهِ . كَقَوْلِهِ : مَا كَانُوا  
يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ . أَيْ الْقَبُولَ وَالْعَمَلَ بِهِ لِأَنَّهُ يَسَبَّبُ عَنِ السَّمْعِ .  
وَكَقَوْلِهِ : رَعَيْنَا الْغَيْثَ . أَيْ الْبَنَاتَ الَّتِي سَبَبُهُ الْغَيْثُ . (وَعَكْسُهُ)  
تَسْمِيَةُ الشَّيْءِ بِاسْمِ مُسَبَّبِهِ نَحْوُ : أَمَطَرَتِ السَّمَاءُ بَنَاتًا . أَيْ غَيْثًا  
يَكُونُ الْبَنَاتُ مُسَبَّبًا عَنْهُ . وَكَقَوْلِهِ : يُنْزِلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا .  
أَيْ مَطَرًا وَهُوَ مِنْ تَوَابِعِهِ . (وَمِنْهُ) تَسْمِيَةُ الشَّيْءِ بِاسْمِ مَا كَانَ

عَلَيْهِ نَحْوُ : اَنُؤَا اَلَيْتَامَى اَمَوَاهُمْ . اَيِ اَلَّذِينَ كَانُوا يَتَامَى لِاَنَّهُمْ  
لَا يُؤْتُونَ اَمَوَاهُمْ حَتَّى يَبْلُغُوا وَلَا يَتِمَّ بَعْدُ اَلْبُلُوغُ . ( وَمِنْهُ ) تَسْمِيَةُ  
اَلشَّيْءِ بِاَسْمِ مَا يُؤَدُّ اِلَيْهِ نَحْوُ : اِنِّي اَرَانِي اَعَصِرُ خَمْرًا اَيِ عِنَبًا .  
يُعَصِرُ قِيُوْدُلُ اِلَى الْخَمْرِ . وَكَقَوْلِهِ : وَلَا يَلِدُوا اِلَّا كُفَّارًا . اَيِ صَاثِرًا  
اِلَى الْكُفْرِ . ( وَمِنْهُ ) تَسْمِيَةُ اَلشَّيْءِ بِاَسْمِ مَحَلِّهِ نَحْوُ : فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ  
اَيِ اَهْلَ نَادِيِهِ . اَيِ مَجْلِسِهِ . وَكَقَوْلِهِ : اَسْأَلُ اَلْقَرْيَةَ اَلَّتِي كُنَّا فِيهَا .  
اَيِ اَهْلِهَا . ( وَمِنْهُ عَكْسُهُ ) اَيِ اِطْلَاقِ اَسْمِ اَلْحَالِ عَلَى اَلْمَحَلِّ .  
نَحْوُ : حَلُّوا فِي رَحْمَةِ اللهِ اَيِ فِي الْجَنَّةِ لِأَنَّهَا مَحَلُّ الرَّحْمَةِ . ( وَمِنْهُ )  
تَسْمِيَةُ اَلشَّيْءِ بِاَسْمِ اَلَّذِي نَحْوُ : وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ .  
اَيِ اجْعَلْ لِي ثَنَاءً حَسَنًا وَاَللِّسَانَ آتَهُ اَلصِّدْقُ وَاَلثَّنَاءُ . ( وَمِنْهُ ) تَسْمِيَةُ  
اَلشَّيْءِ بِاَسْمِ ضِدِّهِ نَحْوُ : فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ اَلِيمٍ . اَيِ اَنْذِرْهُمْ وَهَدِّدْهُمْ .  
وَتَقُولُ اَلْعَرَبُ لِلرَّجُلِ تَسْتَجِهُلُهُ : يَاعَاقِلُ . وَالْمَرْأَةُ تَسْتَجْجِهَا : يَاقَمَرُ .  
( وَكَذَلِكَ ) يَقْبَلُونَ اَلْمَعْنَى نَحْوُ : عَرَضْتُ اَلنَّاقَةَ عَلَى اَلْحَوْضِ . يُرِيدُونَ  
اَلْحَوْضَ عَلَى اَلنَّاقَةِ . ( وَمِنْهُ ) وَصْفُ اَلشَّيْءِ بِمَا يَقَعُ فِيهِ اَوْ يَكُونُ  
مِنْهُ نَحْوُ : يَوْمٌ عَاصِفٌ . اَيِ عَاصِفُ الرِّيحِ . وَلَيْلٌ نَائِمٌ وَسَاهِرٌ وَصَائِمٌ  
اَيِ يُنَامُ فِيهِ وَيُسَهِّرُ وَيَصَامُ . ( وَمِنْهُ ) اِضَاقَةُ اَلْفِعْلِ اِلَى مَا لَا يَضِلُّ  
اَنَّهُ تَشْبِيهَا . كَقَوْلِهِ : جِدَارٌ يُرِيدُ اَنْ يَنْقُضَ . وَلَا اِرَادَةَ لِلْجِدَارِ . وَلَكِنَّهُ  
تَوَسَّعَ اَلْعَرَبُ فِي اَلْحِجَازِ فَعَبَّرُوا عَنْ اَلْجَمَادِ بِفِعْلِ اَلْإِنْسَانِ كَمَا قَالَ  
الرَّاجِزُ :

امْتَلَأَ اَلْحَوْضُ وَقَالَ قَطْنِي



أَي كَفَايَ فِي وَلَيْسَ لِيخْوَضِ قَوْلُهُ. وَمِثْلُهُ قَوْلُ الرَّاعِي الشَّاعِرِ النَّصْرَانِي :  
فِي مَنَمِهِ فَلَقْتُ بِهِ هَامَاتَهَا فَلَقَّ الْفُؤُوسِ إِذَا أَرَدَنْ تَصُولَا  
وَالْعَرَبُ تُسَمِّي التَّهْيِئَةَ لِلْفِعْلِ وَالْإِحْتِيَاجَ إِلَيْهِ إِرَادَةً. وَكَذَلِكَ يَأْتُونَ  
بِلَفْظِ الْآخِرِ وَهُوَ مُسْتَقْبَلٌ وَبِلَفْظِ الْمُسْتَقْبَلِ وَهُوَ مَاضٍ كَقَوْلِهِ : لَمْ  
تَقْتُلُونِ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ أَي لَمْ قَتَلْتُمْ . وَكَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

فَادْرَكْتُ مَنْ قَدْ كَانَ قَبْلِي وَلَمْ أَدْعَ لِمَنْ كَانَ بَعْدِي فِي الْقَصَائِدِ مُضَيِّفًا  
أَي لِمَنْ يَكُونُ بَعْدِي . وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ : وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا . أَي  
كَانَ وَيَكُونُ وَهُوَ كَأَنَّ الْآنَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ . وَكَذَلِكَ يَأْتُونَ بِالْمَفْعُولِ  
بِلَفْظِ الْفَاعِلِ فَيَقُولُونَ : سِرُّ كَاتِمٍ أَي مَكْتُومٍ . وَمَكَانٌ عَائِرٌ أَي  
مَعُورٌ . وَمَاءٌ دَافِقٌ أَي مَدْفُوقٌ . وَعَيْشَةٌ رَاضِيَةٌ أَي مَرْضِيَّةٌ . وَحَرَمٌ  
أَمِينٌ أَي مَأْمُونٌ . وَقَالَ جَرِيرٌ :

إِنَّ أَلْبِيَّةَ مَنْ عَمِلَ كَلَامَهُ فَأَنْقَعُ فُؤَادَكَ مِنْ حَدِيثِ الْوَاوِقِ  
أَي مِنْ حَدِيثِ الْمُؤْمُوقِ . وَيَعْكُسُونَ هَذَا الْعَمَلَ وَيَسْتَعْمِلُونَ  
الْفَاعِلَ بِلَفْظِ الْمَفْعُولِ كَقَوْلِهِ : كَانَ وَعْدُهُ مَا تَيَّا أَي آتِيًا . وَكَقَوْلِهِ :  
حِجَابٌ مُسْتَوْرٌ أَي سَاتِرٌ . وَيُقِيمُونَ الْأَسْمَ وَالْمُضَدَّرَ مَقَامَ الْفَاعِلِ  
وَالْمَفْعُولِ . فَيَقُولُ الْعَرَبُ : رَجُلٌ عَدْلٌ أَي عَادِلٌ . وَرَضَى أَي مَرْضِيٌّ .  
وَبَنُو فُلَانٍ لَنَا سَلَمٌ أَي مُسَالِمُونَ . وَحَرْبٌ أَي مُحَارِبُونَ . (وَكَذَلِكَ)  
يَحْمِلُونَ اللَّفْظَ عَلَى الْمَعْنَى فِي تَذْكِيرِ الْمُؤَنَّثِ وَتَأْنِيثِ الْمَذْكَرِ  
فَيَتَرَكُونَ حُكْمَ ظَاهِرِ اللَّفْظِ وَيَحْمِلُونَهُ عَلَى مَعْنَاهُ كَمَا يَقُولُونَ : ثَلَاثَةٌ  
أَنْفُسٍ . وَالنَّفْسُ مُؤَنَّثَةٌ وَأَمَّا أَحْمَلُهُ عَلَى مَعْنَى الْإِنْسَانِ أَوْ مَعْنَى الشَّخْصِ

قَالَ الشَّاعِرُ :

مَا عِنْدَنَا إِلَّا ثَلَاثَةٌ أَنْفُسٍ يَشُلُّ النَّجْمُ تَلَالِاتٍ فِي الْخُنْدِيسِ  
وَكَمَا ذَكَرَ بَعْضُهُمُ الْكَفَّ وَهِيَ مُوَنَّتُهُ فِي قَوْلِهِ :  
أَرَى رَجُلًا مِنْهُمْ أَسِيفًا كَانَا يَضُمُّ إِلَى كَشْحِهِ كَفًا مُحَضَّبًا  
فَحَمَلَ الْكَلَامَ عَلَى الْغَضْوِ وَهُوَ مُدَكَّرٌ . وَكَمَا قَالَ الْآخَرُ :  
يَا أَيُّهَا الرَّاكِبُ الْمَرْجِي مَطْلَبَتُهُ سَأَلَ بَنِي أَسَدٍ مَا هَذِهِ الصَّوْتُ  
أَيَّ مَا هَذِهِ الْجَلْبَةُ . وَفِي الْقُرْآنِ : وَاحْنِنَا بِهِ بَلَدَةً مِينًا .  
وَلَمْ يَقُلْ : مِينَةً لِأَنَّهُ حَمَلَهُ عَلَى الْمَكَانِ . وَقَالَ : السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ .  
فَذَكَرَ السَّمَاءَ وَهِيَ مُوَنَّتُهُ لِأَنَّهُ حَمَلَ الْكَلَامَ عَلَى السَّقْفِ . وَكُلُّ مَا  
عَلَكَ وَأَطْلَكَ فَهُوَ سَمَاءٌ

البحث الحادي عشر

في القول عن الكناية

( عن كتاب صاعقة الترسل والمثل السائر )

( راجع صفحة ٢٨ من علم الادب )

الْلَفْظَةُ إِذَا أُطْلِقَتْ وَكَانَ الْغَرَضُ الْأَصْلِيُّ غَيْرَ مَعْنَاهَا فَلَا يَحُورُ  
إِمَّا أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهَا مَقْصُودًا أَيْضًا لِيَكُونَ دَالًّا عَلَى ذَلِكَ الْغَرَضِ  
الْأَصْلِيِّ . وَإِمَّا أَنْ لَا يَكُونَ كَذَلِكَ . فَلَاوَلُ هُوَ الْكِنَايَةُ وَيُقَالُ  
لَهُ : الْإِرْدَافُ . وَالثَّانِي الْجَازِ . فَالْكِنَايَةُ عِنْدَ عُلَمَاءِ الْبَلَدِ أَنَّ  
يُرِيدُ التَّكْلِيمَ اثْبَاتَ مَعْنَى وَنِ الْمَعْنَى فَلَا يَذْكُرُهُ بِالْفِعْلِ الْمَوْضُوعِ  
لَهُ فِي اللَّفْظَةِ وَلَكِنْ يَجِيءُ إِلَى مَعْنَى هُوَ نَالِيهِ وَرَدُّهُ فِي الْوُجُودِ

فَيُوحَى بِهِ إِلَيْهِ وَيَجْعَلُهُ دَلِيلًا عَلَيْهِ  
وَأَعْلَمُ أَنَّ الْكِنَايَةَ مُشْتَقَّةٌ مِنَ السِّرِّ . يُقَالُ : كُنْتُ الشَّيْءَ  
إِذَا سَرْتَهُ . وَاجْرِيَ هَذَا الْحُكْمُ فِي الْأَلْفَاطِ الَّتِي يُسْتَرُ فِيهَا الْحِجَازُ  
بِالْحَقِيقَةِ فَتَكُونُ دَلَالَةً عَلَى السَّائِرِ وَعَلَى الْمُسْتَوْرِ مَعًا . وَذَلِكَ أَنَّ الْمُسْتَوْرَ  
فِيهَا هُوَ الْحِجَازُ لِأَنَّ الْحَقِيقَةَ تُفْهَمُ أَوَّلًا وَيَتَسَارَعُ الْفَهْمُ إِلَيْهَا قَبْلَ  
الْحِجَازِ . لِأَنَّ دَلَالََةَ اللَّفْظِ عَلَيْهَا دَلَالَةٌ وَضَعِيَّةٌ . وَأَمَّا الْحِجَازُ فَإِنَّهُ  
يُفْهَمُ مِنْهُ بَعْدَ فَهْمِ الْحَقِيقَةِ وَإِنَّمَا يُفْهَمُ بِالنَّظَرِ وَالْفِكْرَةِ وَبِهَذَا يَحْتَاجُ  
إِلَى دَلِيلٍ لِأَنَّهُ عُدُولٌ عَنْ ظَاهِرِ اللَّفْظِ . فَالْحَقِيقَةُ أَظْهَرَ وَالْحِجَازُ أَخْفَى  
وَهُوَ مُسْتَوْرٌ بِالْحَقِيقَةِ . وَقَدْ تَأَوَّلْتُ الْكِنَايَةَ بِغَيْرِ هَذَا وَهِيَ أَنَّهَا  
تَأْخُودَةٌ مِنَ الْكِنَايَةِ الَّتِي يُقَالُ فِيهَا : أَبُو فُلَانٍ . فَإِنَّا إِذَا نَادَيْنَا رَجُلًا  
أَسْمُهُ عَبْدُ اللَّهِ وَلَهُ وَلَدٌ أَسْمُهُ مُحَمَّدٌ فَقُلْنَا : يَا أَبَا مُحَمَّدٍ . كَانَ ذَلِكَ  
مِثْلَ قَوْلِنَا : يَا عَبْدَ اللَّهِ . فَإِنْ شِئْنَا نَادَيْنَاهُ بِهَذَا وَإِنْ شِئْنَا نَادَيْنَاهُ بِهَذَا  
وَكِلَاهُمَا وَقَعَ عَلَيْهِ . وَكَذَلِكَ يَجْرِي الْحُكْمُ فِي الْكِنَايَةِ فَإِنَّا إِذَا  
شِئْنَا حَمَلْنَاهَا عَلَى جَانِبِ الْحِجَازِ . وَإِنْ شِئْنَا حَمَلْنَاهَا عَلَى الْحَقِيقَةِ . إِلَّا  
إِنَّهُ لَا بُدَّ مِنَ الْوَصْفِ الْجَامِعِ بَيْنَهُمَا لِثَلَاثٍ يَلْحَقُ بِالْكِنَايَةِ مَا لَيْسَ مِنْهَا  
وَمِثَالُ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ : هُوَ طَوِيلُ الْحَيَاةِ وَكَثِيرُ رِمَادِ الْقِدْرِ . يَعْنُونَ بِهِ  
أَنَّهُ طَوِيلُ الْأَقَامَةِ كَثِيرُ الْقَرَى فَلَمْ يَذْكُرِ الْمُرَادَ بِلَفْظِهِ الْخَاصِّ بِهِ  
وَالَكِنْ تَوَصَّلُوا إِلَيْهِ بِذِكْرِ مَعْنَى آخَرٍ هُوَ رِذْفُهُ فِي الْوُجُودِ . الْأَثَرُ  
أَنَّ الْأَقَامَةَ إِذَا طَالَتْ طَالَ الْحَيَاةُ . وَإِذَا كَثُرَ الْقَرَى كَثُرَ رِمَادُ الْقِدْرِ .  
وَكَقَوْلِ الْخَضْرَمِيِّ :

قَدْ كَانَ يُعْجِبُ بَعْضُهُنَّ بِرَأْعِي حَتَّى رَأَيْنَ تَسْخُجِي وَسُعَالِي  
كَتَى عَنْ كِبَرِ السِّنِّ بِتَوَابِعِهِ وَهِيَ التَّسْخُجُ وَالسُّعَالُ. وَالْكِنَايَةُ  
تَكُونُ فِي الْمَثَبِ كَمَا ذَكَرْنَا وَقَدْ تَكُونُ فِي الْأَثْبَاتِ. وَهِيَ مَا إِذَا  
حَاوَلُوا اثْبَاتَ مَعْنَى مِنَ الْمَعَانِي لِشَيْءٍ فَيَذْكُرُونَ التَّضَرُّيخَ بِإِثْبَاتِهِ لَهُ  
وَيُثْبِتُونَهُ لِمَا لَهُ بِهِ تَعَلُّقٌ كَقَوْلِهِمْ : الْحَجْدُ بَيْنَ تَوْيِهِ وَالْكَرْمُ بَيْنَ  
بُرْدِيهِ . وَقَوْلُهُ :

إِنَّ الْمُرُوءَةَ وَالسَّمَاحَةَ وَاللَّدَى فِي قُبَّةٍ ضَرَبْتَ عَلَى ابْنِ الْحَشْرِجِ  
وَنَظِيرُهُ قَوْلُ يَزِيدَ بْنِ الْحَكَمِ يَدْحُ يَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ وَهُوَ فِي  
حَسْبِ الْحَجَّاجِ :

أَصْبَحَ فِي قَيْدِكَ السَّمَاحَةُ م وَالْحَجْدُ وَفَضْلُ الصَّلَاحِ وَالْحَسْبُ  
وَقَالَ الْجُرْجَانِيُّ : مَكَانُ الْقَيْدِ هَهُنَا هُوَ مَكَانُ الْقُبَّةِ فِي أَلْبَيْتِ  
الْمُقَدَّمِ . وَقَدْ يَجْتَمِعُ بِالْبَيْتِ الْوَاحِدِ كِنَايَا تَانِ : الْغَرَضُ مِنْهُمَا وَاحِدٌ  
وَكُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا أَصْلٌ بِنَفْسِهَا كَقَوْلِهِ :

وَمَا يَكُ فِيَّ مِنْ عَيْبٍ فَإِنِّي جَبَانُ الْكَلْبِ مَهْزُولُ الْفَصِيلِ  
وَأَعْلَمُ أَنَّ الْكِنَايَةَ جُزْءٌ مِنَ الْأِسْتِعَارَةِ وَلَا تَأْتِي إِلَّا عَلَى حُكْمِ  
الْإِسْتِعَارَةِ خَاصَّةً لِأَنَّ الْأِسْتِعَارَةَ لَا تَكُونُ إِلَّا بِحِثِّ يُطَوَّى ذِكْرُ  
الْمُسْتَعَارِ لَهُ . وَكَذَلِكَ الْكِنَايَةُ فَإِنَّهَا لَا تَكُونُ إِلَّا بِحِثِّ يُطَوَّى  
ذِكْرُ الْمَكْنِيِّ عَنْهُ وَنِسْبَتُهَا إِلَى الْأِسْتِعَارَةِ نِسْبَةُ خَاصٍّ إِلَى عَامٍ .  
فَيُقَالُ : كُلُّ كِنَايَةٍ إِسْتِعَارَةٌ . وَلَيْسَ كُلُّ إِسْتِعَارَةٍ كِنَايَةً . وَيُفْرَقُ  
بَيْنَهُمَا مِنْ وَجْهِ آخَرٍ وَهُوَ : أَنَّ الْأِسْتِعَارَةَ لَفْظُهَا صَرِيحٌ . وَالصَّرِيحُ

هُوَ مَا دَلَّ عَلَيْهِ ظَاهِرُ لَفْظِهِ وَالْكِنَايَةُ ضِدُّ الصَّرِيحِ لِأَنَّهَا عُدُولٌ عَنْ  
ظَاهِرِ اللَّفْظِ . وَهَذِهِ ثَلَاثَةُ فُرُوقٍ أَحَدُهَا : الْخُصُوصُ وَالْعُمُومُ .  
وَالْآخَرُ الصَّرِيحُ . وَالْآخَرُ الْحَمْلُ عَلَى جَانِبِ الْحَقِيقَةِ وَالْحِجَازِ . وَقَدْ  
تَقَدَّمَ الْقَوْلُ فِي بَابِ الْأِسْتِعَارَةِ أَنَّهَا جُزْءٌ مِنَ الْحِجَازِ . وَعَلَى ذَلِكَ  
فَتَكُونُ نِسْبَةُ الْكِنَايَةِ إِلَى الْحِجَازِ نِسْبَةَ جُزْءٍ إِلَى جُزْءٍ وَخَاصٍّ إِلَى خَاصٍّ  
وَقَدْ يَأْتِي فِي الْكَلَامِ مَا يَحْجُوزُ أَنْ يَكُونَ كِنَايَةً وَيَحْجُوزُ أَنْ يَكُونَ  
أِسْتِعَارَةً . وَذَلِكَ يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ النَّظَرِ إِلَيْهِ فِي مُفْرَدِهِ وَالنَّظَرِ إِلَى  
مَا بَعْدَهُ كَقَوْلِ نَصْرَبِنْ سَيَّارٍ فِي آيَاتِهِ الْمَشْهُورَةِ الَّتِي يُحَرِّضُ بِهَا بَنِي  
أُمَيَّةٍ عِنْدَ خُرُوجِ أَبِي مُسْلِمٍ :

أَرَى خَلَلَ الرَّمَادِ وَوَيْضَ الْجَمْرِ وَيُوشِكُ أَنْ يَكُونَ لَهُ ضِرَامُ

### البحث الثاني عشر

### في التعريض

( من المثل السائر لابن الاثير تصريف )

( راجع صفحة ٣٧ من علم الادب )

قَدْ تَكَلَّمَ عُلَمَاءُ أَلْبَانٍ فِي التَّعْرِيزِ فَوَجَدْتُهُمْ قَدْ خَلَطُوا  
التَّعْرِيزَ بِالْكِنَايَةِ وَلَمْ يَفَرِّقُوا بَيْنَهُمَا وَلَا أَحَدُوا كَلَامَهُمَا بِمَحْدٍ  
يَفْصِلُهُ عَنْ صَاحِبِهِ . بَلْ أَوْرَدُوا لَهُمَا أَمَثَلَةً مِنَ النِّظْمِ وَالنَّثْرِ وَأَدْخَلُوا  
أَحَدَهُمَا فِي الْآخَرِ . فَذَكَرُوا لِلْكِنَايَةِ أَمَثَلَةً مِنَ التَّعْرِيزِ وَالتَّعْرِيزِ  
أَمَثَلَةً مِنَ الْكِنَايَةِ . فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ الْغَانِمِيُّ وَأَبْنُ سِنَانٍ وَالْحَفَاجِيُّ  
وَالْعَسْكَرِيُّ . وَسَاذَكَرُ مَا عِنْدِي فِي الْفَرْقِ بَيْنَهُمَا وَأَمَيَزَ أَحَدَهُمَا

عَنْ الْآخِرِ لِيُعْرَفَ كُلُّ مِنْهُمَا عَلَى انْفِرَادِهِ . وَذَلِكَ أَنَّ الْكِتَابَةَ إِذَا  
وَرَدَتْ تَجَادُهَا جَانِبًا حَقِيقَةً وَمَجَازًا . وَجَازَ حَمْلَهَا عَلَى الْجَانِبَيْنِ مَعَ فَيَصِحُّ  
بِكُلِّ مِنْهُمَا الْمَعْنَى وَلَا يَخْتَلُ . وَالْدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ أَنَّ الْكِتَابَةَ فِي  
أَصْلِ الْوَضْعِ أَنَّ تَتَكَلَّمَ بِشَيْءٍ وَتُرِيدُ غَيْرَهُ . يُقَالُ : كُنَيْتُ بِكَذَا  
عَنْ كَذَا . فَهِيَ تَدُلُّ عَلَى مَا تَكَلَّمْتَ بِهِ وَعَلَى مَا أَرَدْتَهُ مِنْ غَيْرِهِ .  
وَأَمَّا التَّعْرِيزُ فَهُوَ اللَّفْظُ الدَّالُّ عَلَى الشَّيْءِ مِنْ طَرِيقِ الْمَفْهُومِ  
لَا بِالْوَضْعِ الْحَقِيقِيِّ وَلَا بِالْمَجَازِيِّ . فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ لَنْ تَتَوَقَّعَ  
صِلَتُهُ وَمَعْرُوفُهُ بِغَيْرِ طَلَبٍ : إِنِّي أَسْتَخْتِجُ وَلَيْسَ فِي يَدَيَّ شَيْءٌ ، وَأَنَا  
عَرِيَانٌ وَالْبَرْدُ قَدْ آذَانِي . فَإِنَّ هَذَا وَأَشْبَاهَهُ تَعْرِيزٌ بِالطَّلَبِ وَلَيْسَ  
هَذَا اللَّفْظُ مَوْضُوعًا فِي مُقَابَلَةِ الطَّلَبِ لِاحْتِقَاقِهِ بَلْ مَجَازًا . إِنَّمَا دُلَّ  
عَلَيْهِ مِنْ طَرِيقِ الْمَفْهُومِ بِخِلَافِ دَلَالَةِ الْكِتَابَةِ فَإِنَّهَا لَفْظِيَّةٌ وَضَعِيَّةٌ  
مِنْ جِهَةِ الْمَجَازِ . وَإِنَّمَا سُمِّيَ التَّعْرِيزُ تَعْرِيزًا لِأَنَّ الْمَعْنَى فِيهِ يُفْهَمُ  
مِنْ عَرَضِهِ أَيْ مِنْ جَانِبِهِ . وَمِنْ لَطِيفِ التَّعْرِيزَاتِ الْأَدَبِيَّةِ مَا  
يُروى عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ : أَنَّهُ كَانَ يَخْطُبُ يَوْمَ جُمُعَةٍ فَدَخَلَ عُثْمَانُ  
ابْنُ عَفَّانَ . فَقَالَ عُمَرُ : أَيُّ سَاعَةٍ هَذِهِ . يُرِيدُ التَّعْرِيزَ بِالْإِنْكَارِ عَلَيْهِ  
إِتَاخُورِهِ عَنْ الْحُجِيِّ إِلَى الصَّلَاةِ . وَهُوَ مِنَ التَّعْرِيزِ الْمَرْبُوبِ عَنِ  
الْأَدَبِ . وَمِنْ أَمْثَلِهِ الشَّعْرِيَّةُ قَوْلُ الْحُجَّاجِ يَعْرِضُ بَيْنَ نَقْدَمُهُ  
مِنَ الْأَمْرَاءِ :

أَسْتُ بِرَاعِي إِبِلٍ وَلَا غَنَمٍ      وَلَا بِجَزَارٍ عَلَى ظَهْرِ وَضَمٍّ

### البحث الثالث عشر

## في ما ورد من الكنايات عن العرب

( عن كتاب الكناية للتمالي وكتاب الصناعتين للمسكري )

اعْلَمْ أَنَّ الْعَرَبَ يَلْتَحِنُونَ إِلَى الْكِنَايَةِ إِذَا مَا أَرَادُوا التَّعْرِيفَ  
عَمَّا يُسْتَفْهِمُ ذِكْرُهُ فَيَكْنُونُ عَنِ الْأَعْوَرِ بِالْمَتَمِّعِ . وَعَنِ الَّذِي فِي عَيْنِهِ  
نُكْتَةٌ بِيَاضٍ بِالْمَكْوَكِبِ . وَعَمَّنْ فِي وَجْهِهِ أَرَضْرُؤٌ بِالْمَشْطَبِ .  
وَلِبَعْضِهِمْ فِي أَبْرَصَ :

لَاخُو لَحْمٍ أَعَارَكَ وَنَهْ ثَوْبًا هَنِيئًا بِالْقَمِيصِ الْمُسْتَجِدِّ  
أَرَادَ بِأَخِي لَحْمٍ جَدِيَّةَ الْأَبْرَصِ . وَلِلصَّاحِبِ فِي الْجَرَبِ :  
أَبَا أَلْعَلَاءِ هَلَالُ الْهَزَلِ وَالْجَدِّ كَيْفَ الْجُومُ الَّتِي يَطْلَعْنَ فِي الْجِلْدِ  
وَيَكْنَى عَنِ الْحَوْلِ بِالتَّائِخِرِ . قَالَ الدَّوْلِيُّ :  
يَبِضُ الطَّائِخُ لَا تَشْكُو إِمَاؤُهُمْ طَنَجَ الْقُدُورِ وَلَا غَسَلَ الْمُنَادِيلِ  
قَالَ آخَرُ :

ثِيَابُ طَبَاخٍ إِذَا اتَّسَخَتْ أَنْقَى بَيَاضًا مِنْ أَلْقَرَاتِيسٍ  
وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الْخَوَارِزْمِيُّ :

فَتَى مُخْتَصِرُ الْمَاكُو لِ الْمَشْرُوبِ وَالْعِطْرِ  
تَقِي الْكَأْسِ وَالْقَصْعَةِ مِ الْمُنْدِيلِ وَالْقُدْرِ  
وَيَكْنُونُ عَنِ الْجَاهِلِ بِأَنَّهُ مِنَ الْمُسْتَرْجِحِينَ . وَيُرْوَى أَنَّ خِلَافًا  
وَقَعَ بَيْنَ بَعْضِ الْخُلَفَاءِ وَبَيْنَ نَدِيمٍ لَهُ فِي مَسْأَلَةٍ . فَأَتَّفَقَا عَلَى رَأْيِ  
بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ فَأُخْضِرَ . فَوَجَدَ الْخَلِيفَةَ مُخْطِئًا فَقَالَ : الْقَائِلُونَ

بِقَوْلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَكْثَرُ (يُرِيدُ الْجَهَالَ) . وَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ أَحَقَّ  
 قِيلَ : نَعْتُهُ لَا يَنْصَرِفُ . وَكَانَ قَابُوسُ بْنُ وَشْمَكِيرَ إِذَا وَصَفَ  
 رَجُلًا بِأَبْلَهٍ قَالَ : هُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ . وَيَقُولُونَ : فَلَانٌ خَفِيفٌ  
 عَلَى الْقَلْبِ يُرِيدُونَ مَقْلُوبًا وَهُوَ الثَّقِيلُ . وَكَانَ النَّاصِرُ الْمَعْلُومِيُّ  
 الْأَنْطَرُوشُ إِذَا خَاطَبَهُ أَحَدٌ فَلَمْ يَسْمَعْ قَالَ لَهُ : أَرْفَعُ صَوْتَكَ فَإِنَّ بِأُذُنِي  
 بَعْضَ مَا بِرُوحِكَ . وَنَظَرَ الْأَبْدِيعُ الْمَهْدَلِيُّ إِلَى رَجُلٍ طَوِيلٍ بَارِدٍ  
 فَقَالَ : قَدْ أَقْبَلَ لَيْلُ الشِّتَاءِ . وَدَخَلَ رَجُلٌ عَلَى مَرِيضٍ يَعُودُهُ وَقَدْ  
 أَشْغَرَ . فَقَالَ : مَا تَجِدُ فِدَيْتُكَ . قَالَ : أَجْدُكَ (يَعْنِي الْبَرْدَ) .  
 وَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ كَذُوبًا قِيلَ : الْفَاحِشَةُ عِنْدَهُ أَبُو ذَرٍّ (يُضْرَبُ  
 الْمَثَلُ بِالْفَاحِشَةِ فِي الْكَذِبِ وَبِأَيِّ ذَرٍّ فِي الصِّدْقِ) . وَيَقُولُونَ أَيْضًا :  
 فَلَانٌ يَلْطُمُ عَيْنَ مِيزَانٍ . (وَمِيزَانُ رَجُلٍ يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ فِي الْكَذِبِ) .  
 وَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ مُلَوًّا قِيلَ : هُوَ مِنْ بَقِيَّةِ قَوْمِ مُوسَى . وَإِذَا كَانَ  
 مُلْحِدًا قِيلَ : قَدْ عَبَرَ (يُرِيدُونَ جِسْرَ الْإِيمَانِ) . قِيلَ لِبَعْضِهِمْ : هَلْ  
 عَبَرْتَ . قَالَ : فِي ذَلِكَ الْجَانِبِ وَلِدْتُ . وَإِنْ كَانَ يُسِيئُ الْأَدَبَ  
 فِي الْمَوَاطَلَةِ قِيلَ : تُسَافِرُ يَدُهُ عَلَى الْخَوَانِ وَيَرْعَى أَرْضَ الْجِيرَانِ .  
 فَإِنْ كَانَ خَفِيفَ أَلْيَدٍ فِي الطَّرِيقِ وَالسَّرِقَةِ . قَالُوا : هُوَ أَحَدُ يَدِ  
 الْقَيْصِ (وَيَدُ الْقَيْصِ الْكُمُ وَالسَّارِقُ يُقَصِّرُهُ لِيَكُونَ أَقْدَرُ عَلَى  
 مَا يُرِيدُ مِنْ سَرِقَةٍ) . فَإِذَا كَانَ قَلَّ الثَّوبُ قِيلَ : فَلَانٌ يَغْرَضُ  
 الصِّيدَ . قَالَ الصَّاحِبُ :

وَحُوشُهُ تَرْتَعُ فِي جَنْبِهِ وَظُفْرُهُ يَرْكَبُ لِلصِّيدِ



وَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ يَتَشَاعَرُ وَلَيْسَ يُحِيدُ قَالُوا: هُوَ نَبِيٌّ فِي الشِّعْرِ.  
قَالَ بَعْضُهُمْ :

يَا نَبِيَّ اللَّهِ فِي الشِّعْرِ م وَيَا مَنْ فِيهِ يُكْرَمُ  
أَنْتَ مِنْ أَشْعَرِ خَلْقِ اللَّهِ م مَا لَمْ تَتَكَلَّمْ  
وَيَقَالُ : فَلَانٌ رَابِعُ الشُّعْرَاءِ . إِذَا كَانَ مُتَحَلِّفًا مُنْخَطًا أَلْطَبَقَةً  
لِقَوْلِ الشَّاعِرِ :

الشُّعْرَاءُ فَأَعْلَمَنَّ أَرْبَعَهُ فَشَاعِرٌ يَجْرِي وَلَا يُجْرَى مَعَهُ  
وَشَاعِرٌ يُنْشِدُ وَسَطُ الْجَمْعَةِ وَشَاعِرٌ مِنْ حَقِّهِ أَنْ تَسْمَعَهُ  
وَشَاعِرٌ مِنْ حَقِّهِ أَنْ تَصْفَعَهُ

وَسُئِلَ حَاتِكٌ عَنْ صِنَاعَتِهِ فَقَالَ : كُنُوزُ الْأَحْيَاءِ وَجَهَازُ الْمَوْتَى .  
وَيَكُونُونَ عَنْ الْقُرُوبِ بِاخْضَرِ الْأَنْسَانِ مِنْ كَثَرَةِ أَكْلِ الْبَقْلِ .  
وَسُئِلَ حَجَّامٌ عَنْ صِنَاعَتِهِ . فَقَالَ : أَكْتُبُ بِالْحَدِيدِ وَأَخْتِمُ بِالزُّجَاجِ .  
وَفِيهِ قِيلَ :

يَا ابْنَ الَّذِي عَاشَ غَيْرَ مُضْطَهَدٍ بِرَحْمَةِ اللَّهِ أَيُّمَا رَجُلٍ  
أَبْرَكَ أَوْهَى الْيَجَادُ عَاتِقَهُ كَمْ مِنْ كَيْبٍ آذَى وَكَمْ بَطَلٍ  
لَهُ رِقَابُ الْمُلُوكِ خَاضِعَةٌ مِنْ بَيْنِ حَافٍ وَبَيْنِ مُتَبَعِلٍ  
يَأْخُذُ مِنْ مَالِهِ وَمِنْ دَمِهِ لَمْ يُسِرْ مِنْ تَأْيِيرٍ عَلَى وَجَلٍ (١)  
وَيَقَالُ عَنْ يَكْتَرِ الْأَسْفَادِ : فَلَانٌ لَا يَضَعُ أَلْعَصَا عَنْ عَاتِقِهِ .  
وَجَاءَ فِي الْقُرْآنِ : أَيْحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ . فَإِنَّهُ

كُنِيَ عَنِ الْغَيْبَةِ بِأَكْثَلِ الْإِنْسَانِ لَحْمَ الْإِنْسَانِ . وَهَذَا شَدِيدُ  
الْمُنَاسَبَةِ لِأَنَّ الْغَيْبَةَ إِنَّمَا هِيَ ذِكْرُ مَثَالِ النَّاسِ وَتَغْرِيقُ أَعْرَاضِهِمْ  
وَتَغْرِيقُ أَلْعُرْضِ مُمَازِلُ لِأَكْثَلِ الْإِنْسَانِ لَحْمَ مَنْ يَغْتَابُهُ . وَمَنْ  
أَمْثَالُ الْعَرَبِ قَوْلُهُمْ : لَيْسَ لِفُلَانٍ جِلْدُ الثَّيْرِ وَجِلْدُ الْأَرْقَمِ . كَيْفَاةً  
عَنِ الْعِدَاوَةِ . وَكَذَلِكَ قَوْلُهُمْ : قَلْبَ آهَ ظَهَرَ الْحَيْنِ كَيْفَاةً عَنِ  
تَغْيِيرِ الْأَوْدَةِ . وَمِنْ ظَرْفِ الْكِنَايَاتِ مَا جَاءَ عَنِ الْجَمَازِ وَقَدْ قِيلَ  
لَهُ : أَيُّ الْقَبُولِ أَحَبُّ إِلَيْكَ . فَقَالَ : بَقْلَةُ الذَّنْبِ ( يَعْنِي اللَّحْمَ ) .  
وَرَأَى رَجُلٌ مَنْ أَضَافُوهُ يُطِيلُونَ الْعِنَاءَ وَلَا يَأْتُونَ بِالْأَكْلِ فَقَالَ :

خَلِيلِي دَاوُتًا ظَاهِرًا قَنْ ذَا يُدَاوِي جَوِي بَاطِنًا  
فَعَلُوا أَنَّهُ جَانِحٌ . وَأُخْبِرَ عَنِ الْجَالِحِ أَنَّهُ أَكَلَ مَعَ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ  
الْمَلِكِ الزُّيَّاتِ فَالْوَدَجَةُ قَامَرِ ابْنِ الزُّيَّاتِ أَنْ يُجْعَلَ بَيْنَ يَدَيْ الْجَالِحِ  
مَا رَقَّ مِنَ الْجَلَامِ . فَاسْرَعَ فِي الْأَكْلِ حَتَّى نَظَّفَ مَا بَيْنَ يَدَيْهِ . فَقَالَ  
أَبُو مُحَمَّدٍ : يَا أَبَا عُمَانَ قَدْ تَقَشَّعَتْ سَمَاؤُكَ . فَقَالَ : أَصْلَحَكَ اللَّهُ  
لِأَنَّ غَيْبَهَا كَانَ رَقِيقًا . وَكَذَلِكَ يُقِيمُونَ وَصْفَ الشَّيْءِ مَقَامَ اسْمِهِ  
كَمَا قَالَ : حَمَلَاهُ عَلَى ذَاتِ الْوَاحِ وَدُسِّرَ . يَعْنِي السَّفِينَةَ فَوَضَعَ  
صَقَّتْهَا مَوْضِعَ تَسْمِيَّتِهَا . وَقَالَ : إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الْأَصَافَاتُ  
الْحَيَادُ . يَعْنِي الْخَيْلَ . وَقَالَ بَعْضُ الْمُتَقَدِّمِينَ :

سَأَلَتْ قُتَيْبَةُ عَنْ أَبِيهَا صَحْبَهُ فِي الرُّوحِ هَلْ رَكِبَ الْأَغَرَ الْأَشْقَرَا  
يَعْنِي هَلْ قُتِلَ . وَالْأَغَرَ الْأَشْقَرُ وَصْفُ الدَّمِ فَأَقَامَهُ مَقَامَ اسْمِهِ .  
وَقَالَ بَعْضُ الْمُحَدِّثِينَ :

سَمْتُ بَرْقِ الْوَزِيرِ فَأَنْهَلَ حَتَّى لَمْ أَجِدْ مَهْرَبًا إِلَى الْأَقْدَامِ  
فَكَأَنِّي وَقَدْ تَقَصَّرَ بَاعِي خَاطِبٌ فِي عُبَابِ أَخْضَرَ طَائِمِي  
يَعْنِي الْبَجْرَ. وَقَالَ الْحَجَّاجُ لِابْنِ الْقُبَاعِيِّ: لَا حِمْلُكَ عَلَى الْأَذْهَمِ .  
يَعْنِي الْقَتْلَ . فَتَجَاهَلَ عَلَيْهِ وَقَالَ : وَمِثْلُ الْأَمِيرِ يَحْمِلُ عَلَى الْأَذْهَمِ  
وَالْأَشْهَبِ . يُرِيدُ الْخَيْلَ . وَمِنْ ذَلِكَ : أَنَّ الْمَنْصُورَ كَانَ فِي بُسْتَانٍ  
لَهُ وَهُوَ فِي أَيَّامِ مُحَارَبَتِهِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ وَنَظَرَ إِلَى  
شَجَرَةٍ خِلَافٍ فَقَالَ لِلرَّبِيعِ : سَاهِذِهِ الشَّجَرَةَ . فَقَالَ : طَاعَةٌ يَا أَمِيرَ  
الْمُؤْمِنِينَ . فَقَالَ الْمَنْصُورُ بِهِ وَعَجِبَ مِنْ ذِكَايِهِ . وَمِثْلُ ذَلِكَ : أَنَّ  
رَجُلًا مَرَّ فِي صَحْنِ دَارِ الرَّشِيدِ وَمَعَهُ خُزْمَةٌ خَيْرَانٍ . فَقَالَ الرَّشِيدُ  
لِلْفَضْلِ بْنِ الرَّبِيعِ : مَا ذَاكَ . فَقَالَ : عُرُوقُ الرِّمَاحِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ .  
وَكَرِهَ أَنْ يَقُولَ الْخَيْرَانِ لِمُؤَافَقَتِهِ اسْمَ وَالِدَةِ الرَّشِيدِ . وَمِنْ كَلَامِ  
الْعَرَبِ أَيْضًا فِي هَذَا أَلْبَابِ قَوْلِهِمْ : فُلَانٌ نَقِي الثُّوبِ . يُرِيدُونَ بِهِ  
أَنَّهُ لَا عَيْبَ فِيهِ وَلَيْسَ بِمَوْضُوعِ نَقَاءِ الثُّوبِ الْبَرَاءُ مِنَ الْعَيْبِ وَالْإِثْمِ  
أَسْتَعْمِلَ فِيهِ تَمْثِيلًا . وَقَالَ أَمْرُؤُ الْقَيْسِ :

ثِيَابُ بَنِي عَوْفٍ طَهَارَى نَقِيَّةٌ وَأَوْجُهُهُمْ عِنْدَ الْمَشَاهِدِ غَرَاتُ  
وَكَذَلِكَ قَوْلُهُمْ : فُلَانٌ طَاهِرُ الثُّوبِ . يُرِيدُونَ أَنَّهُ لَيْسَ بِخَائِنٍ  
وَلَا غَادِرٍ . وَفُلَانٌ دَنَسُ الثُّوبِ إِذَا كَانَ غَادِرًا فَاجِرًا. وَقَوْلُهُمْ : طَيْبُ  
الْخُبْرَةِ أَيُّ عَفِيفٌ . قَالَ اللَّابِقَةُ يَمْدَحُ بَنِي غَسَّانَ النَّصَارَى :

رَفَاتُ التَّعَالِ طَيْبٌ حُجْرَاتُهُمْ يَحْمِيُونَ بِالرِّمْحَانِ يَوْمَ السَّبَاسِبِ  
وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ : إِذَا قَالَتِ الْعَرَبُ : الثُّوبُ وَالْإِزَارُ . فَانْتَهَمَ

يُرِيدُونَ الْإِبْدَانَ . وَيَقُولُونَ : فُلَانٌ أَوْسَعُ بَنِي أُمَيَّةَ ثَوْبًا . أَيِ أَكْثَرُهُمْ  
مَعْرُوفًا . وَفُلَانٌ غَمْرُ الرِّدَاءِ إِذَا كَانَ كَثِيرَ الْمَعْرُوفِ . قَالَ كَثِيرٌ :  
غَمْرُ الرِّدَاءِ إِذَا تَبَسَّمَ ضَاحِكًا غُلِقَتْ لِحْجَمَتُهُ رِقَابُ أَمَالٍ  
وَكَذَلِكَ قَوْلُهُمْ : فُلَانٌ رَحْبُ الذِّرَاعِ . وَمِنْ الْكَيِّاتِ  
اللطيفة مَا ذَكَرَهَا الْأَدَبَاءُ فِي الشَّيْبِ وَالْكِبَرِ . فَيَقُولُونَ : عَرَضَتْ  
إِفْلَانٌ قَتَرَةً . عَرَضَ لَهُ مَا يَخُودُ ثَوْبَهُ وَيَكْفُرُ سَيِّئَاتِهِ . أَقْرَبَ لَيْلُهُ نَوْرَ  
غُصْنٍ شَبَابِهِ . فَضَضَ الزَّمَانُ أَبْنُسَهُ . وَجَاءَهُ النَّذِيرُ . وَقَرَعَ نَاجِدَ  
الْحُلُمِ . وَارْتَاضَ بِلِحْجَامِ النَّهْرِ . أَذْرَكَ زَمَانَ الْحِكْمَةَ . رَفَضَ غِرَّةَ  
الصَّبِيِّ وَلَيَّ دَاعِيَ الْحِجْمَى . وَمِنْ كَيِّاتِهِمْ عَنْ أَلَمَاتٍ : اسْتَأْثَرَ اللَّهُ بِهِ .  
أَسْعَدَهُ اللَّهُ بِجُودِهِ . نَقَلَهُ إِلَى دَارِ رِضْوَانِهِ . وَحَلَّ غُفْرَانَهُ . انْتَقَلَ إِلَى  
جُودِ رَبِّهِ وَأَقْلَبَ إِلَى مَحَلِّ غُفْوِهِ . اخْتَارَ لَهُ الثَّقَلَةَ مِنْ دَارِ الْبَوَارِ  
إِلَى دَارِ الْآبَارِ

## البحث الرابع عشر

### في المبالغة

( عن بديعة الحموي وكتاب الصناعتين للعسكري )

( راجع صفحة ٣٩ من علم الادب )

الْمَبَالِغَةُ نَوْعٌ مَعْدُودٌ مِنْ مَحَاسِنِ فَنِّ الْكِتَابَةِ عِنْدَ الْجُمْهُورِ وَاسْتَدَلُّوا  
عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلِ مَنْ قَالَ : أَحْسَنُ الشَّعْرِ أَكْذَبُهُ . وَبِقَوْلِ النَّابِغَةِ  
الذُّبْيَانِي : أَشْعَرُ النَّاسِ مَنْ أَسْجَدَ كَذِبُهُ . وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ يَعُدَّ

الْمُبَالَغَةُ مِنْ حَسَنَاتِ الْكَلَامِ وَمَشَى فِي ذَلِكَ عَلَى مَذْهَبِ حَسَّانِ  
ابْنِ ثَابِتٍ فَإِنَّهُ قَالَ :

وَأَمَّا الشِّعْرُ عَقْلُ الْمَرْءِ يَعْزِضُهُ عَلَى الْأَنَامِ فَإِنْ كَيْسًا وَإِنْ حُمَقًا  
وَأَنْ أَشْعَرَ بَيَّتَ أَنْتَ قَائِلُهُ بَيَّتُ يُقَالُ إِذَا أَنْشَدْتَهُ صَدَقَا

وَعِنْدَ أَهْلِ هَذَا الْمَذْهَبِ أَنَّ الْمُبَالَغَةَ لَمْ تُسْفَرْ عَنْ غَيْرِ التَّهْوِيلِ

عَلَى السَّمِيعِ وَلَمْ يَفْرَ النَّاطِقُ إِلَى اتِّخِيْمٍ عَلَيْهَا إِلَّا بِعُجْزِهِ وَقُصُورِ هِمَّتِهِ

عَنْ اخْتِرَاعِ الْمَعَانِي الْمُبْتَكِرَةِ . لِأَنَّهَا فِي صِنَاعَةِ الشِّعْرِ كَالِاسْتِرَاحَةِ مِنَ

الشَّاعِرِ إِذَا أَعْيَاهُ إِيرَادُ الْمَعَانِي الْغَرِيبَةِ فَيَسْتَعْمِلُ الْأَنْمَاعَ بِمَا هُوَ مُحَالٌ

وَتَهْوِيلٌ . وَقَالُوا : رَبَّمَا أَحَالَتِ الْمَعَانِي فَأَخْرَجَتْهَا عَنْ حَدِّ الْكَلَامِ

الْمُمْكِنِ إِلَى حَدِّ الْإِمْتِنَاعِ . وَالْمُبَالَغَةُ تُعَابُ فِي بَابِهَا إِذَا خَرَجَتْ عَنْ

حَدِّ الْإِمْكَانِ إِلَى الْإِسْتِحْكَاتِ وَآتَى الْكَلَامُ عَلَى حَدِّهَا فِي مَوْضِعِهِ .

وَالَّذِي أَقُولُهُ : إِنَّ الْمُبَالَغَةَ مِنْ مَحَاسِنِ أَنْوَاعِ الْبَدِيعِ وَلَمْ يَسْتَطِرِدْ

فِي حَلَبَاتِ سَبْقِهَا إِلَّا فُحُولُ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ . وَلَوْ سَلَّمْنَا إِلَى مَنْ يَهْضُمُ

جَانِبَهَا وَلَمْ يَعُدَّهَا مِنْ حَسَنَاتِ الْكَلَامِ بَطَلَتْ بِلَاغَةُ الْإِسْتِعَارَةِ

وَأَخْطَطَ رُبُّهُ التَّشْبِيهِ . وَتَسْمِيَةُ الْمُبَالَغَةِ مَنْسُوبَةٌ إِلَى قُدَامَةِ . وَمِنْهُمْ

مَنْ سَمَّى هَذَا النَّوعَ التَّلْبِيعَ . وَسَمَّاهُ ابْنُ الْمُعْتَزِّ : الْإِفْرَاطَ فِي الصِّفَةِ .

وَهَذِهِ التَّسْمِيَةُ طَابَقَتِ الْمُسَمَّى . وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ رَغَبُوا فِي تَسْمِيَةِ

قُدَامَةِ لِحَفَّتِهَا . وَهَذَا النَّوعُ أَغْنَى الْمُبَالَغَةَ شَرَكُهُ قَوْمٌ مَعَ الْإِغْرَاقِ

وَالْتَعَاوِلِ لِعَدَمِ مَعْرِقَةِ الْفَرْقِ وَهُوَ مِثْلُ الضَّنَجِ ظَاهِرٌ . ( وَالْمُبَالَغَةُ )

فِي الْأَصْطِلَاحِ هِيَ إِفْرَاطُ وَصْفِ الشَّيْءِ بِالْمُمْكِنِ الْقَرِيبِ وَقُوْعُهُ

عَادَةً . ( وَالْإِغْرَاقُ ) وَصْفُ الشَّيْءِ بِالْمُمْكِنِ الْبَعِيدِ وَوُقُوعُهُ عَادَةً .  
( وَالْأُلُوفُ ) وَصْفُهُ بِمَا يَسْتَحِيلُ وَوُقُوعُهُ . وَيَأْتِي الْكَلَامُ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ  
الْثَلَاثَةِ فِي مَوْضِعِهِ . وَقَدْ تَقَرَّرَ أَوَّلًا أَنَّ الْمُبَالَغَةَ نَوْعَانِ مَبْنِيَّ عَلَى  
وَصْفِ الشَّيْءِ بِالْمُمْكِنِ الْقَرِيبِ وَوُقُوعُهُ . وَحَدُّ قُدَامَةِ الْمُبَالَغَةِ فَقَالَ :  
هِيَ أَنْ يَذْكُرَ الْمُتَكَلِّمُ حَالًا مِنَ الْأَحْوَالِ لَوْ وَقَفَ عِنْدَهَا لِأَجْزَاتِ  
فَلَا يَقِفُ حَتَّى يَزِيدَ فِي مَعْنَى مَا ذَكَرَهُ مَا يَكُونُ أَبْلَغَ مِنْ مَعْنَى قَصْدِهِ  
كَقَوْلِ عُمَيْرِ بْنِ كَرِيمٍ التَّغْلِييِّ :

وَنُكْرُمُ جَارَنَا مَا دَامَ فِينَا وَنُبْعُهُ الْكَرَامَةَ حَيْثُ مَا لَا  
وَقَالَ : إِنَّ هَذَا أَلْبَيْتَ مِنْ أَحْسَنِ الْمُبَالَغَةِ عِنْدَ الْخُذَّاقِ . فَإِنَّ  
الشَّاعِرَ بَلَغَ فِيهِ إِلَى أَقْصَى مَا يُمْكِنُ مِنْ وَصْفِ الشَّيْءِ وَتَوَصَّلَ إِلَى  
أَكْثَرِ مَا يَشْدُرُ عَلَيْهِ قَطْعَاهُ . وَلَخَّصَ بَعْضُهُمْ عِبَارَةَ الْخَلِّ الَّذِي حَدَّهُ  
قُدَامَةً وَقَالَ : أَلْمَعْنَى إِذَا زَادَ عَلَى الشَّمَامِ سُبْيَ مُبَالَغَةٍ . وَقَالَ ابْنُ  
رَشِيْقٍ فِي الْعُمْدَةِ : الْمُبَالَغَةُ بُلُوغُ الشَّاعِرِ أَقْصَى مَا يُمْكِنُ فِي وَصْفِ  
الشَّيْءِ . قُلْتُ عَلَى هَذَا التَّقْرِيرِ : فَجُلُّ الْقَصْدِ فِي الْمُبَالَغَةِ الْإِمْكَانُ  
وَالْخُرُوجُ مِنَ الْمُسْتَحِيلِ . وَالْمَذْهَبُ الصَّحِيحُ فِيهَا أَنَّهَا ضَرْبٌ مِنْ  
الْحَاسَنِ إِذَا بُدِئَتْ عَنِ الْإِغْرَاقِ وَالْأُلُوفِ . وَإِنْ كَانَ الْإِغْرَاقُ  
وَالْأُلُوفُ ضَرِيئَيْنِ مِنَ الْحَاسَنِ وَنَوْعَيْنِ مِنْ أَنْوَاعِ الْبَدِيعِ . فَقَدْ شَرَطَ  
عُلَمَاؤُهُ أَنَّ النَّوعَ لَا يَتَجَاوَزُ حَدَّهُ بِحَيْثُ يَزُولُ الْإِلْتِبَاسُ وَيُنْجِبُنِي مِنْ  
أَمَثَلَةِ الْمُبَالَغَةِ فِي الْمَدِيحِ قَوْلُ الْقَائِلِ :

أَضَاءَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ وَوُجُوهُهُمْ دُجَى اللَّيْلِ حَتَّى ظَلَمَ الْجَزَعُ نَاقِبَةَ

فَالْتَفَنَى ثُمَّ لِلنَّاطِمِ لَمَّا أَنْتَهَى فِي بَيْتِهِ إِلَى قَوْلِهِ : دُجَى اللَّيْلِ  
وَلَكِنْ زَادَ بِمَا هُوَ أَبْلَغُ وَأَبْدَعُ وَأَغْرَبُ فِي قَوْلِهِ : حَتَّى تَظْمَ الْجَزَعُ  
تَأْوِئُهُ . وَمَثَلُهُ قَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّي فِي وَصْفِ جَوَادٍ :

وَأَضْرَعُ أَيَّ الْوَحْشِ قَمِيئُهُ بِهِ وَأَنْزِلُ عَنْهُ مِثْلَهُ حِينَ أَرْكَبُ  
قَالَ ذُكَيْلُ الدِّينِ بْنِ أَبِي الْأَضْعَرِ فِي كِتَابِهِ الْمُسَمَّى بِتَحْرِيرِ  
التَّخْيِيرِ : أَبْلَغُ شِعْرَ سَمِيعَتُهُ فِي بَابِ الْمُبَالَغَةِ قَوْلُ شَاعِرِ الْحِمَاسَةِ إِذْ  
بَالَغَ فِي مَدْحِ مَمْدُوحِهِ بِقَوْلِهِ :

رَهْنَتْ يَدَيَّ بِالْعَجْرِ عَنْ شُكْرِ بَرِّهِ وَمَا فَوْقَ شُكْرِي لِلشُّكُورِ مَزِيدُ  
وَلَوْ كَانَ مِمَّا يُسْتَطَاعُ اسْتِطَاعَتُهُ وَلَكِنْ مَا لَا يُسْتَطَاعُ شَدِيدُ  
فَأَنْظُرْ مَا أَحَلَّى أَحَدًا سَهْ عَنْ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ : وَمَا فَوْقَ شُكْرِي  
لِلشُّكُورِ مَزِيدُ . وَأَنْظُرْ كَيْفَ أَظْهَرَ عُذْرَهُ فِي عَجْزِهِ مَعَ قُدْرَتِهِ  
بِأَنَّهُ قَالَ فِي أَلْبَيْتِ الثَّلَاثِي : وَلَوْ كَانَ مِمَّا يُسْتَطَاعُ اسْتِطَاعَتُهُ ثُمَّ أَخْرَجَ  
بَقِيَّةَ أَلْبَيْتِ الْمُبَالَغَةِ مُخْرَجَ الْمَثَلِ السَّارِحِ حَيْثُ قَالَ : وَلَكِنْ مَا لَا  
يُسْتَطَاعُ شَدِيدُ . وَمِنْ هُنَا قَوْلُ أَبِي نُؤَاسٍ :

لَا تُسَدِّدَنَّ إِلَيَّ عَارِفَةً حَتَّى أَقُومَ بِشُكْرِ مَا سَلَفَا  
وَمِنْ حَسَنِ الْمُبَالَغَةِ قَوْلُ الْحَكَمِ الْحَضَرَمِيِّ :

وَأَقْبَحُ مِنْ قِرْدٍ وَانْجَلُ بِالْقِرَى

مِنْ الْكَلْبِ أَمْسَى وَهُوَ غَرَّكَانُ انْجَفُ

فَالْكَلْبُ يُجِيلُ عَلَى مَا ظَفَرَ بِهِ وَهُوَ أَشَدُّ مُجَلًّا إِذَا كَانَ جَائِعًا انْجَفَ  
أَمَّا (الْإِغْرَاقُ) فَهُوَ فَوْقَ الْمُبَالَغَةِ وَلَكِنَّهُ دُونَ الْفُلُوحِ . وَهُوَ

فِي الْأَصْطِلَاحِ افْرَاطُ وَصَفِ الشَّيْءِ بِأَلَمْ يَكُنِ الْبَعِيدُ وَقُوْعُهُ عَادَةً  
وَقُلْ مَنْ قَرَقَ بَيْنَهُمَا . وَغَالِبُ النَّاسِ يَنْدَهُمُ الْمُبَالَغَةُ وَالْإِغْرَاقُ  
وَالْغُلُوُّ نَوْعٌ وَاحِدٌ مَعَ أَنَّهَا تَخْتَلِفُ كَمَا سَبَقَ . وَكُلٌّ مِنَ الْإِغْرَاقِ وَالْغُلُوِّ  
لَا يُعَدُّ مِنَ الْحَاسِنِ إِلَّا إِذَا اقْتَرَنَ بِمَا يُقَرِّبُهُ إِلَى الْقَبُولِ (كَقَدَ)  
لِلْإِحْتِمَالِ . ( وَلَوْ ) لِلْإِمْتِنَاعِ . ( وَكَادَ ) لِلْمُقَارَبَةِ . وَمَا أَشْبَهَ  
ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ التَّقْرِيبِ . وَمَا وَقَعَ بَعْثِي مِنَ الْإِغْرَاقِ وَالْغُلُوِّ فِي  
الْكَلَامِ الصَّحِيحِ إِلَّا مَقْرُونًا بِمَا يُخْرِجُهُ مِنْ بَابِ الْإِسْتِحْلَاحِ وَيُدْخِلُهُ  
فِي بَابِ الْإِمْكَانِ مِثْلُ : ( كَادَ وَلَوْ ) وَمَا يُخْرِجِي مَجْرَاهُمَا كَقَوْلِهِ :  
يَكَادُ سَنَا بَرْقُهُ يُذْهِبُ الْبَصَارَ . إِذْ لَا يَسْتَحِيلُ فِي الْعَقْلِ أَنَّ  
الْبَرْقَ يَحْطِفُ الْبَصَارَ وَلَكِنَّهُ يَتَّبِعُ عَادَةً . وَمَا زَادَ عَلَى وَجْهِ الْإِغْرَاقِ  
هَذَا جَمَالًا إِلَّا بِتَقْرِيبِهِ ( بَكَادَ ) . وَأَقْتَرَانُ هَذِهِ الْجُمْلَةِ بِهَا هُوَ الَّذِي  
صَرَفَهُ إِلَى الْحَقِيقَةِ فَقَالَتْ مِنَ الْإِمْتِنَاعِ إِلَى الْإِمْكَانِ . وَمِنْ شَوَاهِدِ  
تَقْرِيبِ نَوْعِ الْإِغْرَاقِ ( بَلَوْ ) قَوْلُ زُهَيْرٍ :

لَوْ كَانَ يَقَعُ فَوْقَ الشَّمْسِ مِنْ كَرَمٍ

قَوْمٌ بِأَوَّلِهِمْ أَوْ مَجْدِهِمْ قَعَدُوا

فَأَقْتَرَانُ هَذِهِ الْجُمْلَةِ أَيْضًا بِإِمْتِنَاعِ قُعُودِ الْقَوْمِ فَوْقَ الشَّمْسِ

الْمُسْتَفَادِ ( بَلَوْ ) هُوَ الَّذِي أَظْهَرَ بِهَجْةٍ شَمْسِيَّهَا فِي بَابِ الْإِغْرَاقِ

وَرَبَّمَا جَاءَ دُونَ ذَلِكَ كَقَوْلِ بَعْضِهِمْ فِي رَجُلٍ طَوِيلٍ الْأَنْفِ :

لَكَ أَنْفٌ يَا ابْنَ حَرْبٍ أَتَقْتَ مِنْهُ الْأَنْفُفُ

أَنْتَ فِي الْبَيْتِ وَعِزِّيكَ مَ فِي السُّوقِ يَطُوفُ



وَكَقُولِ الطَّرِمَاحِ يَهْجُو تَيْمًا :

تَيْمٌ بِطَرَقِ اللَّوْمِ أَهْدَى مِنَ الْقَطَا      وَلَوْ سَلَكْتَ سُبُلَ الْمَكَارِمِ ضَلَّتْ  
وَلَوْ أَنَّ بُرْغوثًا عَلَى ظَهْرِ غُلَّةٍ      يَكُرُّ عَلَى صَفْيَى تَيْمٍ لَوَلَّتْ  
وَلَوْ أَنَّ أُمَّ الْعَنْكَبُوتِ بَتَتْ لَهَا      مَظَلَّتْهَا يَوْمَ الْبَدَى لَأَسْتَظَلَّتْ  
وَلَوْ جَمَعْتَ يَوْمًا تَيْمٌ حَمُوعَهَا      عَلَى ذُرْوَةِ سَحَابَةٍ لَأَسْتَظَلَّتْ  
أَمَّا ( أَلْعُلُو ) فَهُوَ قَوْعُ الْمُبَالَغَةِ وَالْإِغْرَاقِ فَإِنَّهُ الْإِفْرَاطُ فِي  
وَصْفِ الشَّيْءِ بِالْمُسْتَحِيلِ وَقَوْعُهُ عَقْلًا وَعَادَةً وَهُوَ يَقِيمُ إِلَى قِسْمَيْنِ :  
مَقْبُولٍ وَغَيْرِ مَقْبُولٍ . فَالْمَقْبُولُ لَا بُدَّ أَنْ يُقَرَّبَهُ لِلنَّائِلِ إِلَى الْقَبُولِ  
بَادَاةَ التَّقْرِيبِ اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يَكُونَ أَلْعُلُو فِي مَدِيحِ نَبِيِّ فَلَا غُلُو .  
وَيَجِبُ عَلَى صَاحِبِ أَلْعُلُو أَنْ يَسْبِكُهُ فِي قَوَالِبِ التَّحْيِيلَاتِ الْحَسَنَةِ  
الَّتِي يَدْعُو الْعَقْلُ إِلَى قَبُولِهَا فِي أَوَّلِ وَهْلَةٍ كَقَوْلِهِ : يَكَاذُ زَيْتُهَا يُضِيئُ  
وَلَوْ لَمْ تَمْسَهُ نَارٌ . فَإِنَّ إِضَاءَةَ الزَّيْتِ مِنْ غَيْرِ مَسِّ نَارٍ مُسْتَحِيلَةٌ عَقْلًا  
وَلَكِنْ لَفْظَةً ( يَكَاذُ ) قَرَّبَتْهُ فَصَادَ مَقْبُولًا . وَمِنْهُ قَوْلُ أَبِي الْعَلَاءِ  
الْمَعَرِيِّ :

تَكَاذُ قِسْيَهُ مِنْ غَيْرِ رَامٍ      تَمَكَّنَ فِي قُلُوبِهِمُ التَّبَالَا  
تَكَاذُسُيُوفُهُ مِنْ غَيْرِ سَلٍ      تَجَدُّ إِلَى رِقَابِهِمُ أَنْسِلَا  
وَيُعْجِنِي هُنَا قَوْلُ أَبِي حَمْدِيسَ الصَّقَلِيِّ فِي وَصْفِ فَرَسٍ :  
وَيَكَاذُ يَرْجُ سُرْعَةً مِنْ ظِلِّهِ      لَوْ كَانَ يَرْغَبُ فِي فِرَاقِ رَفِيقِ  
وَمِنْهُ قَوْلُ الْفَرَزْدَقِ فِي عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ :  
يَكَاذُ يُسْكُهُ عِرْقَانِ رَاحَتِهِ      دُكْنُ الْخَطِيمِ إِذَا مَا جَاءَ يَسْتَلِمُ

وَمِنَ الْغُلُوِّ الْمَقْبُولِ بِغَيْرِ آدَاءِ التَّقْرِيبِ قَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّئِي  
فِي مَمْدُوحِهِ :

عَقَدْتُ سَنَابِكُهَا عَلَيْهِ عَثِيرًا      لَوْ تَبَتَّعِي عَنَقًا عَلَيْهِ لَأَمَكَّنَا \*  
وَأَنْعَقَادُ الْغُبَارِ فِي الْهَوَاءِ حَتَّى يُمَكِّنَ الْمَشْيُ عَلَيْهِ مُسْتَحِيلٌ عَقْلًا  
وَعَادَةً إِلَّا إِنَّهُ تَحِيلٌ مَقْبُولٌ

وَقَوْلُ الْبُخَّارِيِّ فِي الْخَلِيفَةِ الْمُتَوَكِّلِ :

وَلَوْ أَنَّ مُشْتَاكَا تَكَلَّفَ غَيْرَ مَا      فِي رُسْعِهِ لَسَعَى إِلَيْكَ الْمُنْذَرُ  
وَأَمَّا الَّذِي هُوَ غَيْرُ مَقْبُولٍ فَكَقَوْلِ أَبِي نُؤَاسٍ فِي الْخَمْرَةِ :

فَلَمَّا شَرِبْنَاهَا وَدَبَّ ذَيْبُهَا      إِلَى مَوْضِعِ الْأَسْرَارِ قُلْتُ لَهَا قِفِي  
خَفَافَةً أَنْ يَسْطُو عَلَيَّ شُعَاعُهَا      فَيَطْلُعَ نَدْمَانِي عَلَى سِرِّي الْخَفِيِّ

قَالُوا : إِنَّ سَطْوَةَ شُعَاعِ الْخَمْرِ بِحَيْثُ يَصِيرُ جِسْمُهُ شَفَافًا يُظْهِرُ  
إِنْدِيعِهِ مَا فِي بَاطِنِهِ لَا يُمَكِّنُ عَقْلًا وَلَا عَادَةً . قُلْتُ : وَمَرَاتِبُ الْغُلُوِّ

تَتَفَاوَتْ إِلَى أَنْ تُؤُولَ بِقَائِلِهَا إِلَى الْكُفْرِ كَقَوْلِ الْمُتَنَبِّئِي :

تَتَقَاصِرُ الْأَفْهَامُ عَنْ إِدْرَاكِهِ      مِثْلَ الَّذِي الْأَفْلَاكُ فِيهِ وَالْأُتَى  
وَقَوْلُهُ :

كَأَنِّي دَحَوْتُ الْأَرْضَ مِنْ خَبَرِ قِيَامِهَا      كَأَنِّي بَنَيْتُ الْأَسْكَندَرَ السَّدْمَ مِنْ عَزَمِي  
فَهَذَا الْغُلُوُّ يُؤَدِّي إِلَى سَخَافَةِ الْعَقْلِ مَعَ مَا فِيهِ مِنْ قُبْحِ الْأَتْرَافِ وَلَوْ لَا

الْإِلَاطَةُ لَأَوْرَدْتُ كَثِيرًا مِنْ نَظْمِ الَّذِينَ يَلَسَّاهُلُونَ فِي هَذَا النَّوعِ كَأَنِّي

\* معنى هذا البيت ان سنابك الخيل وهي اطراف الحوافر عقدت على هذا  
المدح عثيرا وهو الغبار حتى لو اراد ان يمشي عليه عنقا لامكن . والعنق هو  
الشي السريح

نُؤاسِ وَأَبْنِ هَانِي الْأَنْدُلُسِيِّ وَالْمُسْتَبِيِّ وَأَبِي الْعَلَاءِ الْمُعَرِّي وَغَيْرِهِمْ  
مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ كَأَبْنِ أَلْتَيْهِ وَمَنْ جَرَى مَجْرَاهُ . وَفِي مَا قَدَّمْنَا كِفَايَةً

### البحث الخامس عشر

#### في التكرير

( عن المثل السائر لابن الاثير باختصار )

( راجع صفحة ٤٢ من علم الادب )

إِعْلَمْ أَنَّ هَذَا التَّوَعَّ مِنْ مَقَاتِلِ عِلْمِ الْبَيَانِ وَهُوَ دَقِيقُ الْمَأْخِذِ  
وَحَدُّهُ هُوَ دَلَالَةُ اللَّفْظِ عَلَى الْمَعْنَى مُرَدِّدًا . وَهُوَ يَنْقَسِمُ قِسْمَيْنِ :  
أَحَدُهُمَا يُوجَدُ فِي اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى وَالْآخَرُ يُوجَدُ فِي الْمَعْنَى دُونَ اللَّفْظِ .  
فَأَمَّا الَّذِي يُوجَدُ فِي اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى فَكَقَوْلُكَ لِمَنْ تَسْتَدْعِيهِ : أَسْرِعْ  
أَسْرِعْ . وَأَمَّا الَّذِي يُوجَدُ فِي الْمَعْنَى دُونَ اللَّفْظِ فَكَقَوْلُكَ : أَطْغِي وَلَا  
تَغْصِي . فَإِنَّ الْأَمْرَ بِالطَّاعَةِ نَهْيٌ عَنِ الْمَعْصِيَةِ . وَكُلُّ مِنْ هَذَيْنِ الْقِسْمَيْنِ  
يَنْقَسِمُ إِلَى مُفِيدٍ وَغَيْرِ مُفِيدٍ . وَمَقْصُودِي مِنَ الْمَفِيدِ أَنْ يَأْتِيَ بِالْمَعْنَى .  
وَالْغَيْرِ الْمَفِيدِ أَنْ يَأْتِيَ لِغَيْرِ مَعْنَى . وَأَعْلَمْ أَنَّ الْمَفِيدَ مِنَ التَّكْرِيرِ  
يَأْتِي فِي الْكَلَامِ تَأْسِيدًا وَتَشْدِيدًا مِنْ أَمْرِهِ . وَإِنَّمَا يُفْعَلُ ذَلِكَ  
لِلدَّلَالَةِ عَلَى الْعِلَايَةِ بِالشَّيْءِ الَّذِي كَرَّرْتَ فِيهِ كَلَامَكَ إِمَّا مُبَالَغَةً فِي  
مَدْحِهِ أَوْ فِي ذَمِّهِ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ . وَلَا يَأْتِي إِلَّا فِي أَحَدِ طَرَفَيْ الشَّيْءِ الْمَقْصُودِ  
بِالذِّكْرِ . وَالْوَسْطُ عَارٌ مِنْهُ لِأَنَّ أَحَدَ الطَّرَفَيْنِ هُوَ الْمَقْصُودُ بِالمُبَالَغَةِ  
إِمَّا بِمَدْحٍ أَوْ ذَمٍّ أَوْ غَيْرِهِمَا وَالْوَسْطُ لَيْسَ مِنْ شَرْطِ الْمُبَالَغَةِ . وَغَيْرُ  
الْمَفِيدِ لَا يَأْتِي فِي الْكَلَامِ إِلَّا عِيًّا وَخَطَلًا مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ إِلَيْهِ

( فَأَمَّا الْأَوَّلُ وَهُوَ الَّذِي يُوجَدُ فِي اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى ) فَإِنَّهُ يَنْقَسِمُ إِلَى ضَرِيئَيْنِ : مُفِيدٍ وَغَيْرِ مُفِيدٍ . ( فَأَلَاوَلُ الْمُفِيدُ ) وَهُوَ فُرْعَانُ : ( الْأَوَّلُ ) إِذَا كَانَ التَّكْرِيرُ فِي اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى يَدُلُّ عَلَى مَعْنَى وَاحِدٍ وَالْمَقْصُودُ بِهِ غَرَضَانِ مُخْتَلِفَانِ . فَمَّا يَجْرِي هَذَا الْجَرْيُ قَوْلُهُ : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ مَالِكُ يَوْمِ الدِّينِ . فَكَرَّرَ ( الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ ) مَرَّتَيْنِ . وَالْفَائِدَةُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْأَوَّلَ يَتَعَلَّقُ بِأَمْرِ الدُّنْيَا كَالْخَلْقِ وَالْعَلَايَةِ . وَالثَّانِي يَتَعَلَّقُ بِأَمْرِ الْآخِرَةِ إِشَارَةً لِرَحْمَتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . ( الْفَرْعُ الثَّانِي مِنْ الضَّرْبِ الْأَوَّلِ ) إِذَا كَانَ التَّكْرِيرُ فِي اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى يَدُلُّ عَلَى مَعْنَى وَاحِدٍ وَالْمُرَادُ بِهِ غَرَضٌ وَاحِدٌ كَقَوْلِهِ : قَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ . وَالتَّكْرِيرُ دَلَالَةٌ التَّعْجُّبِ مِنْ تَفَرُّدِهِ وَإِعْصَابِهِ الْغَرَضُ . وَهَذَا كَمَا يُقَالُ : قَتَلَهُ اللَّهُ مَا أَشْجَعَهُ أَوْ مَا أَشْجَعَهُ . وَعَلَيْهِ رَدُّ قَوْلِ الشَّاعِرِ :

أَلَا يَا أَسْلِي ثُمَّ أَسْلِي ثُمَّ أَسْلِي

وَهَذَا مُبَالَغَةٌ فِي الدُّعَاءِ لَهَا بِالسَّلَامَةِ . وَكُلُّ هَذَا يُجَاءُ بِهِ لِتَقْرِيرِ الْمَعْنَى الْمُرَادِ وَرِثَابَتِهِ . وَأَعْلَمُ أَنَّ مِنْ هَذَا النَّوعِ قِسْمَانِ يَكُونُ الْمَعْنَى مُضَافًا إِلَى نَفْسِهِ مَعَ اخْتِلَافِ اللَّفْظِ . وَذَلِكَ يَأْتِي فِي الْأَلْفَاظِ الْمُتَرَادِفَةِ . وَقَدْ وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ وَأَسْتَعْمِلَ فِي فَصِيحِ الْكَلَامِ فَمِنْهُ قَوْلُهُ : وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزِ أَلِيمٍ . وَالرِّجْزُ هُوَ الْعَذَابُ . وَعَلَيْهِ رَدُّ قَوْلِ أَبِي تَمَّامٍ :

نَهْوُضُ بِثِقَلِ الْعَبِّ مُضْطَلِّمٍ بِهِ وَإِنْ عَظُمَتْ فِيهِ الْخُطُوبُ وَجَلَّتْ

وَالثَّقْلُ هُوَ الْعَبُّ وَالْعَبُّ هُوَ الثَّقْلُ . وَرُبَّمَا أَشْكَلَ هَذَا الْمَوْضِعُ  
عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ يَتَعَاطَى هَذِهِ الصَّنَاعَةَ وَظَنُّوه بِمَا لَا فَايِدَةَ فِيهِ . وَلَيْسَ  
كَذَلِكَ بَلِ الْفَايِدَةُ فِيهِ هِيَ التَّائِيْدُ لِلْمَعْنَى الْمَقْصُودِ وَالْمُبَالَغَةِ فِيهِ .  
أَمَّا الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ : ( عَذَابٌ مِنْ رَجْزٍ ) أَيُّ عَذَابٍ مُضَاعَفٌ مِنْ عَذَابٍ .  
وَأَمَّا يَنْتُ أَيُّ تَمَامٍ فَإِنَّهُ تَضَمَّنَ الْمُبَالَغَةَ فِي وَصْفِ الْمَمْدُوحِ بِحَمْلِهِ  
الْمُتَنَفَالِ . وَهَذَا الْمَوْضِعُ لَمْ يُنَبِّهْ عَلَيْهِ أَحَدٌ سِوَايَ . وَلَوْ بَدَأَ أُدْخِلَ فِي  
التَّكْرِيرِ مِنْ هَذَا النَّوعِ مَا لَيْسَ مِنْهُ . فَهُنَا قَوْلُهُ : ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ  
عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا  
لَغَفُورٌ رَحِيمٌ . فَلَمَّا تَكَرَّرَ إِنَّ رَبَّكَ مَرَّتَيْنِ عُلِمَ أَنَّ ذَلِكَ آدَلُ عَلَى  
الْمَغْفِرَةِ . . . . . وَهَذِهِ الْأَقْوَالُ يُظَنُّ أَنَّهَا مِنْ بَابِ التَّكْرِيرِ وَلَيْسَتْ  
كَذَلِكَ . وَقَدْ أُنْعِمْتُ نَظْرِي فِيهَا فَرَأَيْتُهَا خَارِجَةً عَنْ حُكْمِ التَّكْرِيرِ  
وَذَلِكَ لِأَنَّهُ إِذَا طَالَ الْفَضْلُ مِنَ الْكَلَامِ وَكَانَ أَوَّلُهُ يَفْتَقِرُ إِلَى  
تَمَامٍ وَلَا يُفْهَمُ إِلَّا بِهِ فَالْأَوَّلَى فِي بَابِ الْفَصَاحَةِ أَنْ يُعَادَ اللَّفْظُ الْأَوَّلُ  
مَرَّةً ثَانِيَةً لِيَكُونَ مُقَارِنًا لِتَمَامِ الْفَضْلِ كَمَا لَا يَحِيْجُ الْكَلَامُ مَنشُورًا  
لَا سِيَّيَا فِي ( إِنَّ وَآخَوَاتِهَا ) . فَإِذَا وَرَدَتْ ( إِنَّ ) وَكَانَ بَيْنَ أَسْمِهَا  
وَحَبْرَهَا فَخْطٌ طَوِيلٌ مِنَ الْكَلَامِ فَاعَادَهُ ( إِنَّ ) أَحْسَنُ فِي حُكْمِ  
الْبَلَاغَةِ وَالْفَصَاحَةِ كَمَا تَقَدَّمَ . وَلَكِنَّهُ وَرَدَ قَوْلُ بَعْضِهِمْ مِنْ شُعْرَاءِ  
الْحِمَاسَةِ :

أَبْجَنًا وَقِيدًا وَأَشْتِيَا قَا وَغُرْبَةً      وَنَائِي حَبِيبٍ إِنَّ ذَا لَعَظِيمٍ  
وَأَنَّ أَمْرًا أَدَامَتْ مَوَاقِيقَ عَهْدِهِ      عَلَى مِثْلِ مَا قَاسَيْتُهُ لَكَرِيمٍ

فَإِنَّهُ لَمَّا طَالَ الْكَلَامُ بَيْنَ اسْمِ (إِنَّ) وَخَبَرِهَا أُعِيدَتْ (إِنَّ) مَرَّةً ثَانِيَةً لِأَنَّ تَقْدِيرَ الْكَلَامِ : وَإِنَّ أَمْرًا دَامَتْ وَوَأَثِقُ عَهْدِهِ عَلَى مِثْلِ هَذَا الْكَرِيمِ . لَكِنْ بَيْنَ الْأَسْمِ وَالْخَبَرِ مَدَى طَوِيلٌ فَأَذَا لَمْ تُعَدَّ (إِنَّ) مَرَّةً ثَانِيَةً لَمْ يَأْتِ عَلَى الْكَلَامِ بَهْجَةٌ . وَهَذَا لَا يَتَنَبَّهُ لَاسْتِعْمَالِهِ إِلَّا الْأَفْصَحَاءُ أَمَّا طَبَعًا وَأَمَّا عِلْمًا . وَكَذَلِكَ يَجْرِي الْأَمْرُ إِذَا كَانَ خَبَرٌ (إِنَّ) عَامِلًا فِي مَعْمُولٍ يَطُولُ ذِكْرُهُ فَإِنَّ إِعَادَةَ الْخَبَرِ ثَانِيَةً هُوَ الْأَحْسَنُ . وَعَلَى هَذَا جَاءَ قَوْلُهُ فِي سُورَةِ يُوسُفَ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَخِيهِ : يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ . فَلَمَّا قَالَ : إِنِّي رَأَيْتُ ثُمَّ طَالَ الْقَفْصُ كَانَ الْأَحْسَنُ أَنْ يُعِيدَ لَفْظُ (الرُّؤْيَا) فَيَقُولَ : رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ . وَمِنْ بَابِ (التَّكْرِيرِ فِي اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى) الدَّلَالَةِ عَلَى مَعْنَى وَاحِدٍ قَوْلُهُ : وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِي أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ . يَا قَوْمِ إِنَّ هَذِهِ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ . فَإِنَّهُ إِنَّمَا كَرَّرَ بَدَأَ قَوْمِهِ هَاهُنَا لِزِيَادَةِ التَّنْبِيهِ لَهُمْ وَالْإِقْبَاطِ عَنْ سِنَةِ الْغَفْلَةِ وَلِإِنَّهُمْ قَوْمُهُ وَعَشِيرَتُهُ فَيَحْزَنُ لَهُمْ وَيَتَلَطَّفُ بِهِمْ فَيَسْتَدْعِي بِذَلِكَ أَنْ يَتَزَلُّوا عَلَى نَصِيحَتِهِ . وَهَذَا فِي التَّكْرِيرِ الَّذِي هُوَ أَبْلَغُ مِنَ الْإِيحَازِ وَأَشَدُّ نَوْقًا مِنَ الْإِخْتِصَارِ . وَمِمَّا وَرَدَ مِنْ هَذَا النَّسْوَعِ شِعْرًا قَوْلُ بَعْضِ شُعْرَاءِ الْحَمَاسَةِ :

إِلَى سَعْدِينَ أَلْعَرَّ الْمَوْتُلُ وَاللَّدَى هُنَاكَ هُنَاكَ الْقَفْصُ وَالْخَلْقُ الْجَزَلُ  
فَقَوْلُهُ : هُنَاكَ هُنَاكَ مِنَ التَّكْرِيرِ الَّذِي هُوَ أَبْلَغُ مِنَ الْإِيحَازِ

لأنه في معرض مدح فهو يُقرّر في نفس السامع ما عند المدح  
من هذه الأوصاف المذكورة مُشيرًا إليها كأنه قال : أدلّكم على  
معين كذا وكذا ومقرّه ومفاده . وكذلك ورد قول المساور  
أبن هني :

جَزَى اللَّهُ عَنِّي غَالِيًا مِنْ عَشِيرَةٍ إِذَا حَدَّثَانُ الدَّهْرَ نَابَتْ نَوَابُهُ  
فَكَمْ دَفْعًا مِنْ كُرْبَةٍ قَدْ تَلَاخَتْ عَلَيَّ وَمَنْجٍ قَدْ عَلَتْنِي غَوَارِبُهُ  
فَصَدَرَ أَلْبَيْتِ الثَّانِي وَعَجْزُهُ يَدُلُّانِ عَلَى مَعْنَى وَاحِدٍ لِأَنَّ تَلَاخَمَ  
الْكُرْبِ عَلَيْهِ كَتَعَالَى الْمَنْجِ مِنْ فَوْقِهِ . وَأَمَّا نَوْعُ ذَلِكَ لِأَنَّهُ مَقَامُ  
مَدْحٍ وَإِطْرَاءٍ . أَلَا تَرَى أَنَّهُ يَصِفُ إِحْسَانَهُ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ عِنْدَ  
حَدَّثَانِ دَهْرِهِ فِي التَّكْرِيرِ . وَفِي قُبَالَتِهِ لَوْ كَانَ الْقَاتِلُ هَاجِيًا فَإِنَّ  
الْهَاجِيَّ فِي هَذَا كَالْمَدْحِ . ( الضَّرْبُ الثَّانِي مِنَ التَّكْرِيرِ فِي اللَّفْظِ  
وَالْمَعْنَى ) وَهُوَ غَيْرُ الْمُنْفِيدِ . فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ مَرْوَانَ الْأَضْعَرِ :

سَقَى اللَّهُ نَجْدًا وَالسَّلَامُ عَلَى نَجْدٍ وَيَا حَبْدًا نَجْدًا عَلَى الْقُرْبِ وَالْبُعْدِ  
نَظَرْتُ إِلَى نَجْدٍ وَبَعْدَادُ دُونَهَا لَعَلِّي أَرَى نَجْدًا وَهَيْهَاتُ مِنْ نَجْدٍ  
وَهَذَا مِنْ أَلْعَمَى الضَّعِيفِ فَإِنَّهُ كَرَّرَ ذِكْرَ نَجْدٍ فِي أَلْبَيْتِ الْأَوَّلِ  
ثَلَاثًا . وَفِي أَلْبَيْتِ الثَّانِي ثَلَاثًا . وَمُرَادُهُ فِي الْأَوَّلِ الثَّلَاثُ عَلَى نَجْدٍ .  
وَفِي الثَّانِي أَنَّهُ تَلَقَّتْ إِلَيْهِ نَاطِرًا مِنْ بَعْدَادٍ وَذَلِكَ مَرْمَى بَعِيدٍ .  
أَلْعَمَى لَا يَحْتَاجُ إِلَى مِثْلِ هَذَا التَّكْرِيرِ . أَمَّا أَلْبَيْتُ الْأَوَّلُ فَيُجْمَلُ  
عَلَى الْجَائِزِ مِنَ التَّكْرِيرِ لِأَنَّهُ مَقَامُ تَشْوِيقٍ وَتَحْقِيقٍ وَمَوْجِدَةٍ بِفِرَاقِ نَجْدٍ .  
وَلَمَّا كَانَ كَذَلِكَ أُجِيزَ فِيهِ التَّكْرِيرُ عَلَى أَنَّهُ قَدْ كَانَ يُمْكِنُهُ أَنْ

يُسَوِّغُ هَذَا الْمَعْنَى الْوَارِدَ فِي الْبَيِّنَاتِ مَعًا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَأْتِيَ بِهَذَا  
التَّكْرِيرِ الْمُسْتَعِجِ سِتَّ مَرَّاتٍ . وَعَلَى هَذَا الْأَسْلُوبِ وَرَدَ قَوْلُ أَبِي  
نُوَّاسٍ :

أَقْنَأَ بِهَا يَوْمًا وَيَوْمًا وَثَلَاثًا وَيَوْمًا لَهُ يَوْمُ التَّرَحُّلِ خَامِسُ  
وَمُرَادُهُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُمْ أَقَامُوا بِهَا أَرْبَعَةَ أَيَّامٍ . وَيَعْبَجَا لَهُ بِمِثْلِ  
هَذَا الْبَيِّنَةِ السَّخِيفِ الدَّلَالِ عَلَى الْمَعْنَى الْفَاحِشِ فِي ضَمَنِ آيَاتِ  
عَجَبَةِ الْحُسْنِ تَتَقَدَّمُ هَذَا الْبَيِّنَةُ . وَمِنْ هَذَا الْأَبَابِ أَيْضًا قَوْلُ أَبِي  
الطَّيِّبِ الْمُتَنَتِّي :

وَلَمْ أَرْ مِثْلَ جِيرَانِي وَوِثْلِي لِثَلَاثِي عِنْدَ مِثْلِهِمْ مَقَامُ  
فَهَذَا هُوَ التَّكْرِيرُ الْفَاحِشُ الَّذِي يُؤْثَرُ فِي الْكَلَامِ نَقْصًا .  
أَلَا تَرَى أَنَّهُ يَقُولُ : لَمْ أَرْ مِثْلَ جِيرَانِي فِي سُوءِ الْجَوَارِ وَلَا مِثْلِي فِي  
مُصَابَرَتِهِمْ وَمَقَامِي عِنْدَهُمْ . إِلَّا أَنَّهُ قَدْ كَرَّرَ هَذَا الْمَعْنَى فِي الْبَيِّنَةِ  
مَرَّتَيْنِ . وَعَلَى نَحْوِ مِنْ ذَلِكَ جَاءَ قَوْلُهُ :

وَقَلَقْتُ بِالْهَمِّ الَّذِي قَلَقَ الْحَشَى قَلَا قَلَّ عَيْسٍ كُلُّهُنَّ قَلَا قَلَّ  
( وَأَمَّا الْقِسْمُ الثَّانِي مِنَ التَّكْرِيرِ وَهُوَ الَّذِي يُوجَدُ فِي الْمَعْنَى  
دُونَ اللَّفْظِ ) فَذَلِكَ ضَرْبَانِ : مُفِيدٌ وَغَيْرُ مُفِيدٍ . ( الضَّرْبُ الْأَوَّلُ )  
الْمُفِيدُ وَهُوَ فَرْعَانِ : ( الْأَوَّلُ ) إِذَا كَانَ التَّكْرِيرُ فِي الْمَعْنَى يَدُلُّ  
عَلَى مَعْنَيْنِ مُخْتَلَفَيْنِ وَهُوَ مَوْضِعٌ مِنَ التَّكْرِيرِ مُشْكِلٌ لِأَنَّهُ يَسْتَقْبِلُ  
إِلَى الْوَهْمِ أَنَّهُ تَكْرِيرٌ يَدُلُّ عَلَى مَعْنَى وَاحِدٍ وَهُوَ لَيْسَ كَذَلِكَ ... بَلْ  
يُقْصَدُ بِهِ التَّأْكِيدُ وَالتَّعْزِيزُ وَالتَّنْصِلُ عَمَّا يُرْمَى بِهِ التَّكْلِيمُ . وَمِمَّا



يَنْتَظِمُ بِهَذَا السِّلْكَ أَنْ يَكُونَ التَّكْرِيرُ فِي الْمَعْنَى يَدُلُّ عَلَى مَعْنَيْنِ أَحَدُهُمَا خَاصٌّ وَالْآخَرُ عَامٌّ كَقَوْلِهِ : وَلِتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ . فَإِنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ دَاخِلٌ تَحْتَ الدُّعَاءِ إِلَى الْخَيْرِ . لِأَنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ خَاصٌّ وَالْخَيْرُ عَامٌّ فَكُلُّ أَمْرٍ بِالْمَعْرُوفِ خَيْرٌ وَلَيْسَ كُلُّ خَيْرٍ أَمْرًا بِالْمَعْرُوفِ . وَذَلِكَ أَنَّ الْخَيْرَ أَنْوَاعٌ كَثِيرَةٌ مِنْ جُمْلَتِهَا الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ . فَفَائِدَةُ التَّكْرِيرِ هَهُنَا أَنَّهُ ذَكَرَ الْخَاصَّ بَعْدَ الْعَامِّ لِلتَّنْبِيهِ عَلَى فَضْلِهِ . وَكَقَوْلِهِ : حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى . وَكَقَوْلِهِ : فِيهَا فَاكِهَةٌ وَتَحْلٌ وَرَمَانٌ . وَكَقَوْلِهِ : إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا . فَإِنَّ الْجِبَالَ دَاخِلَةٌ فِي جُمْلَةِ الْأَرْضِ . لَكِنْ لَفْظُ الْأَرْضِ عَامٌّ وَالْجِبَالُ خَاصٌّ . وَفَائِدَتُهُ هَهُنَا تَعْظِيمُ شَأْنِ الْأَمَانَةِ الْمُشَارِ إِلَيْهَا وَتَفْخِيمُ أَمْرِهَا . . . وَهُوَ مَوْضِعٌ يَرُدُّ فِي الْكَلَامِ الْبَلِيغِ وَيُظَنُّ أَنَّ لَا فَائِدَةَ فِيهِ . (الْفَرْعُ الثَّانِي) إِذَا كَانَ التَّكْرِيرُ فِي الْمَعْنَى يَدُلُّ عَلَى مَعْنَى وَاحِدٍ لَا غَيْرَ . وَقَدْ سَقَى مِثْلَ ذَلِكَ فِي أَوَّلِ هَذَا الْبَابِ كَقَوْلِكَ : أَطْعِمْنِي وَلَا تَعْصِنِي . فَإِنَّ الْأَمْرَ بِالطَّاعَةِ نَهْيٌ عَنِ الْمَعْصِيَةِ وَالْفَائِدَةُ فِي ذَلِكَ تَثْبِيتُ الطَّاعَةِ فِي نَفْسِ الْمُخَاطَبِ . وَالْكَلَامُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ كَالْكَلَامِ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي قَبْلَهُ مِنْ تَكْرِيرِ اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى إِذَا كَانَ الْقَرَضُ بِهِ شَيْئًا وَاحِدًا . وَلَا نَجِدُ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ يَأْتِي فِي الْكَلَامِ إِلَّا لِتَأْكِيدِ الْقَرَضِ الْمَقْصُودِ بِهِ كَقَوْلِهِ : إِنَّ مِنْ أَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَضَفَّحُوا وَتَغَفَّرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ . فَإِنَّهُ إِذَا كُورَ

الْعَفْوُ وَالصَّفْحُ وَالْغَفْرَةُ وَالْجَمِيعُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ لِلزِّيَادَةِ فِي تَحْسِينِ عَفْوِ  
الْوَالِدِ عَنْ وَلَدِهِ . وَهَذَا وَأَمثَالُهُ يُنْظَرُ فِي الْعَرَضِ الْمَقْصُودِ بِهِ . وَهُوَ  
مَوْضِعٌ يَكُونُ التَّكْرِيرُ فِيهِ أَوْجَزَ مِنْ لُحْجَةِ الْإِيحَازِ وَأَوْلَى بِالِاسْتِعْمَالِ .  
وَبِمَا وَرَدَ مِنْهُ شِعْرًا قَوْلُ بَعْضِهِمْ فِي آيَاتِ الْحِمَاسَةِ :

تَرَلْتُ عَلَى آلِ الْمَلَبِ شَاتِيًا      بَعِيدًا عَنِ الْأَوْطَانِ فِي زَمَنِ التَّحُلِّ  
فَمَا زَالَ لِي إِكْرَامُهُمْ وَأَفْتَادُهُمْ      وَإِحْسَانُهُمْ حَتَّى حَسَبْتُهُمْ أَهْلِي  
فَإِنَّ الْأَكْرَامَ وَالْأَفْتَادَ دَاخِلَانِ تَحْتَ الْإِحْسَانِ      وَإِنَّمَا كَرَّرَ ذَلِكَ  
لِلتَّنْوِيهِ بِذِكْرِ الصَّنِيعِ وَالْإِيحَابِ لِحَقِّهِ . ( الضَّرْبُ الثَّانِي مِنَ الْقِسْمِ  
الثَّانِي ) فِي تَكْرِيرِ الْمَعْنَى دُونَ اللَّفْظِ وَهُوَ غَيْرُ الْفَيْدِ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ  
أَبِي تَامٍ :

قَسَمَ الزَّمَانُ رُبُوعَهَا بَيْنَ الصَّبَا      وَقَبُولِهَا وَدُبُورِهَا اثْنَلَاثًا  
فَإِنَّ رِيحَ الصَّبَاهِ رِيحُ الْقَبُولِ      يَشْتَمِلُ عَلَى مَعْنَى وَاحِدٍ لَا غَيْرَ .  
وَهَذَا الضَّرْبُ مِنَ التَّكْرِيرِ قَدْ خُطَّ فِيهِ عِلْمًا أَلْيَانِ خَبَطًا كَثِيرًا  
وَالْأَكْثَرُ وَنَهْمُ آجَازِهِ . فَقَالُوا : إِذَا كَانَتْ الْأَلْفَاظُ مُتَعَايِرَةً وَالْمَعْنَى  
الْمُعْتَبَرَةُ عَنْهُ وَاحِدًا فَلَيْسَ اسْتِعْمَالُ ذَلِكَ بِمُعِيبٍ . وَهَذَا الْقَوْلُ فِيهِ نَظَرٌ  
وَالَّذِي عِنْدِي فِيهِ أَنَّ النَّأْيَ يُعَابُ عَلَى اسْتِعْمَالِهِ مُطْلَقًا إِذَا أَتَى لِغَيْرِ  
قَائِدَةٍ . وَأَمَّا النَّأْيُ فَإِنَّهُ يُعَابُ عَلَيْهِ فِي مَوْضِعٍ دُونَ مَوْضِعٍ . أَمَّا  
الْمَوْضِعُ الَّذِي يُعَابُ اسْتِعْمَالُهُ فِيهِ فَهُوَ صُدُورُ الْآيَاتِ الشَّرْعِيَّةِ وَمَا  
وَالْأَهَا . وَأَمَّا الْمَوْضِعُ الَّذِي لَا يُعَابُ اسْتِعْمَالُهُ فِيهِ فَهُوَ الْأَنْعَاجُ مِنْ  
الْآيَاتِ لِمَكَانِ الْقَافِيَةِ . وَإِنَّمَا جَازَ ذَلِكَ وَلَمْ يَكُنْ عَيْبًا لِأَنَّهُ قَافِيَةٌ

وَالشَّاعِرُ مُضْطَرٌّ إِلَيْهَا وَالْمُضْطَرُّ يَحِلُّ لَهُ مَا حُرِّمَ عَلَيْهِ كَقَوْلِ أَمْرِئِ  
الْقَيْسِ فِي قَصِيدَتِهِ اللَّامِيَةِ الَّتِي مَطَّلَعُهَا :  
أَلَا أَنْعَمَ صَبَاحًا أَيُّهَا الطَّلَلُ الْبَالِي  
فَقَالَ :

وَهَلْ يَنْعَمَنَّ إِلَّا سَعِيدٌ مُحَلَّدٌ قَلِيلُ الْهَمُومِ لَا يَبِيتُ بِأَوْجَالِ  
وَإِذَا كَانَ قَلِيلُ الْهَمُومِ فَإِنَّهُ لَا يَبِيتُ بِأَوْجَالِ . وَهَذَا تَكْرِيرٌ  
لِلْمَعْنَى إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ بِمُعِيبٍ لِأَنَّهُ قَافِيَةٌ . وَكَذَلِكَ وَرَدَ قَوْلُ الْخَطِيبَةِ :  
قَالَتْ إِمَامَةٌ لَا تَجْزَعُ فَقُلْتُ لَهَا إِنَّ الْغَزَاءَ وَإِنَّ الصَّبْرَ قَدْ غَلَبَا  
هَلَا أَلْتَمَسْتَ لَنَا أَنْ كُنْتَ صَادِقَةً . أَلَا نَعِيشُ بِهِ فِي النَّاسِ أَوْ نَشْبَا  
فَأَلْبَيْتُ الْأَوَّلَ مُعِيبٌ لِأَنَّهُ كَرَّرَ الْغَزَاءَ وَالصَّبْرَ إِذْ مَعَاهُمَا وَاحِدٌ  
وَلَمْ يَرِدَا قَافِيَةً لِأَنَّ الْقَافِيَةَ هِيَ أَلْبَاءُ . وَأَمَّا أَلْبَيْتُ الثَّانِي فَلَيْسَ  
بِمُعِيبٍ لِأَنَّ التَّكْرِيرَ جَاءَ فِي التَّشْبِهِ وَهُوَ قَافِيَةٌ

### البحث السادس عشر

#### في حقيقة التشبيه وتحديدِهِ

( عن خزانة الادب الحموي وعن كتاب الصناعتين )

( راجع صفحة ٤٨ من عالم الادب )

إِعْلَمَنَّ أَنَّ أَصْحَابَ الْعَمَانِيِّ وَالْيَبَانِ أَطْلَقُوا أَعْتَهُ الْكَلَامَ فِي  
مَيَادِينِ حُدُودِ التَّشْبِيهِ وَتَقَادِيرِهَا وَهُوَ عِنْدَهُمْ الدَّلَالَةُ عَلَى مُشَارَكَةِ أَمْرٍ  
لِأَمْرٍ فِي مَعْنَى . وَقَالَ الْأَمَانِيُّ : التَّشْبِيهُ هُوَ أَلْعَقْدُ عَلَى أَحَدِ الشَّيْئَيْنِ

يَسُدُّ أَحَدُهُمَا مَسَدَ الْآخَرِ فِي حَالِهِ. وَهَذَا هُوَ التَّشْبِيهُ الْعَامُّ الَّذِي يَنْحُلُ  
تَحْتَهُ التَّشْبِيهُ الْبَلِيغُ وَغَيْرُهُ. وَالتَّشْبِيهُ الْبَلِيغُ هُوَ إِخْرَاجُ الْأَغْمَضِ إِلَى  
الْأَوْضَحِ مَعَ حُسْنِ التَّلَافُيفِ. وَوَنَهُمْ مَنْ قَالَ: التَّشْبِيهُ هُوَ الدَّلَالَةُ عَلَى  
اشْتِرَاكِ شَيْئَيْنِ فِي وَصْفٍ هُوَ مِنْ أَوْصَافِ الشَّيْءِ الْوَاحِدِ. وَقَالَ ابْنُ  
رَشِيْقٍ فِي الْعُمْدَةِ: التَّشْبِيهُ صِفَةُ الشَّيْءِ بِمَا قَارَبَهُ وَشَاكَلَهُ مِنْ جِهَةِ  
وَاحِدَةٍ لِأَنَّهُ لَوْ نَاسَبَهُ مُنَاسَبَةً كُلِّيَّةً كَانَ إِيَّاهُ. أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِمْ:  
حَدَّثَ كَالْوَرْدِ إِنَّمَا مُرَادُهُمْ إِخْرَاجُ أَوْرَاقِهِ وَطَرَاوُثِهَا لَا مَا سِوَى ذَلِكَ  
مِنْ صُفْرَةٍ وَسَطِهِ وَخُضْرَةٍ كَمَا فِيهِ (أه). وَقِيلَ: التَّشْبِيهُ إِحْتَاقُ أَدْنَى  
الشَّيْئَيْنِ بِأَعْلَاهُمَا فِي صِفَةٍ اشْتَرَكَا فِي أَصْلِهَا وَاخْتَلَفَا فِي كَيْفِيَّتِهَا قُوَّةً  
وَضَعْفًا. قُلْتُ: وَهَذَا حَدٌّ مُفِيدٌ. وَأَوْرَدَ ابْنُ أَبِي الْأَصْبَعِ فِي كِتَابِهِ  
تَحْرِيرَ التَّغْيِيرِ حَدًّا زَادَ فِي حُسْنِهِ عَلَى الْخَدِّ وَهُوَ: أَنَّ التَّشْبِيهُ تَشْبِيهُانِ  
(الْأَوَّلُ) مِنْهُمَا تَشْبِيهُ شَيْئَيْنِ مُتَّفَقَيْنِ بِنَفْسِهِمَا كَتَشْبِيهِ الْجَوْهَرِ بِالْجَوْهَرِ  
مِثْلُ قَوْلِكَ: مَاءُ الْبَيْتِ كَمَاءِ الْفُرَاتِ. وَتَشْبِيهِ الْعَرَضِ بِالْعَرَضِ  
كَقَوْلِكَ: حُمْرَةُ الْخَدِّ كَحُمْرَةِ الْوَرْدِ. وَتَشْبِيهِ الْجِسْمِ بِالْجِسْمِ كَقَوْلِكَ:  
الزُّبْرَجْدُ مِثْلُ الزُّمُرْدِ. (وَالثَّانِي) تَشْبِيهُ شَيْئَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ بِالذَّاتِ يَجْمَعُهُمَا  
مَعْنًى وَاحِدٌ مُشْتَرِكٌ. كَقَوْلِكَ: حَاتِمٌ كَالْعِزِّامِ وَعَذْرَةٌ كَالضَّرْغَامِ.  
وَتَشْبِيهِ الْإِتْفَاقِ وَهُوَ الْأَوَّلُ تَشْبِيهُ حَقِيقَتِي. وَتَشْبِيهِ الْإِخْتِلَافِ وَهُوَ  
الثَّانِي تَشْبِيهُ مَجَازِيٍّ وَالْمُرَادُ الْمُبَالَغَةُ. وَالتَّشْبِيهُ زَكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ ابْلَاغَةِ  
لِإِخْرَاجِهِ الْخَفِيِّ إِلَى الْخَلِيِّ وَإِدَانَاهُ الْبَعِيدَ مِنَ الْقَرِيبِ. وَهُوَ حَكْمٌ  
إِضَائِيٌّ لَا يُوجَدُ إِلَّا بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ بِخِلَافِ الْإِسْتِعَارَةِ وَلَيْسَ الْحَكْمُ

أَنَّهُ إِذَا صَحَّتِ الْإِسْتِعَارَةُ حَسَنَ التَّضَرُّيْحُ بِالتَّشْبِيهِ فَإِنَّ الْمَشَابَهَةَ إِذَا  
قُرِنَتْ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ بِالْإِسْتِعَارَةِ قَبَّحَ التَّضَرُّيْحُ بِالتَّشْبِيهِ . فَلَا تَقُولُ :  
كَأَنَّكَ أَوْقَعْتَنِي فِي ظُلْمَةٍ إِذَا أَوْقَعَكَ فِي شُبْهَةٍ . وَفَهِمْتُ الْمَسَآلَةَ  
فَكَأَنَّهُ أَنْشَرَ صَدْرِي أَوْ كَانَ نُورًا حَصَلَ فِي قَلْبِي . لِتَمَكُّنَ هَذِهِ  
الْأَشْيَاءَ حَتَّى كَأَنَّهَا صَارَتْ حَقِيقَةً

### البحث السابع عشر

#### في اركان التشبيه ومحاسنه وفوائده

( من المثل السائر لابن الاثير بتصرف )

( راجع صفحة ٤٩ من علم الادب )

وَأَعْلَمَ أَنَّ لِلتَّشْبِيهِ أَدَوَاتَ كَتَحَوَّ وَكَانَ وَشَبَّهِ وَمِثْل . فَرُبَّمَا ظَهَرَتْ  
وَرُبَّمَا أَضْحِرَتْ . ( وَمِنْ الْمَظْهَرِ الْأَدَاةُ ) مَا قِيلَ فِي وَصْفِ حَالِ  
الْمُنَاقِقِينَ : مِثْلُهُمْ كَمِثْلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ  
ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ . وَكَقَوْلِ الْجَحْزِيِّ :  
خُلِقُوا مِنْهُمْ تَرَدَّدَ فِيهِمْ وَلَيْتَهُ عَصَابَةٌ عَنْ عَصَابَةٍ  
كَالْحَسَامِ الْجَرَّازِ يَبْقَى عَلَى النَّهْرِ م وَيَفْنِي فِي كُلِّ حِينٍ قِرَابَهُ  
وَمِنْ اللَّطِيفِ الْبَدِيعِ فِي هَذَا أَلْبَابِ قَوْلِ الْعَبَّاسِ بْنِ الْأَخْنَفِ :  
لَا جَزَى اللَّهِ دَمْعَ عَيْنِي خَيْرًا وَجَزَى اللَّهِ كُلَّ خَيْرٍ لِسَانِي  
تَمَّ دَمْعِي فَلَيْسَ يَكْتُمُ شَيْئًا وَوَجَدْتُ اللِّسَانَ ذَا كُشْمَانٍ  
كُنْتُ مِثْلَ الْكِتَابِ أَخْفَاهُ طَيِّئٌ فَاسْتَدَلُّوا عَلَيْهِ بِالْعُنْوَانِ

( وَمِنَ الْمَضَرِّ الْأَدَاةُ ) قَوْلُهُ : وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا . فَشَبَّهَ اللَّيْلَ بِاللِّبَاسِ . وَذَلِكَ أَنَّهُ يَسْتُرُ النَّاسَ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ لِّئِنْ أَرَادَ هَرَبًا مِنْ عَدُوِّهِ أَوْ ثَبَاتًا لِعَدُوِّهِ أَوْ إِخْفَاءً لِمَا لَا يُحِبُّ الْإِطْلَاعَ عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِهِ وَقَدْ وَرَدَ فِي الْأَمْثَالِ مِثْلُهُ : اللَّيْلُ جُنَّةٌ أَهْلَابٍ . وَمِمَّا وَرَدَ شِعْرًا قَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّي :

وَإِذَا أَهْتَرَّ لِلنَّدَى كَانَ نَجْرًا      وَإِذَا أَهْتَرَّ لِلْوَعَى كَانَ نَصْلًا  
وَإِذَا الْأَرْضُ أَظْلَمَتْ كَانَ شَمْسًا      وَإِذَا الْأَرْضُ أَفْحَلَتْ كَانَ وَبْلًا  
وَكُلُّ ذَلِكَ مِنَ التَّشْبِيهِ الْمَضَرِّ الْأَدَاةُ . وَإِنَّ هَذَا التَّشْبِيهَ أَبْلَغُ مِنَ التَّشْبِيهِ الْمَظْهَرِ الْأَدَاةِ وَأَوْجَزُ . أَمَّا كَوْنُهُ أَبْلَغُ فَلِحُجْلِ الْمَشَبِّهِ شَبًّا بِهِ مِنْ غَيْرِ وَاسِطَةٍ أَدَاةٍ فَيَكُونُ هُوَ إِيَّاهُ . فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ : زَيْدٌ أَسَدٌ . كُنْتَ قَدْ جَعَلْتَهُ أَسَدًا مِنْ غَيْرِ إِظْهَارِ أَدَاةِ التَّشْبِيهِ . وَأَمَّا كَوْنُهُ أَوْجَزُ فَحَذْفِ أَدَاةِ التَّشْبِيهِ مِنْهُ . وَعَلَى هَذَا فَإِنَّ الْقَسْمَيْنِ مِنَ الْمَظْهَرِ وَالْمَضَرِّ كُلِّهِمَا فِي فَضِيلَةِ الْبَيَانِ سَوَاءٌ فَإِنَّ الْغَرَضَ الْمَقْصُودَ مِنْ قَوْلِنَا : زَيْدٌ أَسَدٌ . أَنْ يَتَبَيَّنَ حَالُ زَيْدٍ فِي اتِّصَافِهِ بِشَهَادَةِ النَّفْسِ وَقُوَّةِ الْبَطْشِ وَجَرَاءَةِ الْأَقْدَامِ وَغَيْرِ ذَلِكَ بِمَا يَجْرِي نَجْوَاهُ إِلَّا أَنَّا لَمْ نَجِدْ شَيْئًا نَدُلُّ بِهِ عَلَيْهِ سِوَى أَنْ جَعَلْنَاهُ شَيْئًا بِالْأَسَدِ حَيْثُ كَانَتْ هَذِهِ الصِّفَاتُ مُحْتَضَةً بِهِ . فَصَارَ مَا قَصَدْنَاهُ مِنْ هَذَا الْقَوْلِ أَكْشَفَ وَآبَيْنَ مِنْ أَنْ لَوْ قُلْنَا : زَيْدٌ شَهْمٌ شُجَاعٌ قَوِيٌّ الْبَطْشِ جَرِيٌّ أَجْنَانٍ وَأَشْبَاهُ ذَلِكَ . لِمَا قَدْ عُرِفَ وَعُهِدَ مِنْ أَجْتِمَاعِ هَذِهِ الصِّفَاتِ فِي الْمَشَبِّهِ بِهِ أَغْنَى الْأَسَدَ . وَأَمَّا زَيْدٌ الَّذِي هُوَ الْمَشَبِّهُ فَلَيْسَ مَعْرُوفًا بِهَا

وَأِنْ كَانَتْ مَوْجُودَةً فِيهِ. وَكَلَّا هَذَيْنِ الْقَسَمَيْنِ أَيْضًا يَخْتَصُّ بِفَضِيلَةٍ  
 الْإِيحَازَ وَإِنْ كَانَ الْمَضْرُ أَوْجَرَ مِنَ الْمَظْهَرِ لِأَنَّ قَوْلَنَا : زَيْدٌ أَسَدٌ  
 أَوْ كَالْأَسَدِ . يَسُدُّ مَسَدَ قَوْلِنَا : زَيْدٌ مِنْ حَالِهِ كَيْتَ وَكَيْتَ . وَهُوَ مِنْ  
 الشَّجَاعَةِ وَالشَّدَةِ عَلَى كَذَا وَكَذَا مِمَّا يَطُولُ ذِكْرُهُ . فَالْتَّشْبِيهُ إِذَا تَجَمَّعَ  
 صِفَاتُ ثَلَاثَةٍ هِيَ : الْمُبَالَغَةُ . وَالْيَبَانُ . وَالْإِيحَازُ كَمَا أَرَيْتُكَ . إِلَّا  
 أَنَّهُ تَوَعُّ مِنْ بَيْنِ أَنْوَاعِ عِلْمِ الْيَبَانِ مُسْتَوَعِرُ الْمَذْهَبِ وَهُوَ مَقْتُلٌ مِنْ  
 مَقَاتِلِ الْبَلَاغَةِ . وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ حَمَلَ الشَّيْءِ بِالْمِثَالَةِ إِمَّا صُورَةً  
 وَإِمَّا مَعْنَى يَعْزُ صَوَابَهُ وَتَغْسُرُ الْإِجَادَةَ فِيهِ . وَقَلَّمَا أَكْثَرَ مِنْهُ أَحَدٌ  
 إِلَّا عَثَرَ كَمَا قُلَّ ابْنُ الْمُعْتَزِّ مِنْ أَدْبَاءِ الْعِرَاقِ وَأَبْنُ وَكِيعٍ مِنْ أَدْبَاءِ  
 مِصْرَ . فَإِنَّهَا أَكْثَرًا مِنْ ذَلِكَ لَاسِيَّمَا فِي وَصْفِ الرِّيَاضِ وَالْأَشْجَارِ  
 وَالْأَزْهَارِ وَالْهَارِ . لَأَجْرَمَ أَنَّهَا آتِيَا بِالْعَثِّ الْبَارِدِ الَّذِي لَا يَثْبُتُ  
 عَلَى مِحْكِ الصَّوَابِ فَعَلَيْكَ أَنْ تَتَوَقَّى مَا أَشْرْتُ إِلَيْهِ . وَإِمَّا فَائِدَةُ  
 التَّشْبِيهِ مِنَ الْكَلَامِ فَهِيَ : أَنَّكَ إِذَا أَمَثَلْتَ الشَّيْءَ بِالشَّيْءِ فَإِنَّمَا  
 تَقْصِدُ فِيهِ اثْبَاتَ الْحَالِ فِي النَّفْسِ بِصُورَةِ الْمَثَبِ بِهِ أَوْ بِمَعْنَاهُ وَذَلِكَ  
 أَوْكَدُ فِي طَرَفِي التَّرْغِيبِ فِيهِ أَوْ التَّنْفِيرِ عَنْهُ . أَلَا تَرَى أَنَّكَ إِذَا  
 أَشَبَّهْتَ صُورَةَ بِصُورَةٍ هِيَ أَحْسَنُ مِنْهَا كَانَ ذَلِكَ مُثَبَّتًا فِي النَّفْسِ  
 خَيَالًا حَسَنًا يَدْعُو إِلَى التَّرْغِيبِ فِيهَا . وَكَذَلِكَ إِذَا أَشَبَّهْتَ بِصُورَةٍ شَيْءٍ  
 أَقْبَحَ مِنْهَا كَانَ ذَلِكَ مُثَبَّتًا فِي النَّفْسِ خَيَالًا قَبِيحًا يَدْعُو إِلَى التَّنْفِيرِ  
 عَنْهَا وَهَذَا لَا تَرَاغٍ فِيهِ . وَلَنْضَرْبِ لَهُ مِثَالًا يُوضِّحُهُ فَقُولُ : قَدْ وَرَدَ  
 عَنْ ابْنِ الرُّومِيِّ فِي مَدْحِ الْعَسَلِ وَذَوِّهِ يَلْتَمِسُ مِنَ الشَّعْرِ وَهُوَ :

تَقُولُ هَذَا مُجَابُ الْمَحَلِّ مَدْحُهُ    وَانْ تَعِبَ قُلْتَ ذَاتِي، الزَّائِرِ  
 أَلَا تَرَى كَيْفَ مَدَحَ وَدَّمَ الشَّيْءَ الْوَاحِدَ بِتَضْرِيفِ التَّشْبِيهِ  
 الْحَاجِزِي الْمُضْمَرِ الْأَدَاوِ الَّذِي خِيلَ بِهِ إِلَى السَّامِعِ خِيَالًا يُحْسِنُ الشَّيْءَ  
 عِنْدَهُ تَارَةً وَيُتَجَبَّهُ أُخْرَى . وَلَوْلَا التَّوَضُّعُ بِطَرِيقِ التَّشْبِيهِ عَلَى هَذَا  
 أَلَوْجِهِ لَمَا أَمَكَّنَهُ ذَلِكَ . وَهَذَا الْمِثَالُ كَافٍ فِيَا أَرَدْنَاهُ . وَأَعْلَمُ  
 أَنَّ مِنْ تَحَاسِنِ التَّشْبِيهِ أَنْ يُجِيءَ مَضْمَرِيَا كَقَوْلِنَا : أَقْدَمَ إِقْدَامَ الْأَسَدِ  
 وَقَاضَ قِيزَ الْبَجَرِ . وَهُوَ أَحْسَنُ مَا اسْتَعْمِلَ فِي بَابِ التَّشْبِيهِ . كَقَوْلِ  
 أَبِي نَوَاسٍ فِي وَصْفِ الْخَمْرِ :

وَإِذَا مَا مَزَجُوهَا    وَثَبَتْ وَثَبَ الْجَرَادُ

وَإِذَا مَا شَرِبُوهَا    أَخَذَتْ أَخَذَ الرُّقَادُ

وَقِيلَ : إِنَّ مِنْ شَرْطِ بَلَاغَةِ التَّشْبِيهِ أَنْ يُشَبَّ الشَّيْءُ بِمَا هُوَ  
 أَكْبَرُ مِنْهُ وَأَعْظَمُ . وَالْقَوْلُ السَّيِّدُ فِي ذَلِكَ هُوَ مَا أَذْكُرُهُ :  
 وَهُوَ أَنَّ إِطْلَاقَ مَنْ أَطْلَقَ قَوْلَهُ فِي أَنَّ مِنْ شُرُوطِ بَلَاغَةِ التَّشْبِيهِ  
 أَنْ يُشَبَّ الْأَضْعَفُ بِالْأَكْبَرِ قَوْلُ غَيْرِ حَاصِرٍ لِلْغَرَضِ الْمَقْصُودِ .  
 لِأَنَّ التَّشْبِيهِ يَأْتِي تَارَةً فِي مَغْرَضِ الْمَدْحِ وَتَارَةً فِي مَغْرَضِ الذَّمِّ .  
 وَتَارَةً فِي غَيْرِ مَغْرَضٍ مَدْحٍ وَلَا ذَمٍّ . وَإِنَّمَا يَأْتِي قَضَا لِلْإِبَانَةِ  
 وَالْإِيضَاحِ . وَلَا يَكُونُ تَشْبِيهُ أَضْعَفٍ بِأَكْبَرٍ كَمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ مَنْ  
 ذَهَبَ . بَلِ الْقَوْلُ الْجَامِعُ فِي ذَلِكَ أَنَّ يُقَالَ : إِنَّ التَّشْبِيهِ لَا يَعْمَدُ  
 إِلَيْهِ إِلَّا لِضَرْبٍ مِنَ الْمُبَالَغَةِ قَامًا أَنْ يَكُونَ مَدْحًا أَوْ ذَمًّا أَوْ يَبَيِّنَا  
 أَوْ إِضَاحًا وَلَا يَخْرُجُ عَنْ هَذِهِ الْمَعَانِي الثَّلَاثَةِ . وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ



كَذَلِكَ فَلَا بُدَّ فِيهِ مِنْ تَقْدِيرٍ لَفْظَةٍ أَفْعَلَ ( يُرِيدُ أَفْعَلَ التَّفْضِيلَ ) .  
فَإِنْ لَمْ تُقَدَّرْ فِيهِ لَفْظَةٌ ( أَفْعَلَ ) فَلَيْسَ بِتَشْبِيهِ بَلِيغٍ . أَلَا تَرَى أَنَّا  
نَقُولُ فِي التَّشْبِيهِ الْمَضْمَرِ الْأَدَاةَ : زَيْدٌ أَسَدٌ . فَقَدْ شَبَّهَ زَيْدًا بِالْأَسَدِ  
الَّذِي هُوَ أَشْجَعُ مِنْهُ . فَإِنْ لَمْ يَكُنِ الْمُشَبَّهُ بِهِ فِي هَذَا الْمَقَامِ أَشْجَعُ مِنْ  
زَيْدِ الَّذِي هُوَ الْمُشَبَّهُ وَالْأَسَدُ كَانَ التَّشْبِيهُ نَاقِصًا إِذْ لَا مُبَالَغَةَ فِيهِ .  
وَكَذَلِكَ فِي التَّشْبِيهِ الْمَظْهَرِ الْأَدَاةُ كَقَوْلِهِ : وَهُوَ الْجَوَارِي الْمُنَشَّاتُ فِي  
الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ . وَهَذَا تَشْبِيهُ كَثِيرٌ بِمَا هُوَ أَكْبَرُ مِنْهُ . لِأَنَّ خَلْقَ السُّفُنِ  
الْبَحْرِيَّةِ كَثِيرٌ وَخَلْقَ الْجِبَالِ أَكْبَرُ مِنْهُ . وَمِثْلُهُ : إِذَا شَبَّهَ شَيْءٌ حَسَنٌ  
بِشَيْءٍ حَسَنٍ فَلَا تَنَبُّهُ إِذَا لَمْ يُشَبَّهَ بِمَا هُوَ أَحْسَنُ مِنْهُ فَلَيْسَ هُوَ بِوَارِدٍ  
عَلَى طَرِيقِ الْبَلَاغَةِ . وَهَكَذَا : إِنْ شَبَّهَ قَبِيحٌ بِقَبِيحٍ فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ  
الْمُشَبَّهُ بِهِ أَقْبَحَ وَإِنْ قُصِدَ الْيَسَارُ وَالْإِيضَاحُ فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ  
الْمُشَبَّهُ بِهِ آيِنٌ وَأَوْضَحَ . فَتَقْدِيرُ لَفْظَةِ ( أَفْعَلَ ) لَا بُدَّ مِنْهُ فِيمَا يُقْصَدُ  
بِهِ بَلَاغَةُ التَّشْبِيهِ وَالْأَسَدُ كَانَ التَّشْبِيهُ نَاقِصًا فَأَعْلَمَ ذَلِكَ وَقَسَّ عَلَيْهِ

### البعث الثامن العاشر

#### في اقسام التشبيه

( عن صناعة الترسل لشهاب الدين الحلبي باختصار )

( راجع صفحة ٤٩ من علم الادب )

( التَّشْبِيهُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ ) : الْأَوَّلُ تَشْبِيهُ مَحْسُوسٍ بِمَحْسُوسٍ  
لَا شَرَاكِهِمَا إِمَّا فِي الْحُكُوسَاتِ الْأُولَى وَهِيَ مُسَدَّرَاتُ السَّمْعِ

وَالْبَصَرِ وَالذَّوْقِ وَالشَّمِّ وَاللَّسِّ . كَتَشْبِيهِ الْحَدِّ بِالْوَرْدِ . وَالْوَجْهِ  
 بِالنَّهَارِ . وَالْقَوَاكِمِ الْخُلُوعِ بِالسُّكْرِ وَالْعَسَلِ . وَرَانِحَةِ بَعْضِ الرِّيَاحِينَ  
 بِالْكَافُورِ وَالْمِسْكِ . وَاللِّينِ النَّاعِمِ بِالْحَرِّ . وَالْحُسْنِ بِالْمَسْحِ . أَوْ فِي  
 الْخُشُوسَاتِ الثَّانِيَةِ وَهِيَ : الْأَشْكَالُ الْمُسْتَقِيمَةُ وَالْمُسْتَدِيرَةُ وَالْمَقَادِيرُ  
 وَالْحَرَكَاتُ كَتَشْبِيهِ الْمُسْتَوِيِّ الْمُنْتَصِبِ بِالرَّمْحِ . وَالْقَدِّ اللَّطِيفِ  
 بِالْعُضْرِ . وَالشَّيْءِ الْمُسْتَدِيرِ بِالْكُرَةِ وَالْحَلَقَةِ . وَعَظَمِ الْجَلَّةِ بِالْجَلِّ .  
 وَالذَّاهِبِ عَلَى الْإِنْتِقَامَةِ بِقُوَّةِ السَّهْمِ . أَوْ فِي الْكَيْفِيَّاتِ الْخُفْيَانِيَّةِ  
 كَالصَّلَابَةِ وَالرَّخَاوَةِ . أَوْ فِي الْكَيْفِيَّاتِ الْفَنَائِيَّةِ كَالْعَرَائِزِ وَالْأَخْلَاقِ .  
 أَوْ فِي حَالَةِ إِضَافِيَّةِ كَقَوْلِكَ : هَذِهِ حُجَّةٌ كَالشَّمْسِ . وَالْجَامِعُ أَنَّ  
 كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهَا مُزِيلٌ لِلنَّجَابِ وَكَقَوْلِكَ : الْقَاظَةُ كَالْمَاءِ فِي السَّلَاسَةِ .  
 وَكَالْتَّسِيمِ فِي الرِّقَّةِ . وَكَالْعَسَلِ فِي الْخِلَاطَةِ . وَالْجَامِعُ سُرْعَةُ وَضُوءُهُ  
 إِلَى النَّفْسِ وَاهْتِرَازُهَا بِهِ . وَرَبَّمَا كَانَ التَّشْبِيهُ بِوَجْهِ عَقْلِيٍّ كَقَوْلِ فَاطِمَةَ  
 بِنْتِ الْحَوْشِبِ الْأَنْغَارِيَّةِ حِينَ وَصَفَتْ بَيْنَهَا : هُمْ كَالْحَلَقَةِ الْمَفْرَعَةِ لَا يُدْرَى  
 أَيْنُ طَرَفَاهَا . فَإِنَّهُ لَا يَفْهَمُ الْمَقْصُودَ الْإِمَامَنَ لَهُ ذِهْنٌ يَتَرَفَّعُ عَنْ طَبَقَةِ  
 الْعُلَمَاءِ بِخِلَافِ مَا سَبَقَ . وَمِنْ الْفَرْقِ الظَّاهِرِ بَيْنَهُمَا أَنَّ جَلَلَ الْقُرْعِ  
 أَصْلًا وَالْأَصْلَ فَرْعًا يُجْبِي فِيمَا تَقَدَّمَ مَحِيئًا وَاسِعًا كَقَوْلِهِ فِي النُّجُومِ :  
 كَانَهُمْ مَصَابِيحُ . وَفِي الْمَصَابِيحِ : كَانَتْهَا نُجُومٌ . وَإِنْ حَاوَلْتَ ذَلِكَ فِي  
 الثَّانِي لَمْ يَكُنْ يَقَادُ انْقِيَادُ الْأَوَّلِ . ( الثَّانِي ) تَشْبِيهُ الْعُقُولِ بِالْعُقُولِ  
 كَتَشْبِيهِ الْوُجُودِ الْغَارِي عَنْ الْقَوَائِدِ بِالْعَدَمِ وَتَشْبِيهِ الْقَوَائِدِ الَّتِي  
 تَبْقَى بَعْدَ عَدَمِ الشَّيْءِ بِالْوُجُودِ كَقَوْلِ الشَّاعِرِ :

رُبَّ حَيٍّ كَسَيْتَ لَيْسَ فِيهِ أَمَلٌ يُرْجَى لِنَفْعٍ وَضُرٍّ  
وِعِظَامٍ تَحْتَ الثَّرَابِ وَفَوْقَ الْآلَمِ رِضٌ مِنْهَا آثَارُ حَمْدٍ وَشُكْرِ  
(الثَّالِثُ) تَشْبِيهُ الْمَعْقُولِ بِالْخَسُوسِ كَقَوْلِهِ : وَالَّذِينَ كَفَرُوا  
أَسْمَاءَهُمْ كَسَرَابٍ بَقِيَعَةٍ . وَكَقَوْلِهِ : وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَرَآدٍ  
أَسْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ . (الرَّابِعُ) تَشْبِيهُ الْخَسُوسِ بِالْمَعْقُولِ  
وَهُوَ غَيْرُ جَائِزٍ لِأَنَّ الْعُلُومَ مُسْتَفَادَةً مِنَ الْخَوَاسِ وَمُنْتَهِيَةٌ إِلَيْهَا وَلِذَلِكَ  
قِيلَ : مَنْ فَقَدَ حِسًا فَقَدْ عِلِمًا . فَإِذَا كَانَ الْخَسُوسُ أَضْلًا لِلْمَعْقُولِ قَسْبِيهِ  
بِهِ يَكُونُ جَعْلًا لِلْفِرْعِ أَضْلًا وَالْأَضْلُ فِرْعًا . وَلِذَلِكَ لَوْ حَاوَلَ مُحَاوِلُ  
الْمُبَالَغَةِ فِي وَصْفِ الشَّمْسِ بِالظُّهُورِ وَالْمَسْكِ بِاللَّيْلِ فَقَالَ : الشَّمْسُ  
كَالْمُجْتَبِ فِي الظُّهُورِ . وَالْمَسْكُ كَاللَّيْلِ فِي الطَّيْبِ . كَانَ سَخِيفًا وَنَ  
الْقَوْلِ . فَأَمَّا مَا جَاءَ فِي الْأَشْعَارِ مِنْ تَشْبِيهِ الْخَسُوسِ بِالْمَعْقُولِ فَوَجْهُهُ  
أَن يُقَدَّرَ الْمَعْقُولُ مَحْسُوسًا وَيَجْعَلَ كَالْأَضْلِ الْخَسُوسِ عَلَى طَرِيقِ  
الْمُبَالَغَةِ فَيَصِحُّ التَّشْبِيهُ حِينَئِذٍ . وَذَلِكَ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

وَكَانَ النُّجُومُ بَيْنَ دُجَاهَا سُنُّ لَاحٍ بَيْنَهُنَّ أَبْتَدَاعُ

فَإِنَّهُ لَمَّا شَاعَ وَصْفُ السُّنَّةِ بِالْبَيَاضِ وَالْإِشْرَاقِ عَلَى مَا قِيلَ :  
أَتَيْتُكُمْ بِالْحَنِيفَةِ الْبَيَاضِ لَيْلُهَا كَنَهَارُهَا . وَأَشْهَرَتِ الْبِدْعَةُ وَكُلُّ مَا  
لَيْسَ بِحَقٍّ بِالظُّلْمَةِ تَحْيَلُ الشَّاعِرُ أَنَّ السُّنَنَ كَانَتْهَا مِنَ الْأَجْنَاسِ الَّتِي  
لَهَا إِشْرَاقٌ وَنُورٌ وَأَنَّ الْبِدْعَ نَوْعٌ مِنَ الْأَنْوَاعِ الَّتِي لَهَا اخْتِصَاصٌ بِالسَّوَادِ  
وَالظُّلْمَةِ . فَصَارَ ذَلِكَ عِنْدَهُ كَتَشْبِيهِ مَحْسُوسٍ بِمَحْسُوسٍ فَجَازَ لَهُ التَّشْبِيهُ .  
وَبِالْجُمْلَةِ فَهَذَا التَّشْبِيهُ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِتَحْيَلِ مَا لَيْسَ بِمُتَلَوِّنٍ مُتَلَوَّنًا . ثُمَّ

يُخَيَّلُ أَصْلًا فَيُشَبِّهُ بِهِ. وَهَذَا هُوَ التَّأْوِيلُ فِي قَوْلِ أَبِي طَالِبٍ الرَّقِّي :  
وَلَقَدْ ذَكَرْتُكَ وَالظَّلَامَ كَأَنَّهُ يَوْمَ الذُّوَى وَفُوَادُ مَنْ لَمْ يَرْفُقْ  
فَأَنَّهُ لَمَّا كَانَتْ الْأَوَاقَاتُ الَّتِي تَحْدُثُ فِيهَا الْمَكَارِهِ تُوصَفُ بِالسَّوَادِ  
(يُقَالُ : أَسْوَدَتْ الدُّنْيَا فِي عَيْنَيْهِ) . جَعَلَ يَوْمَ الذُّوَى كَأَنَّهُ أَشْهُرُ وَأَعْرَفُ  
بِالسَّوَادِ مِنَ الظَّلَامِ فَعَرَفَهُ بِهِ وَشَبَّهَهُ . ثُمَّ عَطَفَ عَلَيْهِ فُوَادُ مَنْ لَا  
يَرْفُقُ تَطَرُّفًا . وَالْقَلْبُ الْقَاضِي يُوصَفُ بِشِدَّةِ السَّوَادِ . فَصَارَ هَذَا الْقَلْبُ  
أَصْلًا عِنْدَهُ فِي السَّوَادِ فَقَسَّ عَلَيْهِ . وَكَذَلِكَ قَوْلُ الصَّاحِبِ بْنِ عَبَّادٍ  
حِينَ أَهْدَى لِلْقَاضِي أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْجُرْجَانِي عِطْرًا :  
يَا أَيُّهَا الْقَاضِي الَّذِي قَسَى لَهُ فِي قُرْبِ عَهْدِ لِقَائِهِ مُشْتَاةً  
أَهْدَيْتُ عِطْرًا وَثَلَ طِيبِ ثَنَانِهِ فَكَأَنَّا أَهْدَيْتُ لَهُ أَخْلَاقَهُ  
وَأَعَادَةً تَشْبِيهِ أَثْنَاءِ بِالْعَطْرِ وَهُوَ عَكْسُ الْأَمْرِ عَلَى جِهَةِ الْمُبَالَغَةِ  
كَمَا بَيَّنَّا . وَقُلْتُ فِي تَشْبِيهِ حُضْرٍ :

كَأَنَّهُ وَكَانَ الْجَوْ يُكْنِفُهُ وَهُمْ تُمَثِّلُهُ فِي طَيْهَا الْفَكْرُ

لَأَنَّهُ لَمَّا أَرْتَفَعَ الْحُضْرُ فِي الْجَوْ حَتَّى صَارَ كَالْوَهْمِ فَيَكُونُ مِنْ تَشْبِيهِ  
الْمَحْسُوسِ بِمَا تُخَيَّلُ أَنَّهُ مُحْسُوسٌ لِإِظْلَامِهِ فِي الْأَعْيُنِ أَوْ فُرْضَ لَهُ الْخَفَاءُ  
حَتَّى صَارَ يُشَبِّهُ مَعْقُولًا بِمَعْقُولٍ . وَيَقْرُبُ مِنْ هَذَا النَّوعِ تَشْبِيهِ الْوُجُودِ  
بِالتَّخَيُّلِ الَّذِي لَا وُجُودَ لَهُ فِي الْأَعْيَانِ كَتَشْبِيهِ الْجَمْرِ بَيْنَ الرَّمَادِ بِجُرْ  
وَنَ الْمِسْكِ مَوْجُهُ الذَّهَبِ . وَذَلِكَ إِنَّمَا يَتِمُّ إِذَا قُرِضَ التَّخَيُّلُ أُمُورًا  
كُلُّ وَاحِدٍ وَنَهَا مَوْجُودٌ فِي الْأَعْيَانِ . فَحَيْثُ يَكُونُ التَّشْبِيهُ حَسَنًا  
لَطِيفًا كَقَوْلِ الشَّاعِرِ فِي الرَّجَسِ :

كَانَ عِيُونَ الرِّجْسِ الْقَضَى بَيْنَنَا مَدَاهِنُ دُرٍّ حَشَوْنَهُ عَقِيقُ  
وَكَقَوْلٍ آخَرَ فِي تَشْبِيهِ الشَّقَاتِي :

وَكَانَ نُحْمَرُ الشَّقِيقِ م إِذَا تَصَوَّبَ أَوْ تَصَعَّدَ

أَغْلَامُ يَأْقُوتِ نُشْرِ نَ عَلَى رِاحٍ مِنْ زَبَرْجَدَ

وَيَقْرُبُ مِنْ هَذَا الْجِنْسِ قَوْلُ أَمْرِئِ الْقَلْبِ :

أَيَقْتُلْنِي وَالْشَّرِيفُ مُضَاجِعِي وَمَسْنُونَةُ ذُرْقٍ كَانِيَابِ أَغْوَالِ

فَلَانَهُمْ لَمْ يُشَاهِدُوا أَنْيَابَ الْأَغْوَالِ بَلْ أَعْتَقَدُوا أَنَّهَا فِي غَايَةِ

الْحِدَّةِ فَحَسُنَ التَّشْبِيهُ . وَعَلَيْهِ جَاءَ قَوْلُهُ : طَلَعَهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ .

لَتَنَاهِي رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ فِي الْكَرَاهَةِ وَلِأَعْتِقَادِهِمُ الْقَايَةَ فِي قُبْحِ

الشَّيْطَانِ وَكَرَاهِيَتِهِ يُشَبِّهُونَ بِهِ الْوَجْهَ الْقَبِيحَ . وَلِأَعْتِقَادِهِمُ الْقَايَةَ فِي

خَيْرِ الْمَلِكِ وَأَنَّهُ لَا شَرَّ فِيهِ يُشَبِّهُونَ بِهِ الصُّورَ الْحَسَنَةَ كَمَا قَالَ :

مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ . وَأَعْلَمُ أَنَّ مَا بِهِ الْمِثَالِيَّةُ فَذ

يَكُونُ مُقَيَّدًا بِالْإِتْسَابِ إِلَى الشَّيْءِ . وَذَلِكَ إِمَّا إِلَى الْمَقْعُولِ بِهِ وَهُوَ

الْجَارُ وَالْجَرُورُ كَقَوْلِهِمْ لِمَنْ يَفْعَلُ أَلَا يُفِيدُ : كَالرَّاقِمِ عَلَى الْمَاءِ .

وَأَمَّا إِلَى أَلْحَالِ كَقَوْلِهِمْ : كَالْحَادِي وَلَيْسَ لَهُ بَعِيرٌ ( الْوَاوُ لِلْحَالِ ) .

وَأَمَّا إِلَى الْمَفْعُولِ بِهِ وَالْجَارُ وَالْجَرُورُ كَقَوْلِهِمْ : هُوَ كَمَنْ يَجْمَعُ

السِّيفَيْنِ فِي عَمْدٍ وَكَمُبْتَعِي الصَّيْدِ فِي عَرِيْسَةِ الْأَسَدِ . وَكَقَوْلِ لَبِيدٍ :

وَمَا النَّاسُ إِلَّا كَالْدِيَارِ وَأَهْلِهَا بِهَا يَوْمَ حُلُوهَا وَعَدَدًا بِسَلَاةٍ

فَلَنَّهُ لَمْ يُشَبِّهِ النَّاسَ بِالْدِيَارِ وَأَنَّ شَبَّهُ وَجُودَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَسُرْعَةَ

زَوَالِهِمْ بِحُلُولِهِمُ الدِّيَارِ وَوَشَكِّ رَحِيلِهِمْ مِنْهَا . وَكَلَّمَا كَانَتْ الْمَقْدَمَاتُ

أَكْثَرَ كَانَ التَّشْبِيهُ أَوْغَلَ فِي كَوْنِهِ عَقْلِيًّا كَقَوْلِهِ : إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ  
الدُّنْيَا كَمَا أَثَرُنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ بِمَا يَأْكُلُ  
النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا  
أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ  
تَغْنِ بِالْأَمْسِ . فَإِنَّ التَّشْبِيهَ مُتَرَعٍّ مِنْ مَجْزُوعٍ هَذِهِ الْجُمْلَةُ مِنْ غَيْرِ  
أَن يُمَكِّنَ فَضْلَ بَعْضِهَا مِنْ بَعْضٍ . فَإِنَّكَ لَوْ حَذَفْتَ مِنْهَا جُمْلَةً وَاحِدَةً  
مِنْ آيٍ مَوْضِعٍ كَانَ أَخْلًا ذَلِكَ بِالْمَقْصُودِ مِنَ التَّشْبِيهِ . ثُمَّ مَا بِهِ  
الْمُشَابَهَةُ إِنْ كَانَ مُرَكَّبًا فَإِنَّهُ عَلَى قِسْمَيْنِ : (الْأَوَّلُ) مَا لَا يُمَكِّنُ  
أَفْرَادَ أَحَدِ أَجْزَائِهِ بِالذِّكْرِ كَقَوْلِهِ :

كَانَ سُهِيلًا وَالْجُومُ وَرَاءَهُ صُفُوفُ صَلَاةٍ قَامَ فِيهَا إِمَامُهُ  
فَإِنَّهُ لَا يُمَكِّنُ أَفْرَادَ أَجْزَاءِ هَذَا التَّشْبِيهِ إِذَا لَوْ قُلْتَ : كَأَنَّ  
سُهِيلًا إِمَامٌ وَكَانَ الْجُومُ صُفُوفُ صَلَاةٍ . ذَهَبَتْ فَائِدَةُ هَذَا التَّشْبِيهِ .  
(الثَّانِي) مَا يُمَكِّنُ أَفْرَادَهُ بِالذِّكْرِ وَيَكُونُ إِذَا أُزِيلَ مِنْهُ  
الَّتَرْكِيبُ صَحِيحَ التَّشْبِيهِ فِي طَرَفِهِ إِلَّا إِنْ أُلْفِيَ مُعَيَّرُ كَقَوْلِ ابْنِ  
طَالِبٍ الرَّقِّي :

وَكَانَ أَجْرَامَ الْجُومِ لَوَامِعًا دُرٌّ يُزْنَ عَلَى بِسَاطٍ أَزْرَقٍ  
فَلَوْ قُلْتَ : كَانَ الْجُومُ دُرٌّ وَكَانَ السَّمَاءُ بِسَاطٌ أَزْرَقٌ وَجَدْتَ  
التَّشْبِيهَ مَقْبُولًا . وَلَكِنَّ الْمَقْصُودَ مِنَ الْهَيْئَةِ الْمُشَبَّهِةِ بِهَا قَدْ زَالَ .  
وَرَبَّمَا كَانَ التَّشْبِيهُ فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ وَلَا يَتَقَيَّدُ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ . وَإِنَّمَا  
يَكُونُ بَعْضُهَا مَضْمُومًا إِلَى الْبَعْضِ وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا مُنْفَرِدٌ بِنَفْسِهِ

كَقَوْلِكَ : زَيْدٌ كَأَلَسَدٍ بَأْسًا وَالْبَجَرُ جُودًا وَالسِّيفُ مَضَاءٌ وَالْبَذَرُ بَهَاءٌ .  
وَكَقَوْلِكَ : هُوَ يَصْفُو وَيَكْدُرُ وَيَحْلُو وَيُورِي . وَلَهُ خَاصَّتَانِ ( إِحْدَاهُمَا )  
أَنَّهُ لَا يَجِبُ فِيهِ التَّرْتِيبُ . ( وَالثَّانِيَةُ ) إِذَا أُسْقِطَ الْبَعْضُ لَا يَتَغَيَّرُ  
حُكْمُ الْبَاقِي . وَمِنْهُ قَوْلُ أَمْرِئِ الْقَيْسِ :  
كَانَ قُلُوبُ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَا إِيسَى لَدَى وَكْرِهَا الْعُنَابُ وَالْحَشَفُ الْبَالِي  
وَفِيهِ نَظَرٌ

### البحث التاسع عشر

### في التشابه المستعملة عند العرب

( من كتاب الصناعتين للعسكري وعن البدييات )

أَمَّا الطَّرِيقَةُ الْمَسْلُوكَةُ فِي التَّشْبِيهِ وَالتَّفْخِيمِ الْقَاصِدُ فِي التَّنْصِيلِ  
عَنِ الْقِدَمَاءِ وَالْمُخَدِّثِينَ فَتَشْبِيهُ الْجَوَادِ بِالْبَجَرِ وَالطَّيْرِ . وَالشُّجَاعِ بِالْأَسَدِ .  
وَالْحَسَنِ بِالسَّمْسِ وَالْقَمَرِ . وَالْفَهْمَ الْمَاضِي بِالسِّيفِ . وَالْعَالِي الرَّتَبَةَ  
بِالنَّجْمِ . وَالْخَلِيمَ الرَّزِينَ بِالْجَبَلِ . وَالْحَيَّ بِالْكَرِّ . ثُمَّ يُشَبِّهُونَ اللَّيْمَ  
بِالْكَلْبِ . وَالْجَبَانَ بِالصَّفَرِ . وَالطَّائِشَ بِالْفَرَّاشِ . وَالذَّلِيلَ بِالْقَدِّ  
وَالنَّعْلَ . وَالتَّفْعَ بِالْوَدِّ . وَالْقَاسِيَّ بِالْحَدِيدِ وَالصَّخْرَ . وَالتَّلِيدَ بِالْجَمَادِ .  
وَشَهْرَ قَوْمٍ بِخَصَالِ مُحَمَّدَةٍ فَصَارُوا فِيهَا أَغْلَامًا فَجَرَوْا وَجَرَى مَا قَدَّمَاهُ  
كَالسَّمْوَلِ فِي الْوَقْفِ . وَحَاتِمٍ فِي السَّخَاءِ . وَالْأَخْفِ فِي الْخِلْمِ . وَصَحْبَانَ  
فِي الْبَلَاغَةِ . وَقُسٍ فِي الْخَطَابَةِ . وَلُثْمَانَ فِي الْحِكْمَةِ . وَشَهْرَ  
آخَرُونَ بِأَضْدَادِ هَذِهِ الْخِصَالِ فَشَبَّهَ بِهِمْ فِي حَالِ الذَّمِّ كَقَوْلِ فِي  
الْعَمَى . وَهَبَّتَهُ فِي الْحَقِّ . وَالْكُسْبَى فِي التَّدَامَةِ . وَمَادِرٍ فِي الْبُخْلِ

وَالْتَّشْيِيهِ يَرِيدُ الْمَعْنَى وَضُوحًا وَيُكْسِبُهُ تَأْكِيدًا . وَقَدْ يَأْتِي تَارَةً  
لِيَبَانَ إِسْكَانُ وَجُودِ الشَّيْءِ عِنْدَ ادِّعَاءِ مَا لَا يَكُونُ اِمْكَانُهُ بَيِّنًا .  
كَقَوْلِ الْمُتَشَبِّهِ :

فَإِنْ تَفَقَّ الْأَنَامَ وَأَنْتَ مِنْهُمْ فَإِنَّ أَلْسِنَكَ بَعْضُ دَمِ الْفَزَالِ  
وَيَكُونُ لِيَبَانَ مِقْدَارِ الشَّيْءِ كَمَا إِذَا حَاوَلْتَ تَفْقِي الْقَائِدَةِ مِنْ  
فَعْلٍ أَلَا إِنْسَانَ قُلْتَ : هُوَ كَالْقَابِضِ عَلَى أَلْمَاءِ . وَقَدْ أَطْبَقَ جَمِيعُ الْمُتَكَلِّمِينَ  
مِنَ الْعَرَبِ وَالْجَمِّ عَلَى قَوَائِدِ التَّشْيِيهِ . وَلَمْ يَسْتَعْنِ أَحَدٌ مِنْهُمْ  
عَنهُ . وَقَدْ جَاءَ عَنِ الْقُدَمَاءِ وَأَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ مِنْ كُلِّ جِيلٍ مَا يُسْتَدَلُّ  
بِهِ عَلَى شَرَفِهِ وَفُضْلِهِ وَمَوْقِعِهِ مِنَ الْبَلَاغَةِ يَكُلُّ لِسَانٌ . مِنْ ذَلِكَ مَا  
قَالَ صَاحِبُ كَلِيلَةِ وَدِمْنَةٍ : الدُّنْيَا كَالْمَاءِ كُلَّمَا أَزْدَدْتَ مِنْهُ شُرْبًا  
أَزْدَدْتَ مِنْهُ عَطَشًا . وَقَالَ : صُحْبَةُ الْأَشْرَارِ تُورِثُ الشَّرَّ كَالزَّمْجِ إِذَا  
مَرَّتْ عَلَى أَلْسِنَتِكَ لَمْ تَنْتَ . وَإِذَا مَرَّتْ عَلَى الطَّيِّبِ حَمَلَتْ طَيِّبًا .  
وَقَالَ : مَنْ أَنْعَمَ لِمَنْ لَا يَشْكُرُ كَانَ كَمَنْ نَثَرَ بَذْرَهُ فِي السِّبَاخِ .  
وَقَدْ نَظَّمْتُ هَذَا الْمَعْنَى :

أَلَا إِنَّمَا التَّعْنَى مُجَازَى بِمِثْلِهَا إِذَا كَانَ مُسْدَاها إِلَى مَا جِدَّ حَرِي  
فَإِمَّا إِذَا كَانَتْ إِلَى غَيْرِ مَا جِدَّ فَقَدْ ذَهَبَتْ فِي غَيْرِ حِدٍّ وَلَا شَكْرٍ  
إِذَا أَلْمَزَّ أَلْفَى فِي السِّبَاخِ بُذُورَهُ أَضَاعَ فَلَمْ يَرْجِعْ بِزَرْعٍ وَلَا بِبَذْرِ  
وَقَالَ أَيْضًا : لَا يَخْفَى فَضْلُ ذِي الْعِلْمِ وَإِنْ أَخْفَاهُ كَأَلْسِنِكَ  
يُجِبُّ وَيُسَرِّحُ لَمْ يَمْنَعْ ذَلِكَ رَاحَتَهُ أَنْ تَفُوحَ . أَخَذَهُ الصَّاحِبُ فَكَتَبَ :  
أَنْتَ آدَامَ اللَّهُ عَزَّكَ . وَإِنْ طَوَيْتَ عَنَّا خَيْرَكَ . وَجَعَلْتَ وَطَنَكَ وَطَرَكَ .



فَأَنْبَأُكَ تَأْتِيًا كَمَا وَشَى بِأَنْسِكَ رِيَاهُ . وَنَمَّ عَلَى الصَّاحِ مُحْيَاهُ .  
وَقَالَ : الرَّجُلُ ذُو الْمَرْوَةِ يُكْرَمُ عَلَى غَيْرِ مَالٍ . كَالْأَسَدِ يَهَابُ وَإِنْ  
كَانَ رَابِضًا . وَالرَّجُلُ الَّذِي لَا مَرْوَةَ لَهُ يُهَانَ وَإِنْ كَانَ غَنِيًّا .  
كَالْكَلْبِ يَهُونُ عَلَى النَّاسِ وَإِنْ طُوقَ . وَقَالَ : لَا يَجِبُ لِلْمُذْنِبِ  
أَنْ يُفْحَصَ عَنْ أَمْرِهِ لِقَبْحِ مَا يَنْكَشِفُ مِنْهُ كَالشَّيْءِ الَّذِي كَلَّمَا أُثِيرَ  
أَزْدَادَ نَتَنًا . وَقَالَ أَيْضًا : مَنْ يَضَعِ الْمَعْرُوفَ لِجَائِلِ الْجَزَاءِ فَهُوَ  
كَمُلْتِي الْحَبِّ لِلطَّيْرِ لَا لِيَنْفَعَهَا بَلْ لِيَصِيدَهَا بِهِ . وَقَالَ أَيْضًا : أَلْمَالُ إِذَا  
اجْتَمَعَ وَلَمْ يُصْرَفْ فِي الْحَقِّوُقِ أَسْرَعَ إِلَيْهِ الْهَلَاكُ مِنْ كُلِّ وَجْهِ كَالْمَاءِ  
إِذَا اجْتَمَعَ فِي مَوْضِعٍ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ طَرِيقٌ إِلَى التَّفْوِذِ تَجَرَّ مِنْ جَوَانِبِهِ  
فَضَاعَ . وَقَالَ أَيْضًا : يَبْقَى الصَّالِحُ مِنَ الرِّجَالِ صَالِحًا حَتَّى يَصَاحِبَ  
فَاسِدًا فَإِذَا صَاحَبَهُ فَسَدَ وَمِثْلُ مِيَاهِ الْأَنْهَارِ تَكُونُ عَذْبَةً حَتَّى تُخَالِطَ  
مَاءَ الْبَحْرِ فَإِذَا خَالَطَتْهُ مَلَحَتْ . وَمِنْ التَّشَايِهِ الْحَسَنَةِ قَوْلُ جَعْفَرِ بْنِ  
مُحَمَّدٍ : الْأَدَبُ عِنْدَ الْأَحْمَقِ كَالْمَاءِ الْعَذْبِ فِي أُصُولِ الْخَنْظَلِ كُلَّمَا  
أَزْدَادَ رِيًّا أَزْدَادَ مَرَارَةً . وَمِنْ التَّشَايِهِ الشَّرْعِيَّةِ الْبَدِيعَةِ قَوْلُ لَيْسٍ :  
وَمَا أَلْمَرُ إِلَّا كَالشَّهَابِ وَضَوْوُهُ يَحُورُ رَمَادًا بَعْدَ إِذْ هُوَ سَاطِعٌ  
وَمَا أَلْمَالُ وَالْأَهْلُونَ إِلَّا وَدِيعَةٌ وَلَا بَدَأَ يَوْمًا أَنْ تُرَدَّ الْوَدَائِعُ  
ثُمَّ قَالَ :

وَأَصْبَحْتُ مِثْلَ السِّيفِ أَخْلَقَ جَفْنُهُ تَعَادُمُ عَهْدِ الْقَتِينِ وَالنَّضْلُ قَاطِعُ  
وَكَقَوْلِ مَالِجِ بْنِ جَنَاحٍ الْعَبْسِيِّ :  
أَلَا إِنَّمَا الْإِنْسَانُ غَمْدٌ لِقَلْبِهِ وَلَا خَيْرَ فِي غَمْدٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ نَضْلُ

وَقَالَ مُتَمِّمٌ :

وَبَعْضُ الزَّجَالِ نَحْلَةٌ لَاجَتِي لَهَا      وَلَا ظِلَّ إِلَّا أَنْ يُعَدَّ مِنَ النَّحْلِ  
وَقَالَ الْأَخْطَلُ النَّصْرَانِيُّ :

وَإِذَا أَفْتَقَرْتَ إِلَى الذَّخَائِرِ لَمْ تَجِدْ      ذُخْرًا يَكُونُ كَصَالِحِ الْأَعْمَالِ  
وَكَقَوْلِ النَّابِغَةِ فِي النُّعْمَانِ :

فَإِنَّكَ شَسْ شَسْ وَالْأَنَامُ كَوَاكِبُ      إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهُنَّ كَوَكَبُ  
وَمَنْ بَدِيعِ تَشَابِيهِ الْمُخْدَعِينَ قَوْلُ مُسْلِمِ بْنِ الْوَلِيدِ :

وَإِنِّي وَإِسْمَاعِيلُ يَوْمَ ودَاعِهِ      فَكَأَلِغْدُ يَوْمِ الرُّوعِ فَارَقَهُ النَّضْلُ  
وَكَقَوْلِ بَدِيعِ الزَّمَانِ الْهَمْدَانِيِّ :

قَدْ كَادَ يَحْكِيكَ صَوْبُ الْقَيْثِ مُنْسَكِبًا

لَوْ كَانَ طَلَقَ الْحَيَا يُطِرُ الذَّهَبَا

وَالدَّهْرُ لَوْ لَمْ يَحْنُ وَالشَّمْسُ لَوْ قَطَقَتْ

وَاللَّيْلُ لَوْ لَمْ يُصَدِّ وَالْبَحْرُ لَوْ عَذَّبَا

وَاللَّمْتَنِي فِي وَصْفِ ظِلِّي :

أَغْنَاهُ حُسْنُ الْجِيدِ عَنْ لُبْسِ الْخَلِي      وَعَادَةُ الْعَرِيِّ عَنِ التَّفَضُّلِ

كَأَنَّهُ مُصَمِّحٌ بِصَدَلِ

وَكَقَوْلِهِ فِي سُرْعَةِ الْأَوْبَةِ وَتَقْلِيلِ اللَّبَثِ :

وَمَا أَنَا غَيْرُ سَهْمٍ فِي هَوَاءٍ      يَعُودُ وَلَمْ يَجِدْ فِيهِ أَمْتَسَاكًا

وَلَهُ قَوْلُهُ :

وَأَنْتَ حُسَامُ أَمْلِكِ وَاللَّهُ ضَارِبُ      وَأَنْتَ لَوَاءُ الدِّينِ وَاللَّهُ عَاقِدُ

وَلَهُ أَيْضًا وَهُوَ مِنْ جِنْسِ الْأَبْدَاعِ :

مَلِكٌ سِنَانُ قَنَاقَتِهِ وَبَنَانُهُ      يَتَّبَارِيَانِ دَمًا وَعَرَفًا سَاكِبًا  
كَأَلْبَدْرِ مِنْ حَيْثُ أَلْتَفَتْ رَأْيَتَهُ      يُهْدِي إِلَى عَيْتِكَ نُورًا ثَاوِبًا  
كَالشَّمْسِ فِي كَيْدِ السَّمَاءِ وَغَوْثُهَا      يَغْشَى أَلْبِلَادَ مَشَارِقًا وَمَغَارِبًا  
كَالنَّجْمِ يَقْدُفُ لِلْقَرِيبِ جَوَاهِرًا      جُودًا وَيَبْعَثُ لِلْبَعِيدِ سَحَابًا  
وَكَثِيرًا مَا يَتَلَطَّفُ الشُّعْرَاءُ بِالنَّشِيبِ      فَيُشَبِّهُونَ الشَّيْءَ الْوَاحِدَ  
بِشَيْئَيْنِ وَثَلَاثَةً . وَرَبَّمَا شَبَّهُوا شَيْئَيْنِ بِشَيْئَيْنِ وَثَلَاثَةً بِثَلَاثَةٍ وَآرَبَعَةً  
بِآرَبَعَةٍ . وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ أَمْرِئِ الْقَيْسِ فِي الْفَرَسِ :

لَهُ أَیْطَلَا ظَنِّي وَسَاقًا نَعَامَةً      وَإِرْحَاءًا سِرْحَانٍ وَتَقْرِيبُ تَنْفُلٍ  
وَكَقَوْلُ بَشَّارِ بْنِ بُرْدٍ :

كَأَنَّ مُثَارَ النَّعَمِ فَوْقَ رُؤُوسِنَا      وَأَسْيَافَنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبُهُ  
وَلِإِذْنِ الْمَعْرِ فِي تَشْبِيهِ حُبَابِ الرِّيحِ :  
يَجُولُ حُبَابُ الرِّيحِ فِي جَنَابَتِهَا      كَمَا جَالَ دَمْعٌ فَوْقَ خَدِّ مُورَدٍ  
وَلَاخِرَ قَدْ شَبَّهَ أَرْبَعَةَ أَشْيَاءَ بِآرَبَعَةٍ :

لِلَّهِ طَرَسٌ عَنْ سَطُورٍ جَادَهَا مَ      الْفِكْرُ السَّلِيمُ بِصُوبٍ مِنْكَ أَذْقَرُ  
فَكَأَنَّمَا هُوَ رَوْضَةٌ أَوْ جَدُولٌ      أَوْ سِمْطٌ ذَرٌّ أَوْ قِلَادَةٌ غَنَبَرُ  
وَمِنْ أَنْوَاعِ التَّشْبِيهِ التَّمْثِيلُ وَهُوَ الَّذِي يَكُونُ تَشْبِيهًُا وَاحِدًا  
مُقَيَّدًا بِقِيُودٍ وَيُظَنُّ أَنَّهَا تَشْبِيهَاتٌ مُجْمُوعَةٌ كَقَوْلِهِ :

كَأَنَّ أَبْرَقَتْ قَوْمًا عَطَاشًا غَمَامَةً      فَلَمَّا رَجَوْهَا أَفْشَعَتْ وَجَبَاتٍ  
فَإِنَّ مُجَرَّدَ قَوْلِهِ : أَبْرَقَتْ قَوْمًا عَطَاشًا غَمَامَةً لَيْسَ تَشْبِيهًُا مُسْتَقِلًّا

بِذَاتِهِ . لِأَنَّ مَقْصُودَ الشَّاعِرِ أَنْ يَصِفَ أَتِّدَاءَ مُطْعِمٍ آدَى إِلَى أَنْتِهَاءِ  
مُؤَيِّسٍ . وَذَلِكَ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِجُمْلَةٍ فَإِنَّ تَأْدِيَةَ الشَّيْءِ إِلَى غَيْرِهِ حُكْمٌ  
زَائِدٌ عَلَى ذَاتِهِ

وَأَعْلَمُ أَنَّ مِنَ التَّشْبِيهِ ضَرْبًا يُسَمَّى الطَّرْدَ وَالْعَكْسَ . وَهُوَ أَنْ يُجْعَلَ  
الْمُشَبَّهُ بِهِ مُشَبَّهًا وَالْمُشَبَّهَ شَبَّهًا بِهِ . وَبَعْضُهُمْ يُسَمِّيهِ : غَلَبَةَ الْفُرُوعِ عَلَى  
الْأَصُولِ . وَلَا يَجُودُ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ إِلَّا وَالْفَرَضُ بِهِ الْمُبَالَغَةُ . كَقَوْلِ الشَّاعِرِ :  
وَبَدَأَ الصَّبَاحُ كَانَ غُرَّتُهُ وَجْهَ الْخَلِيفَةِ حِينَ يُمْتَدِّحُ  
فَجَعَلَ الْأَصْلَ فُرْعًا وَالْفُرْعَ أَصْلًا . وَهَذَا أَبْلَغُ وَأَحْسَنُ وَأَمْدَحُ  
مِنْ تَشْبِيهِ أَلْوَجْهِ بِالصَّبَاحِ . لِأَنَّ تَشْبِيهِ أَلْوَجْهِ بِالصَّبَاحِ أَصْلٌ مُتَقَرِّقٌ  
عَلَيْهِ لَا يُنْكَرُ وَلَا يُسْتَنْكَرُ . وَإِنَّمَا الَّذِي يُسْتَنْكَرُ تَشْبِيهِ الصَّبَاحِ  
بِأَلْوَجْهِ

### البحث العشرون

#### في معايب التشبيه

( من المثل السائر لابن الاثير باختصار وتصرف )

وَإِذَا ذُكِرْنَا أَقْسَامَ التَّشْبِيهِ وَبَيَّنَّا الْحُدُودَ مِنْهَا الَّذِي يَنْبَغِي إِقْتِفَاءُ  
آثَرِهِ وَاتِّبَاعُ مَذْهَبِهِ فَلَنُتَبِعْهُ بِضِدِّهِ بِمَا يَنْبَغِي اجْتِنَابُهُ وَالْأَضْرَابُ عَنْهُ .  
عَلَى أَنَّهُ قَدْ قَدَّمَ الْقَوْلَ بِأَنَّ حَدَّ التَّشْبِيهِ هُوَ أَنْ يُثَبَّتَ لِلْمُشَبَّهِ  
حُكْمٌ مِنْ أَحْكَامِ الْمُشَبَّهِ بِهِ . فَإِذَا لَمْ يَكُنْ بِهَذِهِ الصِّفَةِ أَوْ كَانَ  
بَيْنَ الْمُشَبَّهِ وَالْمُشَبَّهِ بِهِ بَعْدٌ فَذَلِكَ الَّذِي يُطْرَحُ وَلَا يُسْتَعْمَلُ . وَالَّذِي  
يُردُّ مِنْهُ مُضَرَّرَ الْأَدَاةِ لَا يَكُونُ إِلَّا فِي التَّوَسُّعِ . كَقَوْلِ أَبِي نَوَاسٍ :

مَا لِرَجُلٍ أَلْمَالِ أَمَسَتْ تَشْتَكِي مِنْكَ الْكَلاَلَا  
فَجَعَلَ لِلْمَالِ رَجُلًا وَذَلِكَ تَشْبِيهٌُ بَعِيدٌ. وَمِنْ أَقْبَحِ مَا سَمِعْتُهُ مِنْ  
ذَلِكَ قَوْلُ أَبِي تَمَّامٍ :

وَتَعْلَمُ النَّاسُ السَّخَاءَ مُجْزَأً وَذَهَبَتْ أَنْتَ بِرَأْسِهِ وَسَنَامِهِ  
وَتَرَكْتَ لِلنَّاسِ الْإِهَابَ وَمَا بَقِيَ مِنْ فَرْثِهِ وَعُرُوقِهِ وَعِظَامِهِ  
وَالْقُبْحُ أَفْجَحُ فِي أَلْبَيْتِ الثَّانِي وَكُلُّ هَذَا التَّعَسُّفُ فِي التَّشْبِيهِ  
أَلْبَعِيدُ دَنْدَةٌ حَوْلَ مَعْنَى لَيْسَ بِطَائِلٍ. فَإِنَّ غَرَضَهُ أَنْ يَقُولَ: ذَهَبَتْ  
بِالْأَعْلَى وَتَرَكْتَ لِلنَّاسِ الْأَدْنَى. أَوْ: ذَهَبَتْ بِالْحَيْدِ وَتَرَكْتَ لِلنَّاسِ الرَّدِيءَ.  
وَأَمَّا (التَّشْبِيهُُ الْمَظْهَرُ الْأَدَاةُ) فَهَذِهِ أَمْثَالُ أَوْرَدْتُهَا لِتَسْتَدِلَّ بِهَا عَلَى  
أَشْبَاهِهِ فَإِنَّ لِدِكْرِ أَلْمَالِ فَائِدَةً لَا تَكُونُ لِدِكْرِ الْحَدِّ وَحْدَهُ. فَمِنْ  
ذَلِكَ قَوْلُ بَعْضِهِمْ :

لَا حَاجَتِكَ الشَّيْبُ حَتَّى كَانَهُ ظَبَاءُ جَرَتْ مِنْهَا سَانِجٌ وَبَارِحٌ  
وَكَذَلِكَ قَوْلُ الْآخِرِ يَصِفُ السَّهَامَ فَشَبَّهَا بِأَعْنَاقِ الظُّبَاءِ.  
وَذَلِكَ مِنْ أَعْيَدِ التَّشْبِيهَاتِ :

كَسَاهَا رَطِيبُ الرِّيشِ فَأَعْدَلَتْ لَهُ قِدَاحُ كَأَعْنَاقِ الظُّبَاءِ الْقَوَارِقِ  
وَعَلَى نَحْوِ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الْفَرَزْدَقِ :

يَمْشُونَ فِي حَلْقِ الْحَدِيدِ كَمَا مَشَتْ جُوبُ الْجَمَالِ بِهَا الْكَيْلُ الْمُشْعَلُ  
فَشَبَّ الرِّجَالُ فِي دُرُوعِ الزَّرْدِ بِالْجَمَالِ الْخَرِبِ. وَهَذَا مِنْ التَّشْبِيهِ  
أَلْبَعِيدِ السَّخِيفِ فَضْلًا عَنْ أَنْ لَا مُقَارَبَةَ بَيْنَهُمَا فِي اللَّوْنِ. وَمِنْ التَّشْبِيهَاتِ  
الْبَارِدَةِ قَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّي :

وَجَرَى عَلَى الْوَرَقِ الْجَمِيعُ الْقَائِي فَكَأَنَّهُ النَّارُ تَنُجُّ فِي الْأَغْصَانِ  
وَهَذَا تَشْبِيهُ يُكْرَهُ أَهْلُ الْجَمِيمِ . وَقَدْ عَدُّوا مِنْ التَّشَابُهِ أَلَّتِي  
هِيَ غَيْرُ بَلِيغَةٍ قَوْلَ الشَّاعِرِ فِي وَصْفِ الرُّوضِ :

كَانَ شَقَائِقَ النُّعْمَانِ فِيهِ ثِيَابٌ قَدْ رَوَيْنَ مِنَ الدِّمَاءِ  
فَهَذَا وَإِنْ كَانَ تَشْبِيهًا مُضِيئًا فَإِنَّ فِيهِ بَشَاعَةً كَثْرَةُ الدِّمَاءِ  
أَلَّتِي تَعَاثُ الْإِنْسُ الْلَطِيفَةُ رُوِيَتْهَا . وَفِي أَقْوَالِ الْعَرَبِ تَشَابُهِ  
تَجْمُهَا الْأَذْوَانُ الصَّحِيحَةِ وَتَنْفَرُ مِنْهَا الطَّلَاعُ السَّلِيمَةُ . فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ  
النَّابِغَةِ وَقَدْ عَابَهُ الْأَصْمَعِيُّ بَيْنَ يَدَيِ الرَّشِيدِ :

ظَرَّتْ إِلَيْكَ بِحَاجَةٍ لَمْ تَقْضِهَا ظَهَرَ الْمَرِيضُ إِلَى وَجْهِ الْعُودِ  
قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : قَدْ يُكْرَهُ تَشْبِيهُ الْمَدُوحِ بِالْمَرِيضِ . وَمِثْلُهُ  
قَوْلُ أَبِي مَخْجَرٍ الْقُتَيْبِيِّ فِي قَبْتِهِ :

وَرُجِعَ الْعُودُ أَحْيَاءًا وَتَحَفَّظَهُ كَمَا يَطِيرُ ذُبَابُ الرُّوضَةِ الْغَرْدُ  
فَإِنَّ الْقَبْتَةَ لَمْ تَرْضَ أَنْ تُشَبَّهَ نَفْسَهَا بِالذُّبَابِ . وَلِذَلِكَ رَغِبَ  
الْمَوْلِدُونَ عَنْ تَشَابُهِ الْعَرَبِ لِأَنَّهُمَا مَعَ عَقَادَةِ التَّرْكِيبِ لَمْ تُسْفِرْ عَنْ  
كَبِيرٍ أَمْرٍ فَحَافُوا فِي كَثِيرٍ مِنَ الشِّعْرِ إِلَى مَا هُوَ أَلْيَقُ بِالْوَقْتِ  
وَأَمْسُ بِأَهْلِهِ



## البحث الحادي والعشرون

### في المذهب الكلاسي

( من شرح بديعة العيان لابن جابر الاندلسي باختصار )

( راجع صفحة ٢٨ من علم الادب )

الْمَذْهَبُ الْكَلَامِيُّ عِنْدَ أَهْلِ الْيَمَانِ هُوَ إِيرَادُ حُجَّةٍ لِلْمَطْلُوبِ  
عَلَى طَرِيقَةِ أَهْلِ الْكَلَامِ . وَهُوَ أَنْ يَكُونَ بَعْدَ تَسْلِيمِ الْقَدَمَاتِ  
مُقَدِّمَةً مُسْتَلْزَمَةً لِلْمَطْلُوبِ . وَقِيلَ : هُوَ أَنْ يَأْتِيَ الْيَلْبِغُ فِي صِحَّةِ  
دَعْوَاهُ وَابْطَالِ دَعْوَى خَصْمِهِ بِحُجَّةٍ قَاطِعَةٍ عَقْلِيَّةٍ تَصَحُّ نِسْبَتُهَا إِلَى  
عِلْمِ الْكَلَامِ . إِذْ عِلْمُ الْكَلَامِ عِبَارَةٌ عَنْ إِثْبَاتِ أَصُولِ الدِّينِ  
بِالْبَرَاهِينِ الْعَقْلِيَّةِ الْقَاطِعَةِ . وَمِنْ أَوْضَحِ الشَّوَاهِدِ فِي هَذَا التَّنَوُّعِ  
قَوْلُ الْقُرْآنِ : لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا .  
فَهَذَا دَلِيلٌ قَاطِعٌ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ جَلَّ جَلَالُهُ . وَقَامُ الدَّلِيلِ أَنْ تَقُولَ  
لَكِنَّمَا لَمْ تَفْسُدَا فَلَيْسَ إِذَا فِيهِمَا آلِهَةٌ غَيْرُ اللَّهِ . وَمِنْ آدِثَلِهِ هَذَا  
أَلْبَابُ قَوْلِ أَغْرَابِيٍّ لِرَجُلٍ : إِنِّي لَمْ أَرِدْ وَجْهِي عَنْ الْطَّلَبِ إِلَيْكَ  
فَضُنُّ نَفْسِكَ عَنْ رَدِّي وَضَعْنِي مِنْ كَرَمِكَ بِحَيْثُ وَضَعْتَ نَفْسِي وَنَ  
رَجَائِكَ . وَمِنْهُ قَوْلُ النَّابِغَةِ يَعْتَدِرُ إِلَى الثُّعْمَانِ :

حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيَّةً      وَلَيْسَ وَرَاءَ اللَّهِ لِلْمَرْءِ مَذْهَبُ  
لَيْتَ كُنْتُ قَدْ بُلِغْتَ عَنِّي خِيَانَةً      لَمْلَمْتُكَ الْوَأْيِي أَغْشُ وَأَكْذَبُ  
وَلَكِنِّي كُنْتُ أَمْرًا لِي جَانِبُ      مِنْ الْأَرْضِ فِيهِ مُسْتَرَادٌ وَمَذْهَبُ

مُلُوكُ وَإِخْوَانُ إِذَا مَا مَدَحْتَهُمْ أَحْكَمُ فِي أَمَوَالِهِمْ وَأَقْرَبُ  
كَفَيْكَ فِي قَوْمٍ أَرَاكَ أَصْطَنَعْتَهُمْ فَلَمْ تَرَهُمْ فِي مَدْحِهِمْ لَكَ أَذْنُبُوا  
يَقُولُ لِهَذَا أَلَمَّا : أَنْتَ أَحْسَنْتَ إِلَى قَوْمٍ فَمَدَحُوكَ . وَأَنَا  
أَحْسَنَ إِلَى قَوْمٍ فَمَدَحْتَهُمْ . فَكَمَا أَنَّ مَدْحَ مَنْ أَحْسَنْتَ إِلَيْهِ لَكَ  
لَا يُعَدُّ ذَنْبًا فَكَذَا مَدْحِي لِمَنْ أَحْسَنَ إِلَيَّ لَا يُعَدُّ ذَنْبًا . قَالَ ابْنُ أَبِي  
الْأَضْعَغِ : وَمِنْ شَوَاهِدِ هَذَا أَلْبَابِ قَوْلُ الْفَرَزْدَقِ :

لِكُلِّ أَمْرٍ نَفْسَانِ نَفْسٌ كَرِيمَةٌ وَنَفْسٌ يُعَاصِيهَا الْفَتَى وَيُطِيعُهَا  
وَنَفْسُكَ مِنْ نَفْسَيْكَ تَشْفَعُ لِلنَّدَى إِذَا قُلَّ مِنْ أَحْرَارِهِنَّ شَفِيعُهَا  
يَقُولُ : لِكُلِّ إِنْسَانٍ نَفْسٌ مُطِئْتُهُ تَأْمُرُ بِالْخَيْرِ . وَنَفْسٌ أَمَارَةٌ  
تَأْمُرُ بِالسُّوءِ . وَالْإِنْسَانُ يُعَاصِي الْأَمَارَةَ مَرَّةً وَيُطِيعُهَا أُخْرَى . وَأَنْتَ  
إِذَا أَمَرْتِكَ الْأَمَارَةُ بِتِلْكَ النَّدَى شَفَعْتَ الْمُطِئْتُهُ إِلَيْهَا فِي النَّدَى  
فِي الْحَالَةِ الَّتِي يَقُلُّ فِيهَا الشَّفِيعُ فِي النَّدَى مِنَ النَّفُوسِ . فَأَنْتَ  
أَكْرَمُ النَّاسِ

وَأَعْلَمُ أَنَّ قِيَاسَ الْمَذْهَبِ الْكَلَامِيِّ إِمَّا حَلِيٌّ . وَإِمَّا شَرْطِيٌّ .  
فَالْقِيَاسَةُ الْحَلِيَّةُ قَدْ اسْتَبْطُوهَا عَلَى صُورٍ : وَبِهَا مَا يُرَوَى أَنَّ أَبَا دُؤْلَفَ  
قَصَدَهُ شَاعِرٌ تَمِيسِيٌّ . فَقَالَ لَهُ : يَمُنُّ أَنْتَ . فَقَالَ مِنْ نَعِيمٍ . فَقَالَ  
أَبُو دُؤْلَفَ :

نَعِيمٌ بِطَرَقِ اللُّؤْمِ أَهْدَى مِنْ أَلْطَا وَلَوْ سَلَكَتْ سُبُلَ الْهُدَايَةِ ضَلَّتْ  
فَقَالَ لَهُ التَّمِيسِيُّ : نَعَمْ بِتِلْكَ الْهُدَايَةِ جِئْتُ إِلَيْكَ . فَأَنَحَّمَهُ بِدَلِيلٍ  
حَلِيٍّ الزَّوْمَ فِيهِ أَنَّ الْحَيَّ إِلَيْهِ ضَلَّالٌ . وَلَعَمْرِي إِنَّ الْقِيَاسَ الشَّرْطِيَّ



أَوْضَحُ دَلَالَةٍ فِي هَذَا الْبَابِ مِنْ غَيْرِهِ وَأَعَذَبُ فِي الذُّوقِ وَأَسْهَلُ  
فِي التَّزْكِيهِ . فَلَا نَهْجَةً وَاقِعَةً بَعْدَ ( لَوْ ) وَجَوَابَهَا . وَهَذِهِ الْجُمْلَةُ عَلَى  
أَصْطِلَاجِهِمْ مُقَدِّمَةٌ شَرْطِيَّةٌ مُتَّصِلَةٌ يُسْتَدَلُّ بِهَا عَلَى مَا تَقَدَّمَ مِنَ الْحُكْمِ  
كَمَا جَاءَ : لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ ( يُرِيدُ أُمُورَ الْآخِرَةِ ) لَصَحِّحْتُكُمْ  
قَلِيلًا وَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا . وَتَأَمُّ الدَّلِيلُ أَنْ يُقَالَ : لَكِنَّكُمْ ضَحَّيْتُمْ  
كَثِيرًا وَبَكَيْتُمْ قَلِيلًا فَلَمْ تَعْلَمُوا مَا أَعْلَمُ

وَلَقَدْ زَادُوا عَلَى هَذَيْنِ الْقِيَاسَيْنِ الْقِيَاسَ الْفِقْهِيَّ وَذَلِكَ أَنْ يُقَاسَ  
فَرَعٌ عَلَى أَصْلِ بِجَمْعٍ بَيْنَهُمَا فَيُلْزَمُ لِلتَّسَاوِي فِي الْحُكْمِ . كَمَا يُحْكَمُ  
أَنَّ الْوَلِيدَ قَالَ لِبَعْضِهِمْ : أُنْشِدْ مِنْ قَوْلِكَ فِي الْخَمْرِ . فَأَنْشَدَهُ :

كُمَيْتٍ إِذَا أُحْتِ وَفِي الْكَأْسِ وَرَدُّهَا

لَهَا فِي عِظَامِ الشَّارِبِينَ دَيْبُ

ثُرَيْكَ أَلْقَدَى مِنْ دُونِهَا وَهِيَ دُونُهُ

لَوْجِهِ أَخِيهَا فِي الْإِنَاءِ قُطُوبُ

فَقَالَ لَهُ الْوَلِيدُ : شَرِبْتُهَا وَرَبِّ الْكَعْبَةِ . فَقَالَ : لَيْنَ كَانَ

وَضَفِي لَهَا رَأْبُكَ لَقَدْ رَأَيْتِي مَعْرِفْتُكَ بِهَا . ( يَقُولُ ) : كَمَا أَنَّ مَعْرِفَتِي

بِوَضْفِهَا رَأْبُكَ كَذَلِكَ مَعْرِفْتُكَ بِهَا رَأْبَتِي



## الفصل الخامس

في محاسن الانشاء ومعانيه

### البحث الاول

في تميز الكلام جيده من رديئه ونادره من بارده

( عن كتاب الصناعتين للمصري باختصار )

( راجع صفحة ٥١ من علم الادب )

الْكَلَامُ آيَدُكَ اللَّهُ يُحْسِنُ بِسَلَاسَتِهِ وَسُهُولَتِهِ وَنَصَاعَتِهِ وَتَحْسِينِ  
لَفْظِهِ وَاصَابَةِ مَعْنَاهُ وَجُودَةِ مَقَاطِعِهِ وَلَيْنِ مَعَاطِفِهِ وَأَسْتِوَاءِ تَقَاسِيهِ  
وَتَعَادُلِ أَطْرَافِهِ وَتَشَبُّهِ أَنْجَازِهِ بِهَوَادِيهِ وَمُوَافَقَةِ مَا خَيْرِهِ لِمَبَادِيهِ مَعَ  
قَلَّةِ ضُرُورَاتِهِ بَلْ عَدَمِهَا أَصْلَاحًا حَتَّى لَا يَكُونَ لَهَا فِي الْأَلْفَاظِ آثَرٌ .  
فَتَجِدُ الْمَنْظُومَ مِثْلَ الْمَشُورِ فِي سُهُولَةِ مَطْلَعِهِ وَجُودَةِ مَقْطَعِهِ وَحُسْنِ  
رَضْفِهِ وَتَأْلِيْفِهِ وَكَمَالِ صَوْنِهِ وَتَرْكِيبِهِ . فَإِذَا كَانَ الْكَلَامُ كَذَلِكَ  
كَانَ بِالْقَبُولِ حَقِيقًا وَبِالتَّحْفِظِ خَلِيقًا كَقَوْلِ الْأَوَّلِ :

هُمْ الْأَوَّلَى وَهَبُوا لِلْجِدِّ أَنْفُسَهُمْ      فَمَا يُبَالُونَ مَا تَأَلَّوْا إِذَا جُحِدُوا  
وَقَوْلِ مَعْنِ بْنِ أَوْسٍ :

لَعَنُوكَ مَا أَهْدَيْتُ كَفِّي لِرَبِيَّةٍ      وَلَا حَمَلْتَنِي نَحْوَ فَاحِشَةٍ رِجْلِي  
وَلَا قَادَنِي سَمْعِي وَلَا بَصْرِي لَهَا      وَلَا دَلِّي رَأْيِي عَلَيْهَا وَلَا عَقْلِي  
وَأَعْلَمُ إِنِّي لَمْ تُصِْبْنِي مُصِيبَةٌ      مِنْ الدَّهْرِ إِلَّا قَدْ أَصَابَتْ فِتْنِي قَبْلِي

وَلَسْتُ بِمَاشٍ مَا حَيَّتْ لِنُكْرٍ      مِنْ الْأَمْرِ لَا يَمِشِي إِلَىٰ مِثْلِهِ مِثْلِي  
وَلَا مُؤَثِّرٍ نَفْسِي عَلَىٰ ذِي قَرَابَةٍ      وَأَوْثَرُ ضَيْفِي مَا أَقَامَ عَلَىٰ أَهْلِي  
وَقَوْلِ الْآخِرِ :

وَلَسْتُ بِنَظَّارٍ إِلَىٰ جَانِبِ الْغَنَىٰ      إِذَا كَانَتْ أَعْلَىٰ فِي جَانِبِ الْفَقْرِ  
وَقَالَ الْآخِرُ :

دَرِينِي أَسِيرٌ فِي أَلْبَادَ لَعَلِّي      أُصِيبُ غَنًى فِيهِ لَدَىٰ الْحَقِّ مُجْمَلُ  
فَإِنْ نَحْنُ لَمْ نَسْطِيعْ دَفَاعًا لِحَادِثِ      نَحْيِي بِهِ الْأَيَّامُ فَالْصَّبْرُ أَجْمَلُ  
أَلَيْسَ كَثِيرًا أَنْ تُلَمَّ مُلَمَّةٌ      وَلَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْحَقُّوقِ مُعَوَّلُ  
وَيَمَّا هُوَ فَصِيحٌ فِي لَفْظِهِ جَيِّدٌ      فِي رَصْفِهِ قَوْلُ الشَّنْفَرَىٰ :

أُطِيلُ وَطَالَ الْجُوعُ حَتَّىٰ أُمِيتُهُ      وَأَضْرِبُ عَنْهُ الْقَلْبَ صَحْفًا فَيَنْهَلُ  
وَلَوْ لَا اجْتِنَابُ الْعَالِمِ يُلْفَ مَشْرَبُ      يُعَاشُ بِهِ إِلَّا لَدَيَّْ وَمَا كُلُّ  
وَلَكِنَّ نَفْسًا مُرَّةً لَا تُقِيمُنِي      عَلَى الضَّمِيمِ إِلَّا رَيْثًا أَحْوَلُ  
وَقَوْلِ آخَرَ :

إِذَا أَنْتَ تَشْرَبُ مَرَارًا عَلَىٰ الْقَدَىٰ      ظَلِمْتَ وَآيُ النَّاسِ تَصْفُو مَسَارِبُهُ  
وَقَوْلِ الْآخِرِ :

وَمَا إِنْ قَتَلْنَاهُمْ بِأَكْثَرِ وَنَهُمُ      وَلَكِنْ بِأَوْفَىٰ لِلطَّعَانِ وَأَكْرَمَا  
وَقَوْلِ النَّابِغَةِ :

وَلَسْتُ بِمُسْتَبَقٍ أَحَا لَا تَلْمُهُ      عَلَى شَعَثِ آيِ الرِّجَالِ الْمُهَذَّبِ  
وَلَيْسَ لِهَذَا أَلْبَيْتِ نَظِيرٌ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ      وَقَالَ بَعْضُهُمْ : نَظِيرُهُ  
قَوْلُ أَوْسِ بْنِ حُجْرٍ :

وَكُنْتُ بِجَائِيٍّ أَبَدًا طَعَامًا حَذَارَ غَدٍ لِكُلِّ غَدٍ طَعَامٌ  
وَهَذَا وَإِنْ كَانَ ظَهْرُهُ فِي التَّأْلِيفِ فَلَا تَهْ دُونَهُ لِمَا تَكَرَّرَ فِيهِ مِنْ  
الْفُظْ غَدٍ . فَإِنْ كَانَ الْكَلَامُ قَدْ جَمَعَ الْعُدُوبَةَ وَالْجَزَالََّةَ وَالسُّهُوْلَةَ  
وَالرَّصَانَةَ مَعَ السَّلَاسَةِ وَالنَّصَاعَةِ . وَاشْتَمَلَ عَلَى الرُّونَقِ وَالطَّلَاوَةِ .  
وَسَلِمَ مِنْ سَخَفِ التَّأْلِيفِ . وَبَعْدَ مِنْ سَمَاجَةِ التَّزْكِيَةِ . وَرَدَّ عَلَى  
أَلْفِهِمُ الثَّقَابِ فَقِيلَ وَلَمْ يَرُدَّهُ . وَعَلَى السَّمْعِ الْمَصِيبِ اسْتَوْعَبَهُ وَلَمْ  
يَجْهَ . وَالنَّفْسُ تَقْبَلُ اللَّطِيفَ وَتَنْبُو عَنْ الْغَلِيظِ وَتَقْلُقُ مِنَ الْجَائِيِّ  
الْبَشْعِ . وَجَمِيعُ جَوَارِحِ الْبَدَنِ وَحَوَاسِهِ يَسْكُنُ إِلَى مَا يُوَاقِفُهُ وَيَنْفُرُ  
عَمَّا يُضَادُّهُ وَيُجَافِلُهُ . وَالْعَيْنُ تَأْتِي الْحَسَنَ وَتَقْذَى بِالْقَبِيحِ . وَالْأَنْفُ  
يَرْتَاحُ لِلطَّيِّبِ وَيَضُرُّ لِلْمُنْتَنِ . وَالْقَمَلُ يَلْتَذُّ بِالْحَلَوِ وَيَعُجُّ بِالْمُرِّ . وَالسَّمْعُ  
يَتَشَوَّقُ لِلصَّوَابِ الرَّائِعِ وَيَذْهَبُ عَنْ الْجَهْرِ الْهَائِلِ . وَالْأَيْدُ تَعْمُ  
بِالْيَتِيمِ وَتَتَأَدَّى بِالْحَشِينِ . وَالْقَلَمُ يَأْنَسُ مِنَ الْكَلَامِ بِالْمَعْرُوفِ  
وَيَسْكُنُ إِلَى الْمَأْلُوفِ وَيُضْغِي إِلَى الصَّوَابِ وَيَهْرَبُ مِنَ الْحَالِ وَيَنْقِضُ  
عَنِ الْوَجْهِ وَيَتَأَخَّرُ عَنْ الْجَائِيِ الْغَلِيظِ . وَلَا يَقْبَلُ الْكَلَامَ الْمَضْطَرَبَ  
إِلَّا أَلْفَهُمُ الْمَضْطَرَبُ وَالرَّوِيَّةُ الْقَاسِدَةُ . وَلَيْسَ الشَّانُ فِي إِيْرَادِ الْمَعَانِي  
لِأَنَّ الْمَعَانِي يَعْرِفُهَا الْعَرَبِيُّ وَالْعَجَمِيُّ وَالْقُرَوِيُّ وَالْبَدَوِيُّ وَإِنَّمَا هُوَ فِي  
جُودَةِ اللَّفْظِ وَصِفَانِهِ وَحُسْنِهِ وَبَهَائِهِ وَزَاهَتِهِ وَنَقَائِهِ وَكَثْرَةِ طَلَاوَتِهِ  
وَمَائِهِ مَعَ صِحَّةِ السَّبْكِ وَالتَّزْكِيَةِ وَالْحُلُوتِ مِنْ أَوْدِ النِّظَمِ وَالتَّأْلِيفِ  
وَلَيْسَ يُطْلَبُ مِنَ الْمَعْنَى إِلَّا أَنْ يَكُونَ صَوَابًا . وَلَا يُشْعُ مِنَ اللَّفْظِ  
بِذَلِكَ حَتَّى يَكُونَ عَلَى مَا وَصَفْنَاهُ مِنْ نُعُوتِهِ الَّتِي نَقَدَّمْتُ . إِلَّا تَرَى

إلى قول حبيب :

سُتَسْلِمَ لِلَّهِ سَائِسُ أُمَّةٍ بِذَوَى مُجْهَضِهَا لَهُ اسْتِسْلَامٌ  
فِيهِ صَوَابُ اللَّفْظِ وَلَيْسَ هُوَ بِحَسَنٍ وَلَا مَقْبُولٍ . وَمِنَ الدَّلِيلِ عَلَى  
أَن مَدَارَ الْبَلَاغَةِ عَلَى تَحْسِينِ اللَّفْظِ أَنَّ الْخُطْبَ الرَّائِعَةَ وَالْأَشْعَارَ الرَّائِعَةَ  
مَا عُمِلَتْ لِإِنْفَهَامِ أَلْمَعَانِي فَقَطْ لِأَنَّ الرَّدِيءَ مِنَ الْأَلْفَاظِ يَقُومُ مَقَامَ  
جَيِّدِهَا فِي الْإِنْفَهَامِ وَإِنَّمَا يَدُلُّ حُسْنُ الْكَلَامِ وَإِحْكَامُ صَنْعَتِهِ  
وَرَوْنُ الْفَظِّ وَجُودَةُ مَطَالِعِهِ وَحُسْنُ مَقَاطِعِهِ وَبَدِيعُ مَبَادِيهِ وَغَرِيبُ  
مَبَانِيهِ عَلَى فَضْلِ قَائِمِهِ وَفَهْمِ مُنْشِئِهِ . وَاصْكَرْ هَذِهِ الْأَوْصَافُ تَرْجِعُ  
إِلَى الْأَلْفَاظِ دُونَ أَلْمَعَانِي . وَتَوَحَّيْ صَوَابَ أَلْمَعَانِي أَحْسَنُ مِنْ تَوَحِّي  
هَذِهِ الْأُمُورِ فِي الْأَلْفَاظِ . فَلِهَذَا تَأْتِي الْكَاتِبُ فِي الرِّسَالَةِ وَالْخُطْبِ  
فِي الْخُطْبَةِ وَالشَّاعِرُ فِي الْقَصِيدَةِ وَهُمْ يَبْلُغُونَ فِي تَجْوِيدِهَا . وَيَبْلُغُونَ فِي  
تَرْتِيلِهَا لِيَسْدُلُوا عَلَى بَرَاعَتِهِمْ وَجَذْفِهِمْ بِصَنَاعَتِهِمْ . وَلَوْ كَانَ الْأَمْرُ فِي  
أَلْمَعَانِي لَطَرَحُوا أَكْثَرَ ذَلِكَ فَرَجَحُوا كَدًّا كَثِيرًا وَاسْقَطُوا عَنْ أَنْفُسِهِمْ  
تَعَبًا طَوِيلًا . وَلِهَذَا دَلِيلُ آخَرُ : أَنَّ الْكَلَامَ إِذَا كَانَ لَفْظُهُ حُلُوءًا عَذْبًا  
وَسَلِسًا سَهْلًا وَمَعْنَاهُ وَسَطًا دَخَلَ فِي جُمْلَةِ الْحَيِّدِ وَجَرَى مَعَ الرَّائِعِ النَّادِرِ  
كَقَوْلِ الشَّاعِرِ :

وَلَمَّا قَضَيْنَا مِنْ مَنَى كُلِّ حَاجَةٍ      وَمَسَّحَ بِالْأَزْكَانِ مَنْ هُوَ مَاسِحٌ  
وَشُدَّتْ عَلَى حُذْبِ أَلْمَهَارِيِّ رَحَائِنَا      وَلَمْ يَنْظُرِ الْقَادِي الَّذِي هُوَ رَاجِحٌ  
أَخَذَنَا بِأَطْرَافِ الْأَحَادِيثِ بَيْنَنَا      وَسَالَتْ بِأَعْنَاقِ الْمَطِيِّ الْأَبَاطِحُ  
وَلَيْسَ تَحْتَ هَذِهِ الْأَلْفَاظِ كَثِيرٌ مَعْنَى وَهِيَ رَائِعَةٌ مُخْبِتَةٌ . وَإِنَّمَا

هِيَ : وَلَمَّا قَضَيْنَا الْحَجَّ وَمَسَحْنَا الْأَرْكَانَ وَشَدَّتْ رِحَالُنَا عَلَى مَهَازِيلِ  
الْأَبْلِلِ وَلَمْ يَنْتَظِرْ بَعْضًا بَعْضًا جَعَلْنَا تَحَدُّثُ وَتَسِيرُ بِنَا الْأَبْلِلِ فِي  
بُطُونِ الْأَوْدِيَةِ . وَإِذَا كَانَ الْمَغْنَى صَوَابًا وَاللَّفْظُ بَارِدًا وَفَاتِرًا وَالْقَائِرُ  
شَرُّهُ مِنَ الْبَارِدِ كَانَ مُسْتَهْجَأًا مَلْفُوظًا وَمَذْمُومًا مَرْدُودًا . وَالْبَارِدُ مِنْ  
الشَّعْرِ كَقَوْلِ عُمَرَ بْنِ مَعْدِي كَرَبَ :

قَدْ عَلِمْتَ سَلَمِي وَجَارَاتِهَا مَا قَطَرَ الْفَارِسُ إِلَّا أَنَا  
شَكَتُ بِالزُّنْعِ رَإِيئُهُ وَلَخَيْلُ تَعْدُوزِيَا حَوْلَنَا  
وَقَوْلِ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ :

مَاتَ وَاللَّهِ سَعِيدُ بْنُ وَهَبٍ رَجِمَ اللَّهُ سَعِيدَ بْنَ وَهَبٍ  
يَا أَبَا عُثْمَانَ أَبَكَيْتَ عَيْنِي يَا أَبَا عُثْمَانَ أَوْجَعْتَ قَلْبِي  
وَلَا خَيْرَ فِي الْإِمَانِي إِذَا اسْتَكْرَمَتْ قَهْرًا وَفِي الْأَلْفَاطِ إِذَا جَرَتْ  
قَسْرًا . وَلَا خَيْرَ فِيمَا أُجِيدَ لَفْظُهُ إِذَا سَخِفَ مَعْنَاهُ . وَلَا فِي غَرَابَةِ الْمَغْنَى  
إِلَّا إِذَا شُرِفَ لَفْظُهُ مَعَ وَضُوحِ الْمَغْنَى وَظُهُورِ الْقَصْدِ . وَقَدْ غَلَبَ  
الْجَهْلُ عَلَى قَوْمٍ فَصَارُوا يَسْتَحْيِدُونَ الْكَلَامَ إِذَا لَمْ يَقْفُوا عَلَى مَعْنَاهُ  
بِكَلِّهِ وَيَسْتَفْصِحُونَهُ إِذَا وَجَدُوا الْفَاطَةَ كَرَّةً غَلِيظَةً وَجَاسَةً غَرِيبَةً .  
وَيَسْتَحْيِرُونَ الْكَلَامَ إِذَا رَأَوْهُ سَلِسًا عَذْبًا وَسَهْلًا حُلُومًا . وَلَمْ يَعْلَمُوا  
أَنَّ السَّهْلَ أَمْنَعُ جَانِبًا وَأَعَزُّ مَطْلَبًا وَهُوَ أَحْسَنُ سَوْقًا وَأَعَذْبُ مُسْتَعْمًا  
وَلِهَذَا قِيلَ : أَجْوَدُ الْكَلَامِ السَّهْلُ الْمُسْتَعِ . وَصَفَ الْفَضْلُ بْنُ سَهْلٍ عُمَرَ  
ابْنَ مَسْعَدَةَ فَقَالَ : هُوَ أَبْلَغُ النَّاسِ . وَمِنْ بَلَغَتِهِ أَنَّ كُلَّ أَحَدٍ يَظُنُّ  
أَن يَكْتُبُ وَمِثْلَ كُتُبِهِ فَإِذَا رَامَهَا تَعَدَّرَ عَلَيْهِ . حَدَّثَنَا أَحْسَنُ بْنُ

مُحَلِّدٍ قَالَ : أُنْشَدَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْعَبَّاسِ لِحَالِهِ الْعَبَّاسِ بْنِ الْأَخْنَفِ :  
 إِنْ قَالَ لَمْ يَفْعَلْ وَإِنْ سُئِلَ لَمْ يَنْزِلْ وَإِنْ عُوتِبَ لَمْ يُغْتَبِ  
 صَبُّ بَعْضِيَانِي وَلَوْ قَالَ لِي لَا تَشْرَبِ الْبَسَادَ لَمْ أَشْرَبِ  
 ثُمَّ قَالَ : هَذَا الشَّعْرُ الْحَسَنُ الْمَعْنَى السَّهْلُ اللَّفْظُ الْعَذْبُ الْمُسْتَمْعُ  
 الْقَلِيلُ النَّظِيرُ الْعَزِيزُ الشَّيْبَةُ الْمَطْمَعُ الْمَتَمِّعُ الْبَعِيدُ مَعَ قُرْبِهِ الصَّغْبُ  
 فِي سُهُولَتِهِ . (قَالَ) فَجَعَلْنَا نَقُولُ : هَذَا الْكَلَامُ لِحَسَنٍ مِنْ شِعْرِهِ . وَمِنْ  
 الْكَلَامِ الْمَطْبُوعِ السَّهْلِ مَا وَقَعَ بِهِ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى : قَدْ بَلَّغْتُكَ  
 أَقْصَى طَلَبِكَ وَأَتْلُوكَ غَايَةَ بُغْيَتِكَ وَأَنْتَ مَعَ ذَلِكَ تَسْتَقِلُّ كَثِيرِي  
 لَكَ وَتَسْتَفْجِحُ حَسَنِي فَيْكَ . فَأَنْتَ كَمَا قَالَ رُوْبَةُ :

كَأَلُوتَ لَا يَكْفِيهِ شَيْءٌ يَلْهَمُهُ يُضِجُ ظَمَانٌ وَفِي الْبَحْرِ مَهْ  
 وَمِنْ الْمَنْظُومِ الْمَطْمَعِ قَوْلُ الْبُحَّارِيِّ :

أَيُّهَا الرَّاعِبُ الَّذِي طَلَبَ الْجَوْ دَ قَائِلِي كَوْمَ الطَّيَا وَأَنْضَى  
 رَدْ حِيَاضِ الْأِمَامِ تَلَقَّ نَوَالَا يَسْعُ الرَّاعِبِينَ طُولًا وَعَرْضًا  
 هُوَ أُنْدَى مِنَ الْعَمَامِ وَأَوْحَى وَقَعَاتٍ مِنَ الْحَسَامِ وَأَمْضَى  
 يَتَوَخَّى الْإِحْسَانَ قَوْلًا وَفِعْلًا وَيُطِيعُ الْإِلَاهَ بَسْطًا وَقَبْضًا  
 فَضَّلَ اللَّهُ جَعْفَرًا بِجَلَالِهِ جَعَلَتْ حُبَّهُ عَلَى النَّاسِ فَرْضًا  
 وَارَى الْإِحْدَ بَيْنَ عَارِقَةٍ مِنْكَ م تَرْجَى وَعِزْمَةٍ مِنْكَ تَمْضَى  
 وَقَوْلُهُ :

خَلَقَ اللَّهُ جَعْفَرًا قِيمَ الدُّنْيَا م سَدَادًا وَقِيمَ الدِّينِ رُشْدًا  
 أَكْرَمَ النَّاسُ شَيْئَةً وَأَتَمُّمَ النَّاسُ حِلْمًا وَآكَثَرُ النَّاسِ رِفْدًا

هُوَ بَحْرُ السَّمَحِ وَالْجُودِ فَازْدَدْ مِنْهُ قُرْبًا تَزْدَدُ مِنَ الْفَقْرِ بُعْدًا  
يَا نِجَالِ الدُّنْيَا عَطَاءٌ وَبَذَلًا وَكَمَالَ الدُّنْيَا سَنَاءٌ وَجَدَا  
إِنِّ بَقِيَ عُمُرُ الزَّمَانِ حَتَّى تُؤَدِّي شُكْرَ احْسَانِكَ الَّذِي لَا يُؤَدَّى  
وَأَمَّا الْجَزَلُ الْخُتَارُ مِنَ الْكَلَامِ فَهُوَ الَّذِي تَعْرِفُهُ الْعَامَّةُ إِذَا  
سَمِعْتَهُ وَلَا تَسْتَعْمِلُهُ فِي مُحَاوَرَاتِهَا . فَمِنْ الْجَزَلِ الْجَيِّدِ الْخُتَارِ قَوْلُ مُسْلِمٍ :  
وَرَدَّ نَارِ وَاقِ الْفَضْلَ فَضْلُ بْنُ جَعْفَرٍ فَحُطَّ إِلَيْنَا الْجَزَلُ نَائِلُهُ الْجَزَلُ  
يَكْفِي أَبِي الْعَبَّاسِ يُسْتَمَطَّرُ الْغَنَى وَيُسْتَذَلُّ التَّعْنَى وَيُسْتَغْفَرُ النَّصْلُ  
وَيُسْتَغْفَرُ الْأَمْرُ الْأَيُّ بِحُزْمِهِ إِذَا الْأَمْرُ لَمْ يَعْطِفْهُ نَفْسٌ وَلَا قَتْلُ  
وَمِمَّا هُوَ خَيْرٌ مِنْ هَذَا قَوْلُ الْمَرَارِ الْفَقْعِيِّ :

لَا تَسْأَلِي الْقَوْمَ عَنْ مَالٍ وَكَثْرَتِهِ قَدْ يُثَرُّ الْمَرْءُ يَوْمًا وَهُوَ مَحْمُودُ  
أَمْضِي عَلَى سُنَّةٍ مِنَ الْإِيدِي سَلَفَتْ وَفِي أَرْوَمَتِهِ مَا يُنْبِتُ الْعُودُ  
فَهَذَا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ كَلَامِ الْعَامَّةِ فَإِنَّهُمْ يَعْرِفُونَ الْقَرَضَ  
وَيَقْفُونَ عَلَى أَكْثَرِ مَعَانِيهِ لِحُسْنِ تَرْتِيلِهِ وَجُودَةِ نَسْجِهِ  
وَمِنْ أَكْثَرِ قَوْلِ نَحْيِ بْنِ خَالِدٍ : أَعْطَانَا الدَّهْرُ فَاسْرَفَ . ثُمَّ  
عَطَفَ عَائِنًا فَعَسَفَ . وَقَوْلُ سَعِيدِ بْنِ حَمِيدٍ : وَأَنَا مَنْ لَا يُجَاجِلُكَ  
عَنْ نَفْسِهِ . وَلَا يُعَاطِلُكَ عَنْ جُزْمِهِ . وَلَا يَلْتَمِسُ رِضَاكَ إِلَّا مِنْ جِهَتِهِ .  
وَلَا يَسْتَدْعِي بِرَّكَ إِلَّا مِنْ طَرِيقَتِهِ . وَلَا يَسْتَغْفِرُكَ إِلَّا بِالْأَقْوَارِ  
بِالدُّنْبِ . وَلَا يَسْتَمِيلُكَ إِلَّا بِالْأَعْرَافِ . نَبَتْ بِي عَنْكَ غِرَّةُ الْحَدَاثَةِ .  
وَرَدَّتْنِي إِلَيْكَ الْخُنْكَةُ . وَبَاعَدْتَنِي مِنْكَ أَلْفَةُ بِالْأَيَّامِ فَادَّتْنِي  
إِلَيْكَ الضَّرُورَةُ . فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَسْتَقِيلَ الصَّنِيعَةَ بِقَبُولِ الْعُذْرِ



وَتَجِدَدَ التَّعَمَّةِ بِأَطْرَاحِ الْخَلْقِ فَإِنَّ قَدِيمَ الْحُرْمَةِ وَحَدِيثَ التَّوْبَةِ يَخْتَفَانِ  
مَا بَيْنَهُمَا مِنَ الْإِسَاءَةِ . فَإِنَّ أَيَّامَ الْقُدْرَةِ وَإِنْ طَالَتْ قَصِيرَةٌ وَالْمَتَمَّةُ  
بِهَا وَإِنْ كَثُرَتْ قَلِيلَةٌ فَعَلَتْ . وَفِي هَذَا الْكَلَامِ وَمَا قَبْلَهُ قُوَّةٌ فِي  
سُهولة . وَبِمَا هُوَ أَجْزَلُ مِنْ هَذَا قَوْلُ الشَّعْبِيِّ لِلْحَجَّاجِ وَارَادَ قَتْلَهُ  
لِحُرُوبِهِ عَلَيْهِ مَعَ ابْنِ الْأَشْعَثِ : أَجَدَبَ بَنَا الْجَبَابِ وَأَحْزَنَ بَنَا الْأَلْزَلِ  
وَأَسْتَحْلَسْنَا الْخَذَرَ وَاكْتَحَلْنَا السَّهَرَ . وَأَصَابَنَا فِتْنَةٌ وَلَمْ نَكُنْ فِيهَا بَرَّةً  
أَنْقِيَاءَ وَلَا فَجْرَةً أَقْرِيَاءَ . فَعَمَّا عَنْهُ . وَأَجُودُ الْكَلَامِ مَا يَكُونُ جَزْلاً  
سَهْلاً لَا يَتَغَلَّقُ مَعْنَاهُ وَلَا يُسْتَبْهِمُ مَغْزَاهُ . وَلَا يَكُونُ مَكْدُوداً مُسْتَكْرَهاً  
وَمُتَوَعِراً مُتَعَرِّراً . وَيَكُونُ بَرِيئاً مِنَ الْعَثَاةِ عَارِيّاً مِنَ الرِّثَاةِ .  
وَالْكَلَامُ إِذَا كَانَ لَفْظُهُ غَنّاً وَمَعْرُضُهُ رِثَاً كَانَ مَرْدُوداً وَلَوْ اخْتَوَى  
عَلَى أَجَلٍ رَغْنِي وَأَنْبَلِهِ وَأَرْفَعِهِ وَأَفْضَلِهِ كَقَوْلِهِ :

لَمَّا أَطَعْنَاكُمْ فِي سُخْطِ خَالِقِنَا لَا شَكَّ سَلَّ عَلَيْنَا سَيْفُ نَفْسِهِ  
وَقَوْلِ الْآخَرِ :

أَرَى رِجَالاً بِأَذْنَى الدِّينِ قَدْ قَنِعُوا وَلَا أَرَاهُمْ رَضُوا فِي الْعَيْشِ بِالْذُّونِ  
فَأَسْتَعْنِ بِالدِّينِ عَنْ دُنْيَا الْمُلُوكِ كَمَا مَ اسْتَعْنَى الْمُلُوكُ بِدُنْيَاهُمْ عَنِ الدِّينِ  
وَلَا يَدْخُلُ هَذَا فِي جُمْلَةِ الْخُتَابِ وَمَعْنَاهُ كَمَا تَرَى يُنْبِلُ قَاضِلٌ  
جَلِيلٌ . وَأَمَّا أَجْزَلُ الرَّدِيِّ : أَلْفَحُ الَّذِي يَنْبَغِي تَرْكُ اسْتِعْمَالِهِ فَمَثَلُ قَوْلِ  
تَابَطَ شَرًّا وَكَانَ خَرَجَ مَعَ صَاحِبَيْنِ لَهُ فُقِتِلَا فِي الْأَفْزِ وَرَجِعَ هُوَ سَالِماً :  
إِذَا مَا تَرَكْتُ صَاحِبِي لِسَلَاةٍ أَوْ اثْنَيْنِ مِثْلَيْنَا فَلَا أَبْتُ أَمَنَا  
وَلَمَّا سَمِعْتُ الْأَعْوَصَ تَدْعُو تَفَرَّغَتْ عَصَافِيرُ رَأْسِي مِنْ غَوَاةٍ فَوَاتِنَا .

وَحَفِثْتُ مَشْغُوفَ النَّجَاءِ كَأَنِّي هِجَفْتُ رَأَى قَصْرًا سِمَاكَ وَدَاخِنَا  
 مِنْ لَحْصٍ هُزْرُوفٌ كَانَ عَفَاءً إِذَا اسْتَدْرَجَ الْفَيْقَا وَمَدَّ الْفَعَانَا  
 أَرْجَ زُلُجٍ هُزْرَفِي زَفَازِفُ هُزَفٌ يَدُ النَّاجِيَاتِ الصَّوْافِنَا  
 فَهَذَا مِنْ الْجَزْلِ الْبَغِيضِ الْخَلْفِ الْفَاسِدِ الشَّنَجِ الْقَبِيحِ الرَّضْفِ  
 الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يُجَنَّبَ مِثْلُهُ وَتَمِيزُ الْأَلْفَازِ شَدِيدٌ . وَلَوْلَا كَرَاهَةُ  
 الْأَطَالَةِ وَتَخَوُّفُ الْإِمْلَالِ لَزِدْتُ مِنْ هَذَا النَّوعِ وَلَكِنْ يَكْفِي مِنْ  
 التَّجَرُّعَةِ . قَالُوا : وَجِزُ الْكَلَامِ مَا قَلَّ وَجَلَّ وَدَلَّ وَلَمْ يُلَّ

### البحث الثاني

#### في التنبيه على خطأ المعاني وصوابها

( من كتاب الصناعتين للمصري )

إِنَّ الْكَلَامَ الْفَازِ تَشْتَبِلُ عَلَى مَعَانٍ تَدُلُّ عَلَيْهَا وَتُعَبِّرُ عَنْهَا  
 فَيَحْتَاجُ صَاحِبُ الْبَلَاغَةِ إِلَى إِصَابَةِ الْمَعْنَى كَحَاجَتِهِ إِلَى تَحْسِينِ اللَّفْظِ .  
 لِأَنَّ الْمَدَارَ بَعْدَ اللَّفْظِ عَلَى إِصَابَةِ الْمَعْنَى . وَالْمَعْنَى تَحُلُّ مِنَ الْكَلَامِ مَحَلًّا  
 الْأَبْدَانِ وَالْأَلْفَازِ تَجْرِي مَعَهَا تَجْرِي الْكُسُوفِ . وَمَرْتَبَةُ أَحَدَاهُمَا عَلَى  
 الْأُخْرَى مَعْرُوفَةٌ وَمَنْ عَرَفَ تَرْتِيبَ الْمَعْنَى وَاسْتِعْمَالَ الْأَلْفَازِ عَلَى  
 وَجْهِهَا بَاطِنٌ مِنَ الْأَلْفَازِ ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى لُغَةٍ أُخْرَى تَهَيَّأَ لَهُ فِيهَا مِنْ صُنْعِهِ  
 الْكَلَامِ مِثْلُ مَا تَهَيَّأَ لَهُ مِنَ الْأَوَّلِ . أَلَا تَرَى أَنَّ عَبْدَ الْحَمِيدِ  
 الْكَاتِبَ اسْتَحْجَجَ أَمَلَةَ الْكِتَابَةِ الَّتِي رَسَمَهَا لِمَنْ بَعْدَهُ مِنَ اللِّسَانِ  
 الْقَارِئِينَ فَحَوَّلَهَا إِلَى اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ . فَلَا يَكْمُلُ لِصِنَاعَةِ الْكَلَامِ  
 إِلَّا مَنْ يَكْمُلُ لِإِصَابَةِ الْمَعْنَى وَتَضَحُّجِ اللَّفْظِ وَالْمَعْرِفَةِ بِوُجُوهِ الْإِسْتِعْمَالِ .

وَالْمَعَانِي عَلَى ضَرَبَيْنِ : ضَرْبٌ يَتَسَدِّعُهُ صَاحِبُ الصِّنَاعَةِ مِنْ غَيْرِ أَنْ  
يَكُونَ لَهُ إِمَامٌ يَتَّبِعِي بِهِ فِيهِ أَوْ رُسُومٌ قَائِمَةٌ فِي أَمْثَلِهِ مَا يَثْبُتُ يَفْعَلُ  
عَلَيْهَا . وَهَذَا الضَّرْبُ رُبَّمَا يَقَعُ عَلَيْهِ عِنْدَ الْخُطُوبِ الْحَادِثَةِ وَيَثْبُتُ لَهُ  
عِنْدَ الْأُمُورِ الطَّارِئَةِ . وَالْآخَرُ مَا يَحْتَذِرُهُ عَلَى مِثَالِ تَقَدُّمِ وَرَسْمِ فُرُضَ .  
وَيَتَنَبَّي أَنْ تُطْلَبَ الْأَصَابَةُ فِي جَمِيعِ ذَلِكَ وَتُتَوَخَّى فِيهِ الصُّورَةُ  
الْمَقْبُولَةُ وَالْعِبَارَةُ الْمُسْتَحْسَنَةُ وَلَا يَتَكَلَّفُ فِيهَا ابْتِكَارُهُ عَلَى فَضِيلَةِ  
ابْتِكَارِهِ إِيَّاهُ . وَلَا يَغَرُّ ابْتِدَاعُهُ لَهُ فَيَسَاهِلَ نَفْسَهُ فِي تَهْنِئِ  
صُورَتِهِ فَيَنْهَبُ حُسْنَهُ وَيَطْمَسُ نُورَهُ وَيَكُونُ فِيهِ أَقْرَبَ إِلَى الذَّمِّ مِنْهُ  
إِلَى الْحَمْدِ . وَالْمَعَانِي بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى وَجْهِ : مِنْهَا مَا هُوَ مُسْتَقِيمٌ حَسَنٌ  
نَحْوُ قَوْلِكَ : رَأَيْتُ زَيْدًا . وَمِنْهَا مَا هُوَ مُسْتَقِيمٌ قَبِيحٌ نَحْوُ قَوْلِكَ :  
قَدْ زَيْدًا رَأَيْتُ . وَإِنَّمَا قَبِيحٌ لِأَنَّكَ أَفْسَدْتَ النِّظَامَ بِالتَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ .  
وَمِنْهَا مَا هُوَ مُسْتَقِيمٌ النَّظْمِ وَهُوَ كَذِبٌ مِثْلُ قَوْلِكَ : حَمَلْتُ الْجَلِيلَ  
وَشَرِبْتُ مَاءَ الْخَجَرِ . وَمِنْهَا مَا هُوَ مُحَالٌ كَقَوْلِكَ : آتَيْتُكَ آهَسَ وَآتَيْتُكَ  
غَدًا . وَكُلُّ ذَلِكَ مُحَالٌ فَاسِدٌ . وَلَيْسَ كُلُّ فَاسِدٍ مُحَالًا . أَلَا تَرَى أَنَّ  
قَوْلَكَ : قَامَ زَيْدٌ . فَاسِدٌ وَلَيْسَ بِمُحَالٍ . وَالْمُحَالُ مَا لَا يَجُوزُ كَوْنُهُ  
أَلَبَتَّ كَقَوْلِكَ : الدُّنْيَا فِي بَيْضَةٍ . وَأَمَّا قَوْلَكَ : حَمَلْتُ الْجَلِيلَ وَأَشْبَاهُهُ  
وَأَمْثَالُهُ فَكَذِبٌ . وَلَيْسَ بِمُحَالٍ إِنْ جَازَ أَنْ يَزِيدَ اللَّهُ فِي قُدْرَتِكَ  
فَتَحْمِلَهُ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْكَلَامُ الْوَاحِدُ كَذِبًا مُحَالًا وَهُوَ قَوْلَكَ :  
رَأَيْتُ قَاعِدًا قَائِمًا وَمَرَّتُ بِقِفْظَانٍ نَائِمٍ . فَتَصِلُ كَذِبًا بِمُحَالٍ فَصَارَ  
الَّذِي هُوَ الْكَذِبُ هُوَ الْمُحَالُ بِالْجَمْعِ بَيْنَهُمَا . وَإِنْ كَانَ لِكُلِّ

مِنْهُمَا مَعْنَى عَلَى حَيَالِهِ . وَذَلِكَ لِأَنَّ بَعْضَهَا عَقِدَ بِبَعْضٍ حَتَّى صَارَا كَلَامًا  
وَاحِدًا . وَمِنْهَا الْقَلْطُ وَهُوَ أَنْ تَقُولَ : ضَرَبَنِي زَيْدٌ . وَأَنْتَ تُرِيدُ : ضَرَبْتُ  
زَيْدًا . فَغَلِطْتَ . فَإِنْ تَعَمَّدْتَ ذَلِكَ كَانَ كَذِبًا . وَلِلْخَطِّ صُورٌ مُخْتَلِفَةٌ  
نَهَتْ عَلَى أَشْيَاءٍ مِنْهَا فِي هَذَا الْقَضِ وَالْيَتُّ وَجُوهَهَا وَشَرَحَتْ أَبْوَابَهَا  
لِتَقِفَ عَلَيْهَا فَتَجِبَّهَا كَمَا عَرَفْتُكَ بِوَضْعِ الصَّوَابِ لِتَعْتَمِدَهَا . وَلِيَكُونَ  
فِيهَا أَوْرَدَتْ دَلَالَةً عَلَى أَمثَالِهِ بِمَا تَرَكْتُ . وَمَنْ لَا يَعْرِفُ الْخَطَّ كَانَ  
جَدِيرًا بِالْوُقُوعِ فِيهِ . فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ أَمْرِئِ الْقَيْسِ :

أَلَمْ تَسْأَلِ الرَّبْعَ الْقَدِيمَ بِمَعْنَا كَأَنِّي أَنَادِي أَوْ أَكَلِمَ آخِرًا  
هَذَا مِنَ التَّشْبِيهِ الْقَاسِدِ لِأَنَّهُ لَا يُقَالُ : كَلَّمْتُ حَجْرًا فَلَمْ يُجِبْ  
فَكَأَنَّهُ كَانَ حَجْرًا . وَالَّذِي جَاءَ بِهِ أَمْرُ الْقَيْسِ مَقْلُوبٌ . وَالْحَيْدُ قَوْلُ  
كَثِيرٍ فِي أَمْرَةٍ :

فَقُلْتُ لَهَا يَا عَزَّ كُلُّ صَيِّةٍ إِذَا وَطَنْتِ يَوْمًا لَهَا النَّفْسُ ذَلَّتِ  
كَأَنِّي أَنَادِي صَخْرَةً حِينَ أَعْرَضْتُ مِنَ الصَّمِّ لَوْ تَمَشَّى بِهَا الْعُصْمُ ذَلَّتِ  
فَشَبَّهَ الْمَرْأَةَ عِنْدَ السُّكُوتِ وَالتَّغَافُلِ بِالصَّخْرَةِ . وَمِثْلُهُ قَوْلُ ابْنِ أَحْمَرَ :  
لَمْ يَدِرْ مَا نَسَجُ الْيَرَنْدَجِ قَبْلَهَا وَدِرَاسَ أَعْوَصِ دَارِسٍ مُتَجَدِّدِ  
ظَنٍّ أَنَّ الْيَرَنْدَجَ يَنْسَجُ . وَالْيَرَنْدَجُ جِلْدٌ أَسْوَدٌ يَغْسَلُ وَنَهَا  
الْخِفَافُ فَارِسِيٌّ مُعَرَّبٌ وَأَصْلُهُ : رَنْدَهُ . وَمِثْلُهُ قَوْلُ أَوْسٍ بْنِ حَجْرٍ :

وَمِنْ أَنَايِبِ ثُقَافٍ وَرُمَانٍ

ظَنَّ أَنَّ الرُّمَانَ وَالثُّقَافَ أَنَايِبٌ . وَقِيلَ : إِنَّ الْأَنَايِبَ الطَّرَائِقُ  
الَّتِي فِي الرُّمَانِ . وَإِذَا حِيلَ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ صَحَّ الْمَعْنَى . وَمِمَّا لُمِدَّ عَلَى

أَمْرِي أَلْقَيْسَ قَوْلُهُ فِي الْفَرَسِ :  
فَالسَّوْطُ الْهُوبُ وَالسَّاقِ دِرَّةٌ      وَلِلزَّجْرِ مِثْلُ وَقْعٍ أَخْرَجَ مُهْذِبُ  
قَلَوَ وَصَفَ أَحْسَ حِمَارٍ وَأَضَعَهُ مَا زَادَ عَلَى ذَلِكَ . وَالْجَيْدُ قَوْلُهُ :  
عَلَى سَابِجٍ يُعْطِيكَ قَبْلَ سُؤَالِهِ      أَفَانِينَ جَرِيٍّ غَيْرِ كَرٍّ وَلَا وَايِي  
وَمَا سَمِعْنَا أَجُودَ وَلَا أَبْلَغَ مِنْ قَوْلِهِ : أَفَانِينَ جَرِيٍّ . وَقَوْلُ عَلْقَمَةَ :  
فَاذْرُكْهُمْ ثَانِيًا مِنْ عَنَانِهِ      يُرْكَمَرُ الرَّائِحُ الْحُكْلَبُ  
فَاذْرُكْ طَرِيدَتَهُ وَهُوَ ثَانٍ مِنْ عَنَانِهِ لَمْ يَضْرِبْهُ بِسَوْطٍ وَلَمْ يَمِرَّ  
بِسَاقٍ وَلَمْ يَزْجِرْهُ بِصَوْتٍ وَمِمَّا يُعَابُ قَوْلُ الْأَخْطَلِ :

وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ الْخِلَافَةَ مِنْهُمْ      لَا بَلَجَ لَا عَارِي الْخَوَانِ وَلَا جَذْبَ  
يَقُولُهُ فِي عَبْدِ الْمَلِكِ . وَمِثْلُ هَذَا لَا يَمْدَحُ بِهِ الْمُلُوكُ . وَرَأَا نُمَيْدُ  
الْمُلُوكُ يَمِثْلُ قَوْلِ الشَّاعِرِ :

لَهُ هِمَمٌ لَا مَتْنَهَى لِكِبَارِهَا      وَهَمَّتْهُ الصُّغْرَى أَجَلُ مِنَ الدَّهْرِ  
لَهُ رَاحَةٌ لَوْ أَنَّ مَعْشَرَ جُودِهَا      عَلَى الْبَرِّ كَانَ الْبَرُّ أُنْدَى مِنَ الْبَجْرِ  
وَمِنْ الْخَطَا قَوْلُ جُنَادَةَ :

مِنْ حُبِّهِ أَمْنِي أَنْ يُلَاقِيَنِي      مِنْ نَحْوِ بَلَدِي نَاعٍ قَيْعَاهُ  
لِكِي يَكُونَ فِرَاقٌ لَا لِقَاءَ لَهُ      وَتَضِيرُ النَّفْسُ يَأْسًا تَمْسَلَاهُ  
فَإِذَا تَمَنَّى أَنُحِبَّ لِحَبِيْبِهِ الْمَوْتَ فَمَا عَسَى أَنْ يَتَمَنَّى الْمُبْغِضُ لِبَغِيْضِهِ .  
وَشَتَّانَ مَا بَيْنَ هَذَا وَبَيْنَ مَنْ يَقُولُ :

أَلَا لَيْتَنَا عِشْنَا جَمِيعًا وَكَانَ بِي      مِنَ الدَّاءِ مَا لَا يَعْرِفُ النَّاسُ مَا بِيَا  
فَهَذَا أَقْرَبُ إِلَى الصَّوَابِ وَلَوْ أَنَّ جُنَادَةَ كَانَ يَتَمَنَّى وَصْلَهُ وَلِقَاءَهُ

لَكَانَ قَدْ قَضَى وَطَرًا مِنَ الْمُنَى وَلَمْ تَلْزِمَهُ الْهَيْجَةُ. كَمَا قَالَ الْعَبَّاسُ  
ابْنُ الْأَخْنَفِ :

فَإِنْ تَجَلَّوْا عَنِّي بِذَلِّ تَوَالِكُمْ وَإِلْوَصِلْ مِنْكُمْ كَيْ أُصَبَّ وَأَخْزَنَا  
فَإِنِّي بِلَذَاتِ الْمُنَى وَنَعِيمِهَا أَعِيشُ إِلَى أَنْ يَجْمَعَ اللَّهُ يَتَنَّا  
وَمِنْ وَنَعْمِ الشَّيْءِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ قَوْلُ الشَّاعِرِ :

يَمِشِي بِهَا كُلُّ مُوَشِّيٍّ أَكْرَعُهُ مَشْيَ الْهَرَابِذِ تَجْوَأُ بَيْعَةَ الزُّورِ  
فَأَلْقَلْتُ فِي هَذَا أَلَيْتٍ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ : أَحَدُهَا أَنَّ الْهَرَابِذَ  
الْحَبُوسُ لَا النَّصَارَى. وَالثَّانِي أَنَّ أَلَيْعَةَ النَّصَارَى لَا لِلْحَبُوسِ. وَالثَّلَاثُ  
أَنَّ النَّصَارَى لَا يَبْدُونَ الْأَصْنَافَ وَلَا الْحَبُوسَ. وَمِنْ الْحَالِ الَّذِي  
لَا وَجْهَ لَهُ قَوْلُ الْقَسْرِ :

وَأِنِّي إِذَا مَا أَمُوتُ حَلَّ بِنَفْسِهَا يُزَالُ بِنَفْسِي قَبْلَ ذَلِكَ فَأَقْبَرُ  
وَهَذَا شَبِيهُ بِقَوْلِ قَائِلٍ لَوْ قَالَ : إِذَا دَخَلَ زَيْدٌ الدَّارَ دَخَلَ عَمْرُو  
قَبْلَهُ وَهَذَا عَيْنُ الْحَالِ الْمَمْتَنِعِ الَّذِي لَا يُجُوزُ كَوْنُهُ. وَمِنْ عُيُوبِ الْمَعْنَى  
مُخَالَفَةُ الْعَرَفِ وَذِكْرُ مَا لَيْسَ فِي الْعَادَةِ كَقَوْلِ الْمُرَّارِ :

وَخَالٍ عَلَى خَدَيْهِ يَسْدُو كَأَنَّهُ سَنَا الْبَدْرِ فِي دَعَجَاءِ بَادٍ دُجُونَهَا  
وَالْمَعْرُوفُ أَنَّ الْخَيْلَانَ سُودٌ أَوْ سُمْرٌ وَالْخُدُودَ الْحَسَنَةَ إِنَّمَا هِيَ  
الْبَيضُ. فَاتَى هَذَا الشَّاعِرُ بِقَلْبِ الْمَعْنَى. وَمِنْ الْمَعَانِي مَا يَكُونُ مُقْصَرًّا  
غَيْرَ بِالْمَعْنَى غَيْرِهِ فِي الْإِحْسَانِ. وَمِنْ عُيُوبِ الْمَدِيحِ عُدُولُ الْمَدِيحِ  
عَنِ الْقَضَائِلِ الَّتِي تَحْتَضُّ بِالنَّفْسِ مِنَ الْعَقْلِ وَالْعَقَّةِ وَالْعَدْلِ وَالشَّجَاعَةِ  
إِلَى مَا يَلِيقُ بِأَوْصَافِ الْجَنَمِ مِنَ الْحُسْنِ وَالْبَهَاءِ وَالزَّيْنَةِ. كَمَا قَالَ

أَبْنُ قَيْسِ الرِّقِيَّاتِ فِي عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ :  
يَأْتِلِقُ أَلْتَّاجُ فَوْقَ مَفْرِقِهِ عَلَى جَبِينِ كَاثَةِ الذَّهَبِ  
فَقَضِبَ عَبْدُ الْمَلِكِ وَقَالَ : قَدْ قُلْتَ فِي مُضَعِبٍ :  
إِنَّمَا مُضَعِبُ شِهَابٌ مِنْ اللَّهِ تَجَلَّتْ عَنْ وَجْهِهِ الظُّلُمَاءُ  
فَأَعْطَيْتَهُ الْمَذْحَ بِكَشْفِ الْعَمَمِ وَجَلَاءِ الظُّلَمِ وَأَعْطَيْتَنِي مَا لَا فخرَ  
فِيهِ وَهُوَ أَعْتَدَالُ أَلْتَّاجِ فَوْقَ جَبِينِي الَّذِي هُوَ كَالذَّهَبِ فِي النَّضَارَةِ .  
وَمِثْلُ ذَلِكَ قَوْلُ آيَمِنْ بْنِ خَزِيمٍ فِي بَشْرِ بْنِ مَرْوَانَ :  
يَا أَبْنُ الْمَكَارِمِ مِنْ قُرَيْشٍ كُلِّهَا وَأَبْنُ الْخِلَافَةِ وَأَبْنُ كُلِّ قَلَسٍ  
مِنْ فِرْعَ أَدَمَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ حَتَّى أَتَيْتَ إِلَى أَبِيكَ الْعَنْبَسِ  
مَرْوَانَ إِنَّ قَنَاسَتَهُ خَطِيئَةٌ غُرِسَتْ أَرْوُثُهَا عَزَّ الْمَفْرَسِ  
وَبُنِيَتْ عِنْدَ مَقَامِ رَبِّكَ قُبَّةٌ خَضْرَاءُ كُلُّ تَاجِهَا بِالْفَنَسِ  
فَسَاوَاهَا ذَهَبٌ وَأَسْفَلَ أَرْضُهَا وَرَقٌ يُلَالُ فِي صَمِيمِ الْحَدَسِ  
فَمَا فِي هَذِهِ الْأَنْبِيَاءِ شَيْءٌ يَتَعَاقُ بِالْمَذْحِ الَّذِي يَحْتَصُ بِالنَّفْسِ  
وَأِنَّمَا ذَكَرَ سُودَدُ الْأَبَاءُ وَفِيهِ فخرٌ لِلْأَبْنَاءِ . وَلَكِنْ لَيْسَ الْعَصَامِيُّ  
كَالْعَظَامِيِّ . وَرَبَّمَا كَانَ سُودَدُ الْوَالِدِ وَفَضِيلَتُهُ نَقِصَةً لِلْوَلَدِ إِذَا تَأَخَّرَ  
عَنْ رُتْبَةِ الْوَالِدِ . وَيَكُونُ ذِكْرُ الْوَالِدِ الْفَاضِلِ تَقْرِيعًا لِلْوَلَدِ الْفَاقِصِ .  
وَقِيلَ لِبَعْضِهِمْ : لِمَ لَا تَكُونُ كَأَبِيكَ . فَقَالَ : لَيْتَ أَبِي لَمْ يَكُنْ  
ذَا فَضْلٍ فَإِنَّ فَضْلَهُ صَارَ نَقْصًا لِي . وَقَدْ قَالَ الْأَوَّلُ :  
إِنَّمَا الْحَجْدُ مَا بَنَى وَالِدُ الصِّدْقِ وَآخِيَا فَعَالَهُ الْمَوْلُودُ  
وَقَالَ غَيْرُهُ فِي خِلَافِهِ :

لَيْنٌ فَحُزْتُ بِآبَاءِ ذَوِي شَرَفٍ لَقَدْ صَدَقْتَ وَلَكِنْ بَأْسَ مَا وَلَدُوا  
وَقَالَ آخَرُ :

عَلَتْ مَقَامِجُ أَخْلَاقِي خُصِصَتْ بِهَا عَلَى مُحَاسِنِ آبَائِهَا أَبُوكَ لَكَ  
لَيْنٌ تَقْدَمُ أَبْنَاءُ الْكَرَامِ بِهِ لَقَدْ تَقَدَّمَ آبَاءُ اللَّئَامِ بِكَ  
ثُمَّ ذَكَرَ أَيْنُ بِنَاءِ قُبَّةِ حَسَنَةٍ وَلَيْسَ بِنَاءُ الْقُبَابِ بِمَا يَدُلُّ عَلَى  
جُودٍ وَكَرَمٍ . بَلْ يَجُوزُ أَنْ يَبْنِيَ اللَّئِيمُ الْخَجِيلُ الْأَنْبِيَةَ النَّفِيسَةَ وَيَتَوَسَّعَ  
فِي النَّفَقَةِ عَلَى الدُّورِ الْحَسَنَةِ مَعَ مَنْعِ الْحَقِّ وَرَدِّ السَّائِلِ وَلَيْسَ الْبَسَادُ  
بِمَا يُدَحُّ بِهِ مَذَاحِ حَقِيقَتِيَا . الْأَتْرَى كَيْفَ يَقُولُ أَشْجَعُ السَّلْمِيِّ :

يُرِيدُ الْمُلُوكُ مَدَى جَعْفَرٍ وَلَا يَضْعُونَ كَمَا يَضْعُ  
وَلَيْسَ بِأَوْسَعَهُمْ فِي الْغَنَى وَلَكِنْ مَعْرُوفُهُ أَوْسَعُ  
وَالْحَجِيدُ فِي الْمَدِيحِ قَوْلُ زُهَيْرٍ :

هَٰذَا لَكَ إِنْ يَسْتَحْوِرُوا أَلْمَالَ يُخَوِّلُوا وَإِنْ يَسْأَلُوا يَعْطُوا وَإِنْ يَسِيرُوا يُغْلُوا  
وَفِيهِمْ مَقَامَاتُ حَسَنٍ وَجُوهُهُمْ وَأَنْدِيَةٌ يَنْتَابُهَا الْقَوْلُ وَالْفِعْلُ  
فَلَمَّا اسْتَمَّ وَصَفَهُمْ بِحُسْنِ الْمَقَالِ وَتَصَدِيقِ الْقَوْلِ بِالْفِعْلِ  
وَصَفَهُمْ بِحُسْنِ الْوُجُوهِ ثُمَّ قَالَ :

عَلَى مُكَثَرِهِمْ حَقٌّ مِنْ يَتَّبِعُهُمْ وَعِنْدَ الْمُقْلِينَ السَّمَاحَةُ وَالْبَذْلُ  
فَلَمْ يُجَلِّ مُكَثَرًا مِنْهُمْ وَلَا مُقْلًا مِنْ بَرٍّ وَفَضْلٍ . ثُمَّ قَالَ :  
وَأِنْ جِثَّتْهُمُ الْفِتْنَةُ حَوْلَ بُيُوتِهِمْ مَجَالِسَ قَدْ يُشْفَى بِأَحْلَامِهَا الْجَهْلُ  
فَوَصَفَهُمْ بِالْجَلْمِ ثُمَّ قَالَ :

وَأِنْ قَامَ مِنْهُمْ قَائِمٌ قَالَ قَاعِدُ رَشَدَتْ فَلَا غَرْمَ عَلَيْكَ وَلَا خَذَلُ



فَوَصَّفَهُمْ أَيْضًا بِاتِّصَافٍ وَالتَّعَاوُنِ فَلَمَّا آتَى بِهِذِهِ الصِّفَاتِ النَّفِيسَةَ  
ذَكَرَ فَضْلَ آبَائِهِمْ فَقَالَ :

وَمَا يَكُ مِنْ فَضْلٍ آتَوْهُ فَلَانًا نَوَارَتْهُ آبَاءُ آبَائِهِمْ قَبْلُ  
وَهَلْ يُنْبِتُ الْخَطِيئَ إِلَّا وَشِجْهُ وَتُغْرَسُ إِلَّا فِي مَنَابِتِهَا الْخُلُ  
وَقَوْلُ مَرْوَانَ بْنِ أَبِي حَفْصَةَ :

بَنُو طَرِيْزِمَ اللَّقَاءِ كَانَتْهُمْ أَسُودُهُمْ فِي غِيلِ خَفَانٍ أَشْبَلُ  
هُمْ أَلْمَانُونَ تَجَارَ حَتَّى كَانُوا جَارِيَهُمْ فَوْقَ السَّمَاءِ كَيْنِ مَثَلُ  
بِهَائِلٍ فِي الْإِسْلَامِ سَادُوا وَلَمْ يَكُنْ كَاوَلِهِمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَوَّلُ  
هُمْ الْقَوْمُ إِنْ قَالُوا أَصَابُوا وَإِنْ دَعُوا وَانْ أَجَابُوا وَإِنْ أُعْطُوا أَطَابُوا وَأَجْزَلُوا  
وَلَا يَسْتَطِيعُ الْفَاعِلُونَ فِعْلَهُمْ وَانْ أَحْسَنُوا فِي النَّبَاتِ وَأَحْمَلُوا  
ثَلَاثُ بِأَمْثَالِ الْجِبَالِ جِبَاهَهُمْ وَأَحْلَاهُمْ مِنْهَا لَدَى أَلْوَزِنِ أَثْقَلُ  
وَقَوْلُ الْآخَرِ :

عَلَّمَ الْغَيْثُ أَلْتَدَى حَتَّى إِذَا مَا حَكَاهُ عَلَّمَ الْبَلَسَ الْأَسَدُ  
فَلَهُ الْغَيْثُ مُقَرُّ بِالتَّدَى وَلَهُ اللَّيْثُ مُقَرُّ بِالْجِلْدِ  
وَمَعَ مَا ذَكَرْنَاهُ فَإِنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَخْلُوَ الْمَدْحُ مِنْ مَنَاقِبِ  
أَنَاءِ الْمَدْحِ وَتَقْرِيطِ مَنْ يَعْرِفُ بِهِ وَيُنْسَبُ إِلَيْهِ . وَأَنْشَدَ مَرْوَانَ  
ابْنَ أَبِي حَفْصَةَ :

نَفَرَتْ فَلَا شُلْتَ يَدُ خَالِدِيَّةٍ رَتَقَتْ بِهَا الْفَتْقَ الَّذِي بَيْنَ هَاشِمٍ  
فَقَالَ لَهُ الْفَضْلُ قُلْ : بِرَمْكِيَّةٍ . فَقَدْ يَشْرِكُنَا فِي خَالِدٍ بَشَرٌ كَثِيرٌ  
وَلَا يَشْرِكُنَا فِي بَرْمَكٍ أَحَدٌ

وَالْهَجَاءُ أَيْضًا إِذَا لَمْ يَكُنْ بِسَلْبِ الصِّفَاتِ الْمُسْتَحْسَنَةِ الَّتِي تَحْتَضُّهَا  
النَّفْسُ وَاثْبَاتِ الصِّفَاتِ الْمُسْتَهْجَةِ الَّتِي تَحْتَضُّهَا أَيْضًا لَمْ يَكُنْ مُخْتَارًا .  
وَالِاخْتِيَارُ أَنْ تَنْسُبَ الْمَهْجُورَ إِلَى اللَّوْمِ وَالْجُلِّ وَالشَّرِّ وَمَا أَشَبَّهُ  
ذَلِكَ . وَلَيْسَ بِالْمُخْتَارِ فِي الْهَجَاءِ أَنْ يَنْسُبَهُ إِلَى قُبْحِ الْوَجْهِ وَصَغَرِ  
الْجَنَمِ وَضُؤُولَةِ الْجَنَمِ وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ الْقَائِلُ :  
قُلْتُ لَهَا لَيْسَ الشُّحُوبُ عَلَى أَلْفَتِي بِعَارٍ وَلَا خَيْرُ الرِّجَالِ مِثْلُهَا  
وَقَوْلُ الْآخَرِ :

تَنَالُ الْخَيْرَ مِمَّنْ تَرْدِيهِ وَيُخْلِفُ ظَنَّاكَ الرَّجُلُ الطَّرِيدُ  
وَقَوْلُ الْآخَرِ :

رَأَوْهُ فَازْدَرَوْهُ وَهُوَ حَذَقٌ وَيَنْفَعُ أَهْلَهُ الرَّجُلُ الْقَبِيحُ  
وَذَكَرَ السَّمُولُ أَنَّ قَلَّةَ الْعَدَدِ لَيْسَ بِعَيْبٍ فَقَالَ :  
تُعِيرُنَا أَنَا قَلِيلٌ عَدِيدُنَا قُلْتُ لَهَا إِنَّ الْكِرَامَ قَلِيلٌ  
وَبَيْنَ الْهَجَاءِ الْحَيْدِ قَوْلُ بَعْضِهِمْ :

اللُّؤْمُ أَكْرَمُ مِنْ ذَبِّ وَالدِّهِ وَاللُّؤْمُ أَكْرَمُ مِنْ ذَبِّ وَمَا وَلَدَا  
قَوْمٌ إِذَا مَا جَنَى جَانِبِهِمْ آمَنُوا مِنْ لُؤْمِ أَحْسَائِهِمْ أَنْ يُقْتَلُوا قَوْدًا  
وَقَوْلُ آعْشَى بِأَهْلَةٍ :

بُوَيْتُمْ قَرَارَةً كُلِّ لُؤْمٍ كَذَلِكَ لِكُلِّ سَائِلَةٍ قَرَارٌ  
وَقَوْلُ الْآخَرِ :

لَوْ كَانَ يُحَقِّقِي عَلَى الرَّحْمَانِ خَافِيَةٌ مِنْ خَلْقِهِ خَفِيَتْ عَنْهُ بُؤَا أَسَدٍ  
وَمِنْ حَيْثُ الْهَجَاءِ قَوْلُ الْآخَرِ :

إِنْ يَغْدِرُوا أَوْ يَجْبُنُوا أَوْ يَخْلُوا لَا يَخْلُوا  
يَعْدُوا عَلَيْكَ مُرْجَلِينَ كَانَهُمْ لَمْ يَفْعَلُوا  
وَقَوْلُ الْآخِرِ :

لَوْ أَطْلَعَ الْأَعْرَابُ عَلَى نَمِيمٍ وَمَا فِيهَا مِنَ السَّوَاءِ شَابَا  
وَمِنْ خَطَا الْأَلْفِظِ قَوْلُ الْآخِرِ :  
ذَكَرْتُ أَخِي قَمَاوَدَنِي صُدَاعُ الرَّأْسِ وَالْوَصْبُ  
فَذَكَرُ الرَّأْسِ مَعَ الصَّدَاعِ فَضِلَّ لِأَنَّ الصَّدَاعَ لَا يَكُونُ فِي  
الرَّجُلِ وَلَا فِي غَيْرِهَا مِنَ الْأَعْضَاءِ . وَفِيهِ وَجْهٌ آخَرُ مِنَ الْعَيْبِ :  
وَهُوَ أَنَّ الذَّاكِرَ لَمَّا قَدْ فَاتَ مِنْ مَحَبُوبٍ يُوصَفُ بِالْمِ الْقَلْبِ  
وَاحْتِرَاقِهِ لَا بِالصَّدَاعِ . وَمِنْ عُيُوبِ الْأَلْفِظِ ارْتِكَابُ الضَّرُورَاتِ فِيهِ  
كَمَا قَالَ الْمُتَلَمِّسُ :

إِنْ تَسْلُكِي سُبُلَ الْمَحَابَةِ مُجِدَّةً مَا عَاشَ عَمْرُو وَمَا عَمَرَتْ قَابُوسُ  
أَرَادَ ( وَمَا عَمَرَ قَابُوسُ ) . وَقَوْلُ الْأَعَشَى حَكَاهُ بَعْضُ الْأَدَبَاءِ  
وَعَابَهُ

وَنَ الْقَاصِرَاتِ شُجُوفُ الْحِجَالِ فَلَمْ تَرَشَّنَا وَلَا زَمْهَرِيرًا  
قَالَ : لَا تَوْضَعُ الشَّمْسُ مَعَ الزَّمْهَرِيرِ ( قَالَ : ) وَكَانَ يَجِبُ أَنْ  
يَقُولَ : لَمْ تَرَشَّنَا وَلَا قَرَأَ وَلَمْ يُصْبَحْ وَلَا قَرَّ وَقَدْ أَخْطَأَ .  
وَكَقَوْلِ عُلُقَمَةَ :

يَحْمِلُنَ أُنْزَجَةً نَضَحُ الْبَعِيرِ بِهَا كَانَ تَطْيَابُهَا فِي الْأَنْفِ مَشْمُومٌ  
وَالْتَطْيَابُ هَاهُنَا عَلَى غَايَةِ السَّامَةِ وَالطَّيْبُ أَيْضًا مَشْمُومٌ لِامْحَاةِ

فَقَوْلُهُ: (كَأَنَّهُ مَشْهُومٌ) مُجْمَعٌ وَقَوْلُهُ: (فِي الْأَثَرِ أَهْجَنُ) لِأَنَّ الشَّمَّ لَا يَكُونُ بِالْعَيْنِ. وَمِنْ الْمَتَأَقِصِرِ قَوْلُ عُرْوَةَ بْنِ أَذْيَنَةَ :  
تَرَلُّوا ثَلَاثَ مَنَى بِمَنْزِلِ غِبْطَةٍ وَهُمْ عَلَى غَرَضٍ لَعَنَكَ مَا هُمْ  
مُتَجَارِبِينَ بَغِيرِ دَارٍ إِقَامَةٍ لَوْ قَدْ أَجَدَّ رَجِيلُهُمْ لَمْ يَنْدَمُوا  
(فَقَالَ) لَيْشُوا فِي دَارِ غِبْطَةٍ ثُمَّ قَالَ: لَوْ رَحَلُوا لَمْ يَنْدَمُوا. وَبِمَا جَاءَ  
فِي ذَلِكَ مِنْ أَشْعَارِ الْمُخَدِّثِينَ قَوْلُ بَشَّارٍ :

وَإِذَا أَذْنَيْتَ مِنْهَا بَصَلًا غَلَبَ الْمِسْكُ عَلَى رِيحِ الْبَصَلِ  
وَمِنْ أَلْعَالِي الْأَبْشَعَةِ قَوْلُ أَبِي نُوَّاسٍ :

بِأَحَدِ الْمُرْتَحَى فِي كُلِّ نَائِبَةٍ قُمْ سَيِّدِي نَعَصِ جَبَّارَ السَّمَاوَاتِ  
فَهَذَا مَعَ كُفْرِهِ تَمَقُّوثٌ. وَمِنْ الْخَطَا قَوْلُ أَبِي أَلْتَّاهِيَةِ :

غَنَيْتَ عَلَى الْوَمَلِ الْقَدِيمِ غَنِيًّا وَضَيْعَتَ وَدًّا كَانَ لِي وَنَسِيًّا  
وَوْنِ عَجَبِ الْأَشْيَاءِ أَنْ مَاتَ مَا لَفِي وَمَا كُنْتُ تَرْعَانِي لَهُ وَبَقِيًّا  
تَجَاهَلْتُ عَمَّا كُنْتُ تُحْسِنُ وَضَفَةً وَمُتَّ عَنْ الْإِحْسَانِ حِينَ حَيَاتَا  
وَلَيْسَ مِنَ الْعَجَبِ أَنْ يَمُوتَ إِنْسَانٌ وَيَبْقَى بَعْدَهُ إِنْسَانٌ آخَرُ.

بَلْ هَذِهِ عَادَةُ الدُّنْيَا وَالْمَعْهُودُ مِنْ أَمْرِهَا وَلَوْ قَالَ: (مِنْ ظُلْمِ  
الْأَيَّامِ) كَانَ الْمَعْنَى مُسْتَوِيًّا. وَسَيَعُتُ بَعْضُ الْأَدَبَاءِ يَقُولُ: وَمِنْ

أَلْعَالِي الْبَارِدَةِ قَوْلُ أَبِي نُوَّاسٍ فِي صِفَةِ الْبَازِي :

فِي هَامَةٍ غَلَبَاءَ تُهْدِي مَنْسَرًا كَعُطْفَةِ الْجِيمِ بِكَفِّ أَعْسَرَا  
ثُمَّ قَالَ :

يَقُولُ مَنْ فِيهَا بِعَقْلٍ فَكَّرَا لَوْ زَادَهَا عَيْنَا إِلَى فَاءٍ وَرَا

فَأَتَصَلَّتْ بِالْجَلِيمِ صَارَ جَعْفَرًا

مَنْ يَجْهَلُ أَنَّ الْجَلِيمَ إِذَا أُضِيفَ إِلَيْهَا أَلْعَيْنُ وَالْقَاءُ وَالرَّاءُ يَصِيرُ  
(جَعْفَرًا) وَمَا يَدْخُلُ فِي صِفَةِ الْبَارِزِيِّ مِنْ هَذَا الْقَوْلِ شَيْءٌ. وَتَبِعَهُ قَوْلُ  
أَبِي تَمَّامٍ :

هُنَّ الْحَمَامُ فَإِنْ كَسَرْتَ عِيَاةً مِنْ حَانِيْنٍ فَاتَّهَنَ جِمَامٌ  
مَنْ ذَا الَّذِي جَهَلَ أَنَّ الْحَمَامَ إِذَا كُسِرَتْ حَاوَاهَا صَارَ جِمَامًا.  
وَأَمَّا أَرَادَ أَبُو نُوَّاسٍ أَنَّهُ يُشَبَّهُ الْجَلِيمَ لَا يُعَادِرُ مِنْ شَبَّهَا شَيْئًا حَتَّى  
لَوْ زِدَتْ عَلَيْهَا هَذِهِ الْأَحْرُفُ صَارَتْ جَعْفَرًا لِشِدَّةِ شَبَّهَا بِهِ وَهُوَ عِنْدِي  
صَوَابٌ. إِلَّا أَنَّهُ لَوْ أَكْتَفَى بِقَوْلِهِ: (كَعْطَقَ الْجَلِيمَ بِكَفٍّ أَعْسَرَ) وَلَمْ  
يَزِدْ الزِّيَادَةَ الَّتِي بَعْدَهَا كَانَ أَحْوَدَ وَارْشَقَ وَادْخَلَ فِي مَذَاهِبِ  
الْفُصَحَاءِ وَأَشَبَّهُ بِالشَّعْرِ الْقَدِيمِ. وَأَمَّا قَوْلُ أَبِي تَمَّامٍ : فَلَهُ مَعْنَى  
خِلَافُ مَا ذَكَرَهُ وَذَلِكَ أَنَّهُ أَرَادَ أَنَّكَ إِذَا رَدَّتْ الزُّجْرَ وَالْعِيَاةَ أَدَاكَ  
الْحَمَامُ إِلَى الْحَمَامِ كَمَا أَنَّ صَوْتَهَا الَّذِي تَنْظُنُّ أَنَّهُ بُكَاءٌ إِنَّمَا هُوَ  
طَرَبٌ وَيُودِيكَ إِلَى الْبُكَاءِ الْحَقِيقِيِّ وَهَذَا مَعْنَى صَحِيحٌ. إِلَّا أَنَّ  
الْمَعْنَى إِذَا صَارَ يَهْدُو الْمِزْلَةَ مِنَ الدَّقَّةِ كَانَ كَالْمَعْنَى وَالتَّغْمِيَةِ حَيْثُ  
يُرَادُ الْبَيَانُ عِيٌّ. وَمِنْ عُيُوبِ الْمَعْنَى قَوْلُ أَبِي نُوَّاسٍ فِي صِفَةِ الْأَسَدِ:  
كَأَنَّمَا عَيْنُهُ إِذَا تَطَرَّتْ بَارِزَةً أَجْفَنَ عَيْنٌ مَخْنُوقٌ  
فَوَصَفَ عَيْنَ الْأَسَدِ بِالْجُحُوظِ وَهِيَ تُوصَفُ بِالْعُورِ كَقَوْلِ أَبِي زَيْدٍ:  
وَعَيْنَانِ كَالْوَقْبَيْنِ فِي قَلْبِ صَخْرَةٍ تَرَى فِيهِمَا كَالْجَمْرَتَيْنِ تَسْعُرَا  
وَمِنْ الْقَلَطِ قَوْلُ أَبِي تَمَّامٍ :

رَقِيقُ حَوَاشِيِ الْحِلْمِ لَوْ أَنَّ حِلْمَهُ يَكْفِيكَ مَا مَارَيْتَ فِي أَنَّهُ بُرْدٌ  
وَمَا وَصَفَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ وَلَا أَهْلِ الْإِسْلَامِ الْحِلْمَ  
بِالرِّقَّةِ وَإِنَّمَا يُوصَفُ بِالرَّجْحَانِ وَالرَّزَانَةِ كَمَا قَالَ أَبُو ذُؤَيْبٍ :

وَصَبْرٌ عَلَى حَدَثِ النَّائِبَاتِ وَحِلْمٌ رَزِينٌ وَعَقْلٌ ذَكِيٌّ  
وَمِثْلُ هَذَا كَثِيرٌ وَإِذَا دَثُمُوا الرَّجُلَ قَالُوا : خَفَّ حِلْمُهُ وَطَاشَ .  
وَمِنْ الْخَطَا قَوْلُ أَبِي تَمَّامٍ :

طَلَعُوا فَكَانَ بُكَائِي حَوْلًا بَعْدَهُمْ ثُمَّ أَرْغَوَيْتُ وَذَاكَ حِلْمٌ لَيْدٍ  
أَجْدِرُ بِجَمْرَةِ لَوْعَةٍ إِطْفَاؤُهَا بِالْدَّمْعِ أَنْ تَرْدَادَ طُولَ وَفُودٍ  
هَذَا خِلَافُ مَا يَعْرِفُهُ النَّاسُ لِأَنَّهُمْ قَدْ أَجْمَعُوا أَنَّ الْبُكَاءَ يُطْفِئُ  
الْقَلِيلَ وَيُزِيدُ حَرَارَةَ الْحُزَنِ وَيُزِيلُ شِدَّةَ الْوَجْدِ . وَقَدْ شَهِدَ أَبُو تَمَّامٍ  
بِحُجَّةِ مَا ذَكَرْنَاهُ وَخَالَفَ قَوْلَهُ الْأَوَّلَ فَقَالَ :

دَثَرْتُ فَرِيدَ مَدَامِعٍ لَمْ يُنْظَمْ وَالْدَّمْعُ يُحْمِلُ بَعْضَ ثِقَلِ الْمَغْرَمِ  
وَوْنِ الْخَطَا قَوْلُ النُّجَّارِيِّ :

بَدَتْ صُفْرَةٌ فِي لَوْنِهِ إِنْ حَمَدَهُمْ مِنَ الدَّرِّ مَا أَصْفَرَتْ حَوَاشِيَهُ فِي الْعَقْدِ  
وَإِنَّمَا يُوصَفُ الدَّرُّ بِشِدَّةِ أَلْيَاسٍ وَإِذَا أُريدَ أَلْبَابَةُ فِي وَصْفِهِ  
وُصِفَ بِالنُّصُوعِ . وَمِنْ أَعْيَبِ عِيُوهِ الصُّفْرَةِ . وَقَالُوا : كَوَكَبٌ دُرِّيٌّ  
لِيَْيَاضِهِ . وَإِذَا أَصْفَرَ أَحْتِيلَ فِي إِذَالَةِ صُفْرَتِهِ لِيَتَّضَوْا وَاسْتِعْمَالَ  
الْحَوَاشِي فِي الدَّرِّ أَيْضًا خَطَاً . وَلَوْ قَالَ : (نَوَاجِيهِ) لَكَانَ أَجْوَدَ .  
وَالْحَاشِيَةُ لِلْبُرْدِ وَالْثُوبِ . فَمَا مَ حَاشِيَةُ الدَّرِّ فَغَيْرُ مَعْرُوفٍ . وَفِيهَا :  
وَحَرَّتْ عَلَى الْأَيْدِي جَبَسَةُ جَنْبِهِ كَذَلِكَ مَوْجُ النُّجَرِ مُتَلَبِّبُ الْوَقْدِ

وَهَذَا غَلَطٌ لِأَنَّ الْبَحْرَ غَيْرُ مُلْتَهَبِ الْمَوْجِ وَلَا مُتَقَدِّ الْمَاءِ . وَلَوْ  
كَانَ مُتَقَدِّاً لَمَا أَمَكْنَ دُكُوبُهُ . وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنْ يُعْظِمَ أَمْرَ الْمَدُوحِ فَجَاءَ  
بِمَا لَا يُعْرِفُ . وَفِيهَا :

وَأَنْتَ تَرَى شَوْكَ الْقَتَادَةِ خَائِفاً سَمُومَ رِيَّاحِ الْقَادِحَاتِ مِنَ الرُّنْدِ  
وَهَذَا خَطَأٌ لِأَنَّهُ شَبَّهَ الْغَلِيلَ بِشَوْكِ الْقَتَادِ لَا لِخَافِ النَّارِ الَّتِي  
تُشَدُّ بِالرِّيَّادِ . وَقَدْ عَلِمْنَا أَنَّ النَّارَ تَفْلِقُ الصَّخْرَ وَتُلِينُ الْحَدِيدَ  
فَكَيْفَ يَسْلَمُ مِنْهَا الْقَتَادُ . وَلَيْسَ لِذِكْرِ السَّمُومِ وَالرِّيَّاحِ أَيْضاً فِي  
هَذَا الْبَيْتِ فائدةٌ وَلَا مَوْقِعٌ . وَنُورِدُ هَاهُنَا جُمْلَةً تَتِمُّ بِهَا مَعَانِي هَذَا  
الْبَابِ : يَنْبَغِي أَنْ تَعْرِفَ أَنَّ أَجُودَ الْوَصْفِ مَا يَسْتَوْعِبُ أَكْثَرَ  
مَعَانِي الْمَوْصُوفِ حَتَّى كَأَنَّهُ يُصَوِّرُ الْمَوْصُوفَ لَكَ فَتَرَاهُ نُصِبَ عَيْنِكَ  
وَذَلِكَ مِثْلُ قَوْلِ يَزِيدَ بْنِ عَمْرٍو أَطَّيْتُ :

أَلَا مَنْ رَأَى قَوْمِي كَانَ رِجَالَهُمْ تَحِيلُ أَنَاهَا عَاضِدُ فَا مَاهَا  
فَهَذَا التَّشْبِيهُ كَأَنَّهُ يُصَوِّرُ لَكَ الْقَتْلَى مُصْرَعِينَ . وَقَوْلِ الْعِثَابِيِّ  
فِي السَّحَابِ :

وَالْعِمُّ كَالثُّوبِ فِي الْآفَاقِ مُنْتَشِرٌ مِنْ فَوْقِهِ طَبَقٌ مِنْ تَحْتِهِ طَبَقٌ  
إِنْ مَنَعَ الرَّعْدُ فِيهِ قُلْتَ مُنْحَرَقٌ أَوْ لَأَلَّ الْبَرْقُ فِيهِ قُلْتَ مُخْتَرَقٌ  
وَلَمَّا كَانَتْ أَغْرَاضُ الشُّعْرَاءِ كَثِيرَةً وَمَعَانِيهَا مُتَشَبِّهَةٌ جَمَّةٌ لَا يَلْتَقِهَا  
الْإِخْصَاءُ . كَانَ مِنَ الْوَجْهِ أَنْ نَذَكَّرَ مَا هُوَ أَكْثَرُ اسْتِعْمَالاً وَأَطُولُ  
مُدَاوَمَةً وَهُوَ الْمَدْحُ . وَالْهَجَاءُ . وَالْوَصْفُ . وَالْمَرَاثِي . وَالْفُحْرُ . وَقَدْ  
ذَكَرْتُ قَبْلَ هَذَا الْمَدِيحَ وَالْهَجَاءَ وَمَا يَنْبَغِي اسْتِعْمَالُهُ فِيهِمَا . ثُمَّ

ذَكَرْتُ أَلَانَ الْوُضْفِ وَتَرَكْتُ الْمِرَاثِي وَالْفَحْرَ . لِأَنَّهُمَا دَاخِلَانِ فِي  
الْمَدِيحِ . وَذَلِكَ أَنَّ الْفَحْرَ مَذْحُكٌ نَفْسُكَ بِأَطْهَارَةٍ وَالْعَنَافِ وَالْخُلْمِ  
وَالْعِلْمِ وَالْحَسْبِ وَمَا يَجْرِي مَجْرَى ذَلِكَ . وَالْمَرِثَةُ مَذْحُكٌ الْمِيتِ وَالْفَرْقُ  
بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ الْمَدِيحِ أَنْ تَقُولَ : كَانَ كَذَا وَكَذَا . وَتَقُولَ فِي الْمَدِيحِ :  
هُوَ كَذَا وَأَنْتَ كَذَا . فَيَنْبَغِي أَنْ يُتَوَخَّى فِي الْمَرِثَةِ مَا يُتَوَخَّى فِي  
الْمَدِيحِ . إِلَّا أَنَّكَ إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَذْكُرَ أَلَيْتَ بِالْجُودِ وَالشُّجَاعَةَ  
تَقُولُ : مَاتَ الْجُودُ وَهَلَكَتِ الشُّجَاعَةُ . وَلَا تَقُولُ : كَانَ فَلَانُ جَوَادًا  
وَشُّجَاعًا فَإِنَّ ذَلِكَ بَارِدٌ غَيْرُ مُسْتَحْسِنٍ . وَكَذَلِكَ مَا كَانَ أَلَيْتَ يَرْكَبُهُ فِي  
حَيَاتِهِ . فَيَنْبَغِي أَنَّهُ لَا يَذْكُرُ أَنَّهُ يَبْكِي عَلَيْهِ مِثْلُ الْخَيْلِ وَالْإِبِلِ وَمَا  
يَجْرِي مَجْرَاهُمَا وَإِنَّمَا يَذْكُرُ اغْتِبَاطَهُمَا بِمَوْتِهِ . وَقَدْ أَحْسَنْتَ الْخُصَاءَ  
حَيْثُ تَقُولُ :

فَقَدْ فَدَدْتَكَ طَلَقَةً وَأَسْتَرَا حَتَّ قَلَيْتَ الْخَيْلَ فَارِسُهَا يَرَاهَا  
بَلَّ يُوصَفُ بِالْبُكَاءِ عَلَيْهِ مَنْ كَانَ يُحْسِنُ إِلَيْهِ فِي حَيَاتِهِ . كَمَا  
قَالَ الْقَنْوِيُّ :

لَيْسَ بِكَ شَيْخٌ لَمْ يَجِدْ مَنْ يَبِينُهُ وَطَاوِي الْحَشَى نَائِي الْمَزَارِ غَرِيبُ  
فَهَذِهِ جُمْلَةٌ إِذَا تَدَبَّرَهَا صَانِعُ الْكَلَامِ اسْتَفْتَى بِهَا عَنْ غَيْرِهَا .  
وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ





### البحث الثالث

في كيفية نظم الكلام وما ينبغي استعماله في تأليفه  
( عن كتاب الصناعتين باختصار )

إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَصْنَعَ كَلَامًا فَأَخْطِرْ مَعَانِيَهُ بِبَالِكَ وَتَوَقَّ لَهُ  
كَرَائِمَ اللَّفْظِ وَأَجْعَلْهَا عَلَى ذِكْرِ مِنْكَ لِيَقْرُبَ عَلَيْكَ تَأْوِيلُهَا وَلَا يَتَعَبِكَ  
تَطْلُبُهَا . وَأَعْمَلْهُ مَا دُمْتَ فِي شَبَابِ نَشَاطِكَ فَإِذَا غَشِيَكَ الْفُتُورُ  
وَتَحَوَّنَكَ أَلْمَلَالُ فَأَمْسِكْ . فَإِنَّ الْكَأَيَرَ مَعَ أَلْمَلَالِ قَلِيلٌ وَالنَّفِيسَ  
مَعَ الصَّخْرِ خَسِيسٌ وَالْخَوَاطِرَ كَالْإِنْيَاعِ يُسْقَى مِنْهَا شَيْءٌ بَعْدَ شَيْءٍ  
فَتَجِدُ حَاجَتَكَ مِنَ الرِّبَايَةِ وَتَنَالُ أَرْبَكَ مِنَ النِّفْعَةِ . فَإِذَا أَكْثُرَتْ  
عَلَيْهَا نَضَبَ مَاؤُهَا وَقَلَّ عَنْكَ غِنَاؤُهَا . وَيَنْبَغِي أَنْ تَجْرِيَ مَعَ الْكَلَامِ  
مُعَارَضَةً فَإِذَا مَرَزْتَ بِلَفْظٍ حَسَنٍ أَخَذْتَ بِرَقَبَتِهِ أَوْ بِمَعْنَى بَدِيْعِهِ  
تَعَلَّقْتَ بِذَيْلِهِ . وَتَحَذَّرُ أَنْ يَسْبِقَكَ فَإِنَّهُ إِنْ سَبَقَكَ تَعَبْتَ فِي تَتَبُعِهِ  
وَنَصَبْتَ فِي طَلَبِهِ وَلَعَلَّكَ لَا تُلْحَقُهُ عَلَى طُولِ الطَّلَبِ وَمُواصَلَةِ الدَّابِّ  
وَقَدْ قَالَ الشَّاعِرُ :

إِذَا ضَيَّعْتَ أَوَّلَ كُلِّ أَمْرٍ أَبَتْ أَنْجَازُهُ إِلَّا أَلْتَوَاءَ  
وَقَالُوا : يَنْبَغِي لِصَانِعِ الْكَلَامِ أَنْ لَا يَتَقَدَّمَ الْكَلَامُ نَقْدًا  
وَلَا يَتَّبِعَ ذُنَابَاهُ تَتَبُعًا وَلَا يَجْعَلَهُ عَلَى لِسَانِهِ حَمَلًا فَإِنَّهُ إِنْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ  
لَمْ تَتَّبِعْ حَقِيقَتَهُ وَهَزِيلُهُ وَأَعْجَفُهُ وَالشَّارِدُ مِنْهُ . وَإِنْ تَتَّبِعَهُ فَاتَتْهُ سَوَاقِطُهُ  
وَلَوَاحِشُهُ وَتَبَاعَدَتْ عَنْهُ جَيَادُهُ وَغُرَرُهُ . وَإِنْ حَمَلَهُ عَلَى لِسَانِهِ ثَقُلَتْ  
عَلَيْهِ أَوْسَاقُهُ وَأَعْبَاؤُهُ وَدَخَلَتْ مَسَاوِيرُهُ فِي مُحَاسِنِهِ وَلَكِنَّهُ يَجْرِي مَعَهُ

فَلَا تَبْدُ عَنْهُ نَادَةً مُجِبَّةً سَهْمَاءَ إِلَّا كَجَهَا وَلَا تَحْتَفِ عَنْهُ مُثْقَلَةً هَزِيلَةً  
إِلَّا أَرَهَقَهَا فَطَوْرًا تُفَرِّقُهُ لِيُخْتَارَ أَحْسَنُهُ وَطَوْرًا تَجْمَعُهُ لِتُقَرَّبَ عَلَيْكَ  
خُطْوَةُ الْفِكْرِ وَيَتَنَاوَلَ الْفَلْظُ مِنْ تَحْتِ اسْمَانِهِ وَلَا يُسَاطُ الْمَلَلُ عَلَى  
قَلْبِهِ. وَالْإِكْتَارُ عَلَى نَفْسِكُمْ فَيَأْخُذُ عَفْوَهُ وَلَا يَسْتَعْرِزُ دَرَّةً وَلَا يُكْرِهُ  
آيَا وَلَا يَدْفَعُ آتِيَا. وَقَالَ بَشْرُ بْنُ الْمَعْتَمِرِ: خُذْ مِنْ نَفْسِكَ سَاعَةً  
إِنْ شِطَاكَ وَقَرَأْ بِالْكَافِ وَاجِأْتِهَا لَكَ. فَإِنَّ تِلْكَ السَّاعَةَ أَكْرَمُ  
جَوْهَرًا وَأَشْرَفُ حُسْنًا وَأَحْسَنُ فِي الْأَسْمَاعِ وَأَخْلَى فِي الصُّدُورِ وَأَسْلَمُ  
مِنْ فَاحِشِ الْخَطَايَا وَأَجْلَبُ لِكُلِّ عَيْنٍ وَغُرَّةٍ مِنْ لَفْظٍ كَرِيمٍ  
وَمَعْنَى بَدِيعٍ. وَاعْلَمْ أَنَّ ذَلِكَ أَجْدَى عَلَيْكَ مِمَّا يُطِيعُكَ يَوْمَكَ  
أَلَّا تَطُولُ بِالْكَدِّ وَالطَّائِبَةِ وَالْجَاهِدَةِ وَالتَّكَلُّفِ وَالْعَاوِدَةِ. وَمِنْهَا  
أَخْطَاكَ لَمْ يُخْطِطْكَ أَنْ يَكُونَ مَقْبُولًا قَضَاً أَوْ خَفِيفًا عَلَى اللِّسَانِ سَهْلًا  
وَكَمَا خَرَجَ مِنْ يَنْبُوعِهِ وَتَجَمَّ عَنْ مَعْدِنِهِ. وَإِيَّاكَ وَالتَّوَعُّرَ فَإِنَّ التَّوَعُّرَ  
يُسَلِّمُكَ إِلَى التَّعْقِيدِ وَالتَّعْقِيدُ هُوَ الَّذِي يَسْتَهْلِكُ مَعَانِيكَ وَيَشِينُ  
أَفْعَاذَكَ. وَمَنْ أَرَادَ مَعْنَى كَرِيمًا فَلْيَتَلَسَّسْ لَفْظًا كَرِيمًا فَإِنَّ حَقَّ الْمَعْنَى  
الشَّرِيفِ الْفَلْظُ الشَّرِيفُ وَمِنْ حَقِّهِمَا أَنْ يَصُونَهُمَا عَمَّا يُدَسُّهُمَا  
وَيُنْسَدُّهُمَا وَيُهْجَهُمَا فَيَصِيرُ بِهِمَا إِلَى حَدٍّ يَكُونُ فِيهِ أَسْوَأَ حَالًا مِنْكَ  
قَبْلَ أَنْ تَتَلَسَّسَ الْبَلَاغَةَ وَتَرْتَهِنَ نَفْسَكَ فِي مَلَابِسِهَا. فَكُنْ فِي  
ثَلَاثِ مَنَازِلٍ. فَأَوَّلُ الثَّلَاثِ: أَنْ يَكُونَ لَفْظُكَ شَرِيفًا عَذْبًا وَفَحْمًا  
سَهْلًا وَيَكُونَ مَعْنَاكَ ذَاهِرًا مَكْشُوفًا وَقَرِيبًا مَعْرُوفًا. فَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ  
لَا تُؤَاتِيكَ وَلَا تَسْمَعُ لَكَ عِنْدَ أَوَّلِ خَاطِرٍ وَتَحْدِ الْفَلْظَةَ لَمْ تَقَعْ مَوْقِعَهَا

وَلَمْ تَصِلْ إِلَى مَرْكَزِهَا وَلَمْ تَتَّصِلْ بِسِلْكِهَا وَكَانَتْ قَلَقَةً فِي مَوْضِعِهَا  
 نَافِرَةً عَنْ مَكَانِهَا فَلَا تُكْرِهْهَا عَلَى انْتِصَابِ الْأَمَاكِينِ وَالْأَزْوَاجِ فِي  
 غَيْرِ أَوْطَانِهَا . فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَتَّعَاطَ قَرِيضَ الشَّعْرِ الْمَنْظُومِ وَلَمْ  
 تَتَكَلَّفْ اخْتِيَارَ الْكَلَامِ الْمُنْشُورِ لَمْ يَبْعَكَ بِذَلِكَ أَحَدٌ . وَإِنْ  
 تَكَلَّفْتَهُ وَلَمْ تَكُنْ حَازِقًا مَطْبُوعًا وَلَا مُخَيَّمًا لِشَأْنِكَ بِصِيرًا عَابَكَ  
 مِنْ أَنْتَ أَقَلُّ عِيًّا مِنْهُ وَزَرَى عَلَيْكَ مَنْ هُوَ دُونَكَ . فَإِنْ أَبْتَلَيْتَ  
 بِتَكَلُّفِ الْقَوْلِ وَتَعَاطَى الصَّاعَةِ وَلَمْ تَسْمَعْ لَكَ الطَّبِيعَةَ فِي أَوَّلِ  
 وَهْلَةٍ وَتَعَصَى عَلَيْكَ بَعْدَ إِبَاجَةِ الْفِكْرَةِ فَلَا تَعْجَلْ وَدَعُ سَحَابَةَ يَوْمِكَ  
 وَلَا تَعْجِرْ وَأَمْهَلْ سَوَادَ لَيْلَتِكَ وَعَاوِذَهُ عِنْدَ نَشَاطِكَ فَإِنَّكَ لَا تَعْدُمُ  
 الْجَاجَةَ وَالْمُؤَاتَاةَ . وَإِنْ كَانَتْ هُنَاكَ طَبِيعَةٌ وَأُجْرِيَتْ مِنَ الصَّنَاعَةِ  
 عَلَى عَرَفٍ فَهِيَ الْمَنْزِلَةُ الثَّانِيَّةُ . فَإِنْ تَمَنَّعَ عَلَيْكَ بَعْدَ ذَلِكَ مَعَ تَرْوِيجِ  
 الْخَاطِرِ وَطُولِ الْأَمْهَالِ فَالْمَنْزِلَةُ الثَّلَاثَةُ . أَيَّ أَنْ تَتَحَوَّلَ مِنْ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ  
 إِلَى أَشْهَى الصَّنَاعَاتِ إِلَيْكَ وَآخَفَهَا عَلَيْكَ فَإِنَّكَ لَمْ تَشْتَهَ إِلَّا  
 وَبَيْنَكُمَا نَسَبٌ . وَالشَّيْءُ لَا يَجْنُ إِلَّا إِلَى مَا شَاكَهُ وَإِنْ كَانَتْ  
 الْمَشَاكَّةُ قَدْ تَكُونُ فِي طَبَقَاتٍ فَإِنَّ النُّفُوسَ لَا تَجُودُ بِمَكُونِهَا  
 وَلَا تَسْمَعُ بِخَزُونِهَا مَعَ الرَّهْبَةِ كَمَا تَجُودُ مَعَ الرِّغْبَةِ وَالْحُبَّةِ . وَيَنْبَغِي  
 أَنْ تَعْرِفَ أَقْدَارَ الْمَعَانِي فَتَوَازِنَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ أَوْزَانِ الْمُسْتَعِينِ وَبَيْنَ  
 أَقْدَارِ الْحَالَاتِ فَتَجْعَلَ لِكُلِّ طَبَقَةٍ كَلَامًا وَلِكُلِّ حَالٍ مَقَامًا حَتَّى  
 تَقْسِمَ أَقْدَارَ الْمَعَانِي عَلَى أَقْدَارِ الْقَلَمَاتِ وَأَقْدَارِ الْمُسْتَعِينِ عَلَى أَقْدَارِ  
 الْحَالَاتِ . وَأَعْلَمْ أَنَّ الْمُنْفَعَةَ مَعَ مُوَافَقَةِ الْحَالِ وَمَا يَجِبُ لِكُلِّ مَقَامٍ

مِنَ الْقَالَ . فَإِنْ كُنْتَ مُتَكَلِّمًا أَوْ أُخِجْتَ إِلَى عَمَلٍ خُطِبَ لِبَعْضِ  
مَنْ تَضَمَّنَ لَهُ الْخُطْبُ أَوْ قَصِيدَةً لِبَعْضِ مَا يُرَادُ لَهُ الْقَصْدُ فَتَحْتَ  
أَلْفَاظَ الْمُتَكَلِّمِينَ مِثْلَ الْجَنَمِ وَالْعَرْضِ وَالْكَوْنِ وَالتَّأْلِيلِ  
وَالْجَوْهَرِ فَإِنَّ ذَلِكَ هُجْنَةٌ . . .

### البحث الرابع

## في خواص الكلام الحرِّ

( عن ابن المعتز والرماني )

قِيلَ إِنَّ أَحْسَنَ الْكَلَامِ مَا كَانَ تَرْجَمَانًا لِلْقُلُوبِ وَصَيْقَلًا لِلْعُقُولِ  
وَمَحَلًّا لِلشُّبْهِ وَمَوْجِبًا لِلنَّجَّةِ . وَالْحَاكِمُ عِنْدَ اخْتِصَاصِ الظُّنُونِ وَالْمُفَرِّقُ  
بَيْنَ الشُّكِّ وَالْيَقِينِ . يَتَقَادَرُ بِهِ الْمُسْتَضَعُّ وَيَسْتَقِيمُ لَهُ الْأَصِيدُ .  
وَخَيْرُ الْبَيَانِ مَا كَانَ مُصَرِّحًا عَنِ الْمَعْنَى لِيُسْرَعَ إِلَى الْفَهْمِ تَلْقِيهِ .  
وَمَوْجِزًا لِيُخَفِّفَ عَلَى اللَّفْظِ تَعَاطِيهِ الَّذِي هُوَ الْمُبْلَغُ الَّذِي لَا يَمَلُّ وَالْجَدِيدُ  
الَّذِي لَا يَحِلُّقُ . وَاتَّحَقَّ السَّاطِعُ . وَالْمُلَاحِظِي ظَلَمَ الضَّلَالِ . وَلِسَانُ  
الْصِّدْقِ الْبَاقِي بِالْكَذِبِ . إِنْ أَوْجَزَ كَانَ كَافِيًا وَإِنْ أَكْثَرَ كَانَ  
مُذَكِّرًا . وَإِنْ أَوْمَأَ كَانَ مُقْنِعًا . وَإِنْ أَطَالَ كَانَ مُفْهِمًا . وَإِنْ  
أَمَرَ فَنَاصِحًا . وَإِنْ حَكَمَ فَعَادِلًا . وَإِنْ أَخْبَرَ فَصَادِقًا . وَإِنْ بَيَّنَّ  
فَشَافِيًا . سَهْلٌ عَلَى الْفَهْمِ . صَغْبٌ عَلَى الْمُتَعَاظِي . قَرِيبٌ الْمَلَاخِذُ بَعِيدُ  
الْمَرَامِ . سِرَاجٌ تَسْنِيخِي بِهِ الْقُلُوبُ حُلُوٌّ إِذَا تَذَوَّقَتْهُ الْعُقُولُ . وَقَدْ  
قِيلَ : أَبْلَغُ الْكَلَامِ مَا حَاطَ التَّكَلُّفُ عَنْهُ وَبَنَى عَلَى التَّنْيِينِ وَكَانَتْ  
الْفَائِدَةُ أَغْلَبَ عَلَيْهِ مِنَ الْقَافِيَةِ بِأَنْ جُمِعَ مَعَ ذَلِكَ سُهولةُ الْخُرُجِ

مَعَ قُرْبِ الْمُتَنَاولِ . وَعُدُوبَةُ اللَّفْظِ مَعَ رَشَاقَةِ الَّلَمْعَى . وَأَن يَكُونَ  
حُسْنُ الْإِبْتِدَاءِ كَحُسْنِ الْإِنْتِهَاءِ . وَحُسْنُ الْوَصْلِ كَحُسْنِ الْقَطْعِ فِي  
الَّلَمْعَى وَالسَّمْعِ . وَكَانَتْ كُلُّ كَلِمَةٍ قَدْ وَقَعَتْ فِي حَقِّهَا وَإِلَى جَنْبِ  
أُخْتِهَا حَتَّى لَا يُقَالَ : لَوْ كَانَ كَذَا فِي مَوْضِعٍ كَذَا لَكَانَ أَوْلَى حَتَّى  
لَا يَكُونَ فِيهِ لَفْظٌ مُخْتَلِفٌ وَلَا مَعْنَى مُسْتَكْرَهَةٌ . ثُمَّ أَلَسَ بَهَاءُ الْحِكْمَةِ  
وَنُورُ الْمَعْرِفَةِ وَشَرَفُ الَّلَمْعَى وَجَزَالَةُ الَّلَفْظِ وَكَانَتْ حِلَاوَتُهُ فِي الصَّدْرِ  
وَجَلَالَتُهُ فِي النَّفْسِ تَفْتَقُ الْفَهْمُ وَتَتَنَزَّدُ قَاتِقِ الْحُكْمِ وَكَانَ ظَاهِرَ  
الَّنَّفَعِ شَرِيفَ الْقَصْدِ مُعْتَدِلَ الْوِزْنِ حَمِيلَ الْمَذْهَبِ كَرِيمَ الْمَطْلَبِ .  
فَصِيغًا فِي مَعْنَاهُ يَتَنَاوَلُ فِي فُحْوَاهُ . . . . . وَجَاءَ أَيْضًا فِي كُتُبِ الْأَدَبِ :  
إِنَّ لَحْظَةَ الْقَلْبِ أَسْرَعُ خَطَرَةً مِنْ لَحْظَةِ الْعَيْنِ وَأَبْعَدُ مَجَالًا وَهِيَ  
أَعْلَاهُ فِي أَعْمَاقِ أَوْدِيَةِ الْفِكْرِ وَالْمُتَأَمِّلَةُ لَوُجُوهِ الْعَوَاقِبِ . وَالْجَامِعَةُ  
يَبِيزُ مَا غَابَ وَحَضَرَ . وَالْمِيزَانُ الشَّاهِدُ عَلَى مَا نَفَعَ وَضَرَ . وَالْقَلْبُ  
كَأَلْمِ الْكَلَامِ عَلَى اللِّسَانِ إِذَا نَطَقَ وَالْيَدُ إِذَا كَتَبَتْ . وَالْعَاقِلُ  
يَكْسُو الَّلَمْعَانِي وَشَيَ الْكَلَامِ فِي قَلْبِهِ ثُمَّ يُبْدِيهَا بِالْفَاظِ كَيْسَهُ بِأَحْسَنِ  
زِينَةٍ . وَالْجَاهِلُ يَسْتَعْجِلُ بِإِظْهَارِ الَّلَمْعَانِي قَبْلَ الْعِنَايَةِ بِتَرْيِينِ مَعَارِضِهَا  
وَأَنْتِ كَمَالُ مُحَاسِنِهَا . قِيلَ لِيَشَارَ بْنَ بُرْدٍ : بِمِ قُتَّتْ أَهْلَ عَصْرِكَ  
فِي حُسْنِ مَعَانِي الشَّعْرِ وَتَهْذِيبِ الْفَاظِ . فَقَالَ : لَا إِلَيَّ لَمْ أَقْبَلْ كُلَّ  
مَا تُورِدُهُ عَلَيَّ قَرِيجَتِي وَيُنَاجِيَنِي بِهِ طَبِيعِي وَيَبْعَثُهُ فِكْرِي . وَنَظَرْتُ  
إِلَى مَعَارِسِ الْفُطُنِ وَمَعَادِنِ الْحَقَائِقِ وَلَطَائِفِ التَّشْبِihَاتِ فَسِرْتُ  
إِلَيْهَا بِفَهْمٍ جَيِّدٍ وَغَرِيزَةٍ قَوِيَّةٍ فَاحْكَمْتُ سَيْرَهَا وَأَتَقَمْتُ حُرَهَا

وَكَشَفَتْ عَنْ حَقَائِقِهَا وَأَحْتَرَزَتْ عَنْ مُتْكِفِهَا . وَمَا مَلَكَ قَطُّ  
قِيَادِي الْإِعْجَابُ بِشَيْءٍ مِمَّا آتَى بِهِ . قَالَ الْجَاهِظُ : إِنَّ الْمَعْنَى إِذَا  
كَانَ شَرِيفًا وَكَانَ اللَّفْظُ بَلِيغًا وَكَانَ صَحِيحَ الطَّبَعِ بَعِيدًا مِنْ  
الْإِسْتِكْرَاهِ مُدْرَهَا عَنْ الْإِخْتِلَالِ مَضُونًا عَنْ التَّكْلِيفِ صَنَعَ فِي الْقَلْبِ  
صَنِيعَ الْغَيْثِ فِي الثَّرَى الْكَرِيمَةِ . وَمَتَى فُصِّلَتِ الْكَلِمَةُ عَلَى هَذِهِ  
الشَّرِيطَةِ وَفُذَّتْ مِنْ قَائِلِهَا عَلَى هَذِهِ الْحَقَّةِ كَسَاهَا اللَّهُ مِنَ التَّوْفِيقِ  
وَمَحَّهَا مِنَ التَّأْيِيدِ مَا لَا يَمْتَنِعُ مِنْ تَعْظِيمِهَا بِهِ صُدُورُ الْجَبَابِرَةِ وَلَا  
يَذْهَلُ عَنْ فَهْمِهَا مَعَ عُقُولِ الْجَهْلَةِ

### البحث الخامس

## في تهذيب الكلام وتنقيحه

( عن خزانة الادب الحموي وزهر الآداب للحصري )

وَهُوَ عِبَارَةٌ عَنْ تَرْدَادِ النَّظَرِ فِي الْكَلَامِ بَعْدَ عَمَلِهِ وَالشُّرُوعِ فِي  
تَهْذِيبِهِ وَتَنْقِيحِهِ نَظْمًا كَانَ أَوْ نَثْرًا وَتَغْيِيرِ مَا يَجِبُ تَغْيِيرُهُ وَحَذْفِ مَا  
يَنْبَغِي حَذْفُهُ وَإِصْلَاحِ مَا يَتَعَيَّنُ إِصْلَاحُهُ وَكَشْفِ مَا يُشْكَلُ عَنْ  
غَرِيْبِهِ وَإِعْرَاقِهِ . وَتَحْرِيرِ مَا يَدِقُّ مِنْ مَعَانِيهِ . وَأَطْرَاحِ مَا يَتَجَافَى عَنْ  
مَضَاجِعِ الرِّقَّةِ مِنْ غَلِيظِ الْفَاطِلِ لِشَرْقِ شُمُوسِ التَّهْذِيبِ فِي سَمَاءِ  
بَلَاجَتِهِ وَتَرْشُفِ الْأَنْسَاءِ عَلَى الطَّرَبِ رَفِيقِ سُلَافَتِهِ . فَإِنَّ الْكَلَامَ  
إِذَا كَانَ مَوْصُوفًا بِالْمُهْذَبِ مَنُوعًا بِالْمُنْتَقَحِ عِلَّتْ رُبَّتُهُ . وَإِنْ كَانَتْ  
مَعَانِيهِ غَيْرَ مُبْتَكِرَةٍ . وَكُلُّ كَلَامٍ قِيلَ فِيهِ : لَوْ كَانَ مَوْضِعَ هَذِهِ

الْكَلِمَةِ غَيْرَهَا . وَلَوْ تَقَدَّمَ هَذَا الْمَتَأَخَّرُ وَتَأَخَّرَ هَذَا الْمَتَقَدِّمُ . أَوْ لَوْ  
تَمَّ هَذَا النِّقْصُ بِكَذَا . أَوْ لَوْ تَكَمَّلَ هَذَا الْوَصْفُ بِكَذَا . أَوْ لَوْ  
حُذِفَتْ هَذِهِ اللَّفْظَةُ . أَوْ لَوْ اتَّضَحَ هَذَا الْمَقْصَدُ وَسَهَلَ هَذَا الْمَطْلَبُ  
لَكَانَ الْكَلَامُ أَحْسَنَ وَالْعَنَى آيِنَ . كَانَ ذَلِكَ الْكَلَامُ غَيْرَ  
مُنْتَظَمٍ فِي سِلْكِ نَوْعِ التَّهْذِيبِ وَالتَّأْدِيبِ . وَكَانَ زُهَيْرُ بْنُ أَبِي  
سَلَمَى مَعْرُوفًا بِالتَّقْصِيقِ وَالتَّهْذِيبِ . وَلَهُ قَصَائِدُ تُعْرَفُ بِالْحَوَالِيَّاتِ .  
قِيلَ : إِنَّهُ كَانَ يَنْظُمُ الْقَصِيدَةَ فِي أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ وَيَهْدِيهَا وَيُنْقِهَا فِي  
أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ وَيَعْرِضُهَا عَلَى عُلَمَاءِ قَبِيلَتِهِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ . وَيُرَوَى : أَنَّهُ  
كَانَ يَعْمَلُ الْقَصِيدَةَ فِي شَهْرٍ وَيُنْقِهَا وَيَهْدِيهَا فِي أَحَدِ عَشَرَ شَهْرًا  
وَلَا جَرَمَ أَنَّهُ قَلَّمَا يَسْقُطُ مِنْهُ شَيْءٌ . وَلِهَذَا كَانَ الْإِمَامُ عُمَرُ بْنُ  
الْخَطَّابِ مَعَ جَلَالَتِهِ فِي الْعِلْمِ وَتَقَدُّمِهِ فِي النِّقْدِ يُقَدِّمُهُ عَلَى سَائِرِ الْفُحُولِ  
مِنْ طَبَقَتِهِ . وَمَا أَحْسَنَ مَا أَشَارَ أَبُو التَّمَامِ إِلَى التَّهْذِيبِ بِقَوْلِهِ :  
خُذْهَا ابْنَةُ الْفِكْرِ الْهَذَبُ فِي الدُّجَى وَاللَّيْلِ أَسْوَدُ رُقْعَةُ الْجَلْبَابِ  
فَإِنَّهُ خَصَّ تَهْذِيبَ الْفِكْرِ بِالدُّجَى لَكُونَ اللَّيْلِ تَهْدَأُ فِيهِ الْأَصْوَاتُ  
وَتَسْكُنُ الْحَرَكَاتُ فَيَكُونُ الْفِكْرُ فِيهِ مُجْتَمِعًا وَمِرَآةَ التَّهْذِيبِ فِيهِ  
صَقِيلَةٌ لِحُلُوقِ الْخَاطِرِ وَصَفَاءُ الْقَرِيحَةِ . لَا سِيَّامَا وَسَطَ اللَّيْلِ وَالنَّفْسُ قَدْ  
أَخَذَتْ حَظَّهَا مِنَ الرَّاحَةِ بَعْدَ نَيْلِ قَسْطِهَا مِنَ الزَّهْمِ وَخَفَّ عَلَيْهَا ثَقْلُ  
الْعِذَاءِ . وَصَحَّ ذَهْنُهَا وَصَارَ صَدْرُهَا مُنْشَرَحًا وَقَلْبُهَا بِالتَّأْلِيفِ مُنْبَسِطًا .  
وَمَا قَدَّمُوا وَسَطَ اللَّيْلِ فِي التَّأْلِيفِ عَلَى السَّحَرِ مَعَ مَا فِيهِ مِنْ أَنْتِبَاءِ  
أَكْثَرِ الْحَيَوَانِ النَّاطِقِ وَارْتِفَاعِ الْأَصْوَاتِ وَجَرَشِ الْحَرَكَاتِ وَتَقَشُّعِ

الظلماء بطلانهم الأضواء . ويدون ذلك يثقم الفكر ويشغل القلب  
ووسط الليل خال مما ذكرناه . ولهذا خص أبو تمام تهذيب  
الفكر بالدجى عادلاً عن الطرفين لما فيها من الشواغل المذمومة .  
وحكت الثقات عن أبي عبادة الجعفي قال : كنت في حدائثي أروم  
الشعر وكنت أرجع فيه إلى طبع سليم ولم أصن وقت له على  
تسهيل مأخذ ووجوه اقتضاب حتى قصدت أبا تمام وأنقطعت إليه  
وأتكلت في تعريفه عليه فكان أول ما قال لي : يا أبا عبادة  
تخير الأوقات وانت قليل الهدوم صفر من الغيوم . وأعلمه أن  
العادة في الأوقات إذا قصد الإنسان تأليف شيء أو حفظه أن يختار  
وقت السحر . وذلك أن النفس تكون قد أخذت حظها من الراحة  
وقسطها من النوم وخفت عنها ثقل الغذاء . وصفاً من أكثر الانجزة  
والأذخنة حسم الهواء . وسكنت الغمام . وركت النسائم . وتغنت  
الحمام . وإذا سرعت في التأليف تغن بالشعر فإن الغناء وضارته الذي  
يجري فيه . واجتهد في إيضاح معانيه . فان أردت ذكر الأخباب  
فاجعل اللفظ رقيقاً والمعنى رقيقاً وأكثر فيه من بيان الكتابة .  
وقلق الأشواق . ولوعة الفراق والتغلب باستنشاق النسائم . وغناء  
الحمام . والبروق اللامعة . والنجوم الطالعة . والتبرم من العدل .  
والوقوف على الأطلال . وإذا أخذت في مدح سيد فاشهر مناقبه  
وأظهر مناسبة وأذهب من عرائمه وأزغب في مكارمه . وأحذر  
الجهول من المعاني وإياك أن تشين شعرك بالعبارة والألفاظ



الْوَحْشِيَّةِ وَنَاسِبَ بَيْنَ الْأَلْفَاظِ وَالْمَعَانِي فِي تَأْلِيفِ الْكَلَامِ وَكُنْ  
كَأَنَّكَ خِيَاطٌ تُقَدِّرُ الثِّيَابَ عَلَى مَقَادِيرِ الْأَجْسَامِ . وَإِذَا عَارَضَكَ  
الصَّخْرُ فَارْحَ نَفْسَكَ وَلَا تَعْمَلْ إِلَّا وَأَنْتَ فَارِغُ الْقَلْبِ وَلَا تَنْظِمْ  
إِلَّا بِشَهْوَةٍ فَإِنَّ الشَّهْوَةَ نَعَمَ الْمُعِينُ عَلَى حُسْنِ النَّظْمِ . وَجُمْلَةُ أَحَالِ  
أَنْ تَغْتَبِرَ شِعْرَكَ بِمَا سَلَفَ مِنْ أَشْعَارِ الْمَاضِينَ فَمَا اسْتَحْسَنَ الْعُلَمَاءُ  
فَاقْصِدْهُ وَمَا اسْتَقْبَحُوهُ فَاجْتَنِبْهُ

وَأَوْرَدَ الْعَلَامَةُ زَكِيَّ الدِّينِ بْنِ أَبِي الْأَضَمِّ فِي كِتَابِهِ الْمُسَمَّى  
بِتَحْرِيرِ التَّخْيِيرِ وَصِيَّةً لِنَفْسِهِ أَوْرَدَهَا أَيْضًا عَلَى نَوْعِ التَّهْذِيبِ وَالتَّأْدِيبِ  
فَاخْتَرَتْ مِنْهَا مَا هُوَ اللَّائِقُ بِالْحَالِ وَأَوَّلَهَا : يَتَّبِعِي لَكَ أَيُّهَا الرَّأْغِبُ فِي  
الْعَمَلِ السَّائِلُ عَنْ أَوْضَحِ السُّبُلِ أَنْ تَحْصَلَ الْمَعْنَى قَبْلَ الشُّرُوعِ فِي  
النَّظْمِ وَالْقَوَائِي قَبْلَ الْآيَاتِ (قُلْتُ وَهَذَا مَذْهَبُنَا) . ثُمَّ قَالَ أَيْضًا :  
وَلَا تُكْرِهْ الْخَاطِرَ عَلَى وَزْنٍ مُخْصُوصٍ وَرَوِيٍّ مَقْصُودٍ وَتَوَخَّ الْكَلَامَ  
الْجَزَلَ دُونَ الرَّذَلِ وَالسَّهْلَ دُونَ الصَّغْبِ وَالْعَذْبَ دُونَ الْمُسْتَكْرَوِ  
وَالْمُسْتَحْسَنَ دُونَ الْمُسْتَهْجَنِ . وَلَا تَعْمَلْ نَظْمًا وَلَا نَثْرًا عِنْدَ الْمَلَلِ  
فَإِنَّ الْكَثِيرَ مَعَهُ قَلِيلٌ وَالنَّفِيسَ مَعَهُ خَسِيسٌ . وَالْخَوَاطِرَ يَنَاقِشُ إِذَا  
رَفِيقُهَا حَمَّتْ وَإِذَا كَثُرَ اسْتَعْمَلَهَا تَرَحَّتْ . وَاسْكُتْ كُلَّ مَعْنَى يَسْنَعُ  
وَقَيِّدْ كُلَّ فَائِدَةٍ تَعْرِضُ فَإِنَّ نَتَائِجَ الْأَفْكَارِ كَلِمَةُ الْبَرَقِ وَلَسَخَةُ  
الْطَّرْفِ إِنْ لَمْ تُقَيِّدْهَا شَرِدَتْ وَنَدَّتْ وَإِنْ لَمْ تَسْتَعِظْ بِالتَّكْرَارِ  
عَلَيْهَا صَدَّتْ وَالتَّرْتُّمُ بِالشَّعْرِ بِمَا يُعِينُ عَلَيْهِ . فَقَدْ قَالَ الشَّاعِرُ :  
تَعَنَّ بِالشَّعْرِ إِمَّا كُنْتَ قَائِلُهُ إِنْ أَلْفَاءَ لِقَوْلِ الشَّعْرِ مَضَارُ

## البحث السادس

### في شروط الكلام

( عن ادب الدنيا والدين للآوردي )

إِعْلَمْ أَنَّ لِلْكَلامِ شُرُوطًا لَا يَسْلُمُ الْمُتَكَلِّمُ مِنْ الزَّلَالِ إِلَّا بِهَا  
وَلَا يَعْرِى مِنَ النِّقْصِ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَسْتَوْفِيَهَا وَهِيَ أَرْبَعَةٌ : ( فَالْشَّرْطُ  
الْأَوَّلُ ) أَنْ يَكُونَ الْكَلَامُ إِدَاعٍ يَدْعُو إِلَيْهِ إِمَّا فِي اجْتِلَابِ نَفْعٍ  
أَوْ فِي دَفْعِ ضَرَرٍ . ( وَالشَّرْطُ الثَّانِي ) أَنْ يَأْتِيَ بِهِ فِي وَضْعِهِ وَيَتَوَخَّى  
بِهِ إِصَابَةَ فُرْصَتِهِ . ( وَالشَّرْطُ الثَّلَاثُ ) أَنْ يَقْتَصِرَ مِنْهُ عَلَى قَدَرِ حَاجَتِهِ .  
( وَالشَّرْطُ الرَّابِعُ ) أَنْ يَتَخَيَّرَ اللَّفْظَ الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِهِ . فَهَذِهِ أَرْبَعَةُ شُرُوطٍ  
مَتَى أَحَلَّ الْمُتَكَلِّمُ بِشَرْطٍ مِنْهَا فَقَدْ أَوْهَنَ فَضِيلَةَ بَاقِيهَا . وَسَنَذْكُرُ  
تَقْلِيلَ كُلِّ شَرْطٍ مِنْهَا بِمَا يُنْبِئُ عَنْ لُزُومِهِ . فَاِمَّا الشَّرْطُ الْأَوَّلُ وَهُوَ  
الدَّاعِي إِلَى الْكَلَامِ فَلِأَنَّ مَا لَا دَاعِيَ لَهُ هَذَا يَنْ وَمَا لَا سَبَبَ لَهُ هُجْرٌ  
وَمَنْ سَامَحَ نَفْسَهُ فِي الْكَلَامِ إِذَا عَنْ وَلَمْ يُرَاعِ صِحَّةَ دَوَاعِيهِ وَإِصَابَةَ  
مَعَانِيهِ كَانَ قُوَاهُ مَرْدُولًا وَرَأْيُهُ مَغْلُولًا . كَالَّذِي حَكَى ابْنُ عَابِشَةَ :  
إِنْ شَابَا كَانَ يُجَالِسُ الْأَخْفَ وَيُطِيلُ الصَّمْتَ فَانْجَبَ ذَلِكَ الْأَخْفَ  
فَحَلَّتِ الْخَلْقَةُ يَوْمًا فَقَالَ لَهُ الْأَخْفُ : تَكَلَّمْ يَا ابْنَ أَخِي . فَقَالَ :  
يَا عَمُّ لَوْ أَنَّ رَجُلًا سَقَطَ مِنْ شَرَفِ هَذَا السَّنَجِ هَلْ كَانَ يَضُرُّهُ  
شَيْءٌ . فَقَالَ : يَا ابْنَ أَخِي لَيْتَنَا تَرَكْنَاكَ مَسْتَوْرًا . ثُمَّ تَمَثَّلَ الْأَخْفُ  
بِقَوْلِ الْأَعْوَرِ الشَّرَنِيِّ :

كَأَيِّنْ تَرَى مِنْ صَاحِبِ لِكَ مُغْجِبٍ زِيَادَتُهُ أَوْ نَقْصُهُ فِي اتِّكَلَمِ  
 لِسَانِ أَلْفَتَى نِصْفٌ وَنِصْفٌ فَوَادُهُ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا صُورَةُ اللَّحْمِ وَالْدَمِ  
 وَكَأَلَّذِي حُكِيَ عَنْ أَبِي أَلْفَتِيهِ : إِنَّ رَجُلًا كَانَ يَجْلِسُ إِلَيْهِ  
 فَيُطِيلُ الصَّمْتَ فَقَالَ لَهُ أَبُو يُوسُفَ : أَلَا تَسْأَلُ . قَالَ : بَلَى مَتَى يَفْطُرُ  
 الصَّائِمُ . قَالَ : إِذَا غَرَبَتِ الشَّمْسُ . قَالَ : فَإِنْ لَمْ تَغْرُبْ إِلَى  
 نِصْفِ اللَّيْلِ . ( قَالَ ) فَتَبَسَّمَ أَبُو يُوسُفَ وَتَمَثَّلَ بِبَيْتِي الْخَطْفِيِّ جَدِّ  
 جَرِيرٍ :

عَجِثَ لِأَزْرَاءِ أَلْفَتِي بِنَفْسِهِ وَصَمْتُ الَّذِي قَدْ كَانَ بِالْعِلْمِ أَعْلَمًا  
 وَفِي الصَّمْتِ سِرٌّ لِلْعَبِيِّ وَأَمَّا صَحِيفَةُ لُبِّ الْمَرْءِ أَنْ يَتَكَلَّمَ  
 فَأَنْظُرْ إِلَى هَؤُلَاءِ . كَيْفَ أَبَانُوا بِالْكَلَامِ عَنْ جَهْلِهِمْ وَاعْرَبُوا  
 بِالسُّوَالِ عَنْ نَقْصِهِمْ إِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ دَاعٍ إِلَيْهِ وَلَا رَوِيَّةٌ فِيمَا تَكَلَّمُوا  
 بِهِ وَلَوْ صَدَرَ عَنْ رَوِيَّةٍ دَعَا إِلَيْهَا دَاعٍ لَسَلِمُوا مِنْ شَيْنِهِ وَبَرُّوا مِنْ  
 عَيْنِهِ . وَلِذَلِكَ قِيلَ : لِسَانُ الْعَاقِلِ مِنْ وَرَاءِ قَلْبِهِ فَإِذَا أَرَادَ الْكَلَامَ  
 رَجَعَ إِلَى قَلْبِهِ فَإِنْ كَانَ لَهُ تَكَلَّمَ وَإِنْ كَانَ عَلَيْهِ أَمْسَكَ . وَقَلْبُ  
 الْجَاهِلِ مِنْ وَرَاءِ لِسَانِهِ يَتَكَلَّمُ بِكُلِّ مَا عَرَضَ لَهُ . وَقَالَ عُمَرُ بْنُ  
 عَبْدِ الْعَزِيزِ : مَنْ لَمْ يَعُدْ كَلَامَهُ مِنْ عَمَلِهِ كَثُرَتْ خَطَايَاهُ . وَقَالَ بَعْضُ  
 الْحُكَمَاءِ : عَقْلُ الْمَرْءِ مَحْبُوءٌ تَحْتَ لِسَانِهِ . وَقَالَ بَعْضُ أَلْبُلَاءِ : أَحْسَنُ  
 لِسَانِكَ قَبْلَ أَنْ يُطِيلَ حَبْسَكَ أَوْ يُتَلَفَ نَفْسَكَ فَلَا شَيْءَ أَوْلَى بِطُولِ  
 حَبْسٍ مِنْ لِسَانٍ يُقْصَرُ عَنِ الصَّوَابِ وَيُسْرَعُ إِلَى الْجَوَابِ . وَقَالَ  
 أَبُو تَمَّامٍ الطَّائِي :

وَمَا كَانَتْ الْحُكَمَاءُ قَالَتْ لِسَانُ الْمَرْءِ مِنْ تَبَعِ الْقَوْلِ إِذَا  
وَكَانَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ يَحْسُمُ الرُّخْصَةَ فِي الْكَلَامِ وَيَقُولُ : إِذَا  
جَالَسْتَ الْجُهَالَ فَأَنْصِتْ لَهُمْ وَإِذَا جَالَسْتَ الْعُلَمَاءَ فَأَنْصِتْ لَهُمْ . فَإِنَّ  
فِي أَنْصَاتِكَ لِلْجُهَالِ زِيَادَةً فِي الْخِلْمِ وَفِي أَنْصَاتِكَ لِلْعُلَمَاءِ زِيَادَةً فِي  
الْعِلْمِ . وَأَمَّا ( الشَّرْطُ الثَّانِي ) فَهُوَ أَنْ يَأْتِيَ بِالْكَلَامِ فِي مَوْضِعِهِ  
لِأَنَّ الْكَلَامَ فِي غَيْرِ جِهَتِهِ لَا يَقَعُ مَوْقِعُ الْإِتِّفَاعِ بِهِ وَمَا لَا يَنْفَعُ مِنَ  
الْكَلَامِ فَقَدْ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ بِأَنَّهُ هَذَيَانٌ وَهَجْرٌ . فَإِنْ قُدِّمَ مَا يَنْتَضِي  
الْتَّأْخِيرَ كَانَ عَجَلَةً وَخُرْقًا . وَإِنْ أُخِّرَ مَا يَنْتَضِي التَّقْدِيمَ كَانَ تَوَانِيًا وَعَجْزًا  
لِأَنَّ لِكُلِّ مَقَامٍ قَوْلًا وَفِي كُلِّ زَمَانٍ عَمَلًا . وَقَدْ قَالَ الشَّاعِرُ :

يَضَعُ الْحَدِيثَ عَلَى مَوَاضِعِهِ وَكَلَامُهُ مِنْ بَعْدِهَا تَرُّرٌ  
وَأَمَّا ( الشَّرْطُ الثَّلَاثُ ) وَهُوَ أَنْ يُقْتَصَرَ مِنْهُ عَلَى قَدْرِ حَاجَتِهِ .  
فَإِنَّ الْكَلَامَ إِنْ لَمْ يُخْتَصَرْ بِالْحَاجَةِ وَلَمْ يُقَدَّرْ بِالْكَفَايَةِ لَمْ يَكُنْ  
لِحَدِّهِ غَايَةً وَلَا لِقَدْرِهِ نِهَائَةً وَمَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الْكَلَامِ مُحْضُورًا كَانَ  
حَصْرًا وَإِنْ قُصِّرَ وَهَذَرًا وَإِنْ كَثُرَ . وَرَوِي : أَنَّ أَعْرَابِيًا تَكَلَّمَ عِنْدَ  
بَعْضِهِمْ وَطَوَّلَ فَقَالَ لَهُ : كَمْ دُونَ لِسَانِكَ مِنْ حِجَابٍ . قَالَ : شَفَتَايَ  
وَلِسَانِي . قَالَ : فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَكْرَهُ الْإِنْعَاقَ فِي الْكَلَامِ  
فَنَضَّرَ اللَّهُ وَجْهَ أَمْرِي أَوْجَزَ فِي كَلَامِهِ فَأَقْتَصَرَ عَلَى حَاجَتِهِ . وَحُكِيَ  
أَنَّ بَعْضَ الْحُكَمَاءِ رَأَى رَجُلًا يُكَثِّرُ الْكَلَامَ وَيُقِلُّ السُّكُوتَ فَقَالَ :  
إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِنَّمَا خَلَقَ لَكَ أُذُنَيْنِ وَلِسَانًا وَاحِدًا لِيَكُونَ مَا تَسْمَعُهُ  
ضِعْفَ مَا تَتَكَلَّمُ بِهِ . وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : مَنْ كَثُرَ كَلَامُهُ

كَثُرَتْ آثَامُهُ . وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ : أَنْذِرْكُمْ فُضُولَ الْمَنْطِقِ . وَقَالَ  
بَعْضُ الْبُلَغَاءِ : كَلَامُ الْمَرْءِ بَيَانُ فَضْلِهِ وَتَرْجُمَانُ عَقْلِهِ فَأَقْصِرْهُ عَلَى  
الْجَدِيلِ وَأَقْصِرْ مِنْهُ عَلَى الْقَلِيلِ وَإِيَّاكَ مَا يُنْخِطُ سُلْطَانُكَ وَيُوحِشُ  
إِخْوَانُكَ . فَمَنْ أَسْخَطَ سُلْطَانَهُ تَعَرَّضَ لِلْمَيِّتَةِ . وَمَنْ أَوْحَشَ إِخْوَانَهُ  
تَبَرَّأَ مِنَ الْخُرَيْيَةِ . وَقَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ :

وَزِنِ الْكَلَامَ إِذَا نَطَقْتَ فَلَمَّا يُنْدِي عُيُوبَ ذَوِي الْعُيُوبِ الْمَنْطِقُ  
وَلِحَالِ لَقَةٍ قَدَرِ الْحَاجَةَ مِنَ الْكَلَامِ حَالَتَانِ : تَقْصِيرٌ يَكُونُ حَصْرًا  
وَتَكْثِيرٌ يَكُونُ هَذَرًا . وَكِلَاهُمَا شَيْنٌ وَشَيْنُ الْهَذَرِ أَشْعُ وَرَبَّمَا كَانَ فِي  
الْغَالِبِ أَخُوفَ . وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : مَقْتَلُ الرَّجُلِ بَيْنَ فَكَّيْهِ .  
وَقَالَ بَعْضُ الْبُلَغَاءِ : الْحَصْرُ خَيْرٌ مِنَ الْهَذَرِ لِأَنَّ الْحَصْرَ يُضَعِّفُ الْحُجَّةَ  
وَالْهَذَرَ يُثَلِّفُ الْمَحْجَةَ . وَقَدْ قَالَ الشَّاعِرُ :

رَأَيْتُ اللِّسَانَ عَلَى أَهْلِهِ إِذَا سَاسَهُ الْجَهْلُ لَيْثًا مُغِيرًا  
وَقَالَ بَعْضُ الْأَدَبَاءِ : يَا رَبَّ أَلْسِنَةِ كَالسُّيُوفِ تَقْطَعُ أَعْنَاقَ  
أَفْحَاجِهَا وَمَا يَنْقُصُ مِنْ هَيْئَاتِ الرِّجَالِ يَزِيدُ فِي بَهَائِهَا وَالْبَاهِيَا . وَقَدْ  
ذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَنَّ الْكَلَامَ إِذَا كَثُرَ عَنْ قَدَرِ الْحَاجَةِ وَزَادَ عَلَى  
الْكِفَايَةِ وَكَانَ عَمَوَابًا لَا يَشُوبُهُ خَطْلٌ وَسَلِيمًا لَا يَتَعَوَّدُهُ زَلٌّ فَهُوَ  
الْبَيَانُ وَالسَّحَرُ الْخِلَالُ . وَقَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَكَذَمَ الْكَلَامَ  
فِي مَجْلِسِهِ : كَلَّا إِنْ مِنْ تَكَلَّمَ فَاحْسَنَ قَدَرَ عَلَى أَنْ يَسْكُتَ فَيُجِنِّ  
وَلَيْسَ مِنْ سَكَتَ فَاحْسَنَ قَدَرَ عَلَى أَنْ يَتَكَلَّمَ فَيُجِنِّ . وَوَصَفَ  
بَعْضُهُمُ الْكَاتِبَ فَقَالَ : مَنْ إِذَا أَخَذَ شِئْرًا كَفَاهُ وَإِذَا وَجَدَ طُومَارًا

أَمَلَاهُ . وَأَنْشَدَ بَعْضُهُمْ فِي خُطْبَاءِ إِيَادَ :  
يَرُونِ بِالْخُطْبِ الطَّوَالَ وَتَارَةً وَخِي الْمَلَا حِظْ خِيَفَةَ الرُّقْبَا .  
وَقَالَ الْهَيْثَمُ بْنُ صَالِحٍ لِأَبْنِهِ : يَا بُنَيَّ إِذَا أَقَلَّتْ مِنْ أَلْكَلامِ  
أَكْثَرْتَ مِنَ الصَّوَابِ . فَقَالَ : يَا أَبَتِ فَإِنِ أَنَا أَكْثَرْتُ وَأَكْثَرْتُ  
(يَعْنِي كَلَامًا وَصَوَابًا) . فَقَالَ : يَا بُنَيَّ مَا رَأَيْتَ مَوْعُظًا أَحَقَّ بِأَنْ  
يَكُونَ وَاعِظًا مِنْكَ . وَأَنْشَدْتُ لِأَبِي الْقَتْمِ الْبُسْتِي :  
تَكَلَّمْ وَسَدِّدْ مَا اسْتَطَعْتَ فَإِنَّمَا كَلَامُكَ حَيٌّ وَالسُّكُوتُ جَمَادُ  
فَإِنْ لَمْ تَجِدْ قَوْلًا سَدِيدًا تَقُولُهُ فَصْنَتُكَ عَنْ غَيْرِ السَّدَادِ سَدَادُ  
وَقِيلَ لِإِيَّاسِ بْنِ مُعَاوِيَةَ : مَا فِيكَ عَيْبٌ إِلَّا كَثْرَةُ أَلْكَلامِ .  
فَقَالَ : أَتَقْسَعُونَ صَوَابًا أَوْ خَطَأً . قَالُوا : لَا بَلْ صَوَابًا . قَالَ :  
فَالزِّيَادَةُ مِنَ الْخَيْرِ خَيْرٌ . وَقَالَ أَبُو عُثْمَانَ الْجَلِيطُ : لِلْكَلامِ غَايَةٌ  
وَلِلنَّشَاطِ السَّامِعِينَ نِهَايَةٌ وَمَا فَضَّلَ عَنْ مِقْدَارِ الْإِحْتِمَالِ وَدَعَا إِلَى  
الْإِسْتِثْقَالِ وَالْمَلَالِ فَذَلِكَ الْفَاضِلُ هُوَ الْهَذَرُ . وَصَدَقَ أَبُو عُثْمَانَ لِأَنَّ  
الْأَكْثَارَ مِنْهُ وَإِنْ كَانَ صَوَابًا يُؤِلُّ السَّامِعَ وَيُكِلُّ الْخَاطِرَ وَهُوَ صَادِرٌ  
عَنْ انْجِبَابٍ بِهِ لَوْلَاهُ قُصِرَ عَنْهُ . وَمَنْ انْجَبَّ بِكَلَامِهِ اسْتَرْسَلَ فِيهِ  
وَالْمُسْتَرْسَلُ فِي أَلْكَلامِ كَثِيرُ الزَّلَلِ دَائِمُ الْعِثَارِ . وَقَالَ بَعْضُ  
الْحُكَمَاءِ : مَنْ انْجَبَّ بِقَوْلِهِ أُعْيِبَ بِعَقْلِهِ وَلَيْسَ لِكَثْرَةِ الْهَذَرِ رَجَاءُ  
يُقَابِلُ خَوْفَهُ وَلَا نَفْعَ يُؤَاوِي ضَرَّهُ لِأَنَّهُ يُخَافُ مِنْ نَفْسِهِ الزَّلَلَ وَمِنْ  
سَامِعِيهِ الْمَلَلَ وَلَيْسَ فِي مُقَابَلَةِ هَذَيْنِ حَاجَةٌ دَائِعِيَّةٌ وَلَا نَفْعٌ مَرْجُوٌّ .  
قَالَ جَعْفَرُ بْنُ يُحْيَى : إِذَا كَانَ الْإِيحَازُ كَافِيًا كَانَ الْإِكْثَارُ عِيًّا وَإِنْ

كَانَ الْإِكْتَارُ وَاجِبًا كَانَ التَّقْصِيرُ عَجْزًا. وَقِيلَ فِي مَثَوْرِ الْحَكَمِ :  
إِذَا تَمَّ الْعَقْلُ نَقَصَ الْكَلَامُ . وَقَالَ بَعْضُ الْأَدَمَاءِ : مَنْ أَطَالَ  
صَمْتَهُ اجْتَلَبَ مِنَ الْهَيْبَةِ مَا يَفْعُهُ وَمِنَ الْوُحْشَةِ مَا لَا يَضُرُّهُ . وَقَالَ  
بَعْضُ الْبُلَغَاءِ : عِيٌّ تَسْلَمُ مِنْهُ خَيْرٌ مِنْ مَنْطِقٍ تَدَمُّ عَلَيْهِ فَأَقْتَصِرْ مِنْ  
الْكَلَامِ عَلَى مَا يَقِيمُ حُجَّتَكَ وَيُلْغِي حَاجَتَكَ وَإِيَّاكَ وَفَضُولَهُ فَإِنَّهُ يَزِلُّ  
الْقَدَمَ وَيُورِثُ الدَّمَ . وَقَالَ بَعْضُ الْفَصَحَاءِ : قُمْ الْعَاقِلُ مُلْجِمٌ إِذَا  
هَمَّ بِالْكَلَامِ أَحْجَمُ وَفَمُ الْجَاهِلِ مُطْلَقٌ كُلَّمَا شَاءَ أَطْلَقَ . وَقَالَ  
بَعْضُ الشُّعْرَاءِ :

إِنَّ الْكَلَامَ يُعِدُّ الْقَوْمَ جَلَوْتَهُ حَتَّى يَلِجَ بِهِ عِيٌّ وَإِكْتَارُ  
وَأَمَّا (الْشَرْطُ الرَّابِعُ) وَهُوَ اخْتِيَارُ اللَّفْظِ الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِهِ  
فَلَا يَلْسَانُ عُنْوَانُ الْإِنْسَانِ يُرْجَمُ عَنْ مَجْهُولِهِ وَيُزْهَنُ عَنْ مَحْضُولِهِ  
فَيَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ تَهْدِيبُ الْفَاضِلِ حَرِيًّا وَتَقْوِيمُ لِسَانِهِ مَلِيًّا . وَقَالَ خَالِدُ  
ابْنُ صَفْوَانَ : مَا الْإِنْسَانُ لَوْلَا اللِّسَانُ هَلِ إِلَّا بَيْهَمَةٌ مُهْمَلَةٌ أَوْ صُورَةٌ  
مُثَمَّلَةٌ . وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : اللِّسَانُ وَزِيرُ الْإِنْسَانِ . وَقَالَ بَعْضُ  
الْبُلَغَاءِ : يُسْتَدَلُّ عَلَى عَقْلِ الرَّجُلِ بِقَوْلِهِ وَعَلَى أَضْلِهِ بِفِعْلِهِ . وَقَالَ  
بَعْضُ الشُّعْرَاءِ :

وَأَنَّ لِسَانَ الْمَرْءِ مَا لَمْ تَكُنْ لَهُ حَصَاةٌ عَلَى عَوْرَاتِهِ لَدَائِلُ  
وَلَيْسَ يَصِحُّ اخْتِيَارُ الْكَلَامِ إِلَّا لِمَنْ أَخَذَ نَفْسَهُ بِالْبَلَاغَةِ وَكَلَّفَهَا  
لُزُومَ الْفَصَاحَةِ حَتَّى يَصِيرَ مُتَدَرِّبًا بِهَا مُعْتَادًا لَهَا فَلَا يَأْتِي بِكَلَامٍ  
مُسْتَكْرَهٍ اللَّفْظِ وَلَا مُحْتَمَلٍ الْمَعْنَى لِأَنَّ الْبَلَاغَةَ لَيْسَتْ عَلَى مَعَانٍ

مُفْرَدَةً وَلَا لَانْفَاطِهَا غَايَةً. وَإِنَّا أَلْبَلَاءُهُ أَنْ تَكُونَ بِالْمَعَانِي الصَّحِيحَةِ  
مُسْتَوْدَعَةً فِي الْفَلَاظِ فَصِيحَةٍ فَتَكُونَ فَصَاحَةً أَلْفَاظًا مَعَ صِحَّةِ الْمَعَانِي  
هِيَ أَلْبَلَاءُهُ

### البحث السابع

### في عيوب الكلام

( عن الحظ والمصري )

( راجع صفحة ٢٨ من علم الادب )

قَالَ بَعْضُ الْأَوَائِلِ : لَا تَكْمُلْ آتَمَ الْبَايِعِ إِلَّا إِذَا خَلَا كَلَامُهُ  
مِنَ التَّكْلُفِ وَسُوءِ الصَّنْعَةِ وَكَانَ غَنِيًّا عَنِ التَّأَمُّلِ مُتَبَاعِدًا عَنِ الْحُشْوِ.  
فَقَوْلُهُ : ( يَكُونُ سَامِعًا وَنَاطِقًا ) فَالتَّكْلُفُ طَلَبُ الشَّيْءِ  
بِصُعُوبَةٍ لِلْجَهْلِ بِطَرِيقِ طَلَبِهِ بِالسَّهْوَةِ . فَالْكَلَامُ إِذَا جُمِعَ بِتَعَبٍ  
وَجُهِدٍ وَتَوَلَّتْ الْفَاطَةُ مِنْ بُعْدٍ فَهُوَ مُتَكَلِّفٌ . وَقَالُوا : أَيْسَ  
الْفَقْهُ بِالْفَقْهِ وَلَا الْفَصَاحَةُ بِالْفَضَحِ لِأَنَّهُ لَا يَزِيدُ مُتَزِيدٌ فِي كَلَامِهِ إِلَّا  
لِنَقْصِ يَجْدُهُ فِي نَفْسِهِ . وَمِمَّا اتَّفَقَتْ عَلَيْهِ الْعَرَبُ وَالْحِجَمُ قَوْلُهُمْ :  
الطَّيْعُ أَمْلَكَ . قَالَ الْعَرَجِيُّ :

يَا أَيُّهَا الْمُتَحَلِّي غَيْرِ شَيْئِهِ وَمَنْ شَمَائِلُهُ التَّبْدِيلُ وَالْمَلَقُ  
إِرْجِعْ إِلَى خُلُقِكَ الْمَعْرُوفِ دَيْدَنُهُ إِنَّ التَّحَلُّقَ يَأْتِي دُونَهُ الْخُلُقُ  
وَقَالَ آخَرُ :

وَمَنْ يَتَدَعَمُ أَيْسَ مِنْ سُوسِ نَفْسِهِ يَدَعُهُ وَيَعْلِبُهُ عَلَى النَّفْسِ خِيَمِهَا



وَقَالَ آخِرُ :

كُلُّ أَنْزِلٍ رَاجِعٌ يَوْمَ الشِّمْتِ . وَإِنْ تَحَلَّقَ أَخْلَاقًا إِلَى حِينِ  
وَمِثَالُ التَّكْنِيفِ قَوْلُ بَعْضِهِمْ فِي دُعَائِهِ : اَللَّهُمَّ رَبَّنَا وَإِلَهُنَا  
مَنْ أَرَادَ بِنَا سُوءًا فَاحْطُ ذَلِكَ السُّوءَ بِهِ وَأَرْسِخْهُ فِيهِ كَرُسُوحِ التَّجِيلِ  
فِي أَصْحَابِ الْقَلِيلِ . وَأَنْصَرْنَا عَلَى كُلِّ بَاغٍ وَحَسْبُوكَ مَا اتَّصَرَّتْ لِنَاقَةِ  
تَمُودَ . ثُمَّ قَالَ : ( بَرِيئًا مِنْ سُوءِ الصَّنْعَةِ ) فَسُوءُ الصَّنْعَةِ يَتَصَرَّفُ عَلَى وُجُوهِ  
مِنْهَا : سُوءُ التَّقْسِيمِ وَفَسَادُ التَّفْسِيرِ وَفُجْحُ الِاسْتِعَارَةِ وَالتَّطْيِيقِ وَفَسَادُ  
النَّسَبِ وَالسَّبكِ . فَإِذَا أَخْلَى الْكَاتِبُ بِذَلِكَ فَاتَمَّتْ فَضِيلَتُهُ وَعَلَقَتْ  
بِهِ رَذِيلَةُ قُوَّتِهِ فَعَفَى عَلَى جَمِيعِ مُحَاسِنِهِ وَعَمَى سَائِرَ فَضَائِلِهِ . لِأَنَّهُ إِذَا  
لَمْ يَفْرُقْ بَيْنَ كَلَامٍ جَيِّدٍ وَآخَرٍ رَدِيٍّ ، وَلَفْظٍ حَسَنٍ وَآخَرٍ قَبِيحٍ وَشَعْرٍ  
نَادِرٍ وَآخَرٍ بَارِدٍ بَانَ جِهَانُهُ وَظَهَرَ نَقْصُهُ . وَهُوَ أَيْضًا إِذَا أَرَادَ أَنْ  
يَضْمَعَ قَصِيدَةً أَوْ يَشَيَّ رِسَالَةً وَقَدْ فَاتَهُ هَذَا الْعِلْمُ مَزَجَ الصُّفُوفَ  
بِالْكُدْرِ وَخَلَطَ الْغُرَرَ بِالْغُرَرِ وَاسْتَعْدَلَ الْوَحْشِيَّ الْعَكْرَ فَجَعَلَ نَفْسَهُ  
مَهْرَاقَةً لِلْجَاهِلِ وَعَبْرَةً لِلْعَاقِلِ . وَإِذَا أَرَادَ أَيْضًا تَصْنِيفَ كَلَامٍ مَشْهُورٍ  
أَوْ تَأْلِيفَ شَعْرٍ مَنُظُومٍ تَحْطَى حُسْنَ الصَّنْعَةِ سَاءَ اخْتِيَارُهُ لَهُ وَقُبْحَتْ  
آثَارُهُ فِيهِ فَاخْذِ الرَّدِيَّ الْمُرْدُولَ وَتَرَكَ الْحَيِّدَ الْمَقْبُولَ فَدَلَّ عَلَى  
قُصُورِ فَهْمِهِ وَتَأَخَّرِ مَعْرِفَتِهِ وَعَلَيْهِ . وَقَدْ قِيلَ : اخْتِيَارُ الرَّجُلِ قِطْعَةً  
وَمِنْ عَلَيْهِ . وَمَا أَكْثَرَ مَا وَقَعَ مِنْ عُلَمَاءِ الْعَرَبِيَّةِ فِي هَذِهِ الرَّذِيلَةِ .  
وَقَوْلُهُ : ( بَرِيئًا مِنَ اتَّقْعِيدِ ) فَاتَّقْعِيدُ وَالْإِعْلَاقُ سُوءٌ وَهُوَ اسْتِغْمَالُ  
الْوَحْشِيِّ وَشِدَّةُ تَغْلِيقِ الْكَلَامِ بَعْضِهِ بِبَعْضٍ حَتَّى يَسْتَبِيحَ الْمَعْنَى .

قَالَ حَبِيبُ الطَّائِي :

فَمَا لَكَ بِالْغَرِيبِ يَدٌ وَلَكِنْ تَعَاطَيْكَ الْغَرِيبَ مِنَ الْغَرِيبِ  
أَمَا لَوْ أَنَّ جَهْلَكَ عَادَ عَلَمَا إِذَا لَرَسَخْتَ فِي عِلْمِ الْغُيُوبِ  
قَالَ آخَرُ يَمْدَحُ رَجُلًا بِاسْتِسْهَالِ اللَّفْظِ :

قَوْلٌ كَانَ فِرْنَنْدُ شَخَذَ عَلَى ذَهْنِ الْبَلِيبِ  
لَمْ يَشْمَزْ عَلَى أَلْسَانٍ وَلَا يَشْدَعُ عَلَى الْقُلُوبِ  
لَمْ يَفْعَلْ فِي شَنْعِ أَلْفَا تٍ وَلَا يُوحِشُ بِالْغَرِيبِ

وَقَوْلُهُ: (غَنِيًّا عَنْ أَنْتَاهِ) أَيُّ هُوَ مُسْتَعْنٍ لِبُضُوْحِهِ عَنْ تَأْمُلِ  
مَعَانِيهِ وَتَرْذِيدِ الْنَظَرِ فِيهِ. قَالَ الْخَلِيطُ: إِنَّ مَنْ آعَارَهُ اللَّهُ مِنْ مَعُونَتِهِ  
أَصْبَحَ وَأَفْرَغَ عَلَيْهِ مِنْ مَحَبَّتِهِ ذُوْبًا حَبَبَ إِلَيْهِ الْمَعَانِي وَسَلَسَ لَهُ نِظَامَ  
الْمَفْظِ وَكَانَ قَبْلَ قَدْ أَغْنَى السَّمْعَ مِنْ كَدِّ التَّلَطُّفِ وَارَاحَ  
قَارِي الْكِتَابِ مِنْ كَدِّ التَّفْهَمِ . وَقَدْ قِيلَ : إِنَّ أَلْبَلَاغَةَ التَّقَرُّبِ  
وَمِنَ الْمَعْنَى الْبَعِيدِ وَالْتِبَاعُ مِنْ حَشْوِ الْكَلَامِ وَقُرْبُ الْمَأْخَذِ وَاجْتِازُ  
فِي صَوَابٍ وَقَصْدُهُ إِلَى الْمُنْجَى وَحَسَنُ الْأَسْتِعَارَةِ . وَبِمِثْلِهِ قَوْلُ الْآخَرِ :  
أَلْبَلَاغَةُ تَقَرُّبُ مَا بَعْدَ مِنَ الْحِكْمَةِ بِأَيْسَرِ الْخُطَابِ وَالتَّقَرُّبُ مِنْ  
الْمَعْنَى الْبَعِيدِ . وَهُوَ أَنْ يَعِيدَ إِلَى الْمَعْنَى اللَّطِيفِ فَيَكْشِفُهُ وَيُنْفِي  
الشَّوَاغِلَ عَنْهُ فَيُفْهِمُهُ السَّمْعَ مِنْ غَيْرِ فِكْرٍ فِيهِ وَتَدَبُّرٍ لَهُ . وَقَوْلُهُ :  
(مُتَبَاعِدًا مِنَ الْحَشْوِ) فَالْحَشْوُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَضْرَابٍ : أَثْنَانِ وَنَهَا  
مَذْمُومَانِ وَوَاحِدٌ مَحْمُودٌ . فَاحَدُ الْمَذْمُومَيْنِ هُوَ : إِدْخَالُكَ فِي الْكَلَامِ  
لَفْظًا لَوْ اسْقَطْتَهُ لَكَانَ الْكَلَامُ تَمَامًا . وَمِثْلُ قَوْلِ الشَّاعِرِ :

أَغْنِي قَتَى لَمْ تَذُرْ الشَّمْسُ طَالَعَةً يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ إِلَّا ضَرَّ أَوْ نَفَعًا  
 فَقَوْلُهُ : ( يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ ) حَشَوُ لَاحْتِجَاجٍ إِلَيْهِ لِأَنَّ الشَّمْسَ  
 لَا تَطْلُعُ لَيْلًا . وَالضَّرْبُ الْآخَرُ الْعِبَارَةُ عَنِ الْمَعْنَى بِكَلَامٍ طَوِيلٍ  
 لَا فَائِدَةَ فِي طُولِهِ وَيُمْكِنُ أَنْ يُعَبَّرَ بِاقْصَرَوْنَهُ كَقَوْلِ النَّابِغَةِ :  
 تَبَيَّنَتْ آيَاتُهَا فَعَرَفْتُهَا لِسِتَّةِ أَعْوَامٍ وَذَا الْعَامِ سَابِعُ  
 فَكَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَقُولَ : سَبْعَةِ أَعْوَامٍ . وَيَتِمُّ أَلَيْتَ بِكَلَامٍ  
 آخَرَ يَكُونُ فِيهِ فَائِدَةٌ فَجَزَّ عَنْ ذَلِكَ فَحَاشَا أَلَيْتَ بِمَا لَا وَجْهَ لَهُ .  
 وَأَمَّا الضَّرْبُ الْخَامِسُ فَكَقَوْلُ كَثِيرٍ :

لَوْ أَنَّ الْبَلَّاحِينَ وَأَنْتَ مِنْهُمْ رَاوُكَ تَعَلَّمُوا . نَكَ الْإِطْلَا  
 فَوَلُهُ : ( وَأَنْتَ مِنْهُمْ ) حَشَوُ إِلَّا أَنَّهُ مَلِيحٌ وَيَسْتَعِي أَهْلُ الصَّنْعَةِ  
 هَذَا الْجِنْسِ اعْتِرَاضَ كَلَامٍ فِي كَلَامٍ . وَمِنْهُ قَوْلُ الْآخَرِ :  
 إِنَّ الثَّانِينَ وَلَيْتُهَا قَدْ أَخَوَجْتُ سَمْعِي إِلَى تَرْجُمَانٍ

### المبحث الثامن

## في الالتباس والاسباب المانعة من فهم المعاني

( عن الماوردي باختصار )

إِنْ لَمْ يَفْهَمْ الْعَاقِلُ مَعَانِي مَا سَمِعَ كَشَفَ عَنِ السَّبَبِ الْمَانِعِ  
 مِنْهَا لِيَعْلَمَ أَلَعَلَّةَ فِي تَعَذُّرِ فَهْمِهَا فَإِنْ بِمَعْرِفَةِ أَسْبَابِ الْأَشْيَاءِ وَعَالِمِهَا  
 يَصِلُ إِلَى تَلَا فِي مَا شَدَّ وَصَلَحَ مَا فَسَدَ وَلَيْسَ يَنْجُو أَوَّلُ السَّبَبِ الْمَانِعِ  
 مِنْ ذَلِكَ مِنْ ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ : إِمَّا أَنْ يَكُونَ بَعْلَةً فِي الْكَلَامِ

المتزجم عنها . واما ان يكون لعل في المستودع فيها . واما ان  
يكون لعل في السامع المستخرج . فان كان السبب المانع من  
فهمها لعل في الكلام المتزجم عنها لم يخل ذلك من ثلاثة احوال :  
( احدها ) ان يكون لتقصير اللفظ عن المعنى فيصير تقصير اللفظ  
عن ذلك المعنى سببا مانعا من فهم ذلك المعنى . وهذا يكون من  
احد وجهين : اما من حصر المتكلم وعيه . واما من بلادته وقلة  
فهمه . ( الحال الثاني ) ان يكون لزيادة اللفظ على المعنى فتصير  
الزيادة علة مانعة من فهم المقصود منه وهذا قد يكون من احد  
وجهين : اما من هذر المتكلم واكثاره . واما اسوء ظنه بفهم  
سامعه . ( والحال الثالث ) ان يكون لمواضع يقصدها المتكلم  
بكلامه فاذا لم يعرفها السامع لم يفهم معانيها . واما تقصير اللفظ  
وزيادته فمن الاسباب الخاصة دون العامة لانك لست تجد ذلك  
عاما في كل الكلام وانما تجده في بعضه فاذا عدلت عن الكلام  
المقصر الى الكلام المستوفي وعن الزائد الى الكافي ارحت  
نفسك من تكلف ما يكدر خاطرك وان اقت على استخراج امار  
لضرورة دعك اليه عند اغواز غيره او لحمية داخلتك عند تعذر  
فهمه فانظر في سبب الزيادة والتقصير . فان كان التقصير لحصر  
والزيادة لهذر سهل عليك استخراج المعنى لان ما له من الكلام  
محمول لا يجوز ان يكون المحتل منه اكثر من الصحيح وفي  
الاكثر على الاقل دليل . وان كانت زيادة اللفظ على المعنى

دَلِيلًا بِسُوءِ ظَنِّ الْمُتَكَلِّمِ بِهِمُ السَّامِعِ كَانَ اسْتِخْرَاجُهُ أَسْهَلَ .  
 وَإِنْ كَانَ تَفْصِيلاً لِلْفِظِ عَنِ الْمَعْنَى لَسُوْهُ فَهَمُ الْمُتَكَلِّمِ فَهَوَ أَضْعَبُ  
 الْأُمُورِ حَالًا وَابْعَدُهَا اسْتِخْرَاجًا لِأَنَّ مَا لَمْ يَفْهَمْ مُكَلِّمُكَ فَانْتَ مِنْ  
 فَهْمِهِ أَبَدًا إِلَّا أَنْ يَكُونَ بَقَرُطٌ ذَكَائِكَ وَجُودَةُ خَاطِرِكَ تَتَّبِعُهُ  
 بِإِشَارَتِهِ عَلَى اتِّبَاطٍ مَا يَحْزَنُ عَنْهُ وَاسْتِخْرَاجٍ مَا قَصَرَ فِيهِ فَتَكُونُ  
 فَضِيلَةُ الْإِسْتِيفَاءِ لَكَ وَحَقُّ التَّقَدُّمِ لَهُ . وَأَمَّا الْمَوَاضِعَةُ فَضَرْبَانِ :  
 عَامَّةٌ وَخَاصَّةٌ . (أَمَّا الْعَامَّةُ) فَهِيَ مُوَاضِعَةُ الْعُلَمَاءِ فِيمَا جَعَلُوهُ أَلْقَابًا لِمَعَانٍ  
 لَا يَسْتَقْنِي الْمُتَعَلِّمُ عَنْهَا وَلَا يَقِفُ عَلَى مَعْنَى كَلَامِهِمْ إِلَّا بِهَا كَمَا جَعَلَ  
 الْمُتَكَلِّمُونَ أَجْوَاهِرَ وَالْأَعْرَاضَ وَالْأَجْسَامَ أَلْقَابًا تَوَاضَعُوهَا لِمَعَانٍ  
 اتَّفَقُوا تَلَدِّيَهَا . وَلَسْتَ تَجِدُ مِنْ الْعُلُومِ عِلْمًا يَخْلُو مِنْ هَذَا . وَهَذِهِ  
 الْمَوَاضِعَةُ الْعَامَّةُ تُسَمَّى عُرفًا . (وَأَمَّا الْخَاصَّةُ) فَمَوَاضِعَةُ الْوَاحِدِ يَقْصِدُ  
 بِبَاطِنِ كَلَامِهِ غَيْرَ ظَاهِرِهِ . فَإِذَا كَانَتْ فِي الْكَلَامِ كَانَتْ رَمْزًا .  
 وَإِنْ كَانَتْ فِي الشَّعْرِ كَانَتْ لُغْزًا . فَمَا الرَّمْزُ فَلَسْتَ تَجِدُهُ فِي عِلْمٍ  
 غَنَوِيٍّ . وَلَا فِي كَلَامٍ لُغَوِيٍّ . وَأَنَا يَخْتَصُّ غَالِبًا بِأَحَدِ شَيْئَيْنِ : إِمَّا  
 بِمَنْهَبِ شَيْعٍ يُخْفِيهِ مُعْتَقِدُهُ وَيَجْعَلُ الرَّمْزَ سَبِيلًا لِتَطْلُعِ النُّفُوسِ إِلَيْهِ  
 وَأَحْتِمَالِ التَّأْوِيلِ فِيهِ سَبِيلًا لِدَفْعِ التَّهْمَةِ عَنْهُ . وَإِمَّا لِمَا يَدَّعِي أَرْبَابُهُ  
 أَنَّهُ عِلْمٌ مُغَوَّرٌ . وَأَنْ إِذْرَاكَهُ يَدْبِغُ مُعْجِزٌ كَالْحَصْنَةِ الَّتِي وَضَعَهَا  
 أَرْبَابُهَا أَسْمَاءَ لِعِلْمِ الْكِيمِيَاءِ فَرَمَزُوا بِأَوْصَافِهِ وَآخَفُوا مَعَانِيَهُ لِيُوهِنُوا  
 الشُّمَّ بِهِ وَالْأَسْفَ عَلَيْهِ خَدِيعَةٌ لِلْعُقُولِ الْوَاهِيَةِ وَالْأَرَاءِ الْقَاسِدَةِ .  
 وَقَدْ قَالَ الشَّاعِرُ :

نُبْتَ شَيْئًا فَكَثُرَتِ الْوُلُوعُ بِهِ أَحَبُّ شَيْءٍ إِلَى الْإِنْسَانِ مَا مَنَعَا  
 ثُمَّ لِيَكُونُوا بَرَاءً مِنْ عُهْدَةٍ مَا قَالُوهُ إِذَا جَرَّبَ وَلَوْ كَانَ مَا تَضَمَّنَ  
 هَذَيْنِ التَّوَعَيْنِ وَاشْبَاهَهُمَا مِنَ الرَّمُوزِ مَعْنَى صَحِيحًا وَعِلْمًا مُسْتَقَادًا خَرَجَ  
 مِنَ الرَّمْزِ الْخَفِيِّ إِلَى الْعِلْمِ الْجَلِيِّ . فَإِنَّ أَغْرَاضَ النَّاسِ مَعَ اخْتِلَافِ  
 أَهْوَاهِهِمْ لَا تَتَّفِقُ عَلَى سِتْرٍ سَائِمٍ وَإِخْفٍ مُفِيدٍ . وَقَدْ قَالَ زُهَيْرٌ :  
 السَّيْرُ دُونَ الْفَاحِشَاتِ وَلَا يَلْقَاكَ دُونَ الْخَيْرِ مِنْ سِتْرِ  
 وَرَبِّمَا اسْتَعْمَلَ الرَّمْزُ مِنَ الْكَلَامِ فِيمَا يَرَادُ تَفْهِيمُهُ مِنَ الْعِلْمَانِ  
 وَتَعْظِيمُهُ مِنَ الْأَلْفَافِ لِيَكُونَ أَحْلَى فِي الْقَلْبِ مَوْقِعًا . وَاحِلًا فِي  
 الْنُفُوسِ مَوْضِعًا . فَيَصِيرُ بِالرَّمْزِ سَائِرًا وَفِي الضَّخْفِ مُخْلِدًا . كَالَّذِي  
 حُكِيَ عَنْ فَيْثَاغُورَسَ فِي وَصَايَاهُ الْمُرْمُوزَةِ إِنَّهُ قَالَ : احْفَظْ مِيزَانَكَ  
 مِنَ الْأَبَدِيِّ وَأَوْرَاقَكَ مِنَ الْأَصْدَى . زَيْدٌ بِمِحْفَظِ الْمِيزَانِ مِنَ الْأَبَدِيِّ  
 حِفْظُ الْإِنْسَانِ مِنَ الْخَلَا وَبِمِحْفَظِ الْأَوْرَاقِ مِنَ الْأَصْدَى حِفْظُ الْعَقْلِ  
 مِنَ الْهَوَى . فَصَارَ هَذَا الرَّمْزُ مُسْتَحْسَنًا وَمُدَوَّنًا وَلَوْ قَالَهُ بِاللَّفْظِ الصَّرِيحِ  
 وَالْمَعْنَى الصَّحِيحِ لَمْ سَارَ عَنْهُ وَلَا اسْتَحْسِنَ مِنْهُ . وَعَلَى ذَلِكَ أَنَّ  
 الْمَخْجُوبَ عَنِ الْإِنْفَاهِ كَالْمَخْجُوبِ عَنِ الْإِبْصَارِ فِيمَا يَحْصُلُ لَهُ فِي  
 الْنُفُوسِ مِنَ التَّعْظِيمِ . وَفِي الْقُلُوبِ مِنَ التَّفْخِيمِ . وَمَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلَمْ  
 يَخْتَبِ هَانَ وَاسْتُرْذَلَ . وَهَذَا إِنَّمَا يَصِحُّ اسْتِحْلَاؤُهُ فِيمَا قَلَّ وَهُوَ بِاللَّفْظِ  
 الصَّرِيحِ مُسْتَقِيلٌ . فَأَمَّا الْعُلُومُ الْمُنْتَشِرَةُ الَّتِي تَتَطَّلَعُ النُّفُوسُ إِلَيْهَا فَقَدْ  
 اسْتَعْنَتْ بِقُوَّةِ الْبَاعِثِ عَلَيْهَا . وَشِدَّةِ الدَّاعِي إِلَيْهَا . عَنِ الْإِسْتِدْعَاءِ إِلَيْهَا  
 بِرَّمْزٍ مُسْتَحْلٍ وَلَفْظٍ مُسْتَعْرَبٍ . بَلْ ذَلِكَ مُنْفَرِّدٌ لِّمَا فِي الشَّائِلِ بِاسْتِخْرَاجِ

رُؤُوسَهَا مِنَ الْإِبْطَاءِ عَنْ دَرْكِهَا فَهَذَا حَالُ الرَّمْزِ . وَأَمَّا اللَّغْزُ فَهُوَ  
تَحْرِي أَهْلِ الْقَرَاغِ وَشُغْلُ ذَوِي الْبَطَالَةِ لِيَتَنَافَسُوا فِي تَبَايُنِ قَرَائِحِهِمْ  
وَيَتَفَاخَرُوا فِي سُرْعَةِ خَوَاطِرِهِمْ فَيَسْتَكِدُّوا خَوَاطِرَ قَدْ مُنْخَوِصَتِهَا فِيمَا  
لَا يُجْدِي نَفْعًا وَلَا يُفِيدُ عِلْمًا كَأَهْلِ الصَّرَاعِ الَّذِينَ قَدْ صَرَفُوا مَا مُنْخَوِهُ  
مِنْ صِحَّةِ أَجْسَامِهِمْ إِلَى صِرَاعِ كَدُودٍ يَضْرَعُ عُقُولَهُ وَيَهْدُ أَجْسَامَهُمْ  
وَلَا يَكْسِبُهُمْ خَيْرًا وَلَا يُجْدِي عَلَيْهِمْ نَفْعًا . انْظُرْ إِلَى قَوْلِ الشَّاعِرِ :  
رَجُلٌ مَاتَ وَخَلَفَ رَجُلًا      ابْنُ أُمِّ ابْنِ أَبِي أُخْتِ أَبِيهِ  
مَعَهُ أُمُّ بَنِي أَوْلَادِهِ      وَأَبَا أُخْتِ بَنِي عَمِّ أَخِيهِ  
أَخْبَرَنِي عَنْ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ وَقَدْ رَوَعْتُ صُعُوبَةَ مَا تَضَمَّنَتْهُمَا مِنْ  
السُّؤَالِ إِذَا أَنْتَكِدَيْتَ الْفِكْرَ فِي اسْتِخْرَاجِهِ فَقُلِمْتَ أَنَّهُ آرَادَ مِثْلًا  
خَلَفَ أَبَا وَرُؤُوسَةً وَمَعَهَا . مَا الَّذِي آفَاكَ مِنْ الْعِلْمِ وَتَقَى عَنْكَ مِنَ  
الْجَهْلِ . أَلَسْتَ بَعْدَ عَلَيْهِ تَجْهَلُ . أَكُنْتَ جَاهِلًا مِنْ قَبْلِهِ وَلَوْ أَنَّ  
السَّائِلَ قَلَبَ لَكَ السُّؤَالَ فَأَخَرَهُ مَا قَدَّمَ وَقَدَّمَ مَا أَخَّرَ لَكُنْتَ فِي  
الْجَهْلِ بِهِ قَبْلَ اسْتِخْرَاجِهِ كَمَا كُنْتَ فِي الْجَهْلِ الْأَوَّلِ وَقَدْ كَدَدْتَ  
نَفْسَكَ وَأَتَعَبْتَ خَاطِرَكَ . ثُمَّ لَا تَعْدَمُ أَنْ يَرِدَ عَلَيْكَ مِثْلُ هَذَا مِمَّا  
تَجْهَلُهُ فَتَكُونُ فِيهِ كَمَا كُنْتَ قَبْلَهُ . فَأَصْرِفْ نَفْسَكَ تَوَلَّى اللَّهُ رُشْدَكَ  
عَنْ عُلُومِ التُّوَكَّى وَتَكَلَّفِ الْبَطَالِينَ . ثُمَّ اجْعَلْ مَا مَنَّ اللَّهُ بِهِ عَلَيْكَ  
مِنْ صِحَّةِ الْقَرِيحَةِ وَسُرْعَةِ الْخَاطِرِ مَصْرُوفًا إِلَى عِلْمٍ مَا يَكُونُ انْفِاقُ  
خَاطِرِكَ فِيهِ مَذْخُورًا وَكَدُّ فِكْرِكَ فِيهِ مَشْكُورًا . وَقَالَ بَعْضُ الْبُلَّغَاءِ :  
مَنْ أَمَضَى يَوْمَهُ بِغَيْرِ حَقِّ قَضَائِهِ . أَوْ فَرَضَ آدَاءَهُ . أَوْ مَجِدَّ آثَلِهِ .

أَوْ حَمْدٍ حَصَلَهُ . أَوْ خَيْرِ أَسْئَةٍ أَوْ عِلْمٍ أَقْتَبَسَهُ . فَقَدْ عَقَّ يَوْمَهُ وَظَلَمَ  
نَفْسَهُ . وَقَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ :

لَقَدْ هَاجَ الْفِرَاقُ عَلَيْكَ شُغْلًا      وَأَسْبَابُ الْبَلَاءِ مِنْ الْفِرَاقِ  
فَهَذَا تَعْلِيلٌ مَا فِي الْكَلَامِ مِنْ الْأَسْبَابِ الْمَانِعَةِ مِنْ فَهْمِ  
مَعَانِيهِ حَتَّى خَرَجَ بِنَا الْأَسْتِيفَاءِ وَالْكَشْفِ إِلَى الْأَنْغَاضِ . (وَأَمَّا  
أَقْسَمُ الثَّانِي) وَهُوَ أَنْ يَكُونَ السَّبَبُ الْمَانِعُ مِنْ فَهْمِ السَّامِعِ لِهَلَّةٍ  
فِي الْمَعْنَى الْمُسْتَوْدَعِ فَلَا يَخْلُو حَالُ الْمَعْنَى مِنْ ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ : إِمَّا  
أَنْ يَكُونَ مُسْتَقْلَلًا بِنَفْسِهِ أَوْ يَكُونَ مُقَدِّمَةً لِغَيْرِهِ أَوْ يَكُونَ نَتِيجَةً  
مِنْ غَيْرِهِ . فَأَمَّا الْمُسْتَقْلَلُ بِنَفْسِهِ فَضَرْبَانِ : جَلِيٌّ وَخَفِيٌّ . فَأَمَّا الْجَلِيُّ  
فَهُوَ يَسْبِقُ إِلَى فَهْمِ مُتَصَوِّرِهِ مِنْ أَوَّلِ وَهْلَةٍ . وَلَيْسَ هُوَ مِنْ أَقْسَامِ  
مَا يُشْكِلُ عَلَى مَنْ تَصَوَّرَهُ . وَأَمَّا الْخَفِيُّ فَيَحْتَاجُ فِي إِدْرَاكِهِ إِلَى  
زِيَادَةٍ تَأْمُلُ وَفَضْلٍ مُعَانَاةٍ لِيُنْجَلِيَ عَمَّا أَخْفَى وَيُكْشَفَ عَمَّا أَعْمَضَ .  
وَبِاسْتِعْمَالِ الْفِكْرِ فِيهِ يَكُونُ الْإِذْتِيَاظُ بِهِ وَإِلَاذْتِيَاظُ بِهِ يَسْهُلُ  
مِنْهُ مَا اسْتَضَعَبَ وَيَقْرُبُ مِنْهُ مَا بَعَدَ . فَإِنَّ الرِّيَاضَةَ جَرَاءَةً وَلِلدَّرَآئَةِ  
تَأْثِيرًا . وَأَمَّا مَا كَانَ مُقَدِّمَةً لِغَيْرِهِ فَضَرْبَانِ : أَحَدُهُمَا أَنْ تَقُومَ  
الْمُقَدِّمَةُ بِنَفْسِهَا وَإِنْ تَعَدَّتْ إِلَى غَيْرِهَا فَتَكُونَ كَالْمُسْتَقْلَلِ بِنَفْسِهِ  
فِي تَصَوُّرِهِ وَفَهْمِهِ مُسْتَدْعِيًا لِنَتِيجَتِهِ . وَالثَّانِي أَنْ يَكُونَ مُفْتَقِرًا إِلَى  
نَتِيجَةٍ فَيَتَعَدَّرُ فَهْمُ الْمُقَدِّمَةِ إِلَّا بِمَا يَتَّبِعُهَا مِنْ النَّتِيجَةِ لِأَنَّهَا تَكُونُ  
بَعْضًا . وَتَبْعِيضُ الْمَعْنَى أَشْكَلُ لَهُ وَبَعْضُهُ لَا يُغْنِي عَنْ كُلِّهِ . وَأَمَّا  
مَا كَانَ نَتِيجَةً لِغَيْرِهِ فَهُوَ لَا يُدْرِكُ إِلَّا بِأَوَّلِهِ وَلَا يُتَصَوَّرُ عَلَى حَقِيقَتِهِ



إِلَّا بِمُقَدَّمَتِهِ وَالْإِسْتِغَالُ بِهِ قَبْلَ الْمُقَدَّمَةِ عَنْهُ . وَاتَّعَابُ الْفِكْرِ فِي  
 اسْتِنْبَاطِهِ قَبْلَ قَاعِدَتِهِ أَذَى . فَهَذَا يُوضَحُ تَغْلِيلَ مَا فِي الْمَعَانِي مِنْ  
 الْأَسْبَابِ الْمَانِعَةِ مِنْ فَهْمِهَا . ( وَأَمَّا الْقِسْمُ الثَّالِثُ ) وَهُوَ أَنْ يَكُونَ  
 السَّبَبُ الْمَانِعُ لِعِلَّةٍ فِي الْمُسْتَمْعِ فَذَلِكَ ضَرْبَانِ : أَحَدُهُمَا مِنْ ذَاتِهِ .  
 وَالثَّانِي مِنْ طَارِ عَلَيْهِ . ( فَأَمَّا مَا كَانَ مِنْ ذَاتِهِ ) يَمْتَنِعُ نَوْعَيْنِ : أَحَدُهُمَا  
 أَكَانَ مَا نَعَا مِنْ تَصَوُّرِ الْمَعْنَى . وَالثَّانِي مَا كَانَ مَانِعًا مِنْ حِفْظِهِ  
 بَعْدَ تَصَوُّرِهِ وَفَهْمِهِ . فَأَمَّا مَا كَانَ مَانِعًا مِنْ تَصَوُّرِ الْمَعْنَى وَفَهْمِهِ فَهُوَ  
 ابْتِلَادُ وَقْتِ الْفُطْنَةِ وَهُوَ آدَاءُ أَلْفَاءِ . وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ :  
 إِذَا فَقَدَ الْعَالِمُ الذِّهْنَ قَلَّ عَلَى الْأَخْذِ دِ احْتِجَاجُهُ . وَكَثُرَ إِلَى الْكُتُبِ  
 احْتِجَاجُهُ . وَلَيْسَ لِمَنْ يُبْلَى بِهِ إِلَّا الصَّبْرُ وَالْإِقْلَالُ . لِأَنَّهُ عَلَى الْقَائِلِ  
 أَقْدَرُ . وَبِالصَّبْرِ أُخْرَى أَنْ يُبَالٍ وَيُظْفَرُ . وَأَمَّا الْمَانِعُ مِنْ حِفْظِهِ بَعْدَ  
 تَصَوُّرِهِ وَفَهْمِهِ فَهُوَ النِّسْيَانُ الْخَادِثُ عَنْ غَفْلَةِ التَّقْصِيرِ وَاهْمَالِ التَّوَانِي  
 فَيَنْبَغِي لِمَنْ يُبْلَى بِهِ أَنْ يَسْتَدْرِكَ تَقْصِيرَهُ بِكَثْرَةِ الدَّرْسِ وَيَرْقُطَ  
 غَفْلَتَهُ بِإِدَاةِ الظَّرِّ . فَقَدْ قِيلَ : لَا يَدْرِكُ الْعِلْمُ مَنْ لَا يُطِيلُ دَرَسَهُ  
 وَيَكْدُ نَفْسَهُ . وَكَثْرَةُ الدَّرْسِ كَدُودٌ لَا يَصْبِرُ عَلَيْهِ إِلَّا مَنْ يَرَى  
 الْعِلْمَ نَفْسًا وَاجْتِهَادًا مَغْرَمًا . فَيَحْتَمِلُ تَعَبَ الدَّرْسِ لِيُدْرِكَ رَاحَةَ الْعِلْمِ  
 وَيَنْفِي عَنْهُ مَرَّةَ الْجَهْلِ . فَإِنَّ نَيْلَ الْعَظِيمِ بِأَمْرِ عَظِيمٍ . وَعَلَى قَدَرِ  
 الرَّغْبَةِ تَكُونُ الْمَطَالِبُ وَبِحَسَبِ الرَّاحَةِ يَكُونُ التَّعَبُ . وَقَدْ قِيلَ :  
 طَلَبُ الرَّاحَةِ قِتَّةُ الْأَسْتِرَاحَةِ . وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : اكْمَلِ الرَّاحَةَ  
 مَا كَانَتْ عَنْ كَدِّ التَّعَبِ وَاعْرِضْ الْعِلْمَ مَا كَانَ عَنْ ذَلِّ الطَّلَبِ ...

وَقَالَ بَعْضُ الْبُلَغَاءِ : إِنَّ هَذِهِ الْأَدَابَ نَوَافِرٌ تَمُدُّ عَنْ أَهْلِ الْأَذْهَانِ  
نَاجِعًا لِكُتُبِهَا حِمَاةً . وَالْأَقْلَامَ لَهَا رِعَاةً . ( وَأَمَّا الطَّوَارِي )  
فَدَوْعَانِ : ( أَحَدُهُمَا ) شُبْهَةٌ تَعْتَرِضُ الْمَعْنَى قَتْمَنُ عَنْ نَفْسِ تَصَوُّرِهِ وَتَدْفَعُ  
عَنْ إِدْرَاكِ حَقِيقَتِهِ . فَيَنْبَغِي أَنْ يُزِيلَ تِلْكَ الشُّبْهَةَ عَنْ نَفْسِهِ بِالسُّوَالِ  
أَوْ النَّظَرِ لِيَصِلَ إِلَى تَصَوُّرِ الْمَعْنَى وَإِدْرَاكِ حَقِيقَتِهِ . وَلِذَاكَ قَالَ بَعْضُ  
الْعُلَمَاءِ : لَا تُخْلِ قَلْبَكَ مِنَ الْمَذَاكِرَةِ فَتَعُودَ عَقِيمًا . وَلَا تُعْفِ  
طَبْعَكَ مِنَ الْمُنَاطَرَةِ فَيَعُودَ سَقِيمًا . وَقَالَ بِشَارُ بْنُ بُرْدٍ :

شِفَاءُ الْعَمَى طُولُ السُّوَالِ وَإِنَّمَا

دَوَامُ الْعَمَى طُولُ السُّكُوتِ عَلَى الْجَهْلِ  
فَكُنْ سَائِلًا عَمَّا عِنَّاكَ فَإِنَّمَا دُعِيتَ أَخَا عَقْلٍ لِتَبْحَثَ بِالْعَقْلِ  
( وَالثَّانِي ) أَفْكَارٌ تُعَارِضُ الْخَاطِرَ فَيَذْهَلُ عَنْ تَصَوُّرِ الْمَعْنَى .  
وَهَذَا سَبَبٌ قَلِيلٌ مَا يَغْرَى مِنْهُ أَحَدٌ لَا يَسِيًا فَيَمْنُ أَنْبَسَطَتْ أَمَانُهُ  
وَأَتَّسَعَتْ أَمَانِيَّتُهُ . وَقَدْ يَقِيلُ فَيَمْنُ لَمْ يَكُنْ لَهُ فِي غَيْرِ الْعِلْمِ أَرْبٌ  
وَلَا فِيهَا سِوَاهُ هِمَّةٌ فَإِنْ طَرَأَتْ عَلَى الْإِنْسَانِ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى مُكَابَرَةِ  
نَفْسِهِ عَلَى الْفَهْمِ وَغَلَبَتْ قَلْبَهُ عَلَى التَّصَوُّرِ لِأَنَّ الْقَلْبَ مَعَ الْإِكْرَاهِ  
أَشَدُّ ثَقُورًا وَأَبْعَدُ قُبُولًا . وَقَدْ جَاءَ فِي الْأَثَرِ : بَانَ الْقَلْبُ إِذَا  
أُكْرِهَ عَمِي . وَلَكِنْ يُعْمَلُ فِي دَفْعِ مَا طَرَأَ عَلَيْهِ مِنْ هَمٍّ يُذْهِلُ  
أَوْ فِكْرٍ قَاطِعٍ لِيَسْتَحْيِبَ لَهُ الْقَلْبُ مُطِيعًا . وَقَدْ قَالَ الشَّاعِرُ :

وَلَيْسَ يُمْغِنُ فِي الْمَوَدَّةِ شَافِعٌ إِذَا لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الصُّلُوعِ شَفِيعٌ  
وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : إِنَّ لِهَذِهِ الْقُلُوبِ تَوَافُرًا كَتَفَافٍ الْوَحْشِ

فَمَا لَفَوْهَا بِالْإِقْتِصَادِ فِي التَّعْلِيمِ وَالتَّوَسُّطِ فِي التَّقْدِيمِ لِحَسَنِ طَاعَتِهَا  
وَيَدْوَمَ نَشَاطُهَا . فَهَذَا تَقْلِيلٌ . مَا فِي الْمُسْتَمْعِ مِنَ الْأَنْسَابِ الْمَانَعَةِ  
مَنْ فَهَمِ الْمَعَانِي

### المبحث التاسع

### في المعاظلة

( من المثل السائر لاس الاثير باختصار وتصرف )

إِنَّ الْمَعَاظِلَةَ مَأْخُودَةٌ مِنْ قَوْلِهِمْ : تَعَاظَلَتِ الْجُرَادَتَانِ إِذَا رَكِبَتْ  
أَحَدَاهُمَا الْأُخْرَى . فَسَيَّ الْكَلَامُ الْمَتْرَاصُ فِي الْفَاقِظِ وَفِي  
مَعَانِيهِ الْمَعَاظِلَةِ . أَخُودَا مِنْ ذَلِكَ وَهُوَ أَمُّ لَانَقُ بِمُسَامَاهُ . وَوَصَفَ  
عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ زُهَيْرَ بْنَ أَبِي سَلَمَى فَقَالَ : كَانَ لَا يُعَاظِلُ بَيْنَ  
الْكَلَامِ . وَقَدْ اخْتَلَفَ عُلَمَاءُ الْبَيَانِ فِي حَقِيقَةِ الْمَعَاظِلَةِ فَقَالَ قُدَامَةُ  
ابْنُ جَعْفَرٍ الْكَاتِبُ : التَّعَاظُلُ فِي الْكَلَامِ هُوَ أَنْ يَدْخُلَ بَعْضُ  
الْكَلَامِ فِيمَا لَيْسَ مِنْ جِنْسِهِ وَلَا اعْرِفُ ذَلِكَ إِلَّا فَاحِشَ الْإِسْتِعَارَةِ .  
كَقَوْلِ أَوْسٍ بْنِ حُجْرٍ :

وَذَاتِ هَذِمٍ عَارٍ نَوَاشِرُهَا تُضْمِتُ بِالْمَاءِ تَوَابًا جَدَعًا  
فَسَيَّ الظَّنِّي تَوَلَّى وَالتَّوَلَّى وَلَدُ الْحِمَارِ . وَهَذَا مَا ذَكَرَهُ قُدَامَةُ  
ابْنُ جَعْفَرٍ وَهُوَ خَطَأٌ إِذْ لَوْ كَانَ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ صَوَابًا لَكَانَتْ حَقِيقَةُ  
الْمَعَاظِلَةِ دُخُولَ الْكَلَامِ فِيمَا لَيْسَ مِنْ جِنْسِهِ . وَلَيْسَتْ حَقِيقَتُهَا هَذِهِ بَلْ  
حَقِيقَتُهَا مَا تَقَدَّمَ وَهُوَ التَّرَاصُّ مِنْ قَوْلِهِمْ : تَعَاظَلَتِ الْجُرَادَتَانِ

إِذَا رَكِبْتَ إِحْدَاهُمَا الْآخَرَى . وَهَذَا الْمَثَلُ الَّذِي مَثَلَ بِهِ قُدَامَةُ  
لَا تَرَاكِبَ فِي الْفَاطِلَةِ وَلَا فِي مَعَانِيهِ . وَأَمَّا غَيْرُ قُدَامَةَ فَأَنَّهُ خَالَفَهُ  
فِيمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَقْسِمِ الْمُعَاظِلَةَ إِلَى لَفْظِيَّةٍ وَمَعْنَوِيَّةٍ وَلَكِنَّهُ  
ضَرَبَ لَهَا مَثَلًا . كَقَوْلِ الْقَرَزْدَقِ :

وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ إِلَّا أُمَمًا أَبُو أُمِّهِ حَيَّ أَبُوهُ يُقَارِبُهُ  
وَهَذَا مِنْ الْقِسْمِ الْمَعْنَوِيِّ لَا مِنْ الْقِسْمِ اللفظي . أَلَا تَرَى  
إِلَى تَرَاكِبَ مَعَانِيهِ بِتَقْدِيمِ مَا كَانَ يَحِبُّ تَأْخِيرَهُ وَتَأْخِيرَ مَا كَانَ  
يَحِبُّ تَقْدِيمَهُ لِأَنَّ الْأَصْلَ فِي مَعْنَاهُ : وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ حَيَّ يُقَارِبُهُ  
إِلَّا أُمَمًا أَبُو أُمِّهِ أَبُوهُ . وَإِذَا حَقَّقْتُ الْقَوْلَ فِي بَيَانِ الْمُعَاظِلَةِ  
وَالْكَشْفِ عَنْ حَقِيقَتِهَا فَأَقُولُ : إِنَّ الْمُعَاظِلَةَ مُعَاظِلَتَانِ لَفْظِيَّةٌ وَمَعْنَوِيَّةٌ  
(فَالْمَعْنَوِيَّةُ) أَنْ يُقَدَّمَ مَا الْأَوَّلَى بِهِ التَّأْخِيرُ وَهُوَ مِنْ غُيُوبِ الْكَلَامِ  
لِأَنَّ الْمَعْنَى مُحْتَمِلٌ بِذَلِكَ وَهُوَ ضَرْبٌ وَذَلِكَ كَتَقْدِيمِ الْحَقِيقَةِ أَوْ مَا  
يَتَعَاقُ بِهَا عَلَى الْمَوْصُوفِ وَتَقْدِيمِ الصَّلَةِ عَلَى الْمَوْصُولِ وَغَيْرِ ذَلِكَ .  
كَقَوْلِ بَعْضِهِمْ :

فَقَدْ وَالسَّكُّ بَيْنَ لِي عَنَا . بَوْشَكِ فِرَاقِهِمْ ضَرْدٌ يَصِيحُ  
فَأَنَّهُ قَدَّمَ قَوْلَهُ (بَوْشَكِ فِرَاقِهِمْ) . وَهُوَ مَعْمُولٌ يَصِيحُ وَيَصِيحُ  
صِفَةُ لِضَرْدٍ عَلَى ضَرْدٍ وَذَلِكَ قَبِيحٌ . أَلَا تَرَى أَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ :  
هَذَا مِنْ مَوْجِعٍ كَذَا رَجُلٌ وَرَدَّ الْيَوْمَ . وَانَّمَا يُجُوزُ وَقُوعُ الْمَعْمُولِ  
بِحَيْثُ يُجُوزُ وَقُوعُ الْعَامِلِ فَكَمَا لَا يَجُوزُ تَقْدِيمُ الْحَقِيقَةِ عَلَى مَوْصُوفِهَا  
فَكَذَلِكَ لَا يَجُوزُ تَقْدِيمُ مَا اتَّصَلَ بِهَا عَلَى مَوْصُوفِهَا . وَمِنْ هَذَا أَعْبُو

قَوْلُ الْآخِرِ :

فَأَصْبَحَتْ بَعْدَ خَطِّ بَهْجَتِهَا كَأَنَّ قَفْرًا رُسُومَهَا قَلَمًا  
لَهُ قَدَمٌ خَبَرَ كَأَنَّ عَلَيْهَا وَهوَ قَوْلُهُ : خط . وَهَذَا وَآمِثَالُهُ مِمَّا  
لَا يَجُوزُ قِيَاسُ عَلَيْهِ وَالْأَصْلُ فِي هَذَا أَلْبَيْتِ ( فَأَصْبَحَتْ بَعْدَ بَهْجَتِهَا  
قَفْرًا كَأَنَّ قَلَمًا خَطَّ رُسُومَهَا ) إِلَّا أَنَّهُ عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ الْأُولَى فِي الشَّعْرِ  
مُحْتَمِلٌ مُضْطَرَبٌ . وَالْمُعَاطَلَةُ فِي هَذَا الْأَبَابِ نَتَفَاوَتْ دَرَجَاتُهَا فِي الْقَبْجِ  
وَهَذَا أَلْبَيْتُ الْمَشَارِإِ مِنْ أَقْبَحِهَا لِأَنَّ مَعَانِيَهُ قَدْ تَدَاخَلَتْ وَرَكِبَ  
بَعْضُهَا بَعْضًا . وَمِمَّا يَجْرِي هَذَا النَّجْوَى قَوْلُ الْفَرَزْدَقِ :

إِلَى مَلِكٍ مَا أَمَّهُ مِنْ مُحَارِبٍ أَبُوهُ وَلَا كَانَتْ كَلِيبٌ تُصَاهِرُهُ  
( وَهُوَ يُرِيدُ إِلَى مَلِكِ أَبُوهُ مَا أَمَّهُ مِنْ مُحَارِبٍ ) . وَهَذَا أَقْبَحُ  
مِنَ الْأَوَّلِ وَاصْتَرَّ لِحْتِلَالًا... وَقَدْ اسْتَعْمَلَ الْفَرَزْدَقُ مِنَ التَّعَاطُلِ  
كَثِيرًا كَأَنَّهُ كَانَ يَقْصِدُ ذَلِكَ وَيَتَعَمَّدُهُ . لِأَنَّ مِثْلَهُ لَا يَجِيئُ إِلَّا مُتَكَافَأًا  
مَقْصُودًا وَإِلَّا فَإِذَا تَرَكَ مُؤَنَفُ الْكَلَامِ نَفْسُهُ تَجْرِي عَلَى سَمِيحَتِهَا  
وَطَبْعِهَا فِي الْأَسْتِرْسَالِ مِمَّا يَعْزِضُ لَهُ شَيْءٌ مِنْ هَذَا التَّعْقِيدِ . أَلَا  
تَرَى أَنَّ الْمَقْصُودَ مِنَ الْكَلَامِ مَعْدُومٌ فِي هَذَا الضَّرْبِ الْمَشَارِإِ إِلَيْهِ  
إِذَا الْمَقْصُودُ مِنَ الْكَلَامِ إِنَّمَا هُوَ الْإِيضَاحُ وَالْإِبَابَةُ وَافْهَامُ الْمَعْنَى .  
فَإِذَا ذَهَبَ هَذَا الْوَصْفُ الْمَقْصُودُ مِنَ الْكَلَامِ ذَهَبَ الْمُرَادُ بِهِ وَلَا  
فَرْقَ عِنْدَ ذَلِكَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ غَيْرِهِ مِنَ اللُّغَاتِ كَالْفَارْسِيَّةِ وَالْهِنْدِيَّةِ  
وغيرِهِمَا . وَأَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الضَّرْبَ مِنَ الْكَلَامِ هُوَ ضِدُّ الْقَصَاحَةِ لِأَنَّ  
الْقَصَاحَةَ هِيَ الظُّهُورُ وَالْيَبَاسُ وَهَذَا عَارٍ عَنْ هَذَا الْوَصْفِ . وَأَمَّا الْقِسْمُ

اللفظي من الملاحظة) فَإِنِّي تَأْتِيهِ بِالْأَسْتِقْرَاءِ مِنَ الْأَشْعَارِ قَدِيمَهَا  
وَمُخَدَّثُهَا وَمِنَ النَّظَرِ فِي حَقِيقَتِهَا تَسْهَى فَوَجَدْتُهَا تَنْقَسِمُ إِلَى حَسَةِ  
أَقْسَامٍ : (الْأَوَّلُ) مِنْهَا يَخْتَصُّ بِأَدَوَاتِ الْكَلَامِ . . . وَإِلَى وَعْنٍ وَعَلَى  
وَإِشْبَاهِهَا . فَإِنَّ مِنْهَا مَا يَسْهُلُ النَّطْقُ بِهِ إِذَا وَرَدَ مَعَ لَحْوَاتِهِ .  
وَمِنْهَا مَا لَا يَسْهُلُ بَلْ يَرْدُ ثَقِيلًا عَلَى اللِّسَانِ وَلِكُلِّ مَوْضِعٍ يَخْصُهُ  
وَمِنَ السَّبْكِ . فَمَا جَاءَ مِنْهُ قَوْلُ أَبِي تَمَّامٍ :

إِلَى خَالِدٍ رَاحَتْ بِنَا أَرْحِيَّةٌ مَرَّافَتُهَا مِنْ عَن كَرَّاسٍ رَهَا نَكُ  
فَقَوْلُهُ : ( مِنْ عَن كَرَّاسٍ رَهَا ) مِنْ الْكَلَامِ الْمَتَعَاظِلِ الَّذِي  
يَتَّقِلُ النَّطْقُ بِهِ عَلَى أَنَّهُ قَدْ وَرَدَتْ هَاتَانِ اللَّفْظَتَانِ وَهُمَا : مِنْ وَعْنٍ  
فِي مَوْضِعٍ آخَرَ فَلَمْ يَتَّقِلْ النَّطْقُ بِهِمَا كَقَوْلِ الْقَائِلِ : مِنْ عَن يَمِينِ  
الطَّرِيقِ . وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّهُمَا وَرَدَا فِي بَيْتِ أَبِي تَمَّامٍ مُضَافَتَيْنِ إِلَى  
لَفْظَةِ الْكَرَّاسِ فَتَقَلَّتْ مِنْهُمَا وَجَعَلَتْهُمَا مَكْرُوهَتَيْنِ كَمَا تَرَى وَإِلَّا  
فَقَدْ وَرَدَا فِي شِعْرِ قَطْرِي بْنِ النَّجَّاءِ فَكَانَا خَفِيفَتَيْنِ كَقَوْلِهِ :

وَلَقَدْ أَرَانِي لِلزَّمَّاحِ دَرِيَّةً مِنْ عَن يَمِينِي مَرَّةً وَأَمَامِي  
وَالْأَصْلُ فِي ذَلِكَ رَاجِعٌ إِلَى السَّبْكِ فَإِذَا سَبَكْتَ هَاتَانِ  
الْلفْظَتَانِ أَوْ مَا يَجْرِي مَجْرَاهُمَا مَعَ الْفَظَائِلِ تَسْهُلُ مِنْهُمَا لَمْ يَكُنْ بِهِمَا  
مِنْ ثَقَلٍ كَمَا جَاءَا فِي بَيْتِ قَطْرِي . وَإِذَا سَبَكْتَ مَعَ الْفَظَائِلِ تَثْقُلُ  
مِنْهُمَا جَاءَا كَمَا جَاءَا فِي بَيْتِ أَبِي تَمَّامٍ . وَمِنْ هَذَا الْقِسْمِ قَوْلُ  
أَبِي تَمَّامٍ أَيْضًا :

كَأَنَّهُ لِاجْتِمَاعِ الرُّوحِ فِيهِ لَهُ فِي كُلِّ جَارِحَةٍ مِنْ جِسْمِهِ رُوحٌ

فَقَوْلُهُ ( فِي ) بَعْدَ قَوْلِهِ ( فِيهِ لَهُ ) بِمَا لَا يَخْسُنُ وَرُودُهُ . وَكَذَلِكَ  
وَرَدَ قَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ الْمُنْتَبِي :

وَتُسَعِدُنِي فِي غَمْرَةٍ بَعْدَ غَمْرَةٍ سَوْحٌ لَهَا مِنْهَا عَلَيْهَا شَوَاهِدُ

فَقَوْلُهُ : ( لَهَا مِنْهَا عَلَيْهَا ) مِنَ الثَّقِيلِ الثَّقِيلِ الثَّقِيلِ . . . .

( الْقِسْمُ الثَّانِي مِنَ الْمَعَاظِلِ اللَّفْظِيَّةِ ) تَخْتَصُّ بِتَكْرِيرِ الْحُرُوفِ  
وَلَيْسَ ذَلِكَ بِمَا يَتَعَلَّقُ بِتَكْرِيرِ الْأَلْفَاظِ وَلَا بِتَكْرِيرِ الْمَعَانِي بِمَا يَأْتِي  
ذِكْرُهُ فِي بَابِ التَّكْرِيرِ فِي الْقِتْلَةِ الثَّانِيَةِ . وَإِنَّمَا هُوَ تَكْرِيرُ حَرْفٍ  
وَاحِدٍ أَوْ حَرْفَيْنِ فِي كُلِّ لَفْظَةٍ مِنَ الْأَفَاظِ الْكَلَامِ الْمُنْشُورِ أَوْ  
الْمَنْظُومِ فَيُثْقَلُ حِينَئِذٍ النُّطْقُ بِهِ . فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ بَعْضِهِمْ :

وَقَبْرُ حَرْبٍ فِي مَكَانٍ قَفَرٍ      وَلَيْسَ قُرْبُ قَبْرِ حَرْبٍ قَفَرٌ

فَهَذِهِ الْقِفَافَاتُ وَالرَّائَاتُ كَانَتْ فِي تَتَابُعِهَا سِلْسَلَةٌ وَلَاخْفَاءُ بِمَا  
فِي ذَلِكَ مِنَ الثَّقَلِ . وَكَذَا وَرَدَ قَوْلُ الْحَرِيرِيِّ فِي مَقَامَاتِهِ :

وَأُذِرْ مَنْ كَانَ لَهُ ذَائِرًا      وَعَافَ عَافِي الْعُرْفِ غُرْفَانَهُ

فَقَوْلُهُ : ( وَعَافَ عَافِي الْعُرْفِ غُرْفَانَهُ ) مِنَ التَّكْرِيرِ الْمَشَارِ إِلَيْهِ .  
وَكَذَلِكَ وَرَدَ قَوْلُهُ أَيْضًا فِي رِسَالَتِهِ اللَّتَيْنِ صَاغَهُمَا عَلَى حَرْفِي السَّيْنِ  
وَالشَّيْنِ : فَإِنَّهُ أَتَى فِي أَحَدَاهُمَا بِالسَّيْنِ فِي كُلِّ لَفْظَةٍ مِنْ أَلْفَاظِهَا .  
وَأَتَى بِالْأُخْرَى بِالشَّيْنِ فِي كُلِّ لَفْظَةٍ مِنْ أَلْفَاظِهَا فَجَاءَ تَأَكُّدُهُمَا رُقَى  
الْعُقَارِبِ أَوْ حُذْرُوقَهُ الْعَزَائِمِ . وَمَا أَعْلَمُ كَيْفَ حَفِي مَا فِيهِمَا مِنْ  
الْفُتُوحِ عَلَى شَبْلِ الْحَرِيرِيِّ مَعَ مَعْرِفَتِهِ بِالْجِدِّ وَالرَّدِيِّ مِنَ الْكَلَامِ . . .  
وَأَعْلَمُ أَنَّ الْعَرَبَ الَّذِينَ هُمْ الْأَخْلُ فِي هَذِهِ اللَّغَةِ قَدْ عَدَلُوا عَنْ

تكرير الحروف في كثير من كلامهم . وذلك أنه اذا تكرر الحرف  
عندهم ادغموه استخسأ فقالوا في : ( جعل لك ) جعلك . وفي :  
( تضرّبوني ) تضرّبوني . وكذلك قالوا : استعدّ فلان للأمر اذا  
تأهب له والأصل فيه استعدّد . واستتب الأمر اذا تهيأ . والأصل  
فيه استتب . وأشاد ذلك في كلامهم حتى أنهم لشدة كراهتهم  
لتكرير الحروف ابدلوا أحد الحرفين المكررين حرفاً آخر غيره فقالوا :  
امليت الكتاب . والأصل فيه املت . فابدلوا اللام يا . طلباً  
للخفة وفراراً من الثقل . وإذا كان قد فعلوا ذلك في اللفظة الواحدة  
فما ظنك بالانفاظ الكثيرة التي يتبع بعضها بعضاً

( القسم الثالث من المعاطلة ) أن ترد اللفاظ على صيغة الفعل  
يتبع بعضها بعضاً فمنها ما يختلف بين ماضٍ ومستقبل . ومنها ما  
لا يختلف . فالأول كقول القاصي الأرجاني في آيات يصف فيها  
السعة فقال :

بالنار فرقت الحوادث بيننا وبها نذرت اعدو أقتل زوجي  
فقوله : ( نذرت اعدو ) من المعاطلة المشار إليها . وأما ما  
يرد على نهي واحد من الصيغة الفعلية . فكقول أبي الطيب  
المتنبي :

أقل أنل أقطع أخل على سل أعد زدهش بش تفضل أذن سر صر  
فهذه اللفاظ جاءت على صيغة واحدة وهي صيغة الأمر كأنه  
قال : ( أفعل أفعل ) هكذا إلى آخر المتن . وهذا تكرير للصيغة



وَأِنْ لَمْ يَكُنْ تَكْرِيرًا لِلتَّحْرِيفِ إِلَّا أَنَّهُ أَخُوهُ وَلَا أَقُولُ : أَبْنِ عَمَهُ .  
وَهَذِهِ أَلْفَاظُ مُتَرَاكِبَةٍ مُتَدَاخِلَةٌ وَلَوْ عَطَفَهَا بِالْوَاوِ لَكَانَتْ أَقْرَبَ  
حَالًا . كَمَا قَالَ عَبْدُ السَّلَامِ بْنُ رَعْبَانَ :

قَسَدَ النَّاسِ فَأُطْلِبُ الرِّزْقَ بِالسَّيْفِ م وَالْأَمْتُ شَدِيدُ الْهَزَالِ  
حِلٌّ وَأَمْرٌ وَضَرٌّ وَأَنْفَعُ وَلَنْ وَأَخْشَنُ م وَابْرُ ثُمَّ أَنْتَدِبُ لِلْمَعَالِي  
أَلَا تَرَى أَنَّهُ لَمَّا عَطَفَ هُمَا بِالْوَاوِ لَمْ تَتَرَاكِبْ أَلْفَاظُ  
كَثَرَاتِكُهَا فِي يَتِيٍّ إِلَى الطَّيِّبِ الْمَتَقَدِّمِ ذِكْرُهُ

( الْقِسْمُ الرَّابِعُ مِنَ الْمَعَاظِلَةِ ) وَهُوَ الَّذِي يَتَّصِنُ مُضَافَاتٍ  
كَثِيرَةً كَقَوْلِهِ : سَرَجُ فَرَسٍ غُلَامٍ زَيْدٍ . وَإِنْ زِيدَ عَلَى ذَلِكَ  
قِيلَ : لَبْدُ سَرَجِ فَرَسٍ غُلَامٍ زَيْدٍ . وَهَذَا اسْتَدْفُجًا وَأَثْقَلُ عَلَى اللِّسَانِ .  
وَعَلَيْهِ وَرَدَ قَوْلُ ابْنِ بَابِكٍ الشَّاعِرِ فِي مُفْتَحِ قَصِيدَةٍ لَهُ :

حَمَامَةٌ جَرَعًا حَوْمَةً أَخْذَلْتُ أَنْجُمِي فَأَتَ بِرَأْيٍ مِنْ سُعَادٍ وَمَسْمَعٍ  
( الْقِسْمُ الْخَامِسُ مِنَ الْمَعَاظِلَةِ ) أَنْ تَرَدِّصَ صِفَاتٍ مُتَعَدِّدَةً عَلَى  
نَحْوِ وَاحِدٍ . كَقَوْلِ ابْنِ تَمَّامٍ فِي قَصِيدَةٍ يَصِفُ رُمْحًا :

وَمَرَّ تَهْنُو ذَوَابْتَاهُ عَلَى اسْمَرٍ مَتْنٍ يَوْمَ الْوَعَى جَسَدِهِ  
مَارِيَهُ لَدَنَّهُ مُثَقَّفُهُ عِرَاضُهُ فِي الْأَكْفِ مُطْرَدُهُ  
وَهَذَا كَالْأَوَّلِ فِي فَجْهِهِ وَثِقَلِهِ فَقَاتَلَهُ اللَّهُ مَا أَمَتَنَ شَعْرَهُ وَمَا  
أَنْخَمَهُ فِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ . . . وَعَلَى هَذَا وَرَدَ قَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ  
الْمُتَسَبِّي :

دَانٍ بَعِيدٍ مُحِبِّ مُبْغِضٍ بِهِمْ أَغَرَّ خَلَوُ نُبْرٍ لَيْتِنِ شَرِسٍ

نَدِ ابْنِي غَرِّ وَافِ ابْنِي ثَقَّةَ جَعْدَسَرِيٍّ نَهْ نَذْبِ رَضِ نَدُسِ  
وَهَذَا كَأَنَّهُ سِلْسَلَةٌ بِلَاشِكٍ وَقَلِيلًا مَا يُوجَدُ فِي أَشْعَارِ الشُّعْرَاءِ . وَلَمْ  
أَجِدْهُ كَثِيرًا إِلَّا فِي شِعْرِ الْفَرَزْدَقِ وَتِلْكَ مُعَاطَلَةٌ مَغْنَوِيَّةٌ وَهَذِهِ  
مُعَاطَلَةٌ لَفْظِيَّةٌ وَهِيَ تَوْجَدُ فِي شِعْرِ أَبِي الطَّيِّبِ كَثِيرًا

### البعث العاشر

## في المنافرة بين الالفاظ في السبك

( عن المثل السائر لاس الاثير باختصار )

وَهَذَا النَّوعُ لَمْ يُحَقِّقْ أَحَدٌ مِنْ عُلَمَاءِ الْبَيَانِ الْقَوْلَ فِيهِ . وَغَايَةُ  
مَا يُقَالُ : أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ لَا تَكُونَ الْأَلْفَاظُ نَافِرَةً عَنْ مَوَاضِعِهَا ثُمَّ  
يُكْتَفَى بِهَذَا الْقَوْلِ مِنْ غَيْرِ بَيَانٍ وَلَا تَفْصِيلٍ حَتَّى إِنَّهُ قَدْ خَلَطَ  
هَذَا النَّوعَ بِالْمُعَاطَلَةِ وَكُلُّ مِنْهَا نَوْعٌ مُفْرَدٌ بِرَأْسِهِ لَهُ حَقِيقَةٌ تَخْصُهُ . إِلَّا  
أَنَّهُمَا قَدْ أَشْتَبَاهَا عَلَى عُلَمَاءِ الْبَيَانِ فَكَيْفَ عَلَى جَاهِلٍ لَا يَعْلَمُ . وَقَدْ  
بَيَّنْتُ هَذَا النَّوعَ وَفَصَّلْتُهُ فِي فِصْلِ الْمُعَاطَلَةِ وَضَرَبْتُ لَهُ أَمْثَلَةً يَسْتَدَلُّ  
بِهَا عَلَى أَخَوَاتِهَا وَمَا يَخْرُجُ مِنْ جَوَاهِرِهَا . وَحَمَلْتُ الْأَمْرَ أَنَّ مَدَارَ سَبْكِ الْأَلْفَاظِ  
عَلَى هَذَا النَّوعِ وَالَّذِي قَبْلَهُ دُونَ غَيْرِهِمَا مِنْ تِلْكَ الْأَنْوَاعِ  
الْمَذْكُورَةِ . لِأَنَّ هَذَيْنِ النَّوعَيْنِ أَصْلًا سَبْكِ الْأَلْفَاظِ وَمَا عَدَاهُمَا  
فَرُعٌ عَلَيْهِمَا . وَإِذَا لَمْ يَكُنِ النَّاسُ أَوْ النَّاسُ عَارِفًا بِمَا فَإِنَّ مَقَاتِلَهُ  
كَثِيرَةٌ . وَحَقِيقَةُ هَذَا النَّوعِ الَّذِي هُوَ الْمُنَافَرَةُ أَنْ يُذَكَّرَ لَفْظٌ أَوْ  
أَلْفَاظٌ يَكُونُ غَيْرَهَا مِمَّا هُوَ فِي مَعْنَاهَا أَوَّلَى بِالذِّكْرِ . وَعَلَى هَذَا

فَإِنَّ الْفَرْقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمُعَاظَلَةِ أَنَّ الْمُعَاظَلَةَ هِيَ التَّرَاكُّبُ وَالتَّنْذُلُ  
إِمَّا فِي الْأَلْفَاظِ أَوْ فِي الْمَعَانِي عَلَى مَا أَشْرْتُ إِلَيْهِ . وَهَذَا الذَّنْعُ  
لَا تَرَاكُّبَ فِيهِ وَإِنَّمَا هُوَ إِرَادَةُ الْفَظِ غَيْرَ لَا نَقْعَ بِمَوْضِعِهَا الَّذِي تَرِدُ  
فِيهِ . وَهُوَ يَنْقَسِمُ قِسْمَيْنِ : أَحَدُهُمَا يُوجَدُ فِي اللَّفْظَةِ الْوَاحِدَةِ وَالْآخَرُ  
فِي الْأَلْفَاظِ الْمُتَعَدِّدَةِ . (فَأَمَّا الَّذِي يُجَدُّ فِي اللَّفْظَةِ الْوَاحِدَةِ) فَإِنَّهُ  
إِذَا وَرَدَ فِي الْكَلَامِ امْتَكَنَ تَبْدِيلُهُ بِغَيْرِهِ بِمَا هُوَ فِي مَعْنَاهُ سِوَاهُ  
كَانَ ذَلِكَ اسْكَلَامٌ نَثْرًا أَوْ نَظْمًا . وَأَمَّا الَّذِي يُوجَدُ فِي الْأَلْفَاظِ  
الْمُتَعَدِّدَةِ فَإِنَّهُ لَا يُمْكِنُ تَبْدِيلُهُ بِغَيْرِهِ فِي الشَّعْرِ بَلْ يُمْكِنُ ذَلِكَ فِي  
النَّثْرِ خَاصَّةً لِأَنَّهُ يَغْسُرُ فِي الشَّعْرِ مِنْ أَجْلِ الْوِزْنِ . فِيمَا جَاءَ مِنْ  
الْقِسْمِ الْأَوَّلِ قَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّئِ :

فَلَا يُبْرَمُ الْأَمْرُ الَّذِي هُوَ حَالِلٌ وَلَا يُخَالُ الْأَمْرُ الَّذِي هُوَ يُبْرَمُ  
فَلَفْظَةُ حَالِلٌ نَافِرَةٌ عَنْ مَوْضِعِهَا وَكَانَتْ لَهُ مَنَدُوحَةٌ عَنْهَا لِأَنَّهُ لَوْ  
اسْتَعْمَلَ عِوَضًا عَنْهَا لَفْظَةٌ ( نَاقِضٌ ) لَجَأَتِ الْفِظَةُ قَارَةً فِي مَكَانِهَا  
غَيْرَ قَلْبَةٍ وَلَا نَافِرَةٍ . وَبَلَّغَنِي عَنْ أَبِي الْعَلَاءِ : أَنَّهُ كَانَ يَتَعَصَّبُ لِأَبِي  
الطَّيِّبِ حَتَّى أَنَّهُ كَانَ يُسَمِّيهِ الشَّاعِرَ وَيُسَمِّي غَيْرَهُ بِنِ الشُّعْرَاءِ بِاسْمِهِ  
وَكَانَ يَقُولُ : لَيْسَ فِي شِعْرِهِ لَفْظَةٌ يُمْكِنُ أَنْ يَقُومَ عَنْهَا مَا هُوَ فِي  
مَعْنَاهَا فَنَجِيءٌ حَسَنًا مِثْلَهَا . فَيَا لَيْتَ شِعْرِي أَمَا وَقَفَ عَلَى هَذَا أَلَيْتَ  
النَّشَارِ إِلَيْهِ لَكِنَّ الْهَوَى كَمَا يُقَالُ أَعْمَى . وَكَانَ أَبُو الْعَلَاءِ أَعْمَى  
أَلْعَيْنِ خَلَقَهُ وَأَعْمَاهَا عَصِيَّةٌ فَاجْتَمَعَ لَهُ أَعْمَى مِنْ جِهَتَيْنِ . وَهَذِهِ  
الْفِظَةُ الَّتِي هِيَ ( حَالِلٌ ) وَمَا يَجْرِي مَجْرَاهَا قَبِيحَةٌ الْإِسْتِعْمَالِ وَهِيَ فَكُّ

الْأَدْغَامِ فِي الْفِعْلِ الثَّلَاثِي وَنَقَلَهُ إِلَى أَسْمِ الْفَاعِلِ . وَعَلَى هَذَا فَلَا  
يُحْسَنُ أَنْ يُقَالَ : بَلَّ الثَّرْبَ فَهُوَ بَالٌّ . وَلَا : سَلَّ السَّيْفَ فَهُوَ سَالٌّ .  
وَهَذَا لَوْ غَرَضَ عَلَى مَنْ لَا ذَوْقَ لَهُ لَا ذَرْكَهُ وَفِيهِمْ فَكَيْفَ مَنْ لَهُ  
ذَوْقٌ صَحِيحٌ كَأَيِّ الطَّيِّبِ . لَكِنْ لَا بُدَّ إِكْلِ جَوَادٍ مِنْ كِبَوَةٍ .  
وَأَنشَدَ بَعْضُ الْأَدْبَاءِ بَيْتًا لِدُعْبَلٍ وَهُوَ :

شَفِيعَكَ فَأَشْكُرُ فِي الْخَوَائِجِ إِنَّهُ يَصُونُكَ عَنْ مَكْرُوهَيْهَا وَهُوَ يُخَاتِئُ  
فَقُلْتُ لَهُ : عَجَزَ هَذَا أَلَيْتَ حَسَنٌ وَأَمَّا صَدْرُهُ فَمُبِيجٌ . لِأَنَّ  
سَبْكَهُ قَلَقٌ نَافِرٌ . وَتِلْكَ أَلْفَاءُ أَلَّتِي فِي قَوْلِهِ : شَفِيعَكَ فَأَشْكُرُ  
كَأَنَّهَا زَكَبَةُ أَلْبَعِيرٍ وَهِيَ فِي زِيَادَتِهَا كَزِيَادَةِ الْكَرَشِ . . . . . وَمِثْلُ  
هَذِهِ أَلْدَقَاتِي أَلَّتِي تَرُدُّ فِي الْكَلَامِ نَظْمًا كَانَ أَوْ ثَرًا لَا يَتَقَطَّنُ لَهَا  
إِلَّا الرَّاسِخُ فِي عِلْمِ الْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ . وَمِنْ هَذَا أَلْتَسْمِ رَصَّةٌ هَمْزَةٌ  
أَلْقَطَعِ وَهِيَ مَحْسُوبَةٌ مِنْ جَائِزَاتِ الشُّعْرِ أَلَّتِي لَا تَجُوزُ فِي الْكَلَامِ  
أَلْمَشُورِ . وَكَذَلِكَ قَطَعُ هَمْزَةُ الْوَصْلِ لَكِنْ وَصَلَ هَمْزَةُ الْقَطْعِ أَقْبَحُ  
لِأَنَّهُ أَثْقَلُ عَلَى اللِّسَانِ . فِيمَا وَرَدَ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ  
أَلْتَسْتِي :

يُوسِطُهُ أَلْمَفَاوِزُ كُلِّ يَوْمٍ طَلَابُ الطَّالِبِينَ لَا أَلِإِنْتَظَارُ  
فَقَوْلُهُ : ( لَا أَلِإِنْتَظَارُ ) كَلَامٌ نَافِرٌ مِنْ مَوْضِعِهِ . وَمِنْ هَذَا  
أَلْقَسَمِ أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَ الْمَوْصُوفِ وَالصِّفَةِ بِضَمِيرٍ مَنْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ .  
كَقَوْلِ النَّجَّارِيِّ :

حَلَفْتُ لَهُ بِاللَّهِ يَوْمَ أَلْتَفَرَّقُ وَبِالْوَجْدِ مِنْ قَلْبِي بِهِ أَلْمُتَلَقِّ

تَقْدِيرُهُ ( مِنْ قَلْبِي أَلْتَلَعْتُ بِهِ ) فَلَمَّا فَصَلَ بَيْنَ الْمَوْصُوفِ  
الَّذِي هُوَ ( قَلْبِي ) وَالصِّفَةِ الَّتِي هِيَ ( أَلْتَلَعْتُ ) بِالضَّمِيرِ الَّذِي هُوَ ( بِهِ )  
قُبِجَ ذَلِكَ . وَلَوْ كَانَ قَالَ مِنْ قَلْبِهِ بِهِ مُتَعَلِّقٌ لَزَالَ ذَلِكَ أَلْتَلَعْتُ  
وَذَهَبَتْ تِلْكَ الْفُجْئَةُ . وَمِنْ هَذَا الْقِسْمِ أَيْضًا أَنْ تَرَادَ الْأَلْفُ  
وَاللَّامُ فِي أَنْمِ الْفَاعِلِ وَيَقَامُ الضَّمِيرُ فِيهِ مُقَامَ الْمَفْعُولِ . كَقَوْلِ  
أَبِي تَمَّامٍ :

فَلَوْ عَايَنْتَهُمْ وَالزَّارِيَهُمْ لَمَزْتَ أَلْعِيدَ مِنَ الْحَمِيمِ  
قَوْلُهُ : ( الزَّارِي ) أَنْمُ فَاعِلٍ . وَقَوْلُهُ : ( وَالزَّارِيَهُمْ ) هُوَ  
الضَّمِيرُ فِي مَوْضِعِ الْمَفْعُولِ . تَقْدِيرُهُ : ( الزَّارِينَ أَرْضَهُمْ أَوْ دَارَهُمْ  
أَوْ الزَّارِينَ إِيَّاهُمْ ) فَاسْتَعْمَلَ هَذَا مَعَ الْأَلْفِ وَاللَّامِ قُبِجٌ جِدًّا .  
وَإِذَا حَدِثْنَا زَالَ ذَلِكَ أَلْتَلَعْتُ . وَقَدْ اسْتَعْمَلَهَا الشُّعْرَاءُ الْمُتَقَدِّمُونَ  
كَثِيرًا

( وَمِمَّا جَاءَ مِنَ الْقِسْمِ الثَّانِي ) الَّذِي يُوجَدُ فِي الْأَلْفَاظِ الْمُتَعَدِّدَةِ  
قَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ أَيْضًا :

لَا خَلْقَ أَنْزَمَ مِنْكَ إِلَّا عَارِفٌ بِكَ رَأَى نَفْسَكَ لَمْ يَقُلْ لَكَ هَاتِيهَا  
فَإِنَّ عَجْبُ هَذَا أَلْبَيْتِ نَافِرٌ عَنْ مَوَاضِعِهِ . وَأَمْثَالُ هَذَا فِي الْأَشْعَارِ  
كَثِيرٌ



## الفصل السادس

في وجوه الكلام  
( راجع صفحة ٦٦ من علم الادب )

### البحث الاول

في وجوه البلاغة وطبقات الكلام  
( من العقد الفريد لابن عبد ربه )

الْبَلَاغَةُ تَكُونُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَوْجِهٍ : تَكُونُ بِاللَّفْظِ وَالْحَظِّ  
وَالْإِشَارَةِ وَالِدَّلَالَةِ . وَكُلُّ مِنْهَا لَهُ حَظٌّ مِنْ الْبَلَاغَةِ وَالْيَكِيَانِ وَمَوْضِعٌ  
لَا يَجُوزُ فِيهِ غَيْرُهُ . وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ : لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالٌ وَلِكُلِّ كَلَامٍ  
جَوَابٌ . وَرَبَّ إِشَارَةٍ ابْلَغُ مِنْ لَفْظٍ . فَأَمَّا الْحَظُّ وَالْإِشَارَةُ  
فَفَهْمَانِ عِنْدَ الْخَاصَّةِ وَأَكْثَرِ الْعَامَّةِ . وَأَمَّا الدَّلَالَةُ فَكُلُّ شَيْءٍ  
دَلَّ عَلَى شَيْءٍ فَقَدْ أَخْبَرَكَ بِهِ . . . . . وَقَالَ أَبُو بَرَزٍ لِكَاتِبِهِ :  
أَعْلَمُ أَنَّ دَعَائِمَ الْمَقَالَاتِ أَرْبَعٌ : إِنْ أَتَيْتَ لَهَا خَامِسًا لَمْ يُوْجَدْ فَإِنْ  
نَقَصَ مِنْهَا وَاحِدًا لَمْ تَتِمَّ وَهِيَ : سُؤَالُكَ الشَّيْءَ وَأَمْرُكَ بِالشَّيْءِ  
وَإِخْبَارُكَ عَنِ الشَّيْءِ وَسُؤَالُكَ عَنِ الشَّيْءِ . فَإِذَا طَلَبْتَ فَأَسْجَعِ .  
وَإِذَا سَأَلْتَ فَأَوْضِحْ وَإِذَا أَمَرْتَ فَأَحْكَمْ . وَإِذَا أَخْبَرْتَ فَحَقِّقْ .  
وَأَجْمَعْ الْكَثِيرَ بِمَا تُرِيدُ فِي الْقَلِيلِ بِمَا تَقُولُ ( يُرِيدُ الْكَلَامَ الَّذِي  
تَقِلُّ حُرُوفُهُ وَتَكْثُرُ مَعَانِيهِ ) . وَقَالَ رَبِيعَةُ : الرَّأْيُ أَنْ لَا أَسْمَعَ  
الْحَدِيثَ عُطْلًا فَاسْتَفْهَهُ وَأَقْرَطَهُ فَيَحْسُنُ وَمَا زِدْتُ فِيهِ شَيْئًا وَلَا غَيَّرْتُ

أَهْ مَعْنَى . وَقَالُوا : خَيْرَ الْكَلَامِ مَا لَمْ يُخْتَجَّ بِهِ إِلَى كَلَامٍ وَلِلْعَرَبِ  
 مِنْ مُوجِزِ اللَّفْظِ وَلَطِيفِ الْمَعْنَى فَصُولٌ عَجِيبَةٌ وَبَدَائِعُ غَرِيبَةٌ . قَالَ  
 إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الشَّيْبَانِيُّ : إِذَا اخْتَجَّتْ إِلَى مُحَاطَةِ الْمُلُوكِ وَالْوُزَرَاءِ  
 وَالْعُلَمَاءِ وَالْكَتَّابِ وَالْخُطَبَاءِ وَالْأَدَبَاءِ وَالشُّعْرَاءِ وَأَوَسَاطِ النَّاسِ  
 وَسُوقَتِهِمْ فَخَاطِبٌ كَلَّا عَلَى قَدْرِ أَهْلِهِ وَجَلَّالَتِ وَعُلُوُّهُ وَارْتِفَاعِهِ  
 وَفِطْنَتِهِ وَآتِبَائِهِ وَاجْعَلْ طَبَقَاتِ الْكَلَامِ عَلَى ثَمَانِيَةِ أَقْسَامٍ : مِنْهَا  
 الطَّبَقَاتُ الْأَعْلَى أَرْبَعٌ وَالطَّبَقَاتُ الْآخَرُ وَهِيَ دُونَهَا أَرْبَعٌ لِكُلِّ  
 طَبَقَةٍ مِنْهَا دَرَجَةٌ وَلِكُلِّ قِسْمَةٍ لَا يَنْبَغِي الْمَكَاتِبُ الْبَلِيغُ أَنْ يُقْصَرَ  
 بِأَهْلِهَا عَنْهَا وَيَقْلَبَ مَعْنَاهَا إِلَى غَيْرِهَا . ( فَالْحَدُّ الْأَوَّلُ ) الطَّبَقَاتُ الْأَعْلَى  
 وَغَايَتُهَا الْقَضْوَى الْخِلَافَةُ الَّتِي آجَلَ اللَّهُ قَدْرَهَا وَعَالَى سَائِنَهَا عَنْ مُسَاوَاتِهَا  
 بِأَحَدٍ مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا فِي التَّعْظِيمِ وَالتَّوْقِيرِ . ( وَالطَّبَقَةُ الثَّانِيَةُ )  
 لُوزَرَاتُهَا وَكُتَّابُهَا الَّذِينَ يُخَاطَبُونَ الْخُلَفَاءَ بِعُقُولِهِمْ وَالسُّنَنَ وَبِرْتَقُونِ  
 الْفَتْوَى بِأَرَادَتِهِمْ . ( وَالطَّبَقَةُ الثَّالِثَةُ ) أُمَرَاءُ ثَعُورِهِمْ وَقُوَادُ جُنُودِهِمْ  
 فَإِنَّهُ يَجِبُ مُحَاطَةُ كُلِّ أَحَدٍ مِنْهُمْ عَلَى قَدْرِهِ وَمَوْزِنِهِ وَحَظِّهِ وَغَنَائِهِ  
 وَجَزَائِهِ وَأَضْطِلَاعِهِ بِأَحْمَلٍ مِنْ أَعْيَانِ أُمُورِهِمْ وَجَلَائِلِ أَعْمَالِهِمْ .  
 ( وَالرَّابِعَةُ ) الْقَضَاةُ فَإِنَّهُمْ وَإِنْ كَانَ لَهُمْ تَوَاضُعُ الْعُلَمَاءِ وَحِيلَةُ  
 الْقُضَلَاءِ مَعَهُمْ أَهْلُ السَّاطِنَةِ وَهَيْئَةُ الْأَمْرَاءِ . وَأَمَّا الطَّبَقَاتُ الْأَرْبَعُ  
 الْآخَرُ فَهُمْ الْمُلُوكُ الَّذِينَ أَوْجَبَتْ نِعْمَتُهُمْ تَعْظِيمَهُمْ فِي الْكُتُبِ إِلَهُهُمْ  
 وَافْضَالَهُمْ تَعْظِيمَهُمْ فِيهَا . ( وَالثَّانِيَةُ ) وَزَرَاؤُهُمْ وَكُتَّابُهُمْ وَاتِّبَاعُهُمْ  
 الَّذِينَ تُقَرَّعُ أَبْوَابُهُمْ وَبِعَيْنَاتِهِمْ تُسْتَبَاحُ أَمْوَالُهُمْ . ( وَالثَّالِثَةُ ) هُمْ الْعُلَمَاءُ

يَحِبُّ تَوْفِيَهُمْ فِي الْكُتُبِ بِشَرَفِ الْعِلْمِ وَعُلُوِّ دَرَجَةِ أَهْلِهِ .  
 (وَالطَّبَقَةُ الرَّابِعَةُ) لِأَهْلِ الْقَدْرِ وَالْجَلَالَةِ وَالْخِلَافَةِ وَالطَّلَاوَةِ وَالظَّرْفِ  
 وَالْأَدَبِ فَإِنَّهُمْ يَضْطَرُّونَكَ بِجِدَّةِ أَذْهَانِهِمْ وَشِدَّةِ تَمْيِيزِهِمْ وَاتِّقَادِهِمْ  
 وَادِّيعِهِمْ وَتَصَفُّحِهِمْ إِلَى الْأَسْتِقْصَاءِ عَلَى نَفْسِكَ فِي مَكَاتِبِهِمْ وَاسْتَعْنَيْنَا  
 عَنْ التَّرْتِيبِ لِلسُّوقَةِ وَالْعَوَامِّ وَالْجَارِ بِاسْتِغْنَائِهِمْ بِمَهَاتِهِمْ مِنْ هَذِهِ  
 الْأَلَاتِ وَاشْتِعَالِهِمْ بِمَهَاتِهِمْ عَنْ هَذِهِ الْأَدَوَاتِ . وَلِكُلِّ طَبَقَةٍ  
 مِنْ هَذِهِ الطَّبَقَاتِ مَعَانٍ وَمَذَاهِبٌ يَحِبُّ عَلَيْكَ أَنْ تَرَعَاهَا فِي  
 مُرَاسَلَتِكَ إِيَّاهُمْ فِي كُتُبِكَ فَتَرَى كَلَامَكَ فِي مُحَاطَتِهِمْ بِمِيزَانِهِ  
 وَتُعْطِيهِ قِسْمَهُ وَتُوفِيهِ نَصِيْبَهُ . فَإِنَّكَ مَتَى أَهْمَلْتَ ذَلِكَ وَاضْعَعْتَهُ لَمْ  
 آمَنْ عَلَيْكَ أَنْ تُعْدِلَ بِهِمْ عَنْ كَلَامِكَ فِي غَيْرِ مَسْلَكِهِ فَلَا تَعْتَدَ  
 بِالْمَعْنَى الْجَزُلِ مَا لَمْ تُلِيسْهُ لَفْظًا لَانْقَاءَ بَيْنَ كَاتِبَتِهِ وَمَلَمَسًا بَيْنَ رَاسَلَتِهِ .  
 فَإِنَّ الْبَاسِكَ الْمَعْنَى وَإِنْ صَحَّ وَصَرَفَ أَفْظًا مُخْتَلِفًا عَلَى قَدْرِ  
 الْمَكْتُوبِ إِلَيْهِ لَمْ تَجْرِ بِهِ عَادَتُهُمْ تَفْهِيْنُ لِلْمَعْنَى وَإِخْلَالُ بِقَدْرِهِ  
 وَذُلُّهُ بِحَقِّ الْمَكْتُوبِ إِلَيْهِ وَنَقْصُ مَا يَحِبُّ لَهُ كَمَا أَنَّ فِي اتِّبَاعِ  
 تَعَارُفِهِمْ وَمَا انْتَشَرَتْ بِهِ عَادَاتُهُمْ وَجَرَتْ بِهِ السِّنَنُ قَطْعًا لِعِزِّهِمْ  
 وَخُرُوجًا مِنْ حُقُوقِهِمْ وَبُلُوعًا إِلَى غَايَةِ مُرَادِهِمْ وَإِسْقَاطَ الْحُجَّةِ أَدْبَارِهِمْ .  
 فَمِنْ الْأَلْفَاظِ الْمُرْغُوبِ عَنْهَا وَالصُّدُورِ الْمُسْتَوْحَشِ مِنْهَا فِي كُتُبِ  
 السَّادَاتِ وَالْمُلُوكِ وَالْأَمْوَءِ عَلَى اتِّفَاقِ الْعَامَانِ مِثْلُ : أَبَقَاكَ اللَّهُ  
 طَوِيلًا وَعَمَّرَكَ مَلِيًّا . وَإِنْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّ لَافْرَقَ بَيْنَ قَوْلِهِمْ : أَطَالَ  
 اللَّهُ بَقَاءَكَ . وَبَيْنَ قَوْلِهِمْ : أَبَقَاكَ اللَّهُ طَوِيلًا . وَلَكِنَّهُمْ جَعَلُوا هَذَا



أَرْجَحَ وَرَئًا وَأَنَّهُ قَدَرًا فِي الْمُخَاطَبَةِ كَمَا أَنَّهُمْ جَعَلُوا : أَصْغَرَمَكَ  
 اللَّهُ وَابْقَاكَ . أَحْسَنَ مَنَزَلًا فِي كُتُبِ الْفُضَلَاءِ وَالْأَدَبَاءِ مِنْ جَعَلَتْ  
 فِدَاكَ عَلَى أَشْرَاكِ مَعْنَاهُ وَأَحْتِمَالِ أَنْ يَكُونَ فِدَاهُ مِنَ الْخَيْرِ كَمَا  
 يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ فِدَاهُ مِنَ الشَّرِّ . عَلَى أَنَّ كُتَابَ الْعُسْكَرِ وَعَوَامَّهُمْ  
 قَدْ وَلِعُوا بِهَذِهِ اللَّفْظَةِ حَتَّى اسْتَعْمَلُوهَا فِي جَمِيعِ مُحَاوَرَاتِهِمْ وَجَعَلُوهَا  
 هِجْرَانَهُمْ فِي مُخَاطَبَةِ الشَّرِيفِ وَالْوَضِيعِ وَالْكَبِيرِ وَالصَّغِيرِ . وَلِذَلِكَ  
 قَالَ مُحَمَّدٌ الْوَرَّاقُ :

كُلُّ مَنْ حَلَّ سُرٍّ مِنْ رَأْيِ النَّاسِ وَمَنْ قَدْ يُدْخِلُ الْأَمْلَاكَ  
 لَوْ رَأَى الْكَلْبَ مَائِلًا بِطَرِيقٍ قَالَ لِلْكَتَبِ يَا جَعَلْتُ فِدَاكَ  
 وَكَذَلِكَ لَمْ يُجِزُوا أَنْ يَكْتُبُوا بِمِثْلِ بَقَاكَ اللَّهُ وَأَمْتَعْ بِكَ إِلَّا  
 فِي الْأَبْنِ وَالْخَادِمِ الْمُنْقَطِعِ إِلَيْكَ . وَأَمَّا فِي كُتُبِ الْإِخْوَانِ فَغَيْرُ  
 جَائِزٍ بَلْ مَذْمُومٌ مَرْغُوبٌ عَنْهُ . . . وَلِكُلِّ مَكْتُوبٍ إِلَيْهِ قَدَرٌ وَوزنٌ  
 يَنْبَغِي لِلْكَاتِبِ أَنْ لَا يُجَاوِزَهُ عَنْهُ وَلَا يُقْصِرَ بِهِ ذُونَهُ . وَقَدْ رَأَيْتُهُمْ  
 عَابُوا الْأَخْوَصَ حِينَ خَاصَبَ الْمُلُوكَ خِطَابَ الْعَوَامِّ فِي قَوْلِهِ :

وَأَرَاكَ تَفْعَلُ مَا تَقُولُ وَبَعْضُهُمْ مَدَقُّ الْحَدِيثِ يَقُولُ مَا لَا يَفْعَلُ  
 وَهَذَا مَعْنَى صَحِيحٍ فِي الْمَدْحِ وَلَكِنَّهُمْ أَجَلُوا قَدْرَ الْمُلُوكِ أَنَّ  
 يُدْخِ بِمَا تُدْخِ بِهِ الْعَوَامُّ لِأَنَّ صَدَقَ الْحَدِيثُ وَإِنْجَازَ الْوَعْدِ وَإِنْ كَانَ  
 مِنَ الْمَدْحِ فَهُوَ وَاجِبٌ عَلَى الْعَامَّةِ . وَالْمُلُوكُ لَا يُدْخُونَ بِالْفَرَائِضِ  
 الْوَاجِبَةِ . إِنَّمَا يُحْسِنُ مَدْحُهُمْ بِالْأَوْفَلِ لِأَنَّ الْمَدْحَ لَوْ قَالَ لِبَعْضِ  
 الْمُلُوكِ : إِنَّكَ لَا تَخُونُ مَا اسْتَوْدَعْتَ وَإِنَّكَ لَتَصْدُقُ فِي وَعْدِكَ وَتَقِي

بِعَهْدِكَ . فَكَأَنَّهُ قَدْ آتَى بِمَا يَجِبُ وَلَوْ قَصَدَ بَشَائِهِ إِلَى مَقْصَدِهِ  
 كَانَ أَشْبَهَ بِالْمُلُوكِ . وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ أَمِيرٍ يَتَوَلَّى مِنْ أَمِيرِ  
 الْمُؤْمِنِينَ شَيْئًا فَهُوَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرَ أَنَّهُمْ لَمْ يُطْلَقُوا هَذِهِ اللَّفْظَةَ إِلَّا  
 فِي الْخُلَفَاءِ خَاصَّةً . وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ الْكِتَابَ هُوَ الْعَقْلُ . وَلَكِنْ إِنْ  
 وَصَفْتَ رَجُلًا فَقُلْتَ : إِنَّهُ لَعَاقِلٌ . كُنْتَ مَدَحْتَهُ عِنْدَ النَّاسِ . وَإِنْ  
 قُلْتَ : إِنَّهُ لِكَيْسٌ كُنْتَ قَدْ قَصَرْتَ بِهِ عَنْ وَصْفِهِ وَصَغُرَتْ مِنْ  
 قَدْرِهِ . إِلَّا عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ بِاللُّغَةِ لِأَنَّ الْعَامَّةَ لَا تَلْتَفِتُ إِلَى مَعْنَى  
 الْكَلِمَةِ وَلَكِنْ إِلَى مَا جَرَتْ بِهِ الْعَادَةُ مِنْ اسْتِعْمَالِهَا فِي الظَّاهِرِ  
 إِذْ كَانَ اسْتِعْمَالُ الْعَامَّةِ لَهُذِهِ الْكَلِمَةِ مَعَ الْحَدَاثَةِ وَالْفِرَةِ وَخَسَاسَةِ  
 الْقَدْرِ وَصِغَرِ السِّنِّ . . . . فَاثْبِيلُ هَذِهِ الْمَذَاهِبِ وَأَجْرٌ عَلَى هَذِهِ  
 الْقِيَامِ وَتَحْفَظُ فِي صُدُورِ كُنْيَاكَ وَفُضُولِهَا وَخَوَائِمِهَا وَضَعُ كُلِّ مَعْنَى  
 فِي مَوْضِعٍ يَلِيقُ بِهِ وَتَحْذِرُ لِكُلِّ لَفْظَةٍ مَعْنَى يُشَاكِلُهَا وَلَيْكُنْ مَا  
 تَحْتِمُ بِهِ فُضُولَكَ فِي مَوْضِعٍ ذَكَرَ الْبُلُوَى بِمَثَلِ : ( نَسَأَلَ اللَّهُ دَفْعَ  
 الْحَذَرِ وَصَرَفَ الْمَكْرُوهِ ) وَأَشْبَاهِ هَذَا . وَفِي مَوْضِعٍ ذَكَرَ  
 الْبُصِيَّةَ : إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ . وَفِي مَوْضِعٍ ذَكَرَ التَّعَمُّدَ :  
 ( الْحَمْدُ لِلَّهِ خَالِصًا وَالشُّكْرُ لِلَّهِ وَاجِبًا ) . فَإِنَّ هَذِهِ الْمَوَاضِعَ يَجِبُ عَلَى  
 الْكَاتِبِ أَنْ يَتَقَدَّهَا وَيَحْتَفِظَ بِهَا . فَإِنَّ الْكَاتِبَ إِنَّمَا يَصِيرُ كَاتِبًا  
 بِأَنْ يَضَعَ كُلَّ مَعْنَى فِي مَوْضِعِهِ فَيُعَلِّقَ كُلَّ لَفْظَةٍ عَلَى طَبَقِهَا مِنْ  
 الْعَلَنَى . وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ فِي الرِّسَالَةِ اسْتِعْمَالُ الْأَقْصَارِ وَالْحَذَفِ  
 وَتُخَاطَبَةُ الْخَاصِّ بِالْعَامِّ وَالْعَامِّ بِالْخَاصِّ . وَكَذَلِكَ يَتَبَيَّنُ لِلْكَاتِبِ

أَنْ يَجْتَنِبَ اللَّفْظَ الْمَشْتَرَكَ وَالْمَعْنَى الْمُلْتَبَسَ . . . وَكَذَلِكَ لَا يَجُوزُ  
 أَيْضًا فِي الرَّسَائِلِ وَالْبَلَاغَاتِ الْمَشْهُورَةِ مَا يَجُوزُ فِي الْأَشْعَارِ الْمَوْزُونَةِ  
 لِأَنَّ الشَّاعِرَ مُضْطَّرٌّ وَالشَّعْرَ مَقْصُودٌ مُقَيَّدٌ بِالْوِزْنِ وَالْقَوَائِي. فَذَلِكَ  
 أَجَازُوَالَهُمْ صَرَفَ مَا لَا يَنْصَرِفُ مِنْ الْأَسْمَاءِ وَحَذَفَ مَا لَا يُحْذَفُ  
 مِنْهَا وَاعْتَفَرَ فِيهِ سُوءَ الظَّنِّ وَأَجَازُوا فِيهِ التَّقْدِيمَ وَالتَّأْخِيرَ وَالْإِضَارَ  
 فِي مَوْضِعِ الْإِظْهَارِ وَذَلِكَ كُلُّهُ غَيْرُ سَائِعٍ فِي الرَّسَائِلِ وَلَا جَائِزٍ فِي  
 الْبَلَاغَاتِ . . . وَكَذَلِكَ لَا يَتَّبِعِي فِي الرَّسَائِلِ أَنْ يُصَغَّرَ الْأَسْمُ فِي  
 مَوْضِعِ التَّعْظِيمِ وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ جَائِزًا مِثْلُ قَوْلِهِمْ : دَوَيْبِيَّةٌ تَضْعِيزُ  
 دَاهِيَةٍ . وَجَدَلِيٌّ تَضْعِيزُ جَدَلٍ . وَعَدْنِيٌّ تَضْعِيزُ عَدْنٍ . وَقَالَ لَبِيدٌ :  
 وَكُلُّ أَنَاسٍ سَوْفَ تَنْخُلُ بَيْنَهُمْ دَوَيْبِيَّةٌ تَضْعُرُ مِنْهَا الْأَنَامِلُ  
 وَقَالَ الْحُبَابُ بْنُ الْمُنْذِرِ يَوْمَ سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ : أَنَا عُدْنِيهَا  
 الْمَرْجَبُ وَجَدْنَاهَا الْفَحْكَكَ . وَقَالَ سَرَحَةُ أَبُو عُيَيْدَةَ : وَمَا لَا يَجُوزُ  
 فِي الرَّسَائِلِ وَكَرْهُهُ فِي الْكَلَامِ أَيْضًا مِثْلُ قَوْلِهِمْ : كَلَّمْتُ إِيَّاكَ  
 وَأَعْنِي إِيَّاكَ وَهُوَ جَائِزٌ فِي الشَّعْرِ . قَالَ الشَّاعِرُ :

وَإِخْلٍ وَأَحْسَنَ فِي أَسِيرِكَ إِنَّهُ ضَعِيفٌ وَلَمْ يَأْسِرْ كَأَيَّاكَ آسِرُ  
 فَتَحْيَرُ مِنَ الْأَلْفَافِ أَرْجَحَهَا لَفْظًا وَأَجْزَلَهَا وَأَشْرَفَهَا جَوْهَرًا  
 وَأَكْرَمَهَا حَسَبًا وَالْيَقَهَا فِي مَكَانِهَا وَأَشْكَلَهَا فِي مَوْضِعِهَا فَإِنْ  
 حَاوَلْتَ صَنْعَةَ رِسَالَةٍ فَرِنِ اللَّفْظَةَ قَبْلَ أَنْ تُخْرِجَهَا بِمِيزَانِ التَّضْرِيفِ إِذَا  
 عَرَضَتْ . وَعَايِرِ الْكَلِمَةَ بِعِيَارٍ إِذَا سَحَّتْ . فَإِنَّهُ رَبَّمَا مَرَّ بِكَ مَوْضِعٌ  
 يَكُونُ مُخْرِجُ الْكَلَامِ إِذَا كَتَبْتَ : أَنَا فَاعِلٌ . أَحْسَنُ مِنْ أَنْ

تَكْتُبُ : أَنَا أَفْعَلُ . وَمَوْضِعٌ آخَرُ يَكُونُ فِيهِ ( اسْتَنْعَلْتُ ) أَحَلَّى  
 مِنْ ( فَعَلْتُ ) فَأَدِرِ الْكَلَامَ عَلَى اعْكَانِهِ وَقَلْبِهِ عَلَى جَمِيعِ وُجُوهِهِ  
 فَإِي لَفْظَةٍ رَأَيْتَهَا فِي الْمَكَانِ الَّذِي نَذَبْتُهَا إِلَيْهِ فَأَتَزَعُهَا إِلَى الْمَكَانِ  
 الَّذِي أَوْرَدْتُهَا عَلَيْهِ وَأَوْفَعُهَا فِيهِ . وَلَا تَجْعَلِ اللَّفْظَةَ قَلْبَةً فِي مَوْضِعِهَا  
 نَافِرَةً عَنْ مَكَانِهَا فَإِنَّكَ مَتَى فَعَلْتَ هَجَمْتَ الْمَوْضِعَ الَّذِي حَادَتْ  
 تَحْسِينُهُ وَأَفْسَدْتَ الْمَكَانَ الَّذِي أَرَدْتَ إِصْلَاحَهُ فَإِنَّ وَضْعَ الْأَلْفَازِ  
 فِي غَيْرِ أَمَاكِنِهَا وَقَصْدُكَ بِهَا إِلَى غَيْرِ مَصَاحِبِهَا إِنَّمَا هُوَ كَقَرْعِ الثُّوبِ  
 الَّذِي لَمْ يُشَابِهْ رِقَاعُهُ وَلَمْ تَتَقَارَبْ أَجْزَاؤُهُ وَخَرَجَ مِنْ حَدِّ الْجَدَّةِ  
 وَتَغَيَّرَ حُسْنُهُ . كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

إِنَّ الْجَلِيدَ إِذَا مَا زِيدَ فِي خَلْقٍ بَيْنَ لِلنَّاسِ أَنَّ الثُّوبَ مَرْقُوعٌ  
 كَذَلِكَ كُلَّمَا أَحْمَلُوا الْكَلَامَ وَعَذِبَ وَرَاقَ وَسَهَلَتْ تَحَارِجُهُ كَانَ  
 أَسْهَلَ وَأَرْجَى فِي الْأَنْعَامِ وَأَشَدَّ اتِّصَالًا بِالْقُلُوبِ وَأَخَفَ عَلَى الْأَفْوَاهِ  
 لَا سِيَّامَا إِنْ كَانَ الْمَعْنَى الْبَدِيعُ تُرْجَمًا بِلَفْظٍ مُؤْتَقٍ شَرِيفٍ وَمُعَايَرًا  
 بِكَلَامٍ عَذِبٍ لَمْ يَسْمَعْهُ التَّكْلِيفُ عَيْسِيهِ وَلَمْ يُفْسِدْهُ التَّعْقِيدُ  
 بِاسْتِهْلَاسِهِ . . . وَقَدْ رَأَيْتُهُمْ شَبَّهُوا الْمَعْنَى الْحَقِيَّةَ بِالرُّوحِ الْحَقِيِّ .  
 وَاللَّفْظَ الظَّاهِرَ بِالْجَنَانِ الظَّاهِرِ . وَإِذَا لَمْ يَهْضُ بِالْمَعْنَى الشَّرِيفِ  
 الْجَزْلُ لَفْظٌ شَرِيفٌ جَزْلٌ لَمْ تَكُنِ الْعِبَارَةُ وَاضِحَةً وَلَا الْبَيِّنَاتُ مُتَّسِقَةً .  
 وَتَضَاوُلُ الْمَعْنَى الْحَسَنِ تَحْتَ اللَّفْظِ الْقَبِيحِ كَتَضَاوُلِ الْحَسَنِ فِي  
 الْأَطْيَارِ الرَّثِيَّةِ . وَإِنَّمَا يَدُلُّ عَلَى الْمَعْنَى أَرْبَعَةُ أَصْنَافٍ : لَفْظٌ وَإِشَارَةٌ  
 وَعَقْدٌ وَخَطٌّ . وَقَدْ ذَكَرَ لَهُ أَرِسْطَاطَالِيْسُ صُنْعًا خَامِسًا فِي كِتَابِ

أَلْتَنطِقَ وَهُوَ الَّذِي يُسَمَّى النَّصْبَ . وَالنَّصْبُ الْحَالُ الدَّالَّةُ الَّتِي تَقُومُ  
مَقَامَ تِلْكَ الْأَصْنَافِ الْأَرْبَعَةِ وَهِيَ النَّاطِقَةُ بِغَيْرِ لَفْظٍ وَمُشِيرَةٌ إِلَيْكَ  
بِغَيْرِ يَدٍ وَذَلِكَ ظَاهِرٌ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكُلِّ صَائِتٍ وَنَاطِقٍ .  
وَجَمِيعُ هَذِهِ الْأَصْنَافِ الْخَمْسَةِ كَاشِفَةٌ عَنْ أَعْيَانِ الْمَعَانِي وَسَافِرَةٌ عَنْ  
وُجُوهِهَا وَأَوْضَحُ هَذِهِ الدَّلَائِلِ وَأَفْصَحُ هَذِهِ الْأَصْنَافِ صَفْنَانِ : هُمَا  
الْقَلَمُ وَاللِّسَانُ وَكِلَاهُمَا تَرْجُمَانُ . فَأَمَّا اللِّسَانُ فَهُوَ الْآلَةُ الَّتِي يَخْرُجُ  
الْإِنْسَانُ بِهَا عَنْ حَدِّ الْإِسْتِهَامِ إِلَى حَدِّ الْإِنْسَانِيَّةِ بِالْكَلَامِ . وَلِذَلِكَ  
قَالَ صَاحِبُ الْمَنْطِقِ : حَدُّ الْإِنْسَانِ الْحَيُّ النَّاطِقُ

### البحث الثاني

## في بيان المطبوع من الكلام والمصنوع (١)

( من مقدمة ابن خلدون باختصار )

اعْلَمْ أَنَّ الْكَلَامَ الَّذِي هُوَ الْعِبَارَةُ وَالْخِطَابُ إِنَّمَا سِرُّهُ وَرُوحُهُ  
فِي إِفَادَةِ الْمَعْنَى . وَأَمَّا إِذَا كَانَ مُهْمَلًا فَهُوَ كَالْمَوْتِ الَّذِي لَا عِزَّةَ  
بِهِ وَكَمَالٍ الْإِفَادَةُ هُوَ الْبَلَاغَةُ عَلَى مَا عَرَفْتَ مِنْ حَالِهَا عِنْدَ أَهْلِ  
الْبَيَانِ لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ : هِيَ مُطَابَقَةُ الْكَلَامِ لِمُقْتَضَى الْحَالِ . وَمَعْرِفَةُ  
الشُّرُوطِ وَالْأَحْكَامِ الَّتِي بِهَا تَطَابِقُ التَّرَاكِبُ اللفظية مُقْتَضَى  
الْحَالِ هُوَ فَنُ الْبَلَاغَةِ . وَتِلْكَ الشُّرُوطُ وَالْأَحْكَامُ تُؤْخَذُ مِنْ عِلْمِي

( ١ ) ان هذا الفصل لا يوجد في نسخة مقدمة ابن خلدون المطبوعة في مصر  
وبירות بل في طبعة باريس

العلماني واللياني فعلم العلماني وعلم اللياني هما جزءا البلاغة وبهما  
كمال الافادة والمطابقة لمقتضى الحال. فالبلاغة على هذا هي اصل  
الكلام العربي وسجيته وروحه وطبيعته . ثم اعلم انهم اذا قالوا  
الكلام المطبوع فانهم يعنون به الكلام الذي كملت طبيعته  
وسجيته من افادة مدلوله المقصود منه لانه عبارة وخطاب ليس  
المقصود منه انطق فقط . بل التكلّم يقصد به ان يفيد سامعه  
ما في ضميره افادة تامة ويدل به عليه دلالة وثيقة. ثم يبع تراكيب  
الكلام في هذه السجية التي له بالاصالة ضرب من التحسين  
والترتين بعد كمال الافادة وكانتا تعطيان رونق الفصاحة من  
تنسيق الانجماع والموازنة بين جميل الكلام وتقسيمه بالاقسام  
المختلفة الاحكام والتورية باللفظ المشترك عن الحفي من معانيه  
والمطابقة بين المتضادات ليقع التجانس بين الالفاظ والعلمي فيحصل  
للكلام رونق ولذة في الانماع وحلاوة وجمال كلها رائدة على  
الافادة . وهذه الصنعة موجودة في الكلام العجزي في مواضع  
متعددة مثل : واللّيل اذا يغشى والنهار اذا تجلّى . ومثل : فاما  
من اعطى واتى وصدق بالحقى الى آخر التّسيم . وكذا : فاما  
ن طعى وآثر الحياة الدنيا الى آخره . وكذا : وهم يحسبون انهم  
يُحسنون صنعا . وامثاله كثير . وذلك بعد كمال الافادة في اصل  
هذه التراكيب قبل وقوع هذا البدع فيها . وكذا وقع في  
كلام الجاهلية منه لكن عفوا من غير قصد ولا تعميد . ويقال

إِنَّهُ وَقَعَ فِي شَعْرِ زُهَيْرٍ . وَأَمَّا الْإِسْلَانِيُّونَ فَوَقَعَ لَهُمْ عَفْوًا وَقَصْدًا  
وَأَتَوْا مِنْهُ بِالْعَجَابِ . وَأَوَّلُ مَنْ أَخَذَ طَرِيقَهُ حَبِيبُ بْنُ أَوْسٍ  
وَالنُّجَاشِيُّ وَمُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ فَقَدْ كَانُوا مُوَلَّعِينَ بِالصَّنْعَةِ وَيَأْتُونَ مِنْهَا  
بِالْعَجَبِ . وَقِيلَ إِنَّ أَوَّلَ مَنْ ذَهَبَ إِلَى مُعَانَتِهَا بَشَارُ بْنُ بُرْدٍ وَأَبْنُ  
هَرَمَةَ وَكَانَا آخِرَ مَنْ يُسْتَشْهَدُ بِشَعْرِهِ فِي أَلْسَانِ الْعَرَبِيِّ . ثُمَّ  
اتَّبَعَهُمَا كُلُّثُومُ بْنُ عَمْرٍو وَالْعَتَابِيُّ وَمَنْصُورُ النَّمِرِيِّ وَمُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ  
وَأَبُو نُوَّاسٍ . وَجَاءَ عَلَى آثَارِهِمْ حَبِيبُ وَالنُّجَاشِيُّ . ثُمَّ ظَهَرَ ابْنُ الْمُعْتَزِ  
فَحْتَمَ عَلَى الْبَدِيعِ وَالصَّنَاعَةِ أَجْمَعَ

فَتَأَمَّلْ قَوْلَهُمُ الْمُصْبُوعَ الْفَقِيدَ الصَّنْعَةَ فِي إِحْكَامِ تَأْلِيْفِهِ وَثِقَاقِهِ  
تَرْكِيْبِهِ فَلَوْ جَاءَتْ فِيهِ الصَّنْعَةُ مِنْ بَعْدِ هَذَا الْأَنْعَلِ زَادَتْهُ حُسْنًا .  
وَأَمَّا الْمَصْنُوعُ فَكَثِيرٌ مِنْ لَدُنِ بَشَارٍ ثُمَّ حَبِيبٍ وَطَبَقَتْهُمَا ثُمَّ ابْنُ  
الْمُعْتَزِ خَاتِمُ الصَّنْعَةِ الَّذِينَ جَرَى الْمُتَأَخَّرُونَ بَعْدَهُمْ فِي مِيدَانِهِمْ  
وَنَسَبُوا عَلَى مِنْوَالِهِمْ . وَقَدْ تَمَدَّدَتْ أَصْنَافُ هَذِهِ الصَّنْعَةِ عِنْدَ أَهْلِهَا  
وَاخْتَلَفَتْ أَصْطِلَاحَاتُهُمْ فِي أَلْقَابِهَا . وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ يَجْعَلُهَا مُنْدَرِجَةً فِي  
الْبَلَاغَةِ عَلَى أَنَّهَا غَيْرُ دَاخِلَةٍ فِي الْأِفَادَةِ وَإِنَّمَا هِيَ تُعْطِي التَّحْسِينَ  
وَالرُّوْقَى . وَأَمَّا الْمُتَقَدِّمُونَ مِنْ أَهْلِ الْبَدِيعِ فَهِيَ عِنْدَهُمْ خَارِجَةٌ  
عَنِ الْبَلَاغَةِ وَإِذَلِكَ يَذْكُرُونَهَا فِي الْفُنُونِ الْأَدَبِيَّةِ أَيْ لَا مَوْخُوعَ  
لَهَا . وَهِيَ رَأْيُ ابْنِ رَشِيْقٍ فِي كِتَابِ الْعُمْدَةِ لَهُ وَأَدْبَاءُ الْأَنْدَلُسِ .  
وَذَكَّرُوا فِي اسْتِعْمَالِ هَذِهِ الصَّنْعَةِ شُرُوطًا مِنْهَا أَنْ تَقَعَ مِنْ غَيْرِ  
تَكْلُفٍ وَلَا أَكْثَرَاتٍ فِيمَا يُقْصَدُ مِنْهَا . وَأَمَّا الْعَفْوُ فَلَا كَلَامَ فِيهِ

لِأَنَّا إِذَا بَرَرْنَا مِنَ التَّكْلِيفِ سَلِمَ الْكَلَامُ مِنْ عَيْبِ الْإِسْتِحْجَانِ  
لِأَنَّا تَكَلَّفْنَا وَمُعَانَاتَهَا يَصِيرُ إِلَى الْغَفْلَةِ عَنِ التَّرَاصُّبِ الْأَصْلِيَّةِ  
لِلْكَلامِ فَخُلُّ بِالْإِفَادَةِ مِنْ أَصْلِهَا وَتَذَهَبُ بِالْبَلَاغَةِ رَأْسًا وَلَا يَبْقَى  
فِي الْكَلَامِ إِلَّا تِلْكَ التَّحْسِنَاتُ. وَهَذَا هُوَ الْغَالِبُ الْيَوْمَ عَلَى أَهْلِ  
الْعَصْرِ وَأَصْحَابِ الْأَذْوَاتِ فِي الْبَلَاغَةِ يَسْخَرُونَ مِنْ كَلْفِهِمْ بِهَذِهِ الْقُنُونِ  
وَيَعْدُونَ ذَلِكَ مِنَ الْقُصُورِ عَنْ سِوَاهُ. ثُمَّ مِنْ شُرُوطِ اسْتِعْمَالِهَا عِنْدَهُمْ  
الْإِقْلَالُ مِنْهَا وَأَنْ تَكُونَ فِي بَيِّنَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ وَنَ الْقَصِيدِ فَتَكُنِي فِي  
زِيَةِ الشَّعْرِ وَرَوْنِهِ وَالْإِكْثَارُ مِنْهَا عَيْبٌ. قَالَهُ أَبُو رَشِيْقٍ وَغَيْرُهُ. وَكَانَ  
شَيْخُنَا أَبُو الْقَاسِمِ الشَّرِيفُ السَّبْئِيُّ مُنْفِقُ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ بِالْأَنْدَلُسِ لَوْ قَدْ  
يَقُولُ : هَذِهِ الْقُنُونُ الْبَدِيعَةُ إِذَا وَقَعَتِ لِلشَّاعِرِ أَوْ لِلْكَاتِبِ فَيَقْبَحُ  
أَنْ يُسْتَكَثَرَ مِنْهَا لِأَنَّا مِنْ مُحْسِنَاتِ الْكَلَامِ وَمُزَيِّنَاتِهِ فَهِيَ بِمَثَابَةِ  
الْخِلَافِ فِي الْوَجْهِ يَحْسُنُ بِالْوَاحِدِ وَالْإِثْنَيْنِ مِنْهَا وَيَقْبَحُ بِتَعْدَادِهَا  
وَعَلَى نِسْبَةِ الْكَلَامِ الْمَنْظُومِ هُوَ الْكَلَامُ الْمَنْشُورُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ  
وَالْإِسْلَامِ كَانَ أَوَّلًا مُرْسَلًا مُعْتَبَرًا الْمُوازَنَةَ بَيْنَ جَمْلِهِ وَتَرَاصُّبِهِ .  
مُشَاهِدَةً مُوَازَنَتَهُ بِفَوَاصِلِهِ مِنْ غَيْرِ التَّرَامِ سَجْعٍ وَلَا أَكْثَرَاتٍ بِصَنْعَةٍ .  
حَتَّى نَبَغَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ هَلَالٍ الصَّالِحِيُّ كَاتِبُ بَنِي بُيُوتِهِ فَتَعَاطَى الصَّنْعَةَ  
وَالْتَفَقِيَّةَ وَآتَى مِنْ ذَلِكَ بِالْعَجَبِ وَعَابَ النَّاسُ عَلَيْهِ كَلْفَهُ بِذَلِكَ فِي  
الْمُحَاطَبَاتِ السُّلْطَانِيَّةِ . وَإِنَّمَا حَمَلَهُ عَلَيْهِ مَا كَانَ فِي مُلُوكِهِ مِنَ الْعُجْزَةِ  
وَالْبَعْدِ عَنْ صَوْلَةِ الْخِلَافَةِ الْمُنْفِقَةِ لِسُوءِ الْبَلَاغَةِ . ثُمَّ أُنْتَشَرَتِ الصَّنَاعَةُ  
فِي مَنْشُورِ الْمُتَأَخِّرِينَ وَنُسِيَ عَهْدُ التَّرْسِيلِ وَتَشَابَهَتِ السُّلْطَانِيَّاتُ



وَالْأَخَوَانِيَّاتُ وَالْعَرَبِيَّاتُ بِالسُّوْقِيَّاتِ وَاخْتَلَطَ الْمُرْعِيُّ بِالْمَلِّ . وَهَذَا  
كُلُّهُ يَدُلُّكَ عَلَى أَنَّ الْكَلَامَ الْمَضْنُوعَ بِالْمُعَانَاةِ وَالتَّكْلِيفِ قَاصِرٌ  
عَنِ الْكَلَامِ الْمَطْبُوعِ لِقَلَّةِ الْأَكْثَرَاتِ فِيهِ بِأَصْلِ الْبَلَاغَةِ . وَالْحَاكِمُ  
فِي ذَلِكَ الذَّوْقُ

### البحث الثالث

#### في السجع وأنواعه

( عن صناعة الترسل لشهاب الدين الحلبي باختصار )

( راجع صفحة ٧٢ من علم الادب )

كَلِمَاتُ الْأَنْجَاعِ مَوْضُوعَةٌ عَلَى أَنْ تَكُونَ سَاعِنَةً الْأَنْجَازِ  
مَوْقُوفًا عَلَيْهَا لِأَنَّ الْقَرَضَ أَنْ يُجَانَسَ بَيْنَ الْقَرَائِنِ وَيُزَاجَ بَيْنَهَا وَلَا  
يَتِمُّ ذَلِكَ إِلَّا بِالْوَقْفِ . أَلَا تَرَى أَنْ قَوْلَهُمْ : مَا أَبْعَدَ مَا فَاتَ . وَمَا  
أَقْرَبَ مَا هُوَ آتٍ . لَوْ لُغِطِي أَوْ آخِرُ الْقَرَائِنِ مَا يَقْتَضِيهِ حُكْمُ الْأَنْعَرَابِ  
لَاخْتَلَفَ أَوْ آخِرُ الْقَرَائِنِ وَفَاتَ السَّاجِعُ غَرَضُهُ . وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ يُخْرِجُونَ  
الْكَلِمَةَ عَنْ أَوْضَاعِهَا لِلِإِزْدِوَاجِ فَيَقُولُونَ آتَيْكَ بِالْعَدَوَاءِ أَوْ  
بِالْعِشَاءِ . وَهَنَاتِي الطَّعَامُ وَمَرَاتِي . وَأَنْصَرَفْنَ مَازُورَاتٍ غَيْرَ مَاجُورَاتٍ  
يُرِيدُونَ : الْعَدَوَاتِ وَأَمْرَاتِي وَمَوْزَرَاتٍ . مَعَ أَنَّ فِيهِ أَرْكَابًا  
لِخِلَافَةِ اللَّغَةِ . وَكَذَلِكَ : أَعْطَى الْقَوْسَ بَارِيهَا . وَفِيهِ تَرْكُ الْأَنْعَرَابِ  
مِنْ أَثْنَاءِ الْكَلِمَةِ فَمَا لَظُنُّ بِأَوَاخِرِ الْكَلِمِ الْمَشَبَّهَةِ بِالْقَوَائِي .  
وَالْأَوَّلَى أَنْ يُقَالَ فِي أَوَاخِرِ الْأَيَّاتِ الْفَوَاصِلِ إِذَا عُرِفَ هَذَا

فَالْأَسْبَاجُ أَرْبَعَةُ أَنْوَاعٍ : أَلْتَرَصِيعُ وَالْمُتَوَازِي وَالْمُطَرَّفُ وَالْمُتَوَازِنُ .  
أَمَّا ( أَلْتَرَصِيعُ ) فَهُوَ أَنْ تَكُونَ أَلْأَلْفَاظُ مُسْتَوِيَةً أَلْأَوْرَاقُ مُتَّفِقَةً  
أَلْعَجَازَ كَقَوْلِهِ : إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ . ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ . وَقَوْلِهِ : إِنَّ  
أَلْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ . وَإِنَّ أَلْعَجَازَ لَفِي حَجِيمٍ . وَقَوْلِهِ : أَللَّهُمَّ أَقْبِلْ تَوْبَتِي  
وَأَغْسِلْ حَوْبَتِي . وَقَوْلِهِمْ : فَلَانَّ يَفْتَخِرُ بِأَلْهَمِّ أَلْعَالِيَةِ . لَا بِأَلْزِمَمِ  
أَلْبَالِيَةِ . وَقَوْلِهِمْ : حَتَّى عَادَ تَعْرِضُكَ وَتَرِيضُكَ تَضْحِكًا . وَمِنْ أَلنَّظْمِ  
قَوْلِ أَلْحَفْسَاءِ :

حَامِي أَلْحَقِيقَةِ مَخْدُودِ أَلْخَلِيقَةِ      مَهْدِي أَلطَّرِيقَةِ شَقَاعِ وَضَرَارِ  
جَوَابِ قَاصِيَةِ حَزَارِ نَاصِيَةِ      عَقَادِ أَلْوِيَةِ لَلْخَيْلِ جَرَارِ  
وَكَقَوْلِ أَبِي فِرَاسٍ :

وَإِعَانَانَا لِلرَّاعِيَيْنِ كَرِيمَةٍ      وَأَمَوَالُنَا لِلطَّلَالِيْنَ نَهَابِ  
وَقَوْلِ أَلْأَبِي وَرْدِي :

يَرْوَحُ إِلَهُهُمْ عَازِبُ أَلْحَمْدِ وَإِنَّمَا      وَيَعْدُو عَلَيْهِمْ طَالِبُ أَلرَّفْدِ عَافِيَا  
وَقَدْ يَجِيئُ مَعَ أَلتَّجْنِيسِ كَقَوْلِهِمْ : إِذَا قَلَّتِ أَلْأَنْصَارُ كَلَّتِ  
أَلْأَبْصَارُ . وَمَا وَرَاءَ أَلْخَلْقِ أَلدَّيْمِ إِلَّا أَلْخَلْقُ أَلذَّمِيمِ . وَمِنْ أَلنَّظْمِ  
قَوْلِ أَلطَّرَزِيِّ :

وَدَرُّ جَلَالِهِ أَبَدًا يَثْبُتُ      وَدَرُّ نَوَالِهِ أَبَدًا غَزِيرُ

( وَالْمُتَوَازِي ) وَهُوَ أَنْ يُرَاعَى فِي أَلْكَلِمَتَيْنِ أَلْأَخِيرَتَيْنِ مِنْ  
أَلتَّرِيبَتَيْنِ وَأَلْوِزْنٍ مَعَ أِتِّفَاقِ أَلْأَحْرَفِ أَلْأَخِيرِ مِنْهُمَا كَقَوْلِهِ : فِيهَا سُرُرٌ  
مَرْفُوعَةٌ . وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ . وَقَوْلِهِ : أَللَّهُمَّ آعِطْ مُنْفِقًا حَلْفًا .

وَأَعْطِ نُمُسِكًا تَلْفًا. وَقَوْلِ الْحَرِيرِيِّ : لَجَائِي حُكْمٌ دَهْرٍ قَاسِطٌ . إِلَى أَنْ  
 أَنْتَجِعَ أَرْضَ وَاسِطٍ . وَقَوْلِهِ : وَأَوْدَى النَّاطِقُ وَالصَّائِتُ . وَرَأَى لَنَا  
 أَخْلَاسِدُ وَالشَّامِتُ . ( وَالْمُطَرَّفُ ) وَهُوَ أَنْ يُرَاعَى الْحَرْفُ الْآخِرُ فِي  
 كِلْتَا قَرِيئَتَيْهِ مِنْ غَيْرِ مُرَاعَاةِ الْوِزْنِ . كَقَوْلِهِ : مَا لَكُمْ لَا تَرْجِعُونَ  
 لِلَّهِ وَقَارًا . وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا . وَقَوْلِهِمْ : خِيَا مُهُ مَحَطُّ الرِّجَالِ . وَنَحْمِ  
 الْأَمَالَ . ( وَالْمُتَوَازِنُ ) وَهُوَ أَنْ يُرَاعَى فِي الْكَلِمَتَيْنِ الْآخِيرَتَيْنِ  
 مِنْ الْقَرِيئَتَيْنِ الْوِزْنُ مَعَ اخْتِلَافِ الْحَرْفِ الْآخِرِ مِنْهُمَا . كَقَوْلِهِ :  
 وَغَارِقُ صُفُوفَةٍ . وَذَرَابِي مَبْثُوثَةٌ . وَقَوْلِهِمْ : أَصْبِرْ عَلَى حَرِّ الْقِتَالِ .  
 وَصَضِ الْتَرَالِ . وَشِدَّةِ الْقَصَاعِ وَمُدَاوَةِ الْمِرَاسِ . فَإِنْ رَاعَى الْوِزْنَ  
 فِي جَمِيعِ كَلِمَاتِ الْقُرْآنِ أَوْ أَكْثَرِهَا وَقَابَلَ الْكَلِمَةَ مِنْهَا بِمَا  
 تُعَادِلُهَا وَزَنَّا كَانَ أَحْسَنَ . كَقَوْلِهِ : وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ .  
 وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ . وَقَوْلِ الْحَرِيرِيِّ : أَسْوَدُ يَوْمِي الْأَبْيَضُ  
 وَأَبْيَضُ يَوْمِي الْأَسْوَدُ . وَيُسَمَّى هَذَا فِي الشُّعْرِ الْمُوَازَنَةِ . كَقَوْلِ  
 الْحَجَرِيِّ :

قَفِيفٌ مُسْعَدًا فِيمَنْ إِنْ كُنْتُ غَادِرًا

وَيَسِرٌ مُبْعَدًا عَنْهُمْ إِنْ كُنْتُ عَادِلًا

وَمَا هُوَ شَرْطُ الْحُسْنِ فِي هَذَا الْحِفَاظَةِ عَلَى تَنَاسُبِهِ وَهُوَ أَسْمُ  
 جَامِعٌ لِلْمُلَاءِمَةِ وَالتَّنَاسُبِ . فَأَلْمَلَاءِمَةُ تَأْلِيفُ الْأَلْفَاظِ الْمُوَافِقَةِ  
 بَعْضُهَا لِبَعْضٍ فِي ضَرْبِ الْأَعْتِدَالِ . كَقَوْلِ لَبِيدٍ :

وَمَا أَلْمَرُ إِلَّا كَالشَّهَابِ وَضَوْنِهِ يَعُودُ رَمَادًا بَعْدَ إِذْ هُوَ سَاطِعٌ

وَمَا أَمَلُ وَالْأَهْلُونَ إِلَّا وَدِيعَةً وَلَا بُدَّ يَوْمًا أَنْ تُرَدَّ أَلْوَدَانِغُ  
وَبَعْضُهُمْ يَعُدُّ التَّفَاتِقَ مِنْ بَابِ الْمَلَأَمَةِ وَهُوَ أَنْ يَضُمَّ إِلَى  
ذِكْرِ الشَّيْءِ مَا يَلِيْقُ بِهِ وَيَجْرِي تَجْرَاهُ وَأَنْ يَجْمَعَ الْأُمُورَ التَّنَاسِبَةَ  
وَيُقَالُ لَهُ مُرَاعَاةُ النَّظِيرِ أَيْضًا. وَالتَّنَاسُبُ هُوَ تَرْتِيبُ الْمَعَانِي التَّنَاسِخِ  
الَّتِي تَتَلَاءَمُ وَلَا تَتَنَافَرُ. كَقَوْلِ النَّابِغَةِ :

وَالرَّفَقُ يَنْ وَالْأَنَاءُ سَعَادَةٌ فَتَانٌ فِي رَفَقِ تَنَالِ تَجَاهَا  
وَالْيَأْسُ مِمَّا فَاتَ يَغِيبُ رَاحَةً وَلَرُبَّ مَطْعَمَةٍ تَعُودُ ذَبَاحًا  
وَيُسَمَّى التَّنَاسُبُ أَيْضًا . وَقِيلَ التَّنَاسُبُ أَنْ تَكُونَ الْأَلْفَاظُ غَيْرَ  
مُتَبَايِنَةٍ بَلْ مُتَقَارِبَةٍ فِي الْجَزَالَةِ وَالرِّقَّةِ وَالْمَتَانَةِ وَالسَّلَاسَةِ وَتَكُونَ  
الْمَعَانِي مُنَاسِبَةً لِأَلْفَاظِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يُكْسَى اللَّفْظُ الشَّرِيفُ الْمَعْنَى  
السَّخِيفَ أَوْ عَلَى الصَّدِّ بَلْ يُصَاغَانِ مَعَاصِيَاغَةً تَنَاسُبُ وَتَلَاوُثٌ حَتَّى  
لَا يَكُونَ الْكَلَامُ كَمَا قِيلَ :

وَبَعْضُ قَرِيضِ الْمَرْءِ أَوْلَادُ عَلَّةٍ يَكْدُ لِسَانَ النَّاطِقِ الْمُحْفَظِ

### البحث الرابع

### في اقسام السجع وضروبه

( عن المثل السائر لابن الاثير باختصار )

(راجع صفحة ٧٣ من علم الادب)

اعْلَمْ أَنَّ السَّجْعَ قَدْ يَنْقَسِمُ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ : الْأَوَّلُ أَنْ  
يَكُونَ الْفَضْلَانِ مُتَسَاوِيَيْنِ لَا يَزِيدُ أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخَرِ كَقَوْلِهِ :

وَالْعَادِيَّاتِ ضُجْجًا . فَأَلُورِيَّاتٍ قَدْحًا . فَأَلْمَغِيرَاتِ ضُجْجًا . فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا .  
فَوَسَطْنَا بِهِ جُمًا . أَلَا تَرَى كَيْفَ جَاءَتْ هَذِهِ الْفُصُولُ مُتَسَاوِيَةً الْأَجْزَاءُ  
حَتَّى كَانَتْهَا أَفْرَغَتْ فِي قَالِبٍ وَاحِدٍ . وَآمَثَالُ ذَلِكَ كَثِيرَةٌ وَهُوَ أَشْرَفُ  
السَّجْعِ مَثَلَةٌ لِلْإِعْتِدَالِ الَّذِي فِيهِ

الْقِسْمُ الثَّانِي أَنْ يَكُونَ الْفُضْلُ الثَّانِي أَطْوَلَ مِنَ الْأَوَّلِ لَا  
طَوْلًا يَخْرُجُ بِهِ عَنِ الْإِعْتِدَالِ خُرُوجًا كَثِيرًا فَإِنَّهُ يَقْضِي عِنْدَ ذَلِكَ  
وَيُسْتَكْرَهُ وَيُعَدُّ عَيْبًا . فَمِمَّا جَاءَ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ : بَلْ كَذَبُوا بِالسَّاعَةِ  
وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا . إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ  
سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا وَزَفِيرًا . وَإِذَا أَلْقَوْا مِنْهَا مَكَانًا ضَيْقًا مُقَرَّبِينَ دَعَوْا  
مِنْهَا لُثُورًا . أَلَا تَرَى أَنَّ الْفُضْلَ الْأَوَّلَ ثَمَانِي لَفْظَاتٍ وَالْفُضْلَ  
الثَّانِي والثَّلَاثَ تِسْعٌ تِسْعٌ . وَيُسْتثنَى مِنْ هَذَا الْقِسْمِ مَا كَانَ مِنْ  
السَّجْعِ عَلَى ثَلَاثِ فُقَرٍ فَإِنَّ الْفُقَرَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ مُحْتَسَبَانِ فِي عِدَّةٍ  
وَاحِدَةٍ . ثُمَّ تَأْتِي الثَّلَاثَةُ فَيُبْنِي أَنْ تَكُونَ طَوِيلَةً طَوْلًا يَزِيدُ عَلَيْهَا  
فَإِذَا كَانَتْ الْأُولَى وَالثَّانِيَةُ أَرْبَعَ لَفْظَاتٍ تَكُونُ الثَّلَاثَةُ عَشَرَ لَفْظَاتٍ  
أَوْ إِحْدَى عَشْرَةَ . إِلَّا أَنَّهُ لَا يَبْنِي أَنْ تَجْعَلَ ذَلِكَ قِيَاسًا مُطَرِّدًا فِي  
السَّجْعَاتِ الثَّلَاثِ آيِنَ وَقَعَتْ مِنَ الْكَلَامِ بَلْ تَعْلَمُ أَنَّ الْجَوَازَ يَعْمُ  
الْجَانِبَيْنِ مِنَ التَّسَاوِيِ فِي السَّجْعَاتِ الثَّلَاثِ وَوَنَ زِيَادَةِ السَّجْعَةِ الثَّلَاثَةِ .  
أَلَا تَرَى أَنَّهُ قَدْ وَرَدَ ثَلَاثُ سَجْعَاتٍ مُتَسَاوِيَاتٍ كَقَوْلِهِ : وَأَصْحَابُ  
الْيَمِينِ . مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ . فِي سِدْرِ مَحْضُودٍ . وَطَلْحٍ مَنضُودٍ .  
وَطَلْحٍ مَمْدُودٍ . فَهَذِهِ السَّجْعَاتُ كُلُّهَا مِنْ لَفْظَتَيْنِ لَفْظَتَيْنِ وَلَوْ جُعِلَتْ

الثالثة منها خمس لفظات أو ستم لما كان ذلك عيباً  
 أقسم الثالث أن يكون الفضل الآخر أقصر من الأول وهو  
 عدي عيب فاحش. وسبب ذلك : أن السجع يكون قد استوفى  
 أمده من الفضل الأول بحكم طوله . ثم يجيء الفضل الثاني  
 قصيراً عن الأول فيكون كالشيء المتبثر فيبقى الإنسان عند سماعه  
 كمن يريد الانتهاء إلى غاية فيعثر دونها  
 وإذا انتهينا إلى ههنا وبيننا أقسام السجع ولبه وقشوره فنسئول  
 فيه قولاً كلياً وهو أن السجع على اختلاف أقسامه ضربان : أحدهما  
 يسمى السجع القصير وهو أن تكون كل واحدة من السجعتين  
 مؤلفة من ألفاظ قليلة وكلما قلت الألفاظ كان أحسن لقرب  
 الفواصل المسجوعة من مسمع السامع . وهذا الضرب أوعر السجع  
 مذهباً وأبعده متناً ولا يكاد يستعماله يقع إلا نادراً . والضرب  
 الآخر يسمى السجع الطويل وهو ضد الأول لأنه أسهل متناً ولا .  
 وإنما كان القصير من السجع أوعر مسلماً من الطويل لأن المعنى  
 إذا صيغ بالألفاظ قصيرة عز مؤاتاة السجع فيه لقصر تلك الألفاظ  
 وضيق الحال في استجلائه . وأما الطويل فإن الألفاظ تطول فيه  
 ويستجلب له السجع من حيث ليس كما يقال وكان ذلك سهلاً .  
 وكل واحد من هذين الضربين تتفاوت درجاته في عدة الألفاظ .  
 أما السجع القصير فأحسنه ما كان مؤلفاً من لفظتين لفظتين كقوله :  
 وأمرسلات عرفاً . فالعاصفات عصفاً . وقوله : يا أيها المدثر . ثم

فَاَنْذِرْ . وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ . وَشِيبَكَ فَطَهِّرْ . وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ . وَمِنْهُ مَا  
يَكُونُ مُؤَلَّفًا مِنْ ثَلَاثَةِ اَلْفَاظِ وَارْبَعَةٍ وَحَمْسَةٍ وَكَذَلِكَ الْعَشْرَةُ . وَمَا زَادَ  
عَلَى ذَلِكَ فَهُوَ مِنَ السَّجْعِ الطَّوِيلِ . فَمَا جَاءَ مِنْهُ قَوْلُهُ : وَإِنْ يَرَوْا آيَةً  
يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا : مِخْرُؤُ مُسْتَمِيرٍ . وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقَرٌّ .  
وَأَمَّا السَّجْعُ الطَّوِيلُ فَإِنَّ دَرَجَاتِهِ تَتَفَاوَتُ فِي الطَّوِيلِ أَيْضًا مِنْهُ مَا  
يَقْرُبُ مِنَ السَّجْعِ الْقَصِيرِ . وَهُوَ أَنْ يَكُونَ تَأْلِيْفُهُ مِنْ أَحَدَى عَشْرَةٍ  
إِلَى اثْنَتَيْ عَشْرَةٍ لَفْظَةً . وَكَثْرُهُ خَمْسَ عَشْرَةٍ لَفْظَةً كَقَوْلِهِ : وَلَئِنْ  
أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ تَرَعَّاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَكُونُ مِنْكُمْ كَفُورٌ . وَلَئِنْ  
أَذَقْنَاهُ نِعْمَاءَ بَعْدَ ضِرَاءٍ مَسَّتَهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ  
فَخُورٌ . فَالْأَوَّلَى إِحْدَى عَشْرَةَ لَفْظَةً . وَالثَّانِيَةُ ثَلَاثَ عَشْرَةَ لَفْظَةً . وَمِنْ  
السَّجْعِ الطَّوِيلِ مَا يَكُونُ تَأْلِيْفُهُ مِنَ الْعِشْرِينَ لَفْظَةً فَمَا حَوَّلَهَا كَقَوْلِهِ :  
إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفِشَلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ  
فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ . وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ  
إِذْ التَّقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقْبِلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا  
كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ . وَمِنْ السَّجْعِ الطَّوِيلِ أَيْضًا مَا  
يَزِيدُ عَلَى هَذِهِ الْعِدَّةِ الْمَذْكُورَةِ وَهُوَ غَيْرُ مَضْبُوطٍ



## البحث الخامس

### في الایجاز

( عن المثل السائر وكتاب الصناعین وغیرهما )

( راجع صفحة ٧٥ من علم الادب )

الِإِيجَازُ حَذْفُ زِيَادَاتِ الْأَلْفَافِ وَهَذَا نَوْعٌ مِنَ الْكَلَامِ شَرِيفٌ لَا يَتَعَلَّقُ بِهِ إِلَّا فُرْسَانُ الْبَلَاغَةِ مِنْ سَبَقَ إِلَى غَايَتِهَا وَهَذَا صَلَّى . وَضَرَبَ فِي أَعْلَى دَرَجَاتِهَا بِالْقَدَحِ الْمُلْعَى . وَذَلِكَ لَعَلَّوْا مَكَانِهِ . وَتَعَدَّرَ إِمْكَانِهِ وَالنَّظَرُ فِيهِ إِنَّمَا هُوَ إِلَى الْمَعَانِي لَا إِلَى الْأَلْفَافِ . وَاسْتِغْنَى بِذَلِكَ أَنَّ تِهْمَلَ الْأَلْفَافُ بِحَيْثُ تَعْرِى عَنْ أَوْصَافِهَا الْحَسَنَةِ بَلَى أَعْنَى أَنَّ مَدَارَ النَّظَرِ فِي هَذَا النَّوْعِ إِنَّمَا يَخْتَصُّ بِالْمَعَانِي . قَرَبَ لَفْظٌ قَلِيلٌ يَدُلُّ عَلَى مَعْنَى كَثِيرٍ . وَرُبَّ لَفْظٍ كَثِيرٍ يَدُلُّ عَلَى مَعْنَى قَلِيلٍ . وَمِثَالُ هَذَا كَلْجَوْهَرَةِ الْوَاحِدَةِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الدَّرَاهِمِ . فَمَنْ يَنْظُرُ إِلَى طُولِ الْأَلْفَافِ يُؤَثِّرُ الدَّرَاهِمَ لِكَثَرَتِهَا . وَمَنْ يَنْظُرُ إِلَى شَرَفِ الْمَعَانِي يُؤَثِّرُ الْجَوْهَرَةَ الْوَاحِدَةَ لِنَفَاسَتِهَا . قَالَ أَصْحَابُ الْإِيجَازِ : الْإِيجَازُ قُصُورُ الْبَلَاغَةِ عَلَى الْحَقِيقَةِ وَمَا تَجَاوَزَ مِقْدَارَ الْحَاجَةِ فَهُوَ فَضْلٌ دَاخِلٌ فِي بَابِ الْهَذَرِ وَالْخَطَلِ وَهُمَا مِنْ أَعْظَمِ آذَوَاءِ الْكَلَامِ وَفِيهِمَا دَلَالَةٌ عَلَى بَلَادَةِ صَاحِبِ الصَّاعَةِ . وَفِي تَفْضِيلِ الْإِيجَازِ يَقُولُ جَعْفَرُ بْنُ يُحْيَى لِكِتَابِهِ : إِنْ قَدَرْتُمْ أَنْ تَجْعَلُوا كِتَابَكُمْ تَوْقِيعَاتٍ فَأَفْعَلُوا . وَقَالَ



بَعْضُهُمْ : الزِّيَادَةُ فِي الْحَدِّ نُقْصَانٌ . وَقَالَ مُحَمَّدٌ الْأَمِينُ : عَلَيْكُمْ  
بِالْإِيجَازِ فَإِنَّ لَهُ إِفْهَامًا وَلِلإِطَالَةِ اسْتِنْهَامًا . وَقَالَ شَيْبُ بْنُ شَيْبَةَ : الْقَلِيلُ  
الْكَافُ . خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ غَيْرِ شَافٍ . وَقَالَ آخَرُ : إِذَا طَالَ الْكَلَامُ  
عَرَضَتْ لَهُ أَسْبَابُ التَّكْلُفِ وَلَا خَيْرَ فِي شَيْءٍ يَأْتِي بِهِ التَّكْلُفُ .  
وَقِيلَ لِبَعْضِهِمْ : مَا الْبَلَاغَةُ . فَقَالَ : الْإِيجَازُ . قِيلَ : وَمَا الْإِيجَازُ .  
قَالَ : حَذْفُ الْفُضُولِ وَتَقْرِيبُ الْبَعِيدِ . وَقِيلَ لِبَعْضِهِمْ : لِمَ لَا تُطِيلُ  
الشَّعْرَ . فَقَالَ : حَسْبُكَ مِنَ الْقِلَادَةِ مَا أَحَاطَ بِالْعُتْرِ . وَقِيلَ ذَلِكَ  
لِآخَرٍ . فَقَالَ : لَسْتُ أَيْعُهُ مُدَارَعَةً . وَقِيلَ لِلْفَرَزْدَقِ : مَا صَدْرَكَ إِلَى  
الْقَصَارِ بَعْدَ الطُّوَالِ . قَالَ : لِأَنِّي رَأَيْتُهَا فِي الصُّدُورِ أَوْقَعَ وَفِي  
الْحُفَافِ أَجُولُ . وَقَالَتْ بِنْتُ الْحُطَيْنَةِ لِأَيُّهَا : مَا بَالُ قِصَارِكَ  
أَكْثَرَ مِنْ طَوَالِكَ . قَالَ : لِأَنَّهَا بِالْأَذَانِ أَوَّلُجُ وَبِالْأَفْوَاهِ أَعْلَقُ .  
وَقَالَ أَبُو سَفْيَانَ لِابْنِ الزُّبَيْرِ : قَصُرْتَ فِي شَعْرِكَ . قَالَ : حَسْبُكَ  
مِنَ الشَّعْرِ غُرَّةٌ لَانْحَمَّةٍ وَسِمَةٌ وَاضِحَةٌ . وَقِيلَ لِلنَّافِعِ الدُّنْيَانِي : أَلَا  
تُطِيلُ الْقَصَائِدَ كَمَا أَطَالَ صَاحِبُكَ ابْنُ نُجْرٍ . قَالَ : مَنْ أُنْتَحَلَ أُنْتَقَرُ .  
وَقِيلَ لِبَعْضِ الْخُدَّثِينَ : مَا لَكَ لَا تَرِيدُ عَلَى أَرْبَعَةٍ وَأَثْنِينَ . قَالَ :  
هِيَ بِالْقُلُوبِ أَوْقَعُ وَإِلَى الْخِفْظِ أَسْرَعُ وَبِالْأَلْسُنِ أَعْلَقُ وَلِلْمَعَانِي  
أَجْمَعُ وَصَاحِبُهَا أَبْلَغُ وَأَوْجَزُ . وَقِيلَ لِابْنِ حَازِمٍ : أَلَا تُطِيلُ الْقَصَائِدَ .  
فَقَالَ :

أَبَى لِي أَنْ أُطِيلَ الشَّعْرَ قُضِيَ إِلَى الْمَعْنَى وَعِلْمِي بِالصَّوَابِ  
وَالْإِيجَازِ يُجْتَنَصِرُ قَرِيبٌ حَذَفْتُ بِهِ الْفُضُولَ مِنَ الْجَوَابِ

فَابْعَثْنَهُنَّ أَرْبَعَةً وَسِتًّا مُثَقَّاتٍ بِالْقَاطِ عَذَابٍ  
وَهُنَّ إِذَا وَسَمْتُهُنَّ قَوْمًا كَاطَوَاتٍ الْحَمَامِ فِي الرِّقَابِ  
وَقَالَ عَلِيٌّ : مَا رَأَيْتُ بَلِيغًا قَطُّ إِلَّا وَلَهُ فِي الْقَوْلِ إِيجَازٌ وَفِي  
الْمَعَانِي إِطَالَةٌ . وَقِيلَ لَيَّاسُ بْنُ مُعَاوِيَةَ : مَا فَيْكَ عَيْبٌ غَيْرَ أَنَّكَ  
كَثِيرُ الْكَلَامِ . قَالَ : أَقْسَمُ صَوَابًا أَمْ خَطَا . قَالُوا بَلْ صَوَابًا .  
قَالَ : فَالزَّيَادَةُ مِنَ الْخَيْرِ خَيْرٌ . وَلَيْسَ كَمَا قَالَ لِأَنَّ لِلْكَلَامِ غَايَةً  
وَلِنَشَاطِ السَّمَاعِينَ نَهَايَةً . وَمَا فَضْلٌ عَنْ مَقْدَارِ الْإِحْتِمَالِ وَدَعَا إِلَى  
الْأَسْتِمْقَالِ وَصَارَ سَبَبًا لِلْمَلَالِ فَذَلِكَ الْهَذَرُ وَالْإِسْهَابُ وَالْخَطْلُ وَهُوَ  
مَعِيبٌ عِنْدَ كُلِّ لَبِيبٍ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : الْبَلَاغَةُ بِالْإِيجَازِ أَجْعُ مِنَ الْبَيَانِ  
بِالْإِطْنَابِ . وَقَالُوا : الْمَكْنَادُ كَحَاطِبِ اللَّيْلِ . وَمِثْلُ الْإِيجَازِ الْحَسَنُ  
كَقَوْلِهِ : وَخَذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعَرْفِ وَاعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ . فَجَمَعَ جَمِيعَ  
مَسْكَامِ الْأَخْلَاقِ بِأَسْرَعِهَا . لِأَنَّ فِي الْعَفْوِ صِلَةَ الْقَاطِعِينَ وَالصَّفْحَ عَنِ  
الظَّالِمِينَ وَاعْطَاءَ الْمُنِيعِينَ . وَفِي الْأَمْرِ بِالْعَرْفِ تَقْوَى اللَّهِ وَصِلَةَ  
الرَّحِيمِ وَصَوْنَ اللِّسَانِ عَنِ الْكَذِبِ وَغَضَّ الطَّرْفِ عَنِ الْخُرُمَاتِ  
وَالْتَبَرُّوْ مِنْ كُلِّ قَبِيحٍ لِأَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يَأْمُرَ بِالْمَعْرُوفِ وَهُوَ يَلْبِسُ  
شَيْئًا مِنَ الْمُنْكَرِ . وَفِي الْإِعْرَاضِ عَنِ الْجَاهِلِينَ الصَّبْرُ وَالْحِلْمُ وَتَثْوِيَةُ  
النَّفْسِ عَنْ مُقَابَلَةِ السَّفِيهِ مِمَّا يُوتِعُ الدِّينَ وَيَسْقُطُ الْقُدْرَةَ . وَقَوْلُهُ :  
حُبُّكَ الشَّيْءَ يُعْجِي وَيُضْمُّ . وَقَوْلُهُ إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا . وَقَوْلُهُ :  
نِيَّةُ الْمُؤْمِنِ خَيْرٌ مِنْ عَمَلِهِ . وَقَوْلُهُ : تَرَكْتُ الشَّرَّ صَدَقَةٌ . فَمَعَانِي هَذَا  
الْكَلَامِ أَكْثَرُ مِنَ الْقَاطِ . وَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَ صِحَّةَ ذَلِكَ

فَحَلَّهَا وَأَتَيْنَاهَا بِنَاءً آخَرَ فَإِنَّكَ تَجِدَهَا نَحْبِي فِي أَعْصَافِ هَذِهِ الْأَلْفَاظِ .  
 وَقَوْلُهُ : إِذَا أَعْطَاكَ اللَّهُ خَيْرًا فَلْيَنْ عَيْنِكَ وَأَبْدَأْ بِنَ تَعُولُ وَارْتَضَخْ  
 مِنْ أَلْفُضِلْ وَلَا تَلْمَ عَلَى الْكَفَافِ وَلَا تَحْزَنْ عَنْ نَفْسِكَ . قَوْلُهُ :  
 ( فَلْيَنْ عَيْنِكَ ) أَيِ فَلْيُظْهِرْ آثَرَهُ عَلَيْكَ بِالْصَّدَقَةِ وَالْمَعْرُوفِ وَدَلَّ  
 عَلَى ذَلِكَ يَقُولُهُ : ( وَأَبْدَأْ بِنَ تَعُولُ وَارْتَضَخْ مِنْ أَلْفُضِلْ ) أَيِ  
 أَكْسِرْ مِنْ مَالِكَ وَأَعْطِهِ ) وَأَسْمُ الشَّيْءِ الرِّضِيخَةُ ( وَلَا تَحْزَنْ عَنْ  
 نَفْسِكَ ) أَيِ لَا تَجْمَعْ لِفَيْرِكَ وَتَحْزَلْ عَنْ نَفْسِكَ فَلَا تُقَدِّمْ خَيْرًا .  
 وَقَوْلُ أَعْرَائِي : أُولَئِكَ قَوْمٌ جَعَلُوا أَمْوَالَهُمْ مَادِيلَ لِأَعْرَاضِهِمْ فَالْخَيْرُ  
 بِهِمْ زَائِدٌ وَالْمَعْرُوفُ لَهُمْ شَاهِدٌ . أَيِ يَقُونَ أَعْرَاضَهُمْ بِأَمْوَالِهِمْ .  
 وَقِيلَ لِأَعْرَائِي يَسُوقُ مَالًا كَثِيرًا : لِمَنْ هَذَا الْمَالُ . فَقَالَ : لِلَّهِ فِي  
 يَدِي . وَقَالَ أَعْرَائِي لِرَجُلٍ يَدْعُهُ : إِنَّهُ لَيُعْطِي عَطَاءً مَنْ يَعْلَمُ أَنَّ  
 اللَّهَ مَادَتُهُ . وَقَوْلُ آخَرَ : أَمَا بَعْدُ فَعَطَّ النَّاسُ بِفِعْلِكَ وَلَا تَعْظُمُ  
 بِقَوْلِكَ وَأَسْتَحْيِي مِنَ اللَّهِ بِقَدْرِ قُرْبِهِ مِنْكَ وَخَفَهُ بِقَدْرِ قُدْرَتِهِ عَلَيْكَ .  
 وَقَالَ آخَرُ : إِنْ شَكَّكَتَ فِي فَأَسْأَلْ قَلْبَكَ عَنِّي

وَأَعْلَمُ أَنَّ جَمَاعَةً مِنْ مُدَّعِي عِلْمِ أَلْيَانِ ذَهَبُوا إِلَى أَنَّ الْكَلَامَ  
 يَنْقَسِمُ قِسْمَيْنِ : فَمَنْهُ مَا يَحْسُنُ فِيهِ الْإِيحَازُ كَالْأَشْعَارِ وَالْمَكَاتِبَاتِ .  
 وَمِنْهُ مَا يَحْسُنُ فِيهِ التَّطْوِيلُ كَالْخُطْبِ وَالتَّقْلِيدَاتِ وَكُتُبِ الْقُشُوحِ  
 الَّتِي تُقْرَأُ فِي مَلَأٍ مِنْ عَوَامِ النَّاسِ . فَإِنَّ الْكَلَامَ إِذَا طَالَ فِي  
 مِثْلِ ذَلِكَ آثَرُ عِنْدَهُمْ وَأَفْهَمُهُمْ وَلَوْ أَقْتَصَرَ فِيهِ عَلَى الْإِيحَازِ وَالْإِشَارَةِ  
 لَمْ يَقَعْ لِأَكْثَرِهِمْ حَتَّى يُقَالَ فِي ذِكْرِ الْحَرْبِ : أَلْتَقَى الْجَمْعَانِ وَتَطَاعَنَ

الْقَرِيقَانِ وَاشْتَدَّ الْقِتَالُ وَحَمِيَ التَّصَالُ وَمَا جَرَى هَذَا الْحَجَرَى. وَالْمَذْهَبُ  
عِنْدِي فِي ذَلِكَ مَا أَذْكُرُهُ : وَهُوَ أَنَّ فَهْمَ الْعَامَّةِ لَيْسَ شَرْطًا  
مُعْتَبَرًا فِي اخْتِيَارِ الْكَلَامِ. لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ شَرْطًا لَوَجِبَ عَلَى قِيَاسِهِ أَنْ  
يُسْتَعْمَلَ فِي الْكَلَامِ الْأَلْفَاظُ الْعَامِيَّةُ الْمُبْتَدَأَةُ عِنْدَهُمْ لِيَكُونَ ذَلِكَ  
أَقْرَبَ إِلَى فَهْمِهِمْ. لِأَنَّ الْعِلَّةَ فِي اخْتِيَارِ تَطْوِيلِ الْكَلَامِ إِذَا كَانَتْ  
فَهْمَ الْعَامَّةِ إِيَّاهُ فَكَذَلِكَ تَجْعَلُ تِلْكَ الْعِلَّةُ بَعِيْنَهَا فِي اخْتِيَارِ الْمُبْتَدَأِ  
مِنَ الْكَلَامِ فَإِنَّهُ لَا خِلَافَ فِي أَنَّ الْعَامَّةَ إِلَى فَهْمِهِ أَقْرَبُ مِنْ  
فَهْمِ مَا يَقُولُ ابْتِدَاءً لَهُمْ إِيَّاهُ . وَهَذَا شَيْءٌ مَدْفُوعٌ وَأَمَّا الَّذِي يَحِبُّ  
تَوْحِيْدَهُ وَاعْتِمَادَهُ فَهُوَ أَنْ يُسَلِّكَ الْمَذْهَبُ الْقَوِيمُ فِي تَرْكِيبِ الْأَلْفَاظِ  
عَلَى الْمَعْنَى بِحَيْثُ لَا تَرِيدُ هَذِهِ عَلَى هَذِهِ مَعَ الْإِيضَاحِ وَالْإِبَانَةِ  
وَلَيْسَ عَلَى مُسْتَعْمِلِ ذَلِكَ أَنْ يَفْهَمَ الْعَامَّةُ كَلَامَهُ فَإِنَّ نُورَ الشَّمْسِ  
إِذَا لَمْ يَرَهُ الْأَعْمَى لَا يَكُونُ ذَلِكَ نَقْصًا فِي اسْتِنَارَتِهِ وَإِنَّمَا النِّقْصُ فِي  
بَصَرِ الْأَعْمَى حَيْثُ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْظَرَ إِلَيْهِ :

عَلَى نَحْتِ الْقَوَائِي مِنْ مَعَادِنِهَا وَمَا عَلَيَّ بَأَنْ لَا تَفْهَمَ الْبَقَرُ  
وَحَيْثُ انْتَهَى بِنَا الْقَوْلُ إِلَى هَذَا الْمَوْضِعِ فَلَنَرْجِعْ إِلَى مَا هُوَ  
غَرَضًا وَمُهْمُنًا مِنْ الْكَلَامِ عَلَى الْإِيْجَازِ وَحَدِّهِ وَأَقْسَامِهِ وَنُوضِحْ  
ذَلِكَ إِضَاحًا جَلِيًّا وَاللَّهُ الْمُؤَقِّتُ لِلصَّوَابِ فَقُولُ : حَدُّ الْإِيْجَازِ هُوَ دَلَالَةُ  
الْفَلْظِ عَلَى الْمَعْنَى مِنْ غَيْرِ أَنْ يَزِيدَ عَلَيْهِ . وَالتَّطْوِيلُ هُوَ ضِدُّ ذَلِكَ  
وَهُوَ أَنْ يُدَلَّ عَلَى الْمَعْنَى بِفَلْظٍ يَكْفِيكَ بَعْضُهُ فِي الدَّلَالَةِ عَلَيْهِ . كَقَوْلِ  
الْعَجِيزِ السَّلَوِيِّ مِنْ آيَاتِ الْحَمَاسَةِ :

طُلُوعُ الشَّيَا بِالطَّيَا وَسَابِقُ إِلَى غَايَةٍ مَن يَنْتَدِرُهَا يُقَدِّمُ  
فَصَدْرُ هَذَا أَلْبِتِ فِيهِ تَطْوِيلٌ لَا حَاجَةَ إِلَيْهِ وَنَحْنُهُ مِنْ مُحَاسِنِ  
الْكَلَامِ الْمُتَوَاصِفَةِ . وَمَوْضِعُ التَّطْوِيلِ مِنْ صَدْرِهِ أَنَّهُ قَالَ :  
(طُلُوعُ الشَّيَا بِالطَّيَا) فَإِنَّ لَفْظَةَ الطَّيَا فَضْلَةٌ لَا حَاجَةَ إِلَيْهَا .  
وَيَبَيِّنُ ذَلِكَ أَنَّهُ لَا يَخْلُو الْأَمْرُ فِيهَا مِنْ وَجْهَيْنِ : إِمَّا أَنْ يُرِيدَ أَنَّهُ سَابِقُ  
أَهْمَةٍ إِلَى مَعَالِي الْأُمُورِ كَمَا قَالَ النَّحْجَاجُ عَلَى الْخَبَرِ عِنْدَ وَصُولِهِ الْعِرَاقَ :  
أَنَا ابْنُ جَلَا وَطَّلَاعُ شَيْيَا . أَيْ أَنَا الرَّجُلُ الْمَشْهُورُ السَّابِقُ إِلَى  
مَعَالِي الْأُمُورِ . فَإِنَّ أَرَادَ الْفَحْيَرُ بِقَوْلِهِ : (طُلُوعُ الشَّيَا) مَا أَشْرَتْ  
إِلَيْهِ فَذَكَرَ الطَّيَا يُفِيدُ ذَلِكَ الْمَعْنَى لِأَنَّ مَعَالِي الْأُمُورِ لَا يُرْقَى  
إِلَيْهَا بِالطَّيَا . وَإِنْ أَرَادَ الْوَجْهَ الْآخَرَ وَهُوَ أَنَّهُ كَثِيرُ الْأَسْفَارِ  
فَاخْتِصَاصُهُ شَيْيَا بِالذِّكْرِ دُونَ الْأَرْضِ مِنَ الْمَفَاوِزِ وَغَيْرِهَا لَا فَائِدَةَ  
فِيهِ . وَعَلَى كِلَا الْوَجْهَيْنِ فَإِنَّ ذِكْرَ الطَّيَا لَا حَاجَةَ إِلَيْهِ وَهُوَ  
تَطْوِيلٌ بَارِدٌ غَثٌ . فَتَمَسَّ عَلَى هَذَا أَلْمَثَالِ مَا يَجْرِي مَجْرَاهُ مِنْ  
التَّطْوِيلَاتِ الَّتِي إِذَا اسْتَقِطَتْ مِنَ الْكَلَامِ بَقِيَ عَلَى حَالِهِ لَمْ يَتَغَيَّرْ  
شَيْءٌ . وَكَذَلِكَ يَجْرِي الْأَمْرُ فِي الْفَافِظِ يُوصَلُ بِهَا الْكَلَامُ فَتَارَةً  
تَحْمِيٌّ ، فَائِدَةٌ وَذَلِكَ قَلِيلٌ وَتَارَةً تَحْمِيٌّ ، لَغَيْرِ فَائِدَةٍ وَذَلِكَ كَثِيرٌ . وَكَثُرَ  
مَا تَرَدَّدَ فِي الْأَشْعَارِ لِيُوزَنَ بِهَا الْأَنْبِيَاءُ الشَّعْرِيَّةُ وَذَلِكَ نَحْوُ قَوْلِهِمْ :  
لَعَمْرِي وَلَعَمْرُكَ وَنَحْوُ : أَصْبَحَ وَأَمْسَى وَظَلَّ وَأَضْحَى وَبَاتَ وَأَشْبَاهُ  
ذَلِكَ . وَنَحْوُ : يَا صَاحِبِي وَيَا خَلِيلِي وَمَا يَجْرِي هَذَا الْعَجْرَى . فَمَا جَاءَ  
مِنْهُ قَوْلُ أَبِي تَمَّامٍ :

أَقْرُوا لَعْمَرِي لِحُكْمِ السُّيُوفِ وَكَانَتْ أَحَقُّ بِفَضْلِ الْقَضَاءِ  
فَإِنْ قَوْلُهُ : ( لَعْمَرِي ) زِيَادَةٌ لِحَاجَةِ الْمَعْنَى إِلَيْهَا وَهِيَ حَشْرُ  
فِي هَذَا أَلْبَيْتِ لَا فَائِدَةَ فِيهِ إِلَّا إِصْلَاحُ الْوِزْنِ لَا غَيْرَ . أَلَا تَرَى أَنَّهُ  
مِنْ بَابِ الْقَسَمِ وَأَمَّا يَرِدُ الْقَسَمُ فِي مَوْضِعٍ يُؤَكِّدُ بِهِ الْمَعْنَى الْمُرَادُ  
أَمَّا لِأَنَّهُ يُشَكُّ فِيهِ أَوْ بِمَا يَعُزُّ وَجُودَهُ أَوْ مَا جَرَى هَذَا الْعَجْزُ .  
وَهَذَا أَلْبَيْتُ الشِّعْرِي لَا يَفْتَقِرُ مَعْنَاهُ إِلَى تَوْكِيدٍ قَسَمِي إِذْ لَا شَكَّ  
أَنَّ السُّيُوفَ حَاصَّةٌ وَأَنَّ كُلَّ أَحَدٍ يَقْرَأُ لِحُكْمِهَا وَيَذِنُ بِإِطَاعَتِهَا .  
وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ أَيْضًا :

إِذَا أَنَا لَمْ أَلَمْ عَثَرَاتِ دَهْرٍ بُلَيْتُ بِهِ الْغَدَاةَ مِنْ الْوَمِ  
فَقَوْلُهُ : ( الْغَدَاةُ ) زِيَادَةٌ لِحَاجَةِ الْمَعْنَى إِلَيْهَا لِأَنَّهُ يَتِمُّ بِدَوَاهِ  
لِأَنَّ عَثَرَاتِ الدَّهْرِ لَمْ تَنْلُهُ الْغَدَاةُ وَلَا الْعَشِيَّ وَأَمَّا نَالَتْهُ وَيُنَاسُهَا آيَاهُ  
لَا بُدَّ أَنْ يَقَعَ فِي زَمَنِ مِنَ الْأَازْمَنِ كَمَا مَا كَانَ وَلَا حَاجَةَ إِلَى  
تَعْيِينِهِ بِالذِّكْرِ . وَعَلَى هَذَا وَرَدَ قَوْلُ الْمُحَثِّرِيِّ :

مَا أَحْسَنَ الْأَيَّامِ إِلَّا أَنَّهُ يَا صَاحِبِي إِذَا مَضَتْ لَمْ تُرْجَعْ  
فَقَوْلُهُ : ( يَا صَاحِبِي ) زِيَادَةٌ لِحَاجَةِ الْمَعْنَى إِلَيْهَا إِلَّا أَنَّهُ  
وَرَدَتْ لِتَضَحُّيمِ الْوِزْنِ لَا غَيْرَ . وَهَذِهِ الْأَلْفَاظُ الَّتِي تَرْدُّ فِي الْأَلْبَيْتِ  
الشِّعْرِيَّةِ لِتَضَحُّيمِ الْوِزْنِ لَاعِيبٌ فِيهَا . لِأَنَّا لَوْ غَنَيْنَاهَا عَلَى الشُّعْرَاءِ  
لَتَحَجَّرْنَا عَلَيْهِمْ وَذَقْنَا الْوِزْنَ وَيُضْطَرُّ فِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ إِلَى مِثْلِ  
ذَلِكَ لَكِنْ إِذَا وَرَدَتْ فِي الْكَلَامِ الْمَشْهُورِ فَانْتَهَى إِنْ وَرَدَتْ حَشْوًا  
وَلَمْ تَرُدَّ لِفَائِدَةٍ كَانَتْ عَيًّا . وَقَدْ تَرْدُّ فِي الْأَلْبَيْتِ الشِّعْرِيَّةِ وَيَكُونُ

وَرُودُهَا لِفَائِدَةٍ... فَأَعْلَمَ أَيُّهَا النَّاطِرُ فِي كِتَابِي هَذَا أَنَّ التَّطْوِيلَ  
هُوَ زِيَادَاتُ الْأَلْفَافِ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى أَلْمَاعِي وَمَهْمَا أَمَكَّنَكَ حَذْفُ  
شَيْءٍ مِنَ اللَّفْظِ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى مَعْنَى مِنَ أَلْمَاعِي فَإِنَّ ذَلِكَ اللَّفْظَ  
هُوَ التَّطْوِيلُ بَعِيْنِهِ . وَأَمَّا الْأِيْجَازُ فَقَدْ عَرَّفْتُكَ أَنَّهُ دَلَالَةُ اللَّفْظِ عَلَى  
الْمَعْنَى مِنْ غَيْرِ أَنْ يَزِيدَ عَلَيْهِ . وَهُوَ يَنْقَسِمُ قِسْمَيْنِ : ( أَحَدُهُمَا )  
الْإِيْجَازُ بِالْحَذْفِ وَهُوَ مَا يُحْذَفُ مِنْهُ الْفَرْدُ وَالْجُمْلَةُ لِلدَّلَالَةِ فَحَرَى  
الْكَلَامِ عَلَى التَّحْذُوفِ وَلَا يَكُونُ إِلَّا فِيمَا زَادَ مَعْنَاهُ عَلَى لَفْظِهِ .  
( وَالْقِسْمُ الْآخَرُ ) مَا لَا يُحْذَفُ مِنْهُ شَيْءٌ وَهُوَ ضَرْبَانِ : ( أَحَدُهُمَا )  
مَا سَاوَى لَفْظُهُ مَعْنَاهُ وَيُسَمَّى التَّقْدِيرَ . ( وَالْآخَرُ ) مَا زَادَ مَعْنَاهُ  
عَلَى لَفْظِهِ وَيُسَمَّى الْقَصْرَ . وَأَعْلَمَ أَنَّ الْقِسْمَ الْأَوَّلَ الَّذِي هُوَ الْإِيْجَازُ  
بِالْحَذْفِ يُتَّبَعُهُ لَهُ مِنْ غَيْرِ كَبِيرِ كَلْفَةٍ فِي اسْتِخْرَاجِهِ لِمَكَانِ التَّحْذُوفِ  
مِنْهُ . وَأَمَّا الْقِسْمُ الثَّانِي فَإِنَّ التَّنْبَهَ لَهُ عَسِرٌ لِأَنَّهُ يَحْتَاجُ إِلَى فَضْلِ  
تَأَمُّلٍ وَطُولِ فِكْرَةٍ لِحِفَاءِ مَا يُسْتَدَلُّ عَلَيْهِ وَلَا يَسْتَسْبِطُ ذَلِكَ إِلَّا  
مَنْ رَسَتْ قَدَمُهُ فِي مُمَارَسَةِ عِلْمِ الْبَيَانِ وَصَارَ لَهُ خَلِيقَةٌ وَمَلَكَةٌ .  
وَلَمْ أَجِدْ أَحَدًا عَالِمَ هَذَيْنِ الْقِسْمَيْنِ بِعِلَامَةٍ وَلَا قَيْدُهُمَا بِقَيْدٍ . . .  
فَقَوْلُ أَمَّا الْإِيْجَازُ بِالْحَذْفِ فَلَا تَعْجِبُ الْأَمْرَ شَيْئًا بِالسَّحْرِ وَذَلِكَ  
أَنَّكَ تَرَى فِيهِ تَرْكَ الذِّكْرِ أَفْضَحَ مِنَ الذِّكْرِ وَالصَّمْتُ عَنْ  
الْإِفَادَةِ أَرْيَدُ لِلْإِفَادَةِ وَتَحْدُكُ أَنْطَقَ مَا تَكُونُ إِذَا لَمْ تَنْطِقْ وَأَتَمَّ  
مَا تَكُونُ مُبْتِنًا إِذَا لَمْ تُبَيِّنْ وَهَذِهِ جُمْلَةٌ تُسَكَّرُهَا حَتَّى تُحْبَرَ وَتَدْفَعُهَا  
حَتَّى تَنْظُرَ . وَالْأَعْلَى فِي التَّحْذُوفَاتِ جَمِيعُهَا عَلَى اخْتِلَافِ ضُرُوبِهَا

أَنْ يَكُونَ فِي الْكَلَامِ مَا يَدُلُّ عَلَى الْخَذُوفِ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ دَلِيلٌ عَلَى الْخَذُوفِ فَإِنَّهُ لَقَوٌّ مِنَ الْحَدِيثِ لَا يَجُوزُ بِوَجْهِهِ وَلَا سَبَبٌ .  
وَمِنْ شَرْطِ الْخَذُوفِ فِي حُكْمِ الْبَلَاغَةِ أَنَّهُ مَتَى أُظْهِرَ صَارَ الْكَلَامُ إِلَى شَيْءٍ غَثٍ لَا يُنَاسِبُ مَا كَانَ عَلَيْهِ أَوَّلًا مِنَ الطَّلَاوَةِ وَالْحُسْنِ وَقَدْ يَظْهَرُ الْخَذُوفُ بِالْأَعْرَابِ كَقَوْلِنَا: أَهْلًا وَسَهْلًا . فَإِنَّ نَضْبَ الْأَهْلِ وَالسَّهْلِ يَدُلُّ عَلَى نَاصِبٍ مَخْذُوفٍ وَلَيْسَ لَهُذَا مِنْ الْحُسْنِ مَا لِلَّذِي لَا يَظْهَرُ بِالْأَعْرَابِ وَإِنَّمَا يَظْهَرُ بِالنَّظَرِ إِلَى تَمَامِ الْمَعْنَى كَقَوْلِنَا : فَلَنْ يُحْلُ وَيَعْقُدُ فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَظْهَرُ الْخَذُوفُ بِهِ بِالْأَعْرَابِ وَإِنَّمَا يَظْهَرُ بِالنَّظَرِ إِلَى تَمَامِ الْمَعْنَى أَيْ إِنَّهُ يُحْلُ الْأُمُورَ وَيَعْقُدُهَا . وَالَّذِي يَظْهَرُ فِي الْأَعْرَابِ يَقَعُ فِي الْفَرْدَاتِ مِنَ الْخَذُوفَاتِ كَثِيرًا وَالَّذِي لَا يَظْهَرُ بِالْأَعْرَابِ يَقَعُ فِي الْجُمْلِ مِنَ الْخَذُوفَاتِ كَثِيرٌ

### البحث السادس

### في المساواة

( عن كتاب الصناعتين باختصار )

( راجع صفحة ٧٥ من علم الادب )

الْمُسَاوَاةُ هِيَ أَنْ تَكُونَ الْمَعْنَى بِقَدْرِ الْأَلْفَاظِ وَالْأَلْفَاظُ بِقَدْرِ الْمَعْنَى لَا يَرِيدُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ وَهُوَ الْمَذْهَبُ الْمُتَوَسِّطُ بَيْنَ الْأَيْحَازِ وَالْأَطْبَاقِ وَإِلَيْهِ أَشَارَ الْقَائِلُ بِقَوْلِهِ : كَانَ الْأَفَاظُ قَوَالِبُ رِمَاعِيهِ



أَيُّ لَا يَزِيدُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ . فَمَا جَاءَ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ : لَا تَزَالُ  
 أُسْتَبِي بِخَيْرٍ مَا لَمْ تَرَ الْإِمَامَةَ مَعْنَاً وَالزَّكَاةَ مَغْرَماً . وَقَوْلُهُ : إِيَّاكَ  
 وَالْمَشَاوِرَةَ فَإِنَّهَا تُنْمِتُ الْغِرَّةَ وَتُخَيِّبُ الْغِرَّةَ . وَمِنْ أَلْفَاظِ هَذِهِ  
 الْفُصُولِ مَا كَانَتْ مَعَانِيهِ أَكْثَرُ مِنْ أَلْفَاظِهِ وَإِنَّمَا يُكْرَهُ تَمَيُّزُهَا كَرَاهَةِ  
 الْإِلَاطَةِ . وَمِنْ نَثْرِ الْكِتَابِ قَوْلُ بَعْضِهِمْ : سَأَلْتُ عَنْ خَيْرِي وَأَنَا  
 فِي عَافِيَةٍ لَا عَيْبَ فِيهَا إِلَّا فَقْدَكَ وَنِعْمَةً لَا مَزِيدَ فِيهَا إِلَّا بِكَ . وَقَوْلُهُ :  
 عَلَّمَنِي نَبُوَّتَكَ سَلَوَتَكَ وَأَسْلَمَنِي يَا بِي مِنْكَ إِلَى الصَّبْرِ عَلَيْكَ .  
 وَقَوْلُهُ : فَحَفِظَ اللَّهُ النِّعَةَ عَلَيْكَ وَفِيكَ وَتَوَلَّى إِصْلَاحَكَ وَالْإِصْلَاحَ  
 إِلَيْكَ وَأَجَزَلَ مِنْ الْخَيْرِ حَظُّكَ وَأَلْخَطَ مِنْكَ وَمَنْ عَلَيْكَ وَعَلَيْنَا بِكَ .  
 وَقَالَ آخَرُ يَنْسُبُ مِنْ صِلَاكِ بِي وَأَخَافُ فَسَادِي بِكَ وَقَدْ أَظْنَبُ  
 فِي دَمِ الْحِمَارِ مَنْ شَبَّهَكَ بِهِ . وَمِنْ الْمَنْظُومِ قَوْلُ طَرَفَةٍ :  
 سَتُبْدِيكَ الْإِيَّامَ مَا كُنْتُ جَاهِلًا وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُرَوِّدْ  
 وَقَوْلُ الْآخَرِ :

تَهْدَا الْأُمُورَ يَا هَلِ الرَّأْيِ مَا صَلَحَتْ  
 قَوْلُ الْآخَرِ :

أَمَّا الَّذِي يُنْصِيهِمْ فَمُكَثِّرٌ  
 قَوْلُ الْآخَرِ :

أَهَابَكَ إِجْلَالاً وَمَا بِكَ قُدْرَةٌ  
 قَلِيلٌ وَلَكِنْ قَوْلٌ مِنْكَ نَصِيحَةٌ

## البحث السابع

### في الاطئاب

( من كتاب الصناعتين للمسكري )

( راجع صفحة ٧٦ من علم الادب )

قَالَ أَصْحَابُ الْأَطْيَابِ: الْمُنْطَقُ إِنَّمَا هُوَ بَيَانٌ وَأَلْيَانٌ لَا يَكُونُ  
إِلَّا بِإِشْبَاعٍ وَالشِّفَاءُ لَا يَقَعُ إِلَّا بِالْإِقْنَاعِ . وَأَفْضَلُ الْكَلَامِ آيِنُهُ  
وَأَيِنُهُ أَشَدُّ إِحَاطَةً بِالْمَعَانِي وَلَا يُحَاطُ بِالْمَعَانِي إِحَاطَةً تَامَةً إِلَّا  
بِالْإِسْتِقْصَاءِ . وَالْإِيْجَازُ لِلْخَوَاصِّ وَالْأَطْيَابُ مُشْتَرِكٌ فِيهِ الْخَاصَّةُ وَالْعَامَّةُ  
وَالْعَبِيُّ وَالْقَطْنُ وَالرَّيْضُ وَالْمَرْتَضُ وَلَمَعْنَى مَا أُطِيلَتِ الْكُتُبُ  
السُّلْطَانِيَّةُ فِي إِفْهَامِ الرِّعَايَا . وَأَقُولُ أَقْصَدُ أَنَّ الْإِيْجَازَ وَالْأَطْيَابَ  
يُحْتَاجُ إِلَيْهِمَا فِي جَمِيعِ الْكَلَامِ وَكُلِّ نَوْعٍ مِنْهُ وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا  
مَوْضِعٌ فَالْحَاجَةُ إِلَى الْإِيْجَازِ فِي مَوْضِعِهِ كَالْحَاجَةُ إِلَى الْأَطْيَابِ فِي مَكَانِهِ .  
فَمَنْ أزالَ التَّدْيِيرَ فِي ذَلِكَ عَنْ وَجْهِهِ فَاسْتَعْمَلَ الْأَطْيَابَ فِي مَوْضِعِ  
الْإِيْجَازِ وَاسْتَعْمَلَ الْإِيْجَازَ فِي مَوْضِعِ الْأَطْيَابِ أَخْطَا . كَمَا رَوَى عَنْ  
جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى أَنَّهُ قَالَ مَعَ غَيْبِهِ بِالْإِيْجَازِ : مَتَى كَانَ الْإِيْجَازُ أَلْبَغَ  
كَانَ الْأَلْبَغُ عِيًّا وَمَتَى كَانَتِ الْكِتَابَةُ فِي مَوْضِعِ الْأَلْبَغِ  
كَانَ الْإِيْجَازُ تَقْصِيرًا . وَأَمْرُ خَالِدِ بْنِ يَحْيَى أَثْنَيْنِ أَنْ يَكْتُبَا كِتَابًا  
وَاحِدًا فِي مَعْنَى وَاحِدٍ فَأَطَالَ أَحَدُهُمَا وَأَخْصَرَ الْآخَرُ . فَقَالَ لِلْمُخْتَصِرِ  
وَقَدْ نَظَرَ فِي كِتَابِهِ : مَا أَوْى مَوْضِعَ زَيْدٍ . وَقَالَ لِلْمُطِيلِ : مَا

أَرَى مَوْضِعَ نُقْصَانٍ . وَقَالَ غَيْرُهُ : الْبَلَاغَةُ الْإِيحَازُ فِي غَيْرِ عَجْزٍ  
وَالْإِطْنَابُ فِي غَيْرِ خَطَلٍ . وَلَا شَكَّ فِي أَنَّ الْكُتُبَ الصَّادِرَةَ عَنْ  
السَّلَاطِينِ فِي الْأُمُورِ الْجَسِيمَةِ وَالْفُتُوحِ الْجَلِيلَةِ وَتَفْخِيمِ النِّعَمِ الْخَادِمَةِ  
أَوْ التَّرْغِيبِ فِي الطَّاعَةِ وَالتَّنْهِي عَنْ الْمَعْصِيَةِ . سَيِّئُهَا أَنْ تَكُونَ  
مُشَبَّعَةً مُسْتَقْصَاةً تَمَلُّ الصُّدُورَ وَتَأْخُذُ بِجَمَاعِ الْقُلُوبِ . فَلَا يُطْنَبُ  
بِلَاغَةً وَالتَّطْوِيلُ عِيٌّ . لِأَنَّ التَّطْوِيلَ بِمَثَرَةِ سُلوِكِ مَا يَبْعُدُ جَهْلًا بِمَا  
يَقْرُبُ . وَالْإِطْنَابُ بِمَثَرَةِ سُلوِكِ طَرِيقِ بَعِيدٍ تَرَوِ يَحْتَوِي عَلَى زِيَادَةِ  
فَائِدَةٍ . وَقَالَ الْخَلِيلُ : يُخْتَصَرُ الْكِتَابُ لِيُحْفَظَ وَيَبْسُطَ لِيُفْهَمَ .  
وَقِيلَ لِأَيِّ غُرُوبِ ابْنِ الْعَلَاءِ هَلْ كَانَتْ الْعَرَبُ تُطِيلُ . قَالَ : نَعَمْ  
كَانَتْ تُطِيلُ لِيَسْمَعَ مِنْهَا وَتُوجِزَ لِيُحْفَظَ عَنْهَا . وَالْإِطْنَابُ إِذَا لَمْ يَكُنْ  
مِنْهُ بُدٌّ إِيحَازٌ وَهُوَ فِي الْمَوَاعِظِ خَاصَّةً مُحَمَّدٌ كَمَا أَنَّ الْإِيحَازَ فِي  
الْأَفْهَامِ مُحَمَّدٌ مَدْرُوحٌ . وَالْمَوْعِظَةُ كَقَوْلِهِ : أَفَآمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ  
يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنَاتًا وَهُمْ آمِنُونَ . أَوْ آمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ  
بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ أَفَآمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا  
الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ . فَتَكْرِيرُ مَا كُرِّرَ مِنَ الْأَلْفَاظِ هَاهُنَا فِي غَايَةِ حُسْنِ  
الْمَوْقِعِ . وَقِيلَ لِبَعْضِهِمْ : مَتَى يُحْتَاجُ إِلَى الْإِكْثَارِ . قَالَ : إِذَا عَظَّمَ  
الْخُطْبُ وَأَنْشَدَ :

صَوْتُ إِذَا مَا الدَّهْرُ زَيْنَ أَهْلَهُ      وَفَتَاكَ أَبْكَارِ الْكَلَامِ الْمُحَبَّرِ  
وَقَالَ آخَرُ :

زَمُونِ بِالْخُطْبِ الطُّوَالِ وَتَارَةً      وَخِي الْمَلَاظِحِ خَشْيَةَ الرُّقْبَاءِ .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ :

إِذَا مَا أُنْتَدَى خَاطِبًا لَمْ يَقُلْ لَهُ أَطْلِ الْقَوْلَ أَوْ قَصِّرْ  
طَيِّبٌ بِدَاءِ قُنُونِ الْكَلَامِ لَمْ يَغِي يَوْمًا وَلَمْ يَسْذِرْ  
فَإِنْ هُوَ أَطْلَبَ فِي خُطْبَةٍ قُضِيَ الطُّبِيلُ عَلَى الْقَصْرِ  
وَأِنْ هُوَ أَوْجَزَ فِي خُطْبَةٍ قُضِيَ لِلْمِقْلِ عَلَى الْمَكْثَرِ  
وَوَجَدَ النَّاسَ إِذَا خَطَبُوا فِي الصُّلْحِ بَيْنَ الْعَشَائِرِ أَطَالُوا . وَإِذَا  
أَنْشَدُوا الشُّعْرَ بَيْنَ السَّمَاطِينَ فِي مَدِيحِ الْمُلُوكِ أَطْنَبُوا . وَالْإِطَالَةُ  
وَالْإِطْنَابُ فِي هَذِهِ الْمَوَاضِعِ إِيجَازٌ . وَقِيلَ لِقَيْسِ بْنِ خَارِجَةَ : مَا  
عِنْدَكَ فِي حَمَالَاتِ دَاحِسٍ . قَالَ : عِنْدِي قَرَى كُلِّ نَازِلٍ وَرَضَى كُلِّ  
سَاحِطٍ وَخُطْبَةٌ مِنْ أَدْنَى مَطْلَعِ الشَّمْسِ إِلَى أَنْ تَغْرُبَ أَمْرٌ فِيهَا  
بِالتَّوَاضُلِ وَأَنْهَى عَنِ التَّقَاطُعِ . فَقِيلَ لِأَبِي يَعْقُوبَ الْخَرَنبِيِّ : هَلَّا  
أَكْتَفَى بِقَوْلِهِ : أَمْرٌ فِيهَا بِالتَّوَاضُلِ فَقَالَ : وَأَنْهَى عَنِ التَّقَاطُعِ .  
قَالَ : أَوْ مَا عَلِمْتَ أَنَّ الْكُنْيَةَ وَالْتَعْرِيزَ لَا تَعْمَلُ عَمَلُ الْأَطْيَابِ  
وَالْتَكْشِيفِ . وَقَدْ رَأَيْنَا فِي الْقُرْآنِ أَنَّهُ : إِذَا خَاطَبَ الْعَرَبَ وَالْأَعْرَابَ  
أَخْرَجَ الْكَلَامَ مُخْرَجَ الْإِشَارَةِ . وَإِذَا خَاطَبَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَوْ حَكَمَى  
عَنْهُمْ جَعَلَ الْكَلَامَ مَبْسُوطًا . وَقُلْ مَا تَجِدُ قِصَّةً لِيَنِي إِسْرَائِيلَ فِي  
الْقُرْآنِ إِلَّا مُطَوَّلَةً ، شَرْوَحَةً وَمُكَرَّرَةً فِي مَوَاضِعٍ مُعَادَةً لِبُعْدِ  
فَهْمِهِمْ وَتَأَخُّرِ مَعْرِفَتِهِمْ . وَكَلَامُ الْمُفْضَحَاءِ إِنَّمَا هُوَ شَوْبُ الْإِيجَازِ  
بِالْإِطْنَابِ . وَالْمُصَيِّحُ الْعَالِي مَا دُونَ ذَلِكَ مِنَ الْقَصْدِ الْمُتَوَسِّطِ  
يُسْتَدَلُّ بِالْقَصْدِ عَلَى الْعَالِيِ وَيُخْرَجُ السَّامِعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَى شَيْءٍ فَيَرْدَادُ

نَشَاطُهُ وَتَتَوَقَّرَ رَغْبَتُهُ فَيَتَصَرَّفُوا فِي وُجُوهِ الْكَلَامِ إِجْازِهِ وَإِطْنَاهُ  
حَتَّى اسْتَعْمَلُوا التَّكْرَارَ لِتَوْكِيدِ الْقَوْلِ لِلسَّامِعِ . وَقَدْ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ  
وَفِي فَصِيحِ الشَّعْرِ مِنْهُ شَيْءٌ كَثِيرٌ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ : كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ  
ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ . وَقَدْ جَاءَ وَمِثْلُ ذَلِكَ عَنْ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ .  
قَالَ مُهَاجِلٌ :

عَلَى أَنْ لَيْسَ عَدْلًا مِنْ كُلِّبٍ  
فَكَرَّرَهَا فِي أَكْثَرِ مِنْ عَشْرِينَ بَيْتًا . وَهَكَذَا قَوْلُ الْحَرْثِ  
أَبْنِ عَبَّادٍ :

قَرَّبًا مَرَبَطَ النَّعَامَةِ مَتَى  
كَرَّرَهَا فِي أَكْثَرِ مِنْ ذَلِكَ هَذَا لَمَّا كَانَتْ الْحَاجَةُ إِلَى تَكْرِيرِهَا  
مَاسَّةً وَالضَّرُورَةُ إِلَيْهِ دَاعِيَةً لِعَظَمِ الْحُطْبِ وَشِدَّةِ مَوْقِعِ الْفَجِيعةِ فَهَذَا  
يَدُلُّكَ عَلَى أَنَّ الْأَطْنَابَ فِي مَوْضِعِهِ عِنْدَهُمْ مُسْتَحْسَنٌ . كَمَا أَنَّ  
الْإِجَارَ فِي مَكَانِهِ مُسْتَحَبٌّ وَلَا بُدَّ لِلْكَاتِبِ فِي أَكْثَرِ أَنْوَاعِ  
مُكَاتَّبَاتِهِ مِنْ شُعْبَةٍ مِنَ الْأَطْنَابِ يَسْتَعْمِلُهَا إِذَا أَرَادَ الْمُرَاجَعَةَ بَيْنَ  
الْفَضْلَيْنِ وَلَا يُعَاقِبُ ذَلِكَ مِنْهُ . وَذَلِكَ مِثْلُ أَنْ يَكْتُبَ عَظُمَتْ نِعْمَتًا  
عَلَيْهِ وَتَظَاهَرَ إِحْسَانُنَا لَهُ فَيَكُونُ الْفَضْلُ الْآخِرُ دَاخِلًا فِي مَعْنَاهُ  
فِي الْفَضْلِ الْأَوَّلِ وَهُوَ مُسْتَحْسَنٌ لَا يَبِيعُهُ أَحَدٌ . وَلَمَّا أُحِيطَ بِمِرْوَانَ  
قَالَ خَادِمُهُ بَاسِلٌ : مَنْ أَغْفَلَ الْقَلِيلَ حَتَّى يَكْثُرَ وَالصَّغِيرَ حَتَّى يَكْبُرَ  
وَالْخَفِيَ حَتَّى يَظْهَرَ أَصَابَهُ وَمِثْلُ هَذَا . وَهَذَا كَلَامٌ فِي غَايَةِ الْحُسْنِ  
وَإِنْ كَانَ مَعْنَى الْفَضْلَيْنِ الْآخِرَيْنِ دَاخِلًا فِي الْفَضْلِ الْأَوَّلِ .

وَهَكَذَا قَوْلُ أَبِي تَمَامٍ حَبِيبِ بْنِ أَوْسٍ :  
 رَبِّ خَفَضَ تَحْتَ السُّرَى وَغَاءَ مِنْ غَنَاءٍ وَنَضَرَةَ مِنْ شُحُوبٍ  
 وَالْغَنَاءَ دَاخِلٌ فِي الْخَفَضِ وَالْغَنَاءُ دَاخِلٌ فِي السُّرَى . وَهَذَا يَدُلُّ  
 عَلَى أَنَّ مُعْظَمَ الْمَدَارِ فِي الْبَلَاغَةِ عَلَى تَحْسِينِ اللَّفْظِ لِأَنَّ الْمَعَانِي إِذَا  
 دَخَلَ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ هَذَا الضَّرْبَ مِنَ الدُّخُولِ وَكَانَتْ الْأَلْفَاظُ  
 مُخْتَارَةً حَسَنَ الْكَلَامِ . وَإِذَا كَانَتْ الْمَعَانِي مُرْتَبَةً حَسَنَةً وَالْمَعَارِضُ  
 سَيِّئَةً كَانَ الْكَلَامُ مُرْدُودًا فَأَعْتَمِدَ عَلَى مَا مِثْلُهُ لَكَ وَقِسْ عَلَيْهِ

### البحث الثامن

### في مواقع الاطناب

( من المثل السائر لابن الاثير باختصار وتصرف )

هَذَا النَّوعُ مِنَ الْكَلَامِ أَنْعَمَتْ نَظَرِي فِيهِ وَفِي التَّكْرِيرِ  
 وَفِي التَّنْطِيلِ فَلِكُنِّي حَيَرَةً الشَّبَّهِ بَيْنَهُمَا طَوِيلًا . ثُمَّ وَجَدْتُ أَنَّهُ  
 ضَرْبُ مُفْرَدٍ بِرَأْسِهِ لَا يُشَارِكُهُ فِيهِ غَيْرُهُ . لِأَنَّ مِنَ التَّأْكِيدِ مَا  
 يَتَعَلَّقُ بِالتَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ كَمَا مَرَّ وَهَذَا الضَّرْبُ الَّذِي هُوَ الْإِطْنَابُ  
 لَيْسَ كَذَلِكَ . وَرَأَيْتُ عُلَمَاءَ أَلْبَيَانٍ قَدْ اخْتَلَفُوا فِيهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَحَقَّهُ  
 بِالتَّنْطِيلِ الَّذِي هُوَ ضِدُّ الْإِيجَازِ وَهُوَ عِنْدَهُ قِسْمٌ غَيْرُهُ فَآخِطًا مِنْ  
 حَيْثُ لَا يَذَرِي كَأَبِي هَلَالٍ الْعَسْكَرِيَّ وَالْقَائِي حَتَّى أَنَّهُ قَالَ :  
 إِنْ كُتِبَ الْفَتْوحُ وَمَجْرَى مَجْرَاهَا مِمَّا يُقْرَأُ عَلَى عَوَامِ النَّاسِ يَبْغِي  
 أَنْ تَكُونَ مُطَوَّلَةً مُطْنَبًا فِيهَا . وَهَذَا الْقَوْلُ قَاسِدٌ لِأَنَّهُ إِنْ عَنَى

بِذَلِكَ أَنَّهَا تَكُونُ ذَاتَ مَعَانٍ مُتَعَدِّدَةٍ قَدْ اسْتَفْصِي فِيهَا شَرْحَ تِلْكَ  
 الْحَادِثَةِ مِنْ قَتْحٍ أَوْ غَيْرِهِ فَذَلِكَ مُسَلَّمٌ . وَإِنْ عَنَى بِذَلِكَ أَنَّهَا  
 تَكُونُ مُكَرَّرَةً أَلْمَاعِي مَطْوَلَةً أَلَا لَفَاطِرُ قَصْدًا لِإِفْهَامِ الْعَامَّةِ فَهَذَا  
 غَيْرُ مُسَلَّمٍ . وَهُوَ يَمَّا لَا يَذْهَبُ إِلَيْهِ مَنْ عِنْدَهُ أَذْنَى مَعْرِفَةٍ يَعْلَمُ  
 الْفَصَاحَةَ وَالْبَلَاغَةَ . وَعَلَى هَذَا فَيَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ الْكُتُبُ جَمِيعَهَا يَمَّا  
 يُقْرَأُ عَلَى عَوَامِ النَّاسِ وَخَوَاصِهِمْ ذَاتَ أَلْفَاطٍ سَهْلَةٍ مَفْهُومَةٍ . وَكَذَلِكَ  
 الْأَشْعَارُ وَالْخُطَبُ وَمَنْ ذَهَبَ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ فَإِنَّهُ بِبُحْوَةٍ عَنْ هَذَا  
 الْقَلَنِ . وَعَلَى هَذَا فَإِنَّ الْأَطْنَابَ لَا يَخْتَصُّ بِهِ عَوَامُ النَّاسِ وَإِنَّمَا هُوَ  
 لِلْخَوَاصِّ كَمَا هُوَ لِلْعَوَامِ . وَسَائِينَ حَقِيقَتَهُ وَأَحَقُّ الْقَوْلِ فِيهِ بِحَيْثُ  
 تَرُولُ الشُّبْهَةُ الَّتِي خَطَبَ أَرْبَابُ عِلْمِ الْبَيَانِ مِنْ أَجْلِهَا وَقَالُوا أَقْوَالًا  
 لَا تُغْرِبُ عَنْ فَائِدَةٍ . وَالَّذِي عِنْدِي فِيهِ : أَنَّهُ إِذَا رَجَعْنَا إِلَى الْأَسْمَاءِ  
 وَاشْتِقَاقِهَا وَجَدْنَا هَذَا الْأَنْمَ مَنَاسِبًا لِمُسَمَّاهُ وَهُوَ فِي أَصْلِ اللَّغَةِ  
 مَاخُودٌ (مِنْ أَطَبَ فِي الشَّيْءِ) إِذَا بَالَعَ فِيهِ . وَيُقَالُ : أَطَبْتُ الرِّيحُ  
 إِذَا اشْتَدَّتْ فِي هُبُوبِهَا . وَأَطَبَ فِي السَّيْرِ إِذَا اشْتَدَّ فِيهِ . وَعَلَى  
 هَذَا فَإِنَّ حَمْلَهُ عَلَى مُقْتَضَى مُسَمَّاهُ كَانَ مَعْنَاهُ الْمُبَالَغَةُ فِي إِيْرَادِ  
 أَلْمَاعِي . وَهَذَا لَا يَخْتَصُّ بِنَوْعٍ وَاحِدٍ مِنْ أَنْوَاعِ عِلْمِ الْبَيَانِ وَإِنَّمَا  
 يُوجَدُ فِيهَا جَمِيعًا إِذَا مَا مِنْ نَوْعٍ مِنْهَا إِلَّا وَيُمْكِنُ الْمُبَالَغَةُ فِيهِ . وَإِذَا  
 كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ فَيَنْبَغِي أَنْ يُفْرَدَ هَذَا النَّوعُ مِنْ بَيْنِهَا وَلَا يُحَقِّقُ  
 إِفْرَادُهُ إِلَّا بِذِكْرِ حَدِّهِ الدَّلَالَةِ عَلَى حَقِيقَتِهِ . وَالَّذِي يُحَدِّثُ بِهِ أَنْ  
 يُقَالُ : هُوَ زِيَادَةُ الْأَلْفِظِ عَلَى الْمَعْنَى لِفَائِدَةٍ فَهَذَا حَدُّهُ الَّذِي يُمَيِّزُهُ

عَنْ التَّطْوِيلِ إِذِ التَّطْوِيلُ هُوَ زِيَادَةُ اللَّفْظِ عَلَى الْمَعْنَى لِغَيْرِ فَائِدَةٍ .  
وَأَمَّا التَّكْرِيرُ فَإِنَّهُ دَلَالَةُ اللَّفْظِ عَلَى الْمَعْنَى مُرَدِّدًا كَقَوْلِكَ لَنْ  
تَسْتَدِيعِيهِ : أَسْرِعْ أَسْرِعْ . فَإِنَّ الْمَعْنَى مُرَدِّدٌ وَاللَّفْظُ وَاحِدٌ . وَالتَّكْرِيرُ  
جُزْءٌ مِنَ الْإِطْنَابِ وَهُوَ أَخْصُ مِنْهُ فَيَقَالُ حِينَئِذٍ : إِنْ كُلُّ تَكْرِيرٍ  
يَأْتِي لِفَائِدَةٍ فَهُوَ إِطْنَابٌ وَلَيْسَ كُلُّ إِطْنَابٍ تَكْرِيرًا يَأْتِي لِفَائِدَةٍ .  
وَأَمَّا الَّذِي يَأْتِي مِنَ التَّكْرِيرِ لِغَيْرِ فَائِدَةٍ فَهُوَ جُزْءٌ مِنَ التَّطْوِيلِ وَهُوَ  
أَخْصُ مِنْهُ . فَيَقَالُ حِينَئِذٍ : إِنْ كُلُّ تَكْرِيرٍ يَأْتِي لِغَيْرِ فَائِدَةٍ تَطْوِيلٌ  
وَلَيْسَ كُلُّ تَطْوِيلٍ تَكْرِيرًا يَأْتِي لِغَيْرِ فَائِدَةٍ . وَكَنتُ قَدَّمْتُ الْقَوْلَ  
فِي بَابِ الْإِيحَازِ بِأَنَّ الْإِيحَازَ هُوَ دَلَالَةُ اللَّفْظِ عَلَى الْمَعْنَى مِنْ غَيْرِ  
زِيَادَةٍ عَلَيْهِ . وَإِذَا تَقَرَّرَتْ هَذِهِ الْخُدُودُ الثَّلَاثَةُ أَلْشَّارُ إِلَيْهَا فَإِنَّ  
مِثَالَ الْإِيحَازِ وَالْإِطْنَابِ وَالتَّطْوِيلِ . مِثَالُ مَقْصِدٍ يُسَلِّكُ إِلَيْهِ فِي  
ثَلَاثَةِ طُرُقٍ : فَالْإِيحَازُ هُوَ أَقْرَبُ الطَّرِيقِ الثَّلَاثَةِ إِلَيْهِ وَالْإِطْنَابُ  
وَالتَّطْوِيلُ هُمَا الطَّرِيقَانِ الْمَتَسَاوِيَانِ فِي الْبَعْدِ إِلَيْهِ . إِلَّا أَنَّ طَرِيقَ  
الْإِطْنَابِ تَشْتَبِلُ عَلَى مَتْنِهِ مِنَ الْمَتَاوَاظَةِ لَا يُوجَدُ فِي طَرِيقِ التَّطْوِيلِ  
وَالْإِطْنَابُ يُوجَدُ تَارَةً فِي الْجُمْلَةِ الْوَاحِدَةِ مِنَ الْكَلَامِ وَيُوجَدُ تَارَةً  
فِي الْجُمْلَةِ الْمُتَعَدِّدَةِ وَالَّذِي يُوجَدُ فِي الْجُمْلَةِ الْمُتَعَدِّدَةِ أَلْبَغُ لِاتِّسَاعِ  
الْجَمَالِ . وَعَلَى هَذَا فَإِنَّهُ يُجْمَلُهُ يَنْقَسِمُ قِسْمَيْنِ : (الْقِسْمُ الْأَوَّلُ)  
الَّذِي يُوجَدُ فِي الْجُمْلَةِ الْوَاحِدَةِ مِنَ الْكَلَامِ وَهُوَ يَرِدُ حَقِيقَةً وَجْهًا .  
أَمَّا (الْحَقِيقَةُ) فَمِثْلُ قَوْلِهِمْ : رَأَيْتُهُ بِعَيْنِي وَقَبَضْتُهُ بِيَدِي وَوَطَّئْتُهُ  
بِقَدَمِي وَذُقْتُهُ بِفِي . وَكُلُّ هَذَا يَظُنُّ أَنَّ زِيَادَةً لَا حَاجَةَ



إِلَيْهَا وَيَقُولُ : إِنَّ الرُّوْيَةَ لَا تَكُونُ إِلَّا بِالْعَيْنِ وَالْقَبْضَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالْيَدِ وَالْوُطْءَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالْقَدَمِ وَالذَّوْقَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالْقَمَرِ .  
وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ بَلْ هَذَا يُقَالُ فِي كُلِّ شَيْءٍ يَعْظُمُ مِثَالُهُ وَيَعِزُّ  
الْوُصُولُ إِلَيْهِ فَيُؤَكِّدُ الْأَمْرَ فِيهِ عَلَى هَذَا لَوْجِهِ دَلَالَةٌ عَلَى نَيْلِهِ  
وَالْحُصُولِ عَلَيْهِ . وَأَمَّا مَا جَاءَ مِنْهُ ( عَلَى سَبِيلِ الْجَزَائِرِ ) فَقَوْلُهُ : فَإِنَّمَا  
لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ . فَقَائِدَةُ  
ذِكْرِ الصُّدُورِ هُهَا أَنَّهُ قَدْ تُعْرَفَ وَعِلْمُ أَنَّ الْعَمَى عَلَى الْحَقِيقَةِ  
مَكَانُهُ الْأَبْصَرُ وَهُوَ أَنْ تَصَابَ الْحَدَقَةُ بِمَا يَطْمِسُ نُورَهَا . وَاسْتِعْمَالُهُ  
فِي الْقَلْبِ تَشْبِيهُ وَمَثَلٌ قَلَمًا أُرِيدَ إِثْبَاتُ مَا هُوَ خِلَافُ الْمُنْتَعَارِ  
مِنْ نِسْبَةِ الْعَمَى إِلَى الْقُلُوبِ حَقِيقَةٍ وَتَقْبِيهِ عَنِ الْأَبْصَارِ اخْتِجَاجَ هَذَا  
الْأَمْرِ إِلَى زِيَادَةِ تَصَوُّرٍ وَتَعْرِيفٍ لِيَتَقَرَّرَ أَنَّ مَكَانَ الْعَمَى إِنَّمَا هُوَ  
الْقُلُوبُ لَا الْأَبْصَارُ . وَهَذَا . وَضَعُ مِنْ عِلْمِ الْبَيِّنَاتِ كَثِيرَةٌ مُحَاسِنَةٌ  
وَإِفْرَةٌ لَطَائِفُهُ وَالْجَزَائِرُ فِيهِ أَحْسَنُ مِنَ الْحَقِيقَةِ لِمَكَانِ زِيَادَةِ التَّصَوُّرِ  
فِي إِثْبَاتِ وَضْعِ الْحَقِيقَةِ لِلْجَزَائِرِ وَتَقْبِيهِ عَنِ الْحَقِيقَةِ . ( وَأَمَّا  
الْقِسْمُ الثَّانِي ) اَلْمُخْتَصُّ بِالْجَمَلِ فَإِنَّهُ يُسْتَعْمَلُ عَلَى ضُرُوبٍ أَرْبَعَةٍ :  
( الْأَوَّلُ ) مِنْهَا أَنْ يُذَكَّرَ الشَّيْءُ : فَيُرْتَقَى فِيهِ بِعَيْنٍ مُتَدَاخِلَةٍ . إِلَّا  
أَنَّ كُلَّ مَعْنَى يُخْتَصُّ بِجُصِيصَةٍ لَيْسَتْ لِلْآخِرِ . وَذَلِكَ كَقَوْلِ أَبِي تَمَّامٍ :  
قَطَعْتَ إِلَى الزَّابِيَيْنِ هَبَاتُهُ      وَالثَّانِي مَأْمُورُ السَّحَابِ الْمُسْبَلِ  
مِنْ مَنَّةٍ مَشْهُورَةٍ وَصَنِيعَةٍ      بِكَرٍ وَإِحْسَانٍ أَغْرَ مُجْجَلِ  
فَقَوْلُهُ : ( وَثَنَةٍ مَشْهُورَةٍ وَصَنِيعَةٍ بِكَرٍ وَإِحْسَانٍ أَغْرَ مُجْجَلِ )

تَدَاخَلَتْ مَعَانِيهِ إِذْ أَلَمَتْهُ وَالصَّنِيعَةُ وَالْإِحْسَانُ مُتَقَارِبٌ بَعْضُهُ مِنْ  
بَعْضٍ وَلَيْسَ ذَلِكَ تَكْرِيرٌ لِأَنَّهُ لَوْ اقْتَصَرَ عَلَى قَوْلِهِ : مَنَّةٌ وَصَنِيعَةٌ  
وَرِاحِسَانٌ لَجَازَ أَنْ يَكُونَ تَكْرِيرًا . وَلَكِنَّهُ وَصَفَ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْ  
هَذِهِ الثَّلَاثِ بِصِفَةٍ أَخْرَجَتْهَا عَنْ حُكْمِ التَّكْرِيرِ فَقَالَ : ( وَنَّةٌ  
مَشْهُورَةٌ ) فَوَصَفَهَا بِالْإِسْتِهَارِ لِعَظَمِ شَأْنِهَا . ( وَصَنِيعَةٌ بِكَرٍ ) فَوَصَفَهَا  
بِالْبُكَارَةِ أَيْ أَنَّهَا لَمْ يُوْتِ بِمِثْلِهَا مِنْ قَبْلُ . ( وَرِاحِسَانٌ أَغْرُ مُجْتَلٍ )  
فَوَصَفَهَا بِالْفَرَّةِ وَالتَّخْيِيلِ أَيْ هُوَ ذُو مُحَاسِنٍ مُتَعَدِّدَةٍ . فَلَمَّا وَصَفَ  
هَذِهِ الْمَعَانِي الَّتِي تَدَاخَلَتْ أَلَّتِي تَدُلُّ عَلَى شَيْءٍ وَاحِدٍ بِأَوْصَافٍ مُتَبَايِنَةٍ  
صَارَ ذَلِكَ إِطْنَابًا وَلَمْ يَكُنْ تَكْرِيرًا . وَلَمْ أَجِدْ فِي ضَرْبِ الْأَطْنَابِ  
أَحْسَنَ مِنْ هَذَا الْمَوْضِعِ وَلَا الْطَفَّ . وَقَدْ اسْتَعْمَلَهُ أَبُو تَمَّامٍ فِي  
شِعْرٍ كَثِيرٍ بِخِلَافِ غَيْرِهِ مِنَ الشُّعْرَاءِ كَقَوْلِهِ :

ذَكِّي سَجَايَاهُ تُضِيفُ ضِيُوفُهُ وَيَرْجِي مُرَجِيَهُ وَيَسْأَلُ سَائِلُهُ  
فَإِنْ غَرَضُهُ مِنْ هَذَا الْقَوْلِ إِنَّمَا هُوَ ذِكْرُ الْمَدْحِ بِالْكَرَمِ  
وَكَثْرَةِ الْعَطَاءِ إِلَّا أَنَّهُ وَصَفَهُ بِصِفَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ فَجَعَلَ ضِيُوفُهُ تُضِيفُ  
وَرَاجِيَهُ يَرْجِي وَسَائِلُهُ يُسْأَلُ . وَلَيْسَ هَذَا تَكْرِيرًا لِأَنَّهُ لَا يَلْزَمُ مَنْ  
كَوْنِ ضِيُوفِهِ تُضِيفُ أَنْ يَكُونَ رَاجِيَهُ مُرْجُوا وَلَا أَنْ يَكُونَ سَائِلُهُ  
مَسْئُولًا لِأَنَّ ضَيْفَهُ يَسْتَضِجِبُ ضَيْفًا طَمَعًا فِي كَرَمِ مُضِيفِهِ وَسَائِلُهُ يُسْأَلُ  
أَنْ يُعْطِيَ السَّائِلَ عَطَاءً كَثِيرًا يَصِيرُ بِهِ مُعْطِيًا . وَرَاجِيَهُ يَرْجِي أَيْ أَنَّهُ  
إِذَا تَعَلَّقَ بِهِ رَجَاءً رَاجٍ فَقَدْ آتَى بِالْفَلَاحِ وَالنَّجَاحِ فَهُوَ حَقِيقٌ بِأَنْ  
يُرْجَى لِمَكَانِ رَجَائِهِ إِيَّاهُ . وَهَذَا أَلْبَغُ الْأَوْصَافِ الثَّلَاثَةِ . ( الصَّرْبُ

الثَّانِي ( يُسَمَّى الثَّنْيَى وَالْإِثْبَاتَ وَهُوَ أَنْ يُذَكَّرَ الشَّيْءُ عَلَى سَبِيلِ  
الثَّنْيِ ثُمَّ يُذَكَّرَ عَلَى سَبِيلِ الْإِثْبَاتِ أَوْ بِالْعَكْسِ . وَلَا بُدَّ أَنْ  
يَكُونَ فِي أَحَدِهِمَا زِيَادَةٌ لَيْسَتْ فِي الْآخَرِ وَالْأَكْثَرُ تَكْرِيرًا .  
وَالْفَرَضُ بِهِ تَأْكِيدُ ذَلِكَ الْمَعْنَى الْمَقْصُودَ . فِيمَا جَاءَ مِنْهُ قَوْلُهُ :  
لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ  
وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ . إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ  
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ . وَاعْلَمْ أَنَّ  
لِهَذَا الضَّرْبِ مِنَ الْإِطْنَابِ فائدةٌ كَثِيرَةٌ وَهُوَ أَزْكَدُ وَجُوهٌ آلا  
تَرَى أَنَّهُ قَالَ : لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ  
يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ . ثُمَّ قَالَ : إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ  
بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ . وَالْمَعْنَى فِي ذَلِكَ سَوَاءٌ . إِلَّا أَنَّهُ زَادَ فِي الثَّانِيَةِ  
قَوْلُهُ : وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ . وَلَوْلَا هَذِهِ  
الزِّيَادَةُ لَكَانَ حُكْمُ هَذَيْنِ الْقَوْلَيْنِ حُكْمَ التَّكْرِيرِ . وَهَذَا الْمَوْضِعُ  
يَلْتَبِعِي أَنْ يُتِمَّلَ وَيُنْعَمَ النَّظَرُ فِيهِ . ( الضَّرْبُ الثَّلَاثُ ) هُوَ أَنْ  
يُذَكَّرَ الْمَعْنَى الْوَاحِدُ تَامًّا لَا يَحْتَاجُ إِلَى زِيَادَةٍ ثُمَّ يُضْرَبَ لَهُ مِثَالٌ  
مِنَ الشَّيْءِ . كَقَوْلِ النُّجَاشِيِّ :

تَرَدَّدَ فِي خُلُقِي سُودِدٌ سَمَحًا مُرَجَّى وَبَأْسًا مَهِيًا  
فَكَالسَيْفِ إِنْ جِئْتُ صَارِحًا وَكَالنَّجْرِ إِنْ جِئْتُ مُسْتَكْبِيًا  
فَالْبَيْتُ الثَّانِي يَدُلُّ عَلَى الْأَوَّلِ لِأَنَّ النَّجَرَ وَالسَّيْفَ لِلْبَأْسِ  
الْمُهَيَّبِ إِلَّا أَنَّ فِي الثَّانِي زِيَادَةَ الشَّيْءِ الَّتِي تُفِيدُ تَحْيِيلًا وَتَضْوِيرًا .

(الضرب الرابع) ان يستوفي معاني الغرض المقصود من كتاب  
 أو خطبة أو قصيدة. وهذا أصعب الضروب الأربعة طريقاً أو  
 أضيئها باباً لأنه يتفرع إلى أساليب كثيرة من المعاني وأرباب  
 النظم والنثر يتفاوتون فيه وليس الخطر الذي يقذف بالذرر في  
 مثله إلا معدوم الوجود ومثاله ومثال الإيجاز مثال مجمل ومفصل .  
 وقد تقدم أقول بأن الإيجاز والأطاب والتطويل بمنزلة مقصد  
 يسلك إليه بثلاثة طرق: وقد أوردت ههنا مثالا لهذه الأساليب  
 الثلاثة وجعلتها على هيئة المقصد الذي تسلك إليه الطرق الثلاثة ...  
 فأقول: قد ورد في باب الإيجاز كتاب كتبه طاهر بن الحسين  
 إلى المأمون بخبره بهزيمة عيسى بن ماهان وقتله إياه وهو: كتابي  
 إلى أمير المؤمنين ورأس عيسى بن ماهان بين يدي وخاتمه في يدي  
 وعسكره مضرب تحت أمري والسلام. وهذا كتاب جامع للمعنى  
 شديد الاختصار. وإذا كتب ما هو معناه على وجه الأطاب قيل  
 فيه ما أذكره وهو ما أنشأه مثالا في هذا الموضع ليعلم به  
 الفرق بين الإيجاز والأطاب وهو: أصدر كتابه هذا وقد نصر  
 بالفتنة القليلة على الفتنة الكثيرة وأنقلب باليد الملقى والعين  
 القريرة وكان أتباعه مجده أمير المؤمنين لأبي نصره وأجد أغنى  
 من الخيش. وإن كثرت أمداد خيله ورجله وحي رأس عيسى بن  
 ماهان وهو على جسد غير جسده وليس له قدم فيقال إنه يسعى  
 بقدمه. ولا يد فيقال إنه يبطش بيده. ولقد طال وطوله

مُؤَذِّنٌ يَقْصِرُ شَأْنَهُ وَحَدَّثَ الصَّبَّاحُ الطَّيْرَ عَلَى مَكَانِهَا مِنْهُ وَهُوَ غَيْرُ  
مَحْسُودٍ عَلَى مَكَانِهِ . وَاحْضِرْ خَاتَمَهُ وَهُوَ الْخَاتَمُ الَّذِي كَانَ الْأَمْرُ يُجْرَى  
عَلَى نَقْشِ اسْمِهِ . وَكَانَ يَرْجُو أَنْ يُصَدِّرَ كِتَابَ الْقَنْعِ بِحُجَّتِهِ فَحَالَ وَرُودُ  
الْمَنِيَّةِ دُونَ مَصْدَرِهِ . وَكَذَلِكَ الْبَغْيُ رَتَعَهُ وَيَلُّهُ . وَصَرَعَهُ جَلِيلٌ  
وَسَيْفُهُ وَإِنْ مَضَى فَإِنَّهُ عِنْدَ الْخَرْبِ كَالْيَلِّ . وَالْعَسَاكِرُ أَنْتِي  
كَانَتْ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ حَرْنَا صَارَتْ لَهُ سَلْمًا وَأَعْطَتْهُ الْبَيْعَةَ عِلْمًا  
بِفَضْلِهِ وَلَيْسَ مَنْ تَابَعَ تَقْلِيدًا مِمَّنْ هُوَ تَابِعٌ عِلْمًا . وَهُمْ الْآنَ مُصَرَّفُونَ  
تَحْتَ الْأَوَامِرِ مُتَحَنِّنُونَ بِكُشْفِ السَّرَائِرِ طَائِعُونَ بِاللَّوَاءِ . لِذِي خَصَّهُ اللَّهُ  
بِاسْتِفْتَاكِ الْقَالِدِ وَأَسَاطِيئِهِ الْبَنَائِرِ وَعَلَى اللَّهِ ائْتِمَامُ النِّعَمِ الَّتِي أَفْتَحَهَا وَاجَابَةُ  
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مُفْتَرَحَاتِهِ الَّتِي أَفْتَرَحَهَا وَالسَّلَامُ . وَهَذَا الْكِتَابُ  
يَشْتَمِلُ عَلَى مَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ كِتَابُ طَاهِرِ بْنِ الْحُسَيْنِ مِنْ الْغَنَى إِلَّا أَنَّهُ  
فَقَلَ ذَلِكَ لِإِجْمَالِهِ . وَلَوْ كَتَبْتُ عَلَى وَجْهِ التَّطْوِيلِ الَّذِي لَا فَايِدَةَ فِيهِ  
أَقِيلُ : أَصَدَرَ كِتَابَهُ فِي يَوْمٍ كَذَا مِنْ شَهْرِ كَذَا وَالتَّمْيِ عَسْكَرُ أَمِيرِ  
الْمُؤْمِنِينَ وَعَسْكَرُ عَذْوِ الْبَغْيِ . وَطَاعَنَ الْفَرِيقَانِ وَتَرَاحَفَ الْجَمْعَانِ .  
وَحَمِيَ الْقِتَالُ وَاشْتَدَّ الْقِتَالُ . وَتَرَادَفَتِ الْكُتَابُ وَتَلَاخَقَتِ الْمَقَابِلُ .  
وَقُتِلَ عَيْسَى بْنُ مَاهَانَ وَاحْتَرَّ رَأْسُهُ وَتُرِعَ الْخَاتَمُ مِنْ يَدِهِ وَخُلِعَ وَتُرِكَ  
جَسَدُهُ طَعَامًا لِلطُّيُورِ وَالسَّبَاعِ وَالذَّرَّابِ وَالصَّبَّاحِ . وَانْجَلَتْ الْوُقُوعَةُ عَنْ  
غَابِ الْخُلَيْفَةِ وَخَضِرَ وَخَذَلَانِ عَدُوَّهُ وَقَهَرِهِ وَالسَّلَامُ . فَهَذَا الْكِتَابُ  
يَشْتَمِلُ عَلَى تَطْوِيلٍ لَا فَايِدَةَ فِيهِ لِأَنَّهُ كَرَّرَ فِيهِ مَا يَتِمُّ الْغَرَضُ بِدُونِهَا .  
فَأَنْظُرْ إِلَى هَذِهِ الْكُتُبِ الثَّلَاثَةِ وَتَامَ أَمَانُهَا وَقَسَّ لَمَيَّا مَا يَأْتِي مِنْهَا

## الفصل السابع

في البديع

البحث الاول

في حقيقة علم البديع

( عن ابن جابر الاندلسي والحلاج خلفا )

( راجع صفحة ٦٦ من علم الادب )

الْبَدِيعُ مَاخُودٌ مِنْ بَدَعِ شَيْءٍ يَبْدَعُهُ بَدْعًا إِذَا أَنْشَأَهُ وَبَدَأَهُ .  
وَيُقَالُ أَتَبَدَعَ الشَّيْءَ إِذَا أَعْتَرَعَهُ مِنْ غَيْرِ مِثَالٍ . وَالْبَدِيعُ يُطْلَقُ  
بِإِذَا مَعَانٍ يُقَالُ هَذَا بَدِيعٌ أَيْ مُخْدَتٌ عَجِيبٌ فَيَكُونُ فِي صِغَةِ  
الْمَفْعُولِ وَيَكُونُ أَيْضًا مِنْ صِغَةِ الْفَاعِلِ . وَمِنْهُ الْبَدِيعُ فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ  
تَعَالَى لِإِبْدَاعِهِ أَشْيَاءَ وَاحِدَاتِهِ إِيَّاهَا مِنْ غَيْرِ مِثَالٍ . وَالْبَدِيعُ أَيْضًا  
الْجَدِيدُ يُقَالُ : سِقَاءُ بَدِيعٌ وَحَبْلٌ بَدِيعٌ أَيْ جَدِيدَانِ . وَيُقَالُ : أَبَدَعَ  
الشَّاعِرُ إِذَا صَنَعَ الْبَدِيعَ فِي شِعْرِهِ . وَأَمَّا الْبَدِيعُ أَصْطِلَاحًا فَهُوَ عِلْمٌ  
يُعْرَفُ بِهِ وُجُوهُ تَحْسِينِ الْكَلَامِ الْمُنَاطِقِ الْمُقْتَضَى لِحَالِ الْعُلُومَةِ  
كَيْفِيَّةَ طَرُقِهِ فِي الدَّلَالَةِ وَضُوحًا وَخَفَاءً . فَقَوْلُهُ : ( عِلْمٌ ) جَنْسٌ دَخَلَ  
تَحْتَهُ كُلُّ عِلْمٍ . وَقَوْلُهُ : ( يُعْرَفُ بِهِ وَجُوهُ تَحْسِينِ الْكَلَامِ ) فَضْلٌ  
أَخْرَجَ بِهِ الْعُلُومَ كُلَّهَا مَا عَدَا عِلْمَ الْعِلْمَانِي وَالْيَبَانِ وَمَا تَرَكَّبَ مِنْهَا  
لَأَنَّ غَيْرَهُمَا مِنَ الْعُلُومِ لَا يُعْرَفُ بِهِ وَجُوهُ تَحْسِينِ الْكَلَامِ . وَقَوْلُهُ :

(الطابقُ لِمُقْتَضَى الْحَالِ) فَضْلٌ أَخْرَجَ بِهِ الْعِلْمَ بِوُجُوهٍ تَحْسِينِ  
 الْكَلَامِ الَّذِي لَمْ يُطَابِقْ مُقْتَضَى الْحَالِ فَإِنَّ هَذَا لَا يُسَمَّى بَدِيعًا .  
 وَقَوْلُهُ: (الْمَعْلُومَةُ كَيْفِيَّةٌ طَرِيقُهُ إِلَى آخِرِهِ) فَضْلٌ أَخْرَجَ بِهِ الْعِلْمَ بِوُجُوهٍ  
 تَحْسِينِ الْكَلَامِ الَّذِي يُطَابِقُ مُقْتَضَى الْحَالِ وَلَمْ يَذْكُرْ كَيْفِيَّاتِ  
 طَرِيقِ دَلَالَتِهِ فَإِنَّ هَذَا لَا يُسَمَّى بَدِيعًا . فَتَحَصَّلَ مِنْ هَذَا الْحَدِّ أَنَّ  
 الْعِلْمَ بِوُجُوهٍ تَحْسِينِ الْكَلَامِ لَا يُسَمَّى بَدِيعًا إِلَّا بِشَرَطَيْنِ : أَنْ  
 يَكُونَ ذَلِكَ الْكَلَامُ مُطَابِقًا لِمُقْتَضَى الْحَالِ . وَأَنْ تَكُونَ كَيْفِيَّاتُ  
 طَرِيقِ دَلَالَتِهِ مَعْرُومَةً الْوُضُوحِ وَالْخَفَاءِ . فَالْشَّرْطُ الْأَوَّلُ هُوَ عِلْمُ الْمَعْنَى .  
 وَالشَّرْطُ الثَّانِي هُوَ عِلْمُ الْبَيَانِ فَإِنْ غَدِمَ الشَّرْطَانِ أَوْ أَحَدُهُمَا مِنْ  
 الْكَلَامِ لَمْ يَكُنِ الْعِلْمُ بِوُجُوهٍ تَحْسِينِ ذَلِكَ الْكَلَامِ بَدِيعًا . أَمَّا  
 (مَرْتَبَةٌ) هَذَا الْعِلْمِ فَبَعْدَ مَرْتَبَةِ عِلْمِي الْمَعْنَى وَالْبَيَانِ حَتَّى إِنَّ  
 بَعْضَهُمْ لَمْ يَجْعَلْهُ عِلْمًا عَلَى حِدَةٍ فَتَأَمَّلْ . وَظَهَرَ مِنْ هَذَا وَضُوعُهُ  
 وَغَرَضُهُ وَغَايَتُهُ . وَأَمَّا مَنْفَعَتُهُ فَالظَّهَارُ رَوِّقِ الْكَلَامِ حَتَّى يَلِجَ  
 الْأَذُنَ بِغَيْرِ آذَى وَيَتَعَاقَبَ بِالْقَلْبِ مِنْ غَيْرِ كَدٍّ وَإِنَّمَا دَوَّنُوا هَذَا الْعِلْمَ  
 لِأَنَّ الْأَضْلَّ وَإِنْ كَانَ الْحُسْنُ الذَّائِقِيَّ وَكَانَ الْمَعْنَى وَالْبَيَانُ بِمَا  
 يَكْفِي فِي تَحْصِيهِهِ لَكِنَّهُمْ اعْتَنَوْا بِشَأْنِ الْحُسْنِ الْقَرَضِيِّ أَيْضًا لِأَنَّ  
 الْحُسْنَ إِذَا عَرِيَ مِنَ الْمُرْتَبَاتِ رَبَّمَا يَذْهَلُ بَعْضُ الْقَاصِرِينَ عَنْ تَتَبُّعِ  
 حَاسِنِهِ فَيَقُوتُ التَّمَتُّعُ بِهِ



## البحث الثاني

### في ان البديع احد علوم الادب الستة

( عن بديعية المبيان )

وَذَلِكَ أَنَّكَ إِذَا نَظَرْتَ فِي الْكَلَامِ الْعَرَبِيِّ إِمَّا أَنْ تَبْحَثَ  
عَنِ الْمَعْنَى الَّتِي وَضَعَ لَهُ اللَّفْظُ وَهُوَ عِلْمُ اللَّغَةِ . وَإِمَّا أَنْ تَبْحَثَ  
عَنْ ذَاتِ اللَّفْظِ بِحَسَبِ مَا يَغْتَرِيهِ مِنَ الْحَذْفِ وَالْقَلْبِ وَالْبَدَلِ وَغَيْرِ  
ذَلِكَ وَهُوَ عِلْمُ التَّصْرِيفِ . وَإِمَّا أَنْ تَبْحَثَ عَنِ الْمَعْنَى الَّتِي يُفْهَمُ  
مِنَ الْكَلَامِ الْمُرَكَّبِ بِحَسَبِ اخْتِلَافِ أَوَاخِرِ الْكَلِمَةِ وَهُوَ عِلْمُ  
الْعَرِيَّةِ . وَإِمَّا أَنْ تَبْحَثَ عَنْ مُطَابَقَةِ الْكَلَامِ لِمُقْتَضَى الْحَالِ بِحَسَبِ  
الْوَضْعِ اللَّغَوِيِّ وَهُوَ عِلْمُ الْمَعَانِي . وَإِمَّا أَنْ تَبْحَثَ عَنْ طُرُقِ دَلَالَةِ  
الْكَلَامِ إِيْضًا وَخَفَاءَ بِحَسَبِ الدَّلَالَةِ الْعَقْلِيَّةِ وَهُوَ عِلْمُ الْبَيَانِ .  
وَإِمَّا أَنْ تَبْحَثَ عَنْ وُجُوهِ تَحْسِينِ الْكَلَامِ وَهُوَ عِلْمُ الْبَدِيعِ . فَالْعُلُومُ  
الثَّلَاثَةُ الْأُولَى لَا يُسْتَشْهَدُ عَلَيْهَا إِلَّا بِكَلَامِ الْعَرَبِ نَظْمًا وَنَثْرًا .  
لِأَنَّ الْمُعْتَبَرَ فِيهَا الْفَاطَةُ . وَالْعُلُومُ الثَّلَاثَةُ الْآخِرَةُ يُسْتَشْهَدُ عَلَيْهَا  
بِكَلَامِ الْعَرَبِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْمُؤَلِّدِينَ لِأَنَّهَا رَاجِعَةٌ إِلَى الْمَعَانِي وَلَا  
فَرْقَ فِيهَا فِي ذَلِكَ بَيْنَ الْعَرَبِ وَالْمُؤَلِّدِينَ إِذْ هُوَ أَمْرٌ رَاجِعٌ إِلَى  
الْعَقْلِ وَلِذَلِكَ قِيلَ مِنْ أَهْلِ هَذَا الْفَنِّ الْإِسْتِشْهَادُ بِكَلَامِ الْفُجَّارِيِّ  
وَأَيِّي نَمَاءٍ وَأَيِّي الطَّيِّبِ وَأَيِّي الْعَلَاءِ وَهَلُمَّ جَرًّا . ( وَهَذَا تَنْبِيْهُ )  
وَهُوَ أَنَّ أَنْوَاعَ الْبَدِيعِ فِي الْكَلَامِ كَالْعِلْمِ فِي الطَّعَامِ وَالْحَالِ



فِي الْوَجَنَاتِ وَالشَّيَةِ فِي الْخَيْلِ الْمُسَوَّمَاتِ . وَإِذَا كَثُرَ الْخَلْجُ فِي  
الطَّعَامِ وَالْخَيْلَانُ فِي الْحَدِّ وَالشَّيَةِ فِي الْخَيْلِ قَبِجَ ذَلِكَ وَخَرَجَ عَنْ  
بَابِ الْأَسْتَحْسَانِ فَكَذَلِكَ الْبَدِيعُ إِذَا كَثُرَ وَتَكَلَّفَ تَجَهُّ الطَّبَاعُ  
وَأَمَّا يُسْتَحْسَنُ إِذَا وَقَعَ فِي الْكَلَامِ سَهْلًا عَلَى الطَّبَاعِ مُسْتَعْدَابًا  
فِي الْأَسْمَاعِ عَارِيًّا مِنَ التَّكَلُّفِ الَّذِي يَذْهَبُ بِالْحُسْنِ وَأَقْعًا مَوْقِعَ  
الرَّهْرِ مِنَ الْفُضْ فَإِذَا فَرَطَ فِي الزِّيَادَةِ خَاطَبَتْهُ الطَّبَاعُ :  
لَوْ اخْتَصَرْتُمْ مِنَ الْإِحْسَانِ دُرَّتْكُمْ وَالْعَذْبُ يُفْجِرُ لِلْفَرَاطِ فِي الْخَصْرِ

### البحث الثالث

## في نسبة علم البديع الى علمي المعاني والبيان

( من شرح بديعة المعاني ايضاً )

وَإِذَا تَأَمَّلْتَ مَا قَرَرْنَاهُ مِنْ أَنَّ عِلْمَ الْمَعَانِي وَالْبَيَانَ دَاخِلَانِ فِي حَدِّ  
الْبَدِيعِ عَلِمْتَ أَنَّ نِسْبَتَهُ إِلَيْهَا نِسْبَةُ الْمَرْكَبِ إِلَى مُفْرَدَاتِهِ إِذْ لَا يَدْخُلُ  
فِي الْحَدِّ إِلَّا مَا هُوَ مِنْ مُفْرَدَاتِ التَّحْدِيدِ الَّتِي تَرْكَبُ مِنْهَا . فَكَمَا أَنَّ  
الْمَرْكَبَ لَا يَسْتَقِيمُ وَجُودُهُ إِلَّا بِوُجُودِ مُفْرَدَاتِهِ كَذَلِكَ الْبَدِيعُ لَا يَسْتَقِيمُ  
إِلَّا بِوُجُودِ الْمَعَانِي وَالْبَيَانَ فَإِذَا عُدِمَ الْمَعَانِي وَالْبَيَانُ مِنَ الْكَلَامِ عُدِمَ  
الْبَدِيعُ مِنْهُ لِأَنَّ الْمَرْكَبَ يَعْذَمُ بِعَدَمِ مُفْرَدَاتِهِ فَلَوْ وَجِدَ كَلَامٌ خَالِئٌ مِنْ  
سَابِقَةٍ مُقْتَضَى الْحَالِ الَّذِي هُوَ عِلْمُ الْمَعَانِي أَوْ مِنْ الْعِلْمِ بِكَيْفِيَّةِ طُرُقِ  
الدَّلَالَةِ فِي الظُّهُورِ وَالْخَفَاءِ الَّذِي هُوَ عِلْمُ الْبَيَانِ لَمْ يَكُنِ الْعِلْمُ بِوُجُوهِ  
تَحْسِينِ الْكَلَامِ بَدِيعًا . وَأَعْلَمُ أَنَّ أَعْمَ هَذِهِ الْقَنُونِ الثَّلَاثَةِ عِلْمُ

الْعَلَايِ وَالْأَصْحَا عِلْمُ الْبَدِيعِ لِأَنَّهُ مُتَرَكِّبٌ مِنَ الْفَنَيْنِ الْآخَرَيْنِ  
وَزِيَادَةٌ وَالْقَاعِدَةُ أَنَّ الْأَخْصَّ يَتَرَكَّبُ مِنَ الْأَعْمِ وَزِيَادَةٌ . وَعِلْمُ  
الْأَلْبَانِ مُتَوَسِّطٌ بَيْنَهُمَا فَهُوَ مُشْتَمِلٌ عَلَى الْعَلَايِ مُنْدَرِجٌ تَحْتَ الْبَدِيعِ  
وَكُلُّ بَدِيعٍ مُسْتَلَزِمٌ لِلْعَلَايِ وَالْأَلْبَانِ لِأَنَّهُمَا جُزْءَاهُ . وَكُلُّ بَيَانٍ مُسْتَلَزِمٌ  
لِلْعَلَايِ لِأَنَّهُ جُزْؤُهُ وَآيَاتِ الْعَلَايِ مُسْتَلَزِمَةٌ لِلْبَيَانِ وَلَا لِلْبَدِيعِ إِذْ  
يُوجَدُ بِدُونِهِمَا وَذَلِكَ مِنْ كَلَامٍ طَائِقٍ مُقْتَضَى الْحَالِ وَلَمْ تَعْلَمْ كَيْفِيَّةَ  
طُرُقِ دَلَالَتِهِ وَلَا وُجُوهَ تَحْسِينِهِ . وَلَا الْأَلْبَانِ مُسْتَلَزِمٌ لِلْبَدِيعِ إِذْ يُوجَدُ  
بِدُونِهِ فِي كَلَامٍ طَائِقٍ مُقْتَضَى الْحَالِ وَعُلِمَتِ كَيْفِيَّةُ طُرُقِ دَلَالَتِهِ  
وَوُجُوهُ تَحْسِينِهِ . وَإِذَا عَلِمْتَ مَا قَرَّرْنَاهُ فَالْعَلَايِ وَالْأَلْبَانِ بِالنِّسْبَةِ  
إِلَى الْبَدِيعِ كَالْحَيَوَانِ وَالنُّطْقِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْإِنْسَانِ فَلَا يُوجَدُ الْبَدِيعُ  
بِدُونِهِمَا كَمَا لَا يُوجَدُ الْإِنْسَانُ بِدُونِ الْحَيَاةِ . وَالنُّطْقِ وَالْعَلَايِ بِالنِّسْبَةِ  
إِلَى الْأَلْبَانِ كَالْحَيَوَانِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى النُّطْقِ فَجُودُ الْعَلَايِ بِلَا بَيَانٍ  
كَمَا يُوجَدُ الْحَيَوَانُ بِلَا نُّطْقٍ . وَلَا يُوجَدُ الْأَلْبَانُ بِلَا مَعَانٍ كَمَا لَا يُوجَدُ  
النُّطْقُ بِدُونِ الْحَيَوَانِ . وَهَذَا بَسْطُ مَا يُوجَدُ فِي بَيَانِ هَذِهِ الْفُنُونِ  
الْثَلَاثَةِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْعَلَايِ وَالْأَلْبَانِ أَنَّ الْعَلَايِ رَاجِعَةٌ  
إِلَى مُطَابَقَةِ مُقْتَضَى الْحَالِ فِي الدَّلَالَةِ الْوَضْعِيَّةِ وَالْأَلْبَانِ رَاجِعٌ إِلَى  
مُقْتَضَى الْحَالِ فِي الدَّلَالَةِ الْعَقْلِيَّةِ . فَكَمَا أَنَّ الْبَدِيعَ لَا بُدَّ لَهُ فِي  
الْعَلَايِ مِنْ مُطَابَقَةِ مُقْتَضَى الْحَالِ بِإِعْتِبَارِ الدَّلَالَةِ الْوَضْعِيَّةِ . كَذَلِكَ  
فِي الْأَلْبَانِ لَا بُدَّ لَهُ أَيْضًا مِنْ مُطَابَقَةِ الْحَالِ بِإِعْتِبَارِ الدَّلَالَةِ الْعَقْلِيَّةِ  
فَلَوْ قَالَ فِي الْعَلَايِ : (زَيْدٌ قَائِمٌ) وَالْحَالُ تَقْتَضِي (إِنَّ زَيْدًا قَائِمٌ) . أَوْ

قَالَ : ( إِنْ زَيْدًا قَائِمٌ ) وَالْحَالُ تَقْتَضِي ( زَيْدٌ قَائِمٌ ) كَانَ خَطَأً .  
كَذَلِكَ أَلْيَانُ لَوْ قَالَ : ( زَيْدٌ جَوَادٌ ) وَالْحَالُ تَقْتَضِي ( زَيْدٌ كَثِيرُ  
الرَّمَادِ ) أَوْ قَالَ : ( زَيْدٌ كَثِيرُ الرَّمَادِ ) وَالْحَالُ تَقْتَضِي ( زَيْدٌ جَوَادٌ )  
كَانَ خَطَأً

## البحث الرابع

### في اقسام البديع

( عن شرح بديعة العبيان )

إِعْلَمَنَّ أَنَّ الْبَدِيعَتَيْنِ نَصُوا عَلَى أَنْوَاعِ الْبَدِيعِ أَنَّهُ يَتَعَلَّقُ بِبَإَيْنٍ :  
بَابِ الْبَلَاغَةِ وَبَابِ الْفَصَاحَةِ . فَمَا كَانَ مِنْهُمَا مُتَعَلِّقًا بِالْمَعْنَى أَوْ بِالْمَعْنَى  
وَاللَّفْظِ مَعًا فَهُوَ مِنْ بَابِ الْبَلَاغَةِ . وَمَا كَانَ مِنْهُمَا مُتَعَلِّقًا بِاللَّفْظِ  
فَقَطُّ فَهُوَ مِنْ بَابِ الْفَصَاحَةِ . فَهِيَ ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ : قِسْمٌ يَتَعَلَّقُ  
بِالْمَعْنَى فَقَطُّ كَالْتَوْرِيَّةِ وَتَجَاهُلِ الْعَارِفِ وَمَا جَرَى تَحْرَاؤُهُمَا يَمَّا لَا تَعَلُّقَ  
لَهُ بِاللَّفْظِ . وَقِسْمٌ بِاللَّفْظِ فَقَطُّ كَالْتَجْنِيسِ وَرَدِّ الْعَجْزِ عَلَى الصَّدْرِ  
وَتَحْوِيهِمَا يَمَّا لَا تَعَلُّقَ لَهُ بِالْمَعْنَى . وَقِسْمٌ يَتَعَلَّقُ بِاللَّفْظِ وَالْمَعْنَى كَالْمُطَابَقَةِ  
وَالْمُقَابَلَةِ وَمَا أَشْبَهَهُمَا يَمَّا لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَ اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى فِيهِ حَظٌّ .  
وَأَسْقَطَ صَاحِبُ الْإِيضَاحِ هَذَا الْقِسْمَ وَجَعَلَ الْبَدِيعَ قِسْمَيْنِ : قِسْمٌ  
يَتَعَلَّقُ بِاللَّفْظِ وَقِسْمٌ يَتَعَلَّقُ بِالْمَعْنَى وَهُوَ الْآيَيْنُ



## البحث الخامس

### في تاريخ علم البديع وفي اصحاب البديعيات

( عن كشف الظنون باختصار وتصرف )

إِعْلَمَ أَنَّ قُدَمَاءَ الْمُصَنِّفِينَ كَانُوا يَذْكُرُونَ هَذَا الْقَنْ فِي آخِرِ  
عِلْمِ أَلْيَانٍ . إِلَّا أَنَّ الْمُتَأَخِّرِينَ زَادُوا عَلَيْهِ شَيْئًا كَثِيرًا وَظَنُّوا فِيهِ  
قَصَائِدَ وَالْفَوَاضِلَ . وَمِنَ الْكُتُبِ الْمُخْتَصَّةِ بِعِلْمِ الْبَدِيعِ كِتَابُ لِأَبِي  
أَلْعَاسِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَلْعَتَرِ أَلْعَبَّاسِيِّ أَلْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٢٩٦ هـ ( ٩٠٩ م )  
وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ صَنَّفَ فِيهِ . وَكَانَ جُمْلَةُ مَا جَمَعَ مِنْهَا سَبْعَةَ عَشَرَ نَوْعًا  
أَلْفَهُ سَنَةَ ٢٧٤ هـ ( ٨٨٧ م ) . وَعَاصِرُهُ قُدَامَةُ بْنُ جَعْفَرٍ أَلْكَاتِبُ  
فَجَمَعَ مِنْهَا عَشْرِينَ نَوْعًا تَوَارَدَ مَعَهُ عَلَى سَبْعَةِ مِنْهَا فَتَكَامَلَ لَهَا  
ثَلَاثُونَ نَوْعًا وَيُعْرَفُ كِتَابُهُ بِنَقْدِ الشُّعْرِ . أَمَّا أَلْسَكَّاكِيُّ فَلَمْ  
يَذْكُرْ أَنْوَاعَ الْبَدِيعِ سِوَى تِسْعَةٍ وَعَشْرِينَ نَوْعًا . ثُمَّ أَقْتَدَى النَّاسُ  
بِقُدَامَةَ وَأَبْنِ أَلْعَتَرِ فَكَانَ غَايَةُ مَا جَمَعَ مِنْهَا أَبُو هَلَالٍ أَلْعُسْكُرِيُّ  
أَلْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٣٩٥ هـ ( ١٠٠٥ م ) سَبْعَةَ وَثَلَاثِينَ نَوْعًا وَيُعْرَفُ  
كِتَابُهُ بِكِتَابِ أَلصَّنَاعَتَيْنِ . ثُمَّ جَمَعَ فِيهَا أَبُو الرِّشْقِ أَلْقَيْرَوَائِيُّ أَلْمُتَوَفَّى  
سَنَةَ ٤٥٦ هـ ( ١٠٦٣ م ) فِي أَلْعُمْدَةِ مِثْلَهَا وَأَضَافَ إِلَيْهَا خَمْسَةَ  
وَسِتِينَ بَابًا فِي أَحْوَالِ الشُّعْرِ وَأَغْرَاضِهِ . وَتَلَاهُمَا شَرَفُ الَّذِينَ  
أَلْتِفَافِيُّ فَبَلَغَ بِهَا أَلْسَبْعِينَ . ثُمَّ تَصَدَّى لَهَا أَلشَّيْخُ زَكِيُّ الدِّينِ بْنُ أَبِي  
أَلْأَضْبَعِ فَأَوْصَلَهَا إِلَى أَلتَّسْعِينَ وَأَضَافَ إِلَيْهَا مِنْ مُسْتَحْرَجَاتِهِ ثَلَاثِينَ  
سَلِمَ لَهُ مِنْهَا عَشْرُونَ . وَآجَرَى تِلْكَ أَلْأَنْوَاعَ فِي أَلْآيَاتِ أَلْقُرْآنِيَّةِ

وَسَمَاهُ التَّحْرِيرَ وَغَوَّاهُ كِتَابَ صُفِّ فِيهِ لِأَنَّهُ لَمْ يَتَّكِلْ عَلَى الثَّقَلِ  
 دُونَ النَّقْدِ . وَذَكَرَ أَنَّهُ وَقَفَ عَلَى أَرْبَعِينَ كِتَابًا فِي هَذَا الْعِلْمِ  
 وَالْبَدِيعَاتُ الْمَشْتَهَرَةُ هِيَ بَدِيعَةُ الشَّيْخِ الْأَدِيبِ صَفِيِّ الدِّينِ الْحَلِيِّ  
 سَمَاهَا كَافِيَةُ الْبَدِيعَةِ وَشَرَحَهَا شَرْحًا حَسَنًا . هَذَا حَدُّهُ الشَّيْخُ عَبْدُ  
 الرَّحْمَنِ الْحَمِيدِيُّ . وَبَدِيعَةُ أَبِي جَعْفَرٍ أَحْمَدَ الرَّغْنِيِّ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ  
 ٧٧٩ هـ (١٣٧٧ م) وَهَذِهِ الْبَدِيعَةُ تُعْرَفُ بِدِيعَةِ الْعُمَيَّانِ . وَبَدِيعَةُ  
 الشَّيْخِ شَمْسِ الدِّينِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ جَابِرِ الْأَنْدَلُسِيِّ الْمُتَوَفَّى  
 سَنَةَ ٧٨٠ هـ (١٣٧٨ م) وَبَدِيعَةُ الشَّيْخِ عَزْرِ الدِّينِ الْمَوْصِلِيِّ وَوَجِهُ  
 الدِّينِ أَلِيمَنِيِّ الْمُتَوَفَّى فِي حَدُودِ سَنَةِ ٨٠٠ هـ (١٣٩٨ م) وَبَدِيعَةُ  
 الشَّيْخِ تَقِيِّ الدِّينِ بْنِ حِجَّةِ الْحَمَوِيِّ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٨٣٧ هـ (١٤٣٣ م)  
 وَسَمَاهَا التَّقْدِيمُ تَشْتِمِلُ عَلَى مِئَةِ وَسِتَّةٍ وَثَلَاثِينَ نَوْعًا ثُمَّ شَرَحَهَا شَرْحًا  
 مُفِيدًا وَهُوَ مَجْمُوعُ آدَبٍ قَلَّ أَنْ يُوجَدَ فِي غَيْرِهِ . وَبَدِيعَةُ الشَّيْخِ جَلَّالِ  
 الدِّينِ السُّبُوطِيِّ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٩١١ هـ (١٥٠٠ م) وَتُسَمَّى نَظْمُ  
 الْبَدِيعِ ثُمَّ شَرَحَهَا . وَبَدِيعَةُ الْفَاضِلَةِ عَائِشَةَ الْبَاعُونِيَّةِ نَظَّمَتْهَا عَلَى  
 مِثَالِ قَصِيدَةِ الْحَمَوِيِّ مَعَ عَدَمِ تَسْمِيَةِ النَّوعِ . وَآتَى بَعْدَهَا الشَّيْخُ  
 عَبْدُ الْغَنِيِّ النَّابُيُّ وَنَظَّمَ قَصِيدَتَيْنِ أَلْزَمَ بِأَحَدَاهُمَا تَسْمِيَةَ النَّوعِ



بديعة الحوري الفاضل ارسانوس القاخوري

مدح بها السيد المسيح ورسله الاطهار

وهي مشتملة على مائة وثلاثين نوعاً مع التام تسمية النوع

براعة المطالع

بَرَاةُ الْمَدْحِ فِي نَجْمِ ضِيَاءِ سَمِي تَهْدِي بِمَطْلَعِهَا مَنْ عَنْ سَنَاهُ عَمِي

الجناس المطلق والمركب

تَطْلِيقُ هَمِي بِتَرْكِيبِ الْمَدِيحِ لَهُ رُخٌ لِي إِلَيْهِ بِهِ رُخِي كَذَا هَمِي

الجناس المذيل

سَنَاهُ فِي الْكَوْنِ بَاوٍ بِأَهْرٍ عَجِبٌ وَذَيْلُ الْكَوْنِ نُورًا أَحَقَّ الظُّلَمِ

الجناس اللاحق

دَرْبُ الْهُدَى مَنْ بِهِ قَدْ سَارَ الْحَقُّ كَمْ حَايِرٍ بِأَيِّ بِالرُّشْدِ مِنْهُ رُمِي

الجناس التام والمطرف

أَتَمَّ بِدَرْ السَّمَاءِ وَضَبَاحُهُ وَمَا فَإِنْ هَوَيْتُ بِهِ التَّطْرِيفَ لَمْ أَلَمْ

الجناس المصحف والمحرف

أَرَاخَ تَضْيِيفُهُ ذِهْنًا أَرَاخَ لَهُ تَحْرِيفُ قَوْلٍ غَدَا فِي الْحُكْمِ وَالْحِكْمِ

الافتنان

فَاقَ أَقْبَانِي وَمَدَّحِي فِي مَحَاسِنِهِ يَأْتَسُ عُمْرَ مَضَى بِالْمَدْحِ لَمْ يَقُمْ

المطابقة

فَلَمْ أَطَاقُ عَلَى بُعْدِ الْأَجَبَةِ بَلْ إِيَّيْ أَطَاقُ فِي قُرْبِي لِحَذَرِهِمْ

سلامة الاختراع

سَلَامَتِي فِي اخْتِرَاعِي نَظْمَ قَافِيَةٍ أَرْجُو بِهَا الظُّلَمَ فِي لُجْزَاءِ سِلْكِهِمْ

الاستعارة

إِنِّي اسْتَعَرْتُ حَيَاةَ الدَّمْعِ فِي سَفَرِي جَرِيًّا وَرَاءَ مَتَابٍ فِي سَبِيلِهِمْ

الجناس المعنوي

وَعُدْتُ بِأَنَّمْ أَبْنِ رَعْدِي ثُمَّ بِأَنَّمْ آبِي ائْتَحَقَّ يَامَعْنَوِيٍّ فِي أَهْوَى بِهِمْ

الاستطراد

مُسْتَطَرِدًا فِي هَوَاهُمْ خَيْلَ مُنْعَطِفِي كَأَدْمَعِي قَدْ جَرَتْ شَوْقًا لِقُرْبِهِمْ

الاستخدام

سَقَى إِلَاهُهُ أَحْيَاءَ خَيْلًا رَعْنَهُ قَدْ أَسَى تَحْدَمْتُهَا قَصْدَ إِذْرَاكِ لَوْضَلِهِمْ

التخيير

بِرَبْعِهِمْ قَدْ تَحَيَّرْتُ الْعَنَاءَ وَلَا مَ الْبَقَاءَ فِي سَعَةِ فِي غَيْرِ رَبْعِهِمْ

التذييل

أَذْهُ تَذْيِيلَ عَذَلٍ طَالَ وَنُكَّ كَفَى يَاعَاذِلِي الْعَذَلُ مَذْمُومٌ مِنَ الْأَمَمِ

الايذاء

وَعِنْدَ إِيدَاعِهِ سَمْعِي مَلَأَتْهُ مَزَجْتُ دَمْعًا جَرَى مِنْ مُقَلَّةٍ بِدَمِ

الجناس اللفظي وجناس القلب

قَدْ ضَلَّ رَأْيَا بِطَنْ ظَلَّ يَلْفِظُهُ قَالَ قَلْبُ مَا حَالَ مِنْ لَاحٍ عَنِ الدِّمَمِ

الاكتفاء

لَمْ يَكْتَفِ أَعَاذِلُ النَّمَامُ مِنْ حَيْلٍ فَكَمْ لَذَاكَ خَبَا لِلْعَاشِقِينَ كَيْي

التفويف

إِرْحَمْ وَدَعْ وَاتَّئِدْ وَاشْفَقْ وَلِنْ وَارْحْ فَوْفَ وَوَشَّ وَجَدَّ وَانْظِمْ وَوَقَّ وَهَمْ

الملفق

أَبَى تَوَالِي بِالْتَلْفِيقِ مِنْهُ كَمَا أَبَانَ وَالِي وَجَدَّ عَنْ وَلَائِهِمْ

الارقط

قَدْ خَابَ مَنْ مِنْهُ يُرْجُو خَطَّةٌ وَجَدَى وَشَانَ رَقُطٌ بِهِ قَدْ بَانَ مِنْ أَضْمٍ

الالتفات

فَمَا لَتَفَتْ إِلَى مَكْرِ بَتَوْشِيَّةٍ عَرَجَ رَكَابَكَ عَنْ تِيهِ إِلَى اللَّقَمِ

الجناس المقلوب المستوي

حَرْفَ أَخَا كَرْبٍ بَرَكَ أَخَا فَرَحٍ فَيَسْتَوِي الْقَلْبُ بِالْأَفْرَاحِ لَا الْقَسَمِ

المواردية

يَا لَأَنْعَمِي خَلٍ قَوْلًا فِي مُوَارَبَةٍ فَعَاقِلُ أَنْتَ يَا ذَا الْعَدْلِ فَاسْتَقِمِ

الالتزام

إِنِّي لَمُلْتِمٌ خُلْدًا بِحُجَّتِهِمْ حَتَّى أَلْمَأَايَا بِهَا عَيْشٌ لِصَبِيهِمْ

رد العجز على الصدر

يَوْمَ أَرَدْتُ عَلَى صَدْرِ الْمُخَاصِمِ نَجْزَهُ وَأُخْزِي الْعِدَى يَوْمَ أَلُوغِي بِهِمْ

المقابلة

إِنْ رُحْتُ مُزْعِجًا خَوْفًا بِمَسْئَلِهِمْ فَقَالُوا بِالْشِفَا وَالْأَمْنِ وَالنِّعَمِ

المراجعة

قَالَ أَسْلَهُمْ قُلْتُ حَاشَالِي فَوَاجِعِي فَقَالَ دَعَهُمْ فَقُلْتُ السَّعْ فِي صَمِّ

الغزل الذي يراد به الجد

بِالْجِدِّ هَا زَلْنِي وَالسَّمْعُ مُنْسَجِمٌ فَقَالَ أَرُوْا الظَّامَ مِنْ مَنَهْلٍ شَبِّمِ

القول بالموجب

قَوْلِي لَهُ مُوجِبٌ إِذْ قَالَ أَنْتَ لَهُمْ سَأَلِ فَقُلْتُ لِحُسْبِي مِنْ سَعِيرِهِمْ

المتراكم

قَدْ قَدْ قَدْ فَوَادِي عَضْبُ غَيْبَتِهِ مِنْهَا تَرَاكَمَتِ الْأَخْزَانُ مِنَ الْبُيْ



الاستدراك

فَقَالَ مَكْرًا بِسُئْمٍ أَنْتَ بَلْ شَغِلَ قَوْلْتُ مُسْتَدْرِكًا لَكِنْ بِشَقِيهِمْ  
المنافضة

إِنِّي أَنَا قُضُّ عَهْدِي لِلنَّحْبِ إِذَا مَا شَبْتُ أَوْعُدْتُ طِفْلًا بَعْدَ مَا هَرَمَ  
حسن الاتباع

حُسْنُ اتِّبَاعِهِمْ قَلْبِي أَصْطَفَاهُ هَوَى قَالِقَلْبُ عِنْدِي لِغَيْرِ الْعِشْقِ لَمْ يَقُمْ  
تشابه الاطراف

تَشْبِيهِ أَطْرَافِ أَقْوَالِي سَمَا بِهِمْ بِهِمْ مَدِيحِي غَدَا فِي أَبْلَغِ الْحَكَمِ  
السهولة

سُهُولَةُ النَّظْمِ تَحْلُو فِي مَدِيحِهِمْ لَا فِي مَدِيحِ الظُّبَا وَالْغَيْدِ لِلْحِشْمِ  
الجناس الحالي او المعجم

نَبَذْتُ تَفْنِينَ تَشْيِبُ بِذِي شَغَفَ يَفْتَنُ فِي غُثِّ جَفْنِ جُنَّ بِالْعَجَمِ  
التهكم

بِهِمْ رَأَى عِزَّهُ تَبَاهَا فَذَلَّ بِهِمْ تَهَكُّمًا قُلْتُ يَا بُشْرَاكَ بِالسَّدَمِ  
الحجاء في معرض المدح

بِمَعْرِضِ الْمَدْحِ قَدْ يَفْجُوكَ قَائِلُهُ مَا مِثْلُكُمْ بِاحْتِمَالِ الضَّرِّ وَالرَّغَمِ  
الابهام

كَمْ زَادَ إِيَّاهُمْ نُضْحِي ذَا الْعُدُولِ وَكَمْ يَأَلَيْتَ إِيَّاهُمَ فِي حَيْرِ الْقَدَمِ  
التزامه

تَرَهْتُ سَمْعِي بِحَقِّ عَنْ نَصَائِحِهِ إِذْ لَمْ أَرَ الْحَقَّ فِي قَوْلِهِ وَلَا كَلِمِ  
المغايرة

أَغَايِرُ النَّاسِ فِي حُيِّي لِذِي عَذَلٍ مُسْتَطَقًا فَهُ حُبًّا لِذِكْرِهِمْ

الجناس الموصل

نَفْسِي لَهُمْ عَشِقَتْ حُبَّائِهِمْ سَفِغَتْ قَحْبُهُمْ صِلَةٌ تُنْقِي بِهَا غُصَمِي

الاستثناء

أَهْوَى الْخُطُوبَ بِلاَ اسْتِثْنَائِهِمْ إِلَّا مَلَامَ عَذُولِي لِي لِأَجْلِهِمْ

الجناس المهل

كَلَّا إِلَإِلهَ أَمْرًا رَامَ الْوَدَادَ لَهُ وَأَهْمَلَ الْوَدَّ لِلْأَسْوَاءِ وَالْحَرَمِ

الجناس الاخيف

أَحَلَّهُ خَيْفَ سَعْدٍ فِي لَوْأٍ تُحْبِرُ كَسَا شَيْبَةً عُمَرُ جَبَّةَ السَّلَمِ

الالغاز

مِنْ مَرَمَرٍ الرُّشْدِ خُذْ شَطْرًا بِشَطْرٍ مِ يَمِينِ اللَّهِ مُنْجِمًا لِلْفَرْ تَفْتِهِمْ

الجناس المقطع

وَأَن أَرَدْتُ دَوَاءَ زُرْ ذَرَاهُ وَرُدُّ وَأَن أَرَدْتُ رَوَى دَعْ وَرَدَّ ذِي زَامٍ

المحاكاة

وَأَسْتَشْفِيهِ فِي التَّلَاحِجِي مُعْنًا نَظْرًا يَقُولُهُ قَالِيسًا مِلْكِي وَمِثْلُهُ رُمِ

الكلام الجامع

جُمُوعُ الْكَلَامِ إِذَا لَمْ يَشْتَمِلْ حِكْمًا لَمْ يُلْفَ مِنْ ذَاقَ فِيهِ لَذَّةُ الدَّسَمِ

الافتباس

مِنْ تَجَمُّعِ الشُّوْكِ هَلْ مِنْ يَجْتَنِي عَنَّا لَمْ تُقْبَسْ لَذَّةٌ مِنْ عَاطِلِ الْكَلِمِ

التوجيه

وَجْهٌ إِلَى الرَّبِّ نَعْمًا أَنْتَ تَابِعُهُ يَرْفَعُكَ مِنْ خَفْضِ رُتَبَاتٍ إِلَى الْعِظَمِ

عكس الاشارة

بِحَقِّ بَرٍّ قَعْمٌ لَا فِي إِشَارَتِهِ فَإِنَّ عَكْسَ أَسْمِهِ مَعْنَاهُ كَمَا لَعَلَّمِ

المطمع

قَدْ طَابَ لِلنَّفْسِ فِي الْأَسْوَءِ مَطْمَعُهَا بَلْ طَالَ فِيهَا وَلَمْ تَعْدِلْ إِلَى الْاَتَدَمِ

الرجوع

مَا لِي رُجُوعٌ إِلَى حَالِي لِأُضْلِحَهَا نَلَى إِذَا مَعَ هُدَى رَبِّي سَعَى قَدَمِي

عتاب النفس

يَا نَفْسِ عِمِّي وَالرَّعْوِي وَأَضْعِي إِلَى عَتَبِي حَتَّامٌ أَنْتِ بِجَهْلٍ غَيْرِ مُنْصَرِمٍ

التسليم

هِيَ لِزَعْمِكَ قَدْ سَلَّمْتُ مُرْتَضِيًا فَمَا يَكُونُ جَوَابِي يَوْمَ تُحْتَكَمِي

القسم

فَلَا أُنَلْتُ أَلْمَنِي إِنْ مَلْتُ مُتَبَعًا هَوَاكَ فِي غَيْرِ مَا أَهْوَى وَذَا قَسَمِي

حسن التخلص

فَرَعَيْتِي وَأَهْوَى حُسْنُ التَّخْلُصِ مِنْ إِيْمِي بِمَدْحٍ وَسِيطِ النَّاسِ كُلِّهِمْ

الأطراد

يَسُوعُ بِكَرُّ الْإِلَهِ ابْنُ الْبَتُولِ سَلَا لَهُ الْمُلُوكُ وَرَبُّ فِي أَطْرَادِهِمْ

حصر الجزئي والخاص بالكلّي

فَرَدُّ بِهِ تَحْصُرُ الْأَنْصَارِ أَجْمَعِهِمْ فَالْجُزْءُ يُلْحَقُ بِالْكُلِّيِّ لِلْعَظَمِ

المكس

نَفْسُ الْجَمَالِ جَمَالُ النَّفْسِ فِيهِ بَدَا يَاعْكَسُ مِنْ عَنْ سَنَاهَذَا الْجَمَالِ عِمِي

الماثلة

فَالْأَبَ مِثْلُهُ وَالرُّوحُ وَاقْفُهُ وَالْكُنْهَ شَارِكُهُ بِالْعَظَمِ وَالْقَدَمِ

التفسير

كُنْهٌ ثَلَاثِي أَقْنُومُ يُفَعِّرُهُ أَبٌ وَابْنٌ وَرُوحٌ فِي وَجْهِهِ

المذهب السكلاي

مَذْهَبِي فِي كَلَامِي مِنْهُ مُنْعِدَاتَا لَوْلَمْ يَصِرْ بَشَرًا لَمْ تَنْجُ مِنْ ضَرَمِ

المناسبة

لَاهُوتِهِ كَامِلٌ وَالطُّهْرُ نَاسَبُهُ نَاسُوتُهُ فَاضِلٌ فِي الْخَلْقِ وَالشِّيمِ

ارسال المثل

فَالْحَسَنُ فِي الْخَلْقِ أَرْبَى فِيهِ عَنْ مَثَلٍ وَأَفْضَلُ أَشْهَرُ مِنْ نَارٍ عَلَى عِلْمٍ

الترديد

فَهُوَ أَبَدِيٌّ لَنَا هَذَا أَبَدِيٌّ سَنَى بِهِ أَبَدِيٌّ حَلَا تَرْيِدُهُ بِقِي

التكرار

تَكَرَّرُ دُنْجِي بِمَا بِالْوَاهِبِ التَّعَمُّ مِ ابْنِ الْوَاهِبِ التَّعَمُّ ابْنِ الْوَاهِبِ التَّعَمُّ

الترتيب

لَهُ أَلَمْلَاثُكَ وَالْإِنْسَانُ أَجْمَعُ وَمَا سِوَاهُمْ فِي التَّرْتِيبِ كَلْخَدَمٍ

التشريع

لَمَّا انْحَنَى وَبَشَّرِيعَ الْفِدَاءِ بَدَا ثَلَاثَا أَلْمَنَى فَتَجَوَّنَا مِنْ رَدَى الْعَرَمِ

التكميل

أَوْقَى أَبَاهُ تَمَامًا دَيْنَ آدَمِ حَمْدًا لَهُ فَاقَ تَكْمِيلًا بِذَا الْكَرَمِ

الجناس المرفوع

هَيَّا مَدَارَ نَعِيمٍ قَدْ رَفَاهُ بِهِ وَطَمَّ دَارَ جَحِيمٍ خَالِكَ الظُّلَمِ

الجناس المثنق

هَدَى إِلَى الْمَنْجَى الْهَادِي بُنَاءَ هَدَى وَمِنْ هُدَاهُ الْخَلَّاصُ أَشْتَقَّ لِلْأَمِّ

القل

تَمَّتْ نُقُولُ بُنَوَاتٍ بِهِ وَمَضَتْ بِهِ الْخَلِيلُ نَجَا مِنْ وَابِلِ الضَّرَمِ

تشبيه شيتين بشيتين

شَتَانِ قَدْ أَشْبَهَا شَيْتَيْنِ فِيهِ لَنَا تَعَطُّفٌ وَنَدَى كَالْجَرِّ وَالْدِيمِ

التشطير

تَشْطِيرُ نَعْمَتِهِ مَا بَيْنَ أُمَّتِهِ كَاللَّحِ فِي عَظْمٍ قَدْ كَانَ فِي الْقِسْمِ

الطبي والنشر

فَالطِّي وَالنَّشْرُ وَالتَّبْدِيلُ عَ كَرَمٍ لِلْعُسْرِ وَالْيُسْرِ وَالْأَحْوَالِ وَالشِّيمِ

الايغال

فِي السَّغْيِ أَوْغَلَ فِي تَهْمِيدِهِ سُبُلًا إِلَى الْخَلَّاصِ بِحُبِّ غَيْرِ مُنْكَمِ

الاشارة

وَمِنْ إشاراتِهِ بِالْوَعْظِ كَمَا نَبَّهَتْ لَهُمْ قُفُونُ بِهَا زَادُوا بِرِهِمْ

الايياز

وَقَوْلُهُ مُوجَزٌ فِي ضَمِّ نَغْمِزَةٍ إِنْ تَالِ أَشْفَى وَآخِيًا بِأَلِي الرِّمِ

التوسيع

نُوسِعُ مَذْهَبِهِ فِي فَضْلِ سُنَّتِهِ مُثَبَّتِ الْأَبْجَدِينَ الْعَهْدِ وَالذِّمِ

التورية

وَكَمْ عُقُودَ لَهُمْ حَلَّتْ فَوَائِدُهُ بِحُسْنِ تَوْرِيَةٍ حَلَّتْ لِسَانَ قَمِي

النوادر

كَمْ مِنْ نَوَادِرٍ بَدَلِ مَا رَسَتْ يَدُهُ حَتَّى جَرَى دُمُهَا لِلْبَذْلِ كَالدِّيمِ

البسط

تَعَوَّدَ الْجُودَ مَعَ بَسْطِ إِرَاحَتِهِ لِلْعُودِ جَادَ بِهَا مَدًّا بِلَا سَقَمِ

الجمع مع التقسيم

حَمُّ تَقْسَمَ يَوْمَ الصَّلْبِ فِي فُرْقٍ مِنْ قَاتِلٍ وَمُهَيِّنٍ ثُمَّ مُسْتَقِمِ

الجمع

فَاجْلِدُوا الْهَزْرُ وَالْتَشِيمُ مَعَ عَذْلٍ إِهَانَةٌ نَاهَا مِنْ بَقِي جُوعِهِمْ

جناس البعض

بَعْضٌ حَمَاقَتُهُمْ زَادَتْ حَمَاسَتَهُمْ جَوْرًا وَبَعْضٌ كَكَلْبٍ كَالْبِئْسَ

المشوش

وَشَوْشُوا الْفِرْعَ مِنْ خَدَشٍ بِهَا مَتِ وَأَلْقَدُغُ فِي الْجَنِمِ وَالْكَفَيْنِ وَالْقَدَمِ

التقشيه

وَالْجَنِمُ إِنْ جِئْتُ تَشْبِيهَا لِحَالَتِهِ قُلْ كَالْجَلَالِ يُحَوَّلًا مِنْ نَكَالِهِمْ

تجامل العارف

تَجَاهَلَ النَّاسُ فِي عِرْقَانِ صُورَتِهِ قَالُوا أَسْقَمُ بِهِ أَمْ بِالنَّكَالِ رُي

المساواة

بِأَلَمَاتٍ سَاوَى أَلَمًا قِيَامَتُهُ فَأَوْضَحَتْ قُدْرَةَ الْأَلْهَوَاتِ كَالْعَلَمِ

التوهم

تَوَهُيمٌ قَلْبٍ جَلَّتْ بُشْرَى قِيَامَتِهِ جَلَّتْ بِنَصْرِ وَعَزَّتْ سَاعَةُ الْقُعْمِ

الجناس الكامل

وَبَعْدَمَا قَدْ قَضَى فَعَلَ الْجَمِيلِ إِلَى مِ الْعُلَا زَتْ قِيَا الْجَمِيلِ الْكَامِلِ الشِّمِ

الانسجام

وَمِنْ لَدُنْهُ الْمُعْزِي حَلٌ مُنْجِمًا عَلَى تَلَاوِيذِهِ كَاللُّسَنِ مِنْ ضَرَمِ

التسيم

تَسَهَّمُوا الْأَرْضَ لِلْبُشْرَى فَقَالَ لَهُمْ وَتَلِيدُوا عَمِدُوا كَلًّا مِنْ الْأَمْرِ

التمكين

جَالُوا بِتَنَكُّينَ عَزَمَ فِي بِشَارَتِهِمْ وَلَمْ يُيَاوُوا بِتَغْيِيبِ وَسَفْكَ دَمِ

الجناس المركب المجموع

جَادُوا بِأَنفُسِهِمْ حُبًّا كَمَا لَهُمْ وَجَمْعُ تَرْكِيْبِ فَضْلٍ فِي كَمَا لَهُمْ

الإرداف

وَأَرَدُوا الْغَزْمَ بَأْسًا اسْكَنُوهُ تَحَلٍّ مِ الْحَبِّ فِي السَّيْرِ لِلْبُشْرَى بِرَيْتِهِمْ

الاتساع

يَبِضُّ الْمَفَارِقُ بِلِ طَهْرُ الْنَفُوسِ هُمْ وَإِتْسَاعِ الْحِجَى فَازُوا بِقَصْدِهِمْ

الاستباع

يَسْتَتَبِعُونَ يَخْضُ الْتَضْحِ فَعِلْ هُدًى وَيَحْفَظُونَ تَقَاهُمْ حِفْظَ دِينِهِمْ

المردد

وَمِنْ مُرَدِّدٍ إِنْذَارٍ حَكْوُهُ فَذُو مِ الْهُوَى هَوَى كَذَلِكَ الْغَايِدُ الصَّخْمِ

الترصيع

هُمْ رَضَعُوا أَدَبًا مِنْ دُرِّ لَفْظِهِمْ كَمْ أَبَدَعُوا خُطْبًا فِي سِرِّ وَعَظِهِمْ

إيتلاف اللفظ مع الوزن

تَأَلَّفَ اللَّفْظُ مَعَ وَزْنٍ يَمْدَحُهُمْ لِرَيْتِهِمْ ضَمْنَ نَظْمٍ فِيهِ مُنْشَجِمٍ

إيتلاف اللفظ مع المعنى

الْلَفْظُ فِي الْمَدْحِ مَعَ مَعْنَاهُ مُؤْتَلَفٌ فَلِلْمَعَانِي تَرَى أَلَا لَفَاطَ كَالْخَدَمِ

الفرائد

وَكَمْ مِنْ فَرَائِدٍ دُرٍّ فِيهِ قَدْ نَظَمُوا عِقْدَ النَّشِيدِ فَأَعْجَبَ بِأَنْتِظَامِهِمْ

إيتلاف المعنى مع الوزن

تَوَلَّفَ الْوِزْنَ وَالْمَعْنَى تَسَانِدُهُمْ صَحِيحَةٌ عَذْبَةٌ فِي الْخَنِّ وَالنَّعْمِ

التسبيط

تَسْبِيْطُهُمْ دُرًّا أَضْحَى بِهِ غُرًّا أَمْسَى لَنَا قَرًّا فِي لَيْلَةِ الْغَمِّ

اِتِّلاَفُ اللَّفْظِ مَعَ اللَّفْظِ

وَاللَّفْظُ لِلْحَمْدِ فِي الْأَفْوَاهِ يُؤْتَلَفُ مَعَ لَفْظٍ مَدَحٍ بَدَأَ مِنْ أَلْسِنِ الدِّمِ  
الابداع

إِبْدَاعُ تَعْظِيمِهِمْ دَمْعِي جَلًّا وَحَلًّا إِيْدَاعُ نَثَرِهِمْ سَنَعِي كُتَّظِمُ  
التفريع

مَا نَسَنَةُ حَمَلَتْ وَسَكَ لَطَائِفُهَا يَوْمًا بِأَطِيبٍ وَنَ تَفْرِيعٍ فَضْلِهِمْ  
المدح في مرض الذم

فِي مَعْرِضِ الذَّمِّ مَذْحَاقٌ خَصَصْتُ جَمًّا لَا عَيْبَ فِيهِ سِوَى الْإِيْفَاءِ بِالذَّمِّ  
الجناس المرفل

وَبِأَلَا يَأْدِي أَيَْادِيهِمْ سَتَّ كَرَمًا فَرَّاحٌ يَرْفُلُ بِالْإِثْرَاءِ ذُو الْعَدَمِ  
الكناية

تَرَّاحُمُ لِعُقَاةٍ يُسْرِعُونَ إِلَى فَرَاتِهِمْ ذَا يُكْنِي عَنْ سَخَائِهِمْ  
التوزيع

عَلَى الْعُقَاةِ جَمِيعًا وَزَعُوا نَعْمًا فَعَادَ أَعْوَزُهُمْ بِالْعَزِّ وَالْعَظَمِ  
الاشتراك

سَادُوا بِصَدْرِ غَدَا بِالْعَزِّ شَتَرَكَأَ صَدْرُ الْجُلُوسِ عَلَى كُرْسِيِّ قَضَائِهِمْ  
الموازنة

مُؤَاوِزِينَ وَاتِنِ مُسْتَرْكِينَ حَسَنٍ مُسْتَعْلَنَ قَاتِنِ مُسْتَمْتَكِنٍ فَجِهَ  
المؤتلف والمختلف

فَجَمْعُ يُؤْتَلَفُ فِيهِمْ وَتُخْتَلَفُ حُكْمًا وَفَضْلًا فَيَسْمَعُ أَنْ بِذَلِكَ سَمِي  
الايضاح

مَا يَبْنِيهِمْ صَخْرَةٌ لِلْحَقِّ مُوضِحَةٌ بَنَى الْمَسِيحُ عَلَيْهَا بَيْتَ جَمْعِهِمْ



الطاعة والمعصيان

فَمَنْ يُطِيعِ حُكْمَهُ يُرْحَمْ لَدَى شَجَبٍ وَمَنْ عَصَى أَمْرَهُ يُجْزَمَ مِنَ النَّعَمِ

حسن النسق

نَثَرِي يُنَاسِقُهُمْ شِعْرِي يُطَاقُهُمْ تَغْرِي يُوَاقِقُهُمْ فِي مَدَحٍ رَدِّهِمْ

التجزئة

أَرَيْتُ فِي هَمِي جَزَأْتُ فِي كَلْبِي رَوَيْتُ فِي قَلْبِي أَرَوَيْتُ كُلَّ ظَمِي

التوازن

تَوَازَنَتْ حِكْمِي حُدَا لِمُنْصَحٍ مَلَا زِمَا مَدَحُهُ ظَلَمًا بِمُنْصَحٍ

التسميع

مَنْجِي وَمُنْتَظِي مَدَحًا حَلَا بِفِي حَاكَيْتُ فِي رَغِي الشُّحُورَ بِالنَّعَمِ

الاتفاق

يُسُوعُ وَأَسْمُهُ فِي تَخْلِيصِنَا اتَّفَقَا فَهَوَ الْخَلِصُ لِلْإِنْسَانِ مِنْ يَقَمِ

الاعتراض

فَلَا أَعْتَاضَ عَلَيْنَا فِي عِبَادَتِهِ وَهُوَ الْإِلَهِ وَنَ يَبْذُهُ يَعْتَصِمِ

العنوان

بِهِ السَّفِينَةُ نَجَّتْ نُوحٌ وَهِيَ غَدَتْ غُنْوَانٌ يَبْعَثُهُ ثُوقِي مِنَ الْعَرَمِ

الترشيح

فَخَلَّ مَرْكَبَ تِيهِ حِينَ رَكَّبَهَا فَكَمْ تَرَشَّحَ مِنْهَا الرُّشْدُ فِي الظُّلَمِ

التلميح

تَلْمِيحٌ تَعْلِيْمَهَا ذَاكَ السِّرَاجُ بِهِ يَهْدِي وَفِي السُّجِّ إِشْرَادٌ إِلَى اللَّقَمِ

التسميع

تَتِمِّمُ سِرَّ الْغِدَا وَالْحَبَّ سَلَمَهَا يَأْسَعِدَهَا وَأَضْحَلَّ الْبُؤْسُ بِالنَّعَمِ

التصريح

تَصْرِيعُ أَبَوَيْهَا يُورِي مِنَ الْخَصِمِ قَالُوا دَاخِلَهَا كَالْوَرْدِ فِي الْأُظْمِ

التعريف

يَنَالُ صَوْبَ أَحْيَا مِنْ بَسْطِ رَاحَتِهَا مَنْ قَدْ تَجَرَّدَ عَنْ كُفْرِ بَرِيهِمْ

المعنى

حَوَى أَرْجَحَ بَهَارِ قَلْبِهِ وَسَمَا مِنْ شَيْءٍ يَهْتَدِي مَنْ عَنْ غِنَاهُ عَمِي

التعريض

تَطْوِيلُ تَعْرِيزِ هَاجِيهَا يُعْظِمُهَا وَالْبَعْضُ لِلْحَقِّ مَكْرُوهٌ كَذِي أَضْمِ

التنكير

دَعِ الْمُسْكِتَ إِذْ فِي ذِي السَّكِينَةِ وَدَهَا نَجْمَةٌ مِنَ الطُّوفَانِ وَالضَّرَمِ

التوشيح

قَالَ رَبُّ وَشَحْمَا مِنْ عِصَّةٍ حُلَلَا أَوْقَتْ حُطًى حُكَيْمًا مِنْ رَلَّةِ الْقَدَمِ

تنسيق الصفات

فَأَمْجَدُ لَهُ عِنْدَ تَنْسِيقِ الصِّفَاتِ وَقُلْ رَبُّ إِلَهٌ قَدِيرٌ كَاوِلُ السَّيَمِ

التعطف

فَاخْتَارَ ذَلِكَ الصَّفَا رَأْسًا وَقَالَ لِذَا الْخُتَارِ كُنْ رَاعِيًا وَأَعْطِفْ عَلَى النِّعَمِ

العقد

مَهْمَا تَحُلْ بِأَرْضٍ يَتَحَلَّلُ بِسَمَا وَمَا رَبَطْتَ بِعَقْدِ الرِّبْطِ وَمِنْكَ رُمِي

التعليل

لَوْ لَمْ يَحِثْنَا بِتَغْلِيلِ تَجَسُّدِهِ مِنْ مَرِيَمَ مَا شَفِينَا مِنْ ضَنْى السَّقَمِ

الجاز

هِيَ الْجَازُ لِإِدْرَاكِ الشِّقَاءِ هِيَ الْعَرْشُ الرَّفِيعُ وَبُرْجُ الْبَارِئِ السَّمِ

المبالغة

بِهَا خَلَاصُ جَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ وَإِنْ أَرَدْتَ بَالِغَ وَقُلْ بَلْ سَائِرِ الْأُمَمِ

التوليد

لِكُلِّ هَوْلٍ طَرَا تُرْجَى شَفَاعَتُهَا نَالَ الْعِبَادُ بِهَا تَوَلِيدَ أَمْنِهِمْ

الاغراق

لَوْ تَابَ إِبْلِيسُ يُبْنِي مَاءَ نِعْمَتِهَا لَاغْرَقَتْهُ بَيَّارٌ مِنَ النِّعَمِ

الغلو

فَقَطْرَةٌ مِنْ نَدَاهَا لَا غُلُوَ بِهَا تَكَادُ تُخَيِّرِمِيَا صَارَكَ الْعَدَمِ

التضمين

وَعَاقِبَتُهَا فَاقَ فِي حُسْنٍ تَضَمَّنَتْ وَإِنَّهُ خَيْرُ خَلْقِ اللَّهِ كُؤُلُومِهِمْ

المدح المفرغ

يَسْمُو الْمَدِيحُ بِتَفْرِيعِهَا لَطَلَتْهَا سُمُو خَلْقِ حَوْتٍ بِالْجَلَمِ مُلْتَمِمْ

التعديد

نَعِيدُ أَفْضَالِهَا يُبْدِي لِسَامِعِهِ طُهْرًا وَبِرًّا وَحِلْمًا مَعَ عَلَى الشِّيمِ

التهديب والتأديب

تَهْدِيبُ تَأْدِيبِهَا قَدْ زَادَنَا عَجَبًا بِصَبْرِهَا حِينَ تَعْدِيبِ أَبْنِيهَا الْعَلَمِ

التفصيل

فِي شَرْحِ آيَاتِهِ التَّفْصِيلُ مُتَّسِعٌ يَكُلُّ عَنْ شَرْحِهَا ذَوَا أُنْفُسِهِمْ وَالْحُكْمِ

ايتلاف المعنى مع المعنى

وَضَلُّ وَقَضْلٌ لَهُ لِلْمُعْضِينَ غَدَا تَأْتِي نَحْوُ صِدِّيقٍ وَنَجِيمِ

التوكيد

لَهُ الْقَضَاءُ بِتَوْكِيدِ يَدَيْنِ بِهِ أَمَا تَعِي أَنَّهُ الدِّيَانُ لِلْأَمَمِ

صناعة التنويع

تَنْوِيعُ سَطَوْتِهِ يَوْمَ الْحَاجِّ كَاللَّيْلِ كَالسَّيْفِ كَالْجَبَّارِ كَالضَّرَمِ  
المساكلة

يَجْزِي إِسَاءَةً شَانِيَةً بِسَيِّئَتِهِ يُشَاكِلُ الْحَيَرَ حَيْرًا حُفًّا بِالْكَرَمِ  
مجنح القلب

مُذْنِ لَصْفِ جَنَاحِ أُنْقَابٍ عَاطِفُهُ إِذَا رَأَى تَوْبَةً وَالْذَّمْعُ فِي نَدَمِ  
الحمع مع التفريق

فِي وَجْهِهِ النُّورُ لِلْأَصْحَابِ يَشْمَأْهُمْ وَلِلْعِدَا النَّارُ فِي تَفْرِيقِ جَمْعِهِمْ  
مراعاة النظير

وَجْهَ السَّمَاءِ بِهِ كَالْبَرْقِ مُلْتَمِعٌ رَأَى التَّظْيِيرَ بِوَجْهِهِ لِلطَّبَاءِ سَمِي  
التفريق

قَالُوا هُوَ أَلَمْلُكُ وَالتَّفْرِيقُ يُظْهِرُ لِي قَدْ ذَكَ قَانَ وَهَذَا غَيْرُ مُنْعَدِمِ  
السب والایجاب

لَا يُوجِبُ السَّلْبَ فِي إِعْزَازِ عُصْبَتِهِ وَيُوجِبُ الذِّلَّ لِلْأَشْرَارِ فِي الْقَعَمِ  
المتقارب

أَرْجُو التَّقَارُبَ مِنْ أَعْدَادِ زُمَرَتِهِ لَا مِنْ عَدِيدِ الْعِدَا فِي الْحُسْرِ وَالزَّحَمِ  
حسن البيان

حُسْنُ أَلْبَيَانٍ بِنُورٍ مِنْهُ أَرَشَدَنِي إِلَى التَّقَرُّبِ مِنْ أَوْلَيْكَ الْخَدَمِ  
المراوغة

إِذَا تَرَاوَجَ هَمِّي وَأَهْبَجْتُ لَهُ بِالْمَدْحِ قُزْتُ وَوَقَّانِي مِنَ الْقَعَمِ  
الاستعانة

مَا سَامَنِي الدَّهْرُ ضَيْمًا وَاسْتَعْنَتْ بِهِ إِلَّا وَنَلْتُ جَوَادًا مِنْهُ لَمْ يُضْمِ

التقسيم

قَالَ كُونَ قَدْ عَمَّ تَقْسِيمُ أَنْعِيهِ جِنْسًا وَنَوْعًا وَفَرْدًا وَهُوَ فِي شَمِّهِ

التشيل

تُرْبِي عَلَى السَّيْلِ فِي التَّمْثِيلِ نِعْمَتُهُ شَتَّانَ مَا بَيْنَ طَلٍّ وَآخِلَاءِ الْعَرَمِ

نبي الشيء بإيجابه

لَا يَلْتَفِي الْجُودُ مِنْ إِجَابِهِ أَبَدًا وَلَا يَشِينُ بِنِ رَوْقِ الْقَعَمِ

مختم الطرفين

مِنْ فَضْلِهِ آرَتْحِي تَحْتِيهِ طَرْفِي قَضَيْتِي فِي الْقَضَا بِالْجَدِّ وَالْعِظَمِ

التضمين المزدوج

تَضْمِينُ حَمْدِي لَهُ لِلْفَضْلِ مُزْدَوِجًا عَقْلًا وَنَقْلًا جَنَانِي جَاءَهُ وَفِي

الموارد

تَوَارَدَ الْفِكْرُ فِي مَدْحِ الْأَزْمَةِ لِمَنْ غَدَا لِلْخَلَاصِي خَيْرَ مُلْتَمِمْ

التطريز

طَطْرِزُ حَمْدِي بِمَدْحِي فِيهِ مُلْتَحِمٌ يَأْخُضُنْ مُلْتَحِمٌ يَأْخُضُنْ مُلْتَحِمٌ

الاحتداس

إِلَيْكَ جِثْتُ أَيَا مَوْلَايَ مُنْسَحِمًا قَلْبًا وَمُخْتَرَسًا خُذْنِي مِنَ الْخُدَمِ

المصغر

مُقَيِّسَتِي مِنْ زُلَيْلَاتِ جَنَّتْ صَغُرْتُ وَلِي عَزِيْمِي مُهَيَّرِيَا وَلَمْ يَقُمْ

التدبيح

قَازَرَقَ أَبْيَضٌ وَجْهِي حِينَ دَجَبَهُ سَوَادُ رَأْيِي بِصَنْغٍ فِيهِ مُشَمِّمٌ

المضارع

وَبِأَضْطِرَابِ جَنَانٍ وَأَضْطِرَامِ حَشَا نَارَعْتُ ذَا زَلَّةٍ فِي يَوْمٍ مُحْتَكَمِ

التصريف

فَأَلْقَلْتُ حَرَقَهُ التَّصْرِيفُ فِي عِلَلٍ وَأَلْجَفْتُ قَرَحَهُ التَّذْمِيعُ فِي نَذَمٍ

براعة الطلب

بَرَأَتْنِي فِي مَدِيحِي مُتَّعَى طَلَبِي قَالَسَالَ سَخَاكَ فَلَمْ أَخْتَجْ إِلَى الْكَلِمِ

الادماج

أَدْنَجْتُ فِي مَدْحِهِ شُكُورَايَ مِنْ رَأَلِي وَعَسَجَدُ الْخَدَمِينَ ذَا الدَّمْعِ كَأَلْعَمِ

الحذف

أَرُومُ مِنْهُ أَنْبَصَارًا حَاقِفًا هَلَمَّا وَعَاضِدًا وَقْتَ هَوْلِ الْخُسْرِ وَالْتِقَمِ

التاريخ

بِهِ الْأَيْمُ جَنَى بِرًا فَقُلْتُ بِهِ مُذْ أَرَّخُوهُ لَنَا بِالْبَرِّ مُقْتَنِي \*

حسن الختام

بِهِ غَدَا فِي عِلَافٍ حُسْنُ مُبْتَدَايَ هَبْنِي بِهِ يَا إِلَهِي حُسْنَ مُحْتَسَبِي

ختم الختام

وَأَخْتِمْ خِتَامِي بِأَنْ أَحْطَى بِمَطْلَعِكَ مَ الْبَاهِي بِجَذْرِ السَّنَى يَا مُرْشِدَ الْأَمَمِ



\* قوله : ( لنا بالبر مقتني ) تاريخ بحساب الجمل السنة التي فيها نظمت

هذه البديعة وهي سنة ١٨٥٨

## البحث السادس

### في المطابقة

( من المثل السائر لابن الاثير باختصار وتصرف )

( راجع صفحة ٩٤ من علم الادب )

هَذَا النَّوعُ هُوَ فِي أَلْمَعَانِي ضِدُّ التَّجْنِيسِ فِي الْأَلْفَاظِ لِأَنَّ التَّجْنِيسَ هُوَ أَنْ يَتَّحِدَ اللَّفْظُ مَعَ اخْتِلَافِ الْمَعْنَى وَهَذَا هُوَ أَنْ يَكُونَ أَلْمَعْنِيَانِ ضِدَّتَيْنِ . وَقَدْ أَجْمَعَ أَرْبَابُ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ عَلَى أَنَّ أَلطَّابِقَةَ فِي الْكَلَامِ هِيَ الْجَمْعُ بَيْنَ الشَّيْءِ وَضِدِّهِ كَالسَّوَادِ وَالْبَيَاضِ وَاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ . وَخَالَفَهُمْ فِي ذَلِكَ قَدَامَةُ بْنُ جَعْفَرٍ الْكَاتِبُ فَقَالَ أَلطَّابِقَةُ إِيرَادُ لَفْظَيْنِ مُتَسَاوِيَيْنِ فِي الْبِنَاءِ وَالصِّغَةِ مُخْتَلِفَيْنِ فِي الْمَعْنَى . وَهَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ هُوَ التَّجْنِيسُ بِعَيْنِهِ . غَيْرَ أَنَّ الْأَسْمَاءَ لَا مُشَاحَةَ فِيهَا إِلَّا إِذَا كَانَتْ مُشْتَقَّةً . وَلَنَنْظُرُ نَحْنُ فِي ذَلِكَ وَهُوَ أَنْ نَكْشِفَ عَنْ أَصْلِ أَلطَّابِقَةِ فِي وَضْعِ اللَّغَةِ وَقَدْ وَجَدْنَا أَلطَّبَاقَ فِي اللَّغَةِ مِنْ طَابِقِ الْبَعِيرِ فِي سَيْرِهِ إِذَا وَضَعَ رِجْلَهُ مَوْضِعَ يَدِهِ وَهَذَا يُؤَكِّدُ مَا ذَكَرَهُ قَدَامَةُ لِأَنَّ أَلْيَدَ غَيْرُ الرِّجْلِ لَا ضِدُّهَا وَالْمَوْضِعُ الَّذِي يَقَعَانِ فِيهِ وَاحِدٌ وَكَذَلِكَ أَلْمَعْنِيَانِ يَكُونَانِ مُخْتَلِفَيْنِ وَاللَّفْظُ الَّذِي يَجْمَعُهُمَا وَاحِدٌ . فَقَدَامَةُ سَمَّى هَذَا النَّوعَ مِنَ الْكَلَامِ مُطَابِقَةً حَيْثُ كَانَ الْأَسْمُ مُشْتَقًّا بِمَا سُمِّيَ بِهِ وَذَلِكَ مُنَاسِبٌ وَوَاقِعٌ فِي مَوْقِعِهِ إِلَّا أَنَّهُ جَعَلَ لِلتَّجْنِيسِ اسْمًا آخَرَ وَهُوَ أَلطَّابِقَةُ وَلَا بَأْسَ بِهِ إِلَّا إِنْ كَانَ مِثْلَهُ بِالضِدَّتَيْنِ كَالسَّوَادِ وَالْبَيَاضِ فَإِنَّهُ يَكُونُ قَدْ خَالَفَ الْأَصْلَ الَّذِي

أَصْلُهُ بِالْمَثَالِ الَّذِي مَثَلَهُ . وَأَمَّا غَيْرُهُ مِنْ أَرْبَابِ هَذِهِ الصَّاعَةِ فَانْتَهَمُوا  
سَمَوْا هَذَا الضَّرْبَ مِنَ الْكَلَامِ طَائِقًا لِعَظِيمِ أَشْقَاتِهِ وَلَا مُنَاسَبَةً بَيْنَهُ  
وَبَيْنَ مُسَمَّاهُ . هَذَا الظَّاهِرُ لَنَا مِنْ هَذَا الْقَوْلِ إِلَّا أَنْ يَكُونُوا عَلِيمُوا  
لِذَلِكَ مُنَاسَبَةً لَطِيفَةً لَمْ تَعْلَمْنَاهَا خُبْرًا . وَلَنَرْجِعَ إِلَى ذِكْرِ هَذَا الْقِسْمِ  
مِنَ التَّلَافُيفِ وَبَيَاضِ حَقِيقَتِهِ فَقُولُ : الْآلِيقُ مِنْ حَيْثُ أَلْمَعْنَى أَنَّ  
يُسَمَّى هَذَا التَّنَوُّعَ الْمُقَابَلَةَ لِأَنَّهُ لَا يَخْلُو الْحَالُ فِيهِ مِنْ وَجْهَيْنِ : إِمَّا  
أَنْ يُقَابَلَ الشَّيْءُ بِضِدِّهِ أَوْ يُقَابَلَ بِمَا لَيْسَ بِضِدِّهِ . وَلَيْسَ لَنَا وَجْهٌ  
ثَالِثٌ . ( فَمَا الْأَوَّلُ ) وَهُوَ مُقَابَلَةُ الشَّيْءِ بِضِدِّهِ كَالسَّوَادِ وَالْبَيَاضِ  
وَمَا جَرَى مَجْرَاهُمَا فَإِنَّهُ يَنْقَسِمُ قِسْمَيْنِ : أَحَدُهُمَا مُقَابَلَةٌ فِي اللفظِ  
وَالْمَعْنَى وَالْآخَرُ مُقَابَلَةٌ فِي الْمَعْنَى دُونَ اللفظِ . أَمَّا الْمُقَابَلَةُ فِي اللفظِ  
وَالْمَعْنَى فَكَقَوْلِهِ : فَيُضْحِكُوا قَلِيلًا وَلَيَكُونُوا كَثِيرًا . فَقَابِلُ بَيْنَ  
الصَّحِيحِ وَالْبُكَاءِ وَالْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ . وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ : لِكَيْلَا تَأْخُذُوا  
عَلَى مَا قَاتَكُمُ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُم . وَهَذَا مِنْ أَحْسَنِ مَا يَجِيءُ  
فِي هَذَا الْبَابِ . وَقَالَ أَيْضًا : خَيْرُ أَلْمَالِ عَيْنٌ سَاهِرَةٌ لِعَيْنٍ نَائِمَةٍ .  
وَمِنْ أَحْسَنِ الْمَطْبُوعِ الَّذِي لَيْسَ بِمُتَكَلِّفٍ قَوْلُ عَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ : إِنْ  
أَلْحَقْتُ ثَقِيلُ مَرِيٍّ وَالْبَاطِلُ خَفِيفُ وَيٍّ وَأَنْتَ رَجُلٌ إِنْ صُدِقْتَ  
سَخِطْتَ وَإِنْ كُذِّبْتَ رَضِيتَ . فَقَابِلُ الْحَقِّ بِالْبَاطِلِ وَالثَّقِيلِ بِالرَّيِّ  
بِالْخَفِيفِ أَلْوِيٍّ وَالصِّدْقَ بِالْكَذِبِ وَالسُّخْطَ بِالرِّضَا وَهَذِهِ حَسُ  
مُقَابَلَاتٍ فِي هَذِهِ الْكَلِمَاتِ الْقَصَارِ . وَكَذَلِكَ وَرَدَ قَوْلُهُ لَمَّا قَالَ  
الْخَوَارِجُ : ( لَأَحْكَمَ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى ) : هَذِهِ كَلِمَةٌ حَقٌّ أُرِيدَ بِهَا بَاطِلٌ .



وَقَالَ الْحَجَّاجُ بْنُ يُوسُفَ لِسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ وَقَدْ أَحْضَرَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ  
لِيَقْتُلَهُ فَقَالَ لَهُ : مَا أَسْمُكَ . قَالَ : سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ . قَالَ بَلْ أَنْتَ  
شَقِيٌّ بْنُ كُسَيْرٍ . وَقَدْ كَانَ الْحَجَّاجُ مِنَ الْفُصَحَاءِ الْمَعْدُودِينَ وَفِي  
كَلَامِهِ هَذَا مُطَابَقَةٌ حَسَنَةٌ فَإِنَّهُ نَقَلَ الْأَسْمَاءَ إِلَى ضِدِّهَا فَقَالَ :  
فِي (سَعِيدٍ) شَقِيٌّ . وَفِي (جُبَيْرٍ) كُسَيْرٌ . وَهَذَا التَّنَوُّعُ مِنَ الْكَلَامِ  
لَمْ يَخْتَصَّ بِهِ اللَّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ دُونَ غَيْرِهَا مِنَ اللُّغَاتِ . وَبِمَا وَجَدْتُهُ فِي  
لُغَةِ الْفُرسِ أَنَّهُ لَمَّا مَاتَ قَبَادُ أَحَدُ مُلُوكِهِمْ قَالَ وَزِيرٌ : حَرَكْنَا  
بِسُكُوتِهِ . وَأَوَّلُ كِتَابِ الْفُضُولِ لِبُقْرَاطٍ فِي الطِّبِّ قَوْلُهُ : أَلْعَمْرُ  
قَصِيرٌ وَالْإِصْبَاعَةُ طَوِيلَةٌ . (وَأَمَّا الْمُقَابَلَةُ فِي الْمَعْنَى دُونَ اللَّفْظِ فِي  
الْأَضْدَادِ) فَمِمَّا جَاءَ مِنْهُ قَوْلُ الْمُفَنَّنِ الْكِنْدِيِّ مِنْ شِعْرَاءِ الْحِمَاسَةِ :  
لَهُمْ جُلٌّ مَالِي إِنْ تَتَابَعَ لِي غَنَى وَإِنْ قَلَّ مَالِي لَمْ أَكْفِلْهُمْ رَفْدًا  
فَقَوْلُهُ : (تَتَابَعَ لِي غَنَى) . بِمَعْنَى قَوْلِهِ : كَثُرَ مَالِي فَهُوَ إِذَا مُقَابَلَةٌ  
مِنْ جِهَةِ الْمَعْنَى لَا مِنْ جِهَةِ اللَّفْظِ لِأَنَّ حَقِيقَةَ الْأَضْدَادِ اللَّفْظِيَّةَ إِنَّمَا  
هِيَ فِي الْمَفْرَدَاتِ مِنَ الْأَلْفَاظِ نَحْوُ : قَامَ وَقَعَدَ . وَحَلَّ وَعَقَدَ . وَقَلَّ  
وَكَثُرَ . فَإِنَّ الْقِيَامَ ضِدُّ الْقُعُودِ . وَالْحَلَّ ضِدُّ الْعَقْدِ . وَالْقَلِيلَ ضِدُّ  
الْكَثِيرِ . فَإِذَا تَرَكْنَا الْمَفْرُودَ مِنَ الْأَلْفَاظِ وَتَوَصَّلْنَا إِلَى مُقَابَلَتِهِ بِلَفْظٍ  
مُرَكَّبٍ كَانَ ذَلِكَ مُقَابَلَةً مِنْ جِهَةِ الْمَعْنَى لَا مِنْ جِهَةِ اللَّفْظِ كَقَوْلِ  
هَذَا الشَّاعِرِ : (تَتَابَعَ لِي غَنَى) . فِي مَعْنَى (كَثُرَ مَالِي) وَهَذِهِ مُقَابَلَةٌ  
عَنَوِيَّةٌ لَا لَفْظِيَّةٌ فَاعْرِفْ ذَلِكَ . (وَأَمَّا مُقَابَلَةُ الشَّيْءِ بِمَا لَيْسَ بِضِدِّهِ .  
فَهِيَ أَضْرَابَانِ : (أَحَدُهُمَا) أَنْ لَا يَكُونَ مِثْلًا . (وَالْآخَرُ) أَنْ

يَكُونُ مِثْلًا . فَالضَّرْبُ الْأَوَّلُ يَتَقَرَّعُ إِلَى قَرَعَيْنِ : ( الْأَوَّلُ ) مَا كَانَ بَيْنَ الْمُقَابِلِ بِهِ وَالْمُقَابِلِ نَوْعٌ مُسَاسِبَةٌ وَتَقَارُبٌ . كَقَوْلِ قُرَيْطِ ابْنِ أُنَيْبٍ :

يَجْزُونَ وَنَ ظُلْمِ أَهْلِ الظُّلْمِ مَغْفِرَةٌ      وَمِنْ إِسَاءَةِ أَهْلِ السُّوءِ إِحْسَانًا  
فَقَابِلَ الظُّلْمِ بِالْمَغْفِرَةِ وَلَيْسَ هُوَ ضِدًّا لَهَا . إِلَّا أَنَّهُ لَمَّا كَانَتْ الْمَغْفِرَةُ قَرِيَّةً مِنَ الْعَدْلِ حَسُنَتْ الْمُقَابَلَةُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الظُّلْمِ . ( الْفَرْعُ الثَّانِي )  
لَمَّا كَانَ بَيْنَ الْمُقَابِلِ وَالْمُقَابِلِ بِهِ بَعْدُ وَذَلِكَ بِمَا لَا يَحْسُنُ اسْتِعْمَالُهُ .  
كَقَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ الْمُنْتَبِي :

لَمَنْ يَطْلُبُ الدُّنْيَا إِذَا لَمْ يَرْضَ بِهَا      سُرُورَ حُبٍّ أَوْ مَسَاءَةَ مُجْرِمٍ  
فَإِنَّ الْمُقَابَلَةَ الصَّحِيحَةَ بَيْنَ الْحُبِّ وَالْبُغْضِ لَا بَيْنَ الْحُبِّ وَالْمُجْرِمِ  
وَبِمَا يَتَّصِلُ بِهَذَا الضَّرْبِ ضَرْبٌ مِنَ الْكَلَامِ يُسَمَّى الْمُؤَاخَاةَ بَيْنَ  
الْمُعَانِي وَالْمُؤَاخَاةَ بَيْنَ الْمُبَانِي وَكَانَ يَنْبَغِي أَنْ نَعْقِدَ لَهُ بَابًا مُفْرَدًا  
لَكِنْ إِذْ رَأَيْنَاهُ يُنْظَرُ إِلَى التَّقَابِلِ مِنْ وَجْهِ وَصَلَاتِهِ بِهِ . أَمَّا الْمُؤَاخَاةُ  
بَيْنَ الْمُعَانِي فَهُوَ أَنْ تَذْكُرَ الْمُعْنَى مَعَ أَخِيهِ لَامَعَ الْأَجْنَبِيِّ . وَمِثَالُهُ  
أَنْ تَذْكُرَ وَضْعًا مِنَ الْأَوْصَافِ وَتَقْرُنَهُ بِمَا يَقْرُبُ مِنْهُ وَيَتَشَبَّهُ بِهِ  
فَإِنْ ذَكَرْتَهُ مَعَ مَا يَبْعُدُ مِنْهُ كَانَ ذَلِكَ قَدْحًا فِي الصَّنَاعَةِ وَإِنْ  
كَانَ جَارِئًا . وَقَدْ رَأَيْتُ أَبَا نُوَّاسٍ يَقَعُ فِي هَذَا الْغَلَطِ كَثِيرًا كَقَوْلِهِ  
فِي وَصْفِ الدَّيْكَ :

لَهُ اعْتِدَالٌ وَأَنْتَصَابٌ قَدْ      وَجَلَدُهُ يُشَبِّهُ وَشْيَ الْبَرْدِ  
كَأَنَّهَا الْهُدَابُ فِي الْفَرْنِندِ      مُحْدَوِبُ الظُّهْرِ كَرِيمُ الْجَدِّ

فَإِنَّهُ ذَكَرَ الظَّهْرَ وَقَرَنَهُ بِذِكْرِ الْجَدِّ وَهَذَا لَا يُنَاسِبُ هَذَا لِأَنَّ  
الظَّهْرَ فِي جُمْلَةِ الْخَلْقِ وَاجْدٌ فِي النَّسَبِ . وَأَمَّا ( الْمُواخَاةُ بَيْنَ الْمَبْنِيِّ )  
فَلَهُ يَتَعَلَّقُ بِمَبْنِي الْأَلْفَاظِ . فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ مُسْلِمٍ بْنِ الْوَلِيدِ :  
فَازْهَبْ كَمَا ذَهَبَتْ غَوَادِي مُرْتَهَ يُشْنِي عَلَيْهَا السَّهْلُ وَالْأَوْعَارُ  
وَالْأَحْسَنُ أَنْ : يُقَالَ السَّهْلُ وَالْوَعْرُ أَوْ السُّهُولُ وَالْأَوْعَارُ .  
لِيَكُونَ الْإِنْبَاءُ الَّلَفْظِيُّ وَاحِدًا أَيْ أَنْ يَكُونَ الَّلَفْظَانِ وَارِدَيْنِ عَلَى  
صِیْغَةِ الْجَمْعِ أَوْ الْأَفْرَادِ . وَإِذَا أَنْصَفْنَا هَذَا الْمَوْضِعَ وَجَدْنَا النَّاسَ مُطَالِبًا  
بِهِ دُونَ النَّاسِطِ لِمَكَانِ إِمْكَانِهِ مِنَ التَّصْرِيفِ . ( الضَّرْبُ الثَّانِي )  
هُوَ فِي مُقَابَلَةِ الشَّيْءِ بِمِثْلِهِ وَهُوَ يَتَفَرَّغُ إِلَى فَرْعَيْنِ : ( أَحَدُهُمَا ) مُقَابَلَةُ  
الْمُفْرَدِ بِالْمُفْرَدِ . ( وَالْآخَرُ ) مُقَابَلَةُ الْجُمْلَةِ بِالْجُمْلَةِ . ( الْفَرْعُ الْأَوَّلُ )  
كَقَوْلِهِ : نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ . وَقَدْ رُوِيَ هَذَا الْمَوْضِعُ فِي الْقُرْآنِ كَثِيرًا  
فَإِذَا وَرَدَ فِي صَدْرِ آيَةٍ مَا يَحْتَاجُ إِلَى جَوَابٍ كَانَ جَوَابُهُ مُمَازِلًا كَقَوْلِهِ :  
مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ . وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ غَيْرَ جَوَابٍ فَإِنَّهُ لَا يَلْتَزِمُ  
فِيهِ هَذِهِ الْمُرَاعَاةَ الَّلَفْظِيَّةَ . ( الْفَرْعُ الثَّانِي فِي مُقَابَلَةِ الْجُمْلَةِ بِالْجُمْلَةِ )  
إِعْلَمُ أَنَّهُ إِذَا كَانَتِ الْجُمْلَةُ مِنَ الْكَلَامِ مُسْتَقْلِلَةً قُوِلَتْ بِمُسْتَقْلِلَةٍ .  
وَإِنْ كَانَتْ مَاضِيَةً قُوِلَتْ بِمَاضِيَةٍ وَرَبَّمَا قُوِلَتْ بِالْمَاضِيَةِ بِمُسْتَقْلِلَةٍ  
وَالْمُسْتَقْلِلَةُ بِالْمَاضِيَةِ إِذَا كَانَتْ إِحْدَاهُمَا بِمَعْنَى الْآخَرَى فَمِنْ ذَلِكَ  
قَوْلُهُ : قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنْ أَهْتَدَيْتُ فَمَا  
يُوجِي إِلَيَّ رَبِّي . فَإِنَّ هَذَا تَقَابُلٌ مِنْ جِهَةِ الْمَعْنَى وَلَوْ كَانَ التَّقَابُلُ  
مِنْ جِهَةِ الَّلَفْظِ لَقَالَ : وَإِنْ أَهْتَدَيْتُ فَلِنَّمَا أَهْتَدِي لَهَا

## البحث السابع

### في حقيقة التجنيس

( عن كتاب جنان الجناس للصفدي وعن الشريشي وابن الاثير )

( راجع صفحة ١١٨ من علم الادب )

اعلم ان التجنيس غرة شاذخة في وجه الكلام وقد تصرف  
العلماء من ارباب هذه الصنعة فيه فقرؤوا وشرقوا لاسيما المحدثين  
منهم. وصنف الناس فيه كتباً كثيرة وجعلوه ابواباً متعددة واختلفوا  
في ذلك وادخلوا بعض تلك الابواب في بعض. وانما سمي هذا  
النوع من الكلام مجانساً لان حروف الفاظه يكون تركيبها من  
جنس واحد. اما حقيقته فاعلم ان ارباب البلاغة عرفوه بمحدود  
اختلفت اقوالهم فيها. فقال الرمامي: هو بيان المعاني بانواع من  
الكلام يجمعها اصل واحد من اللغة. وقال قدامة: هو اشتراك  
المعاني في الفاظ متجانسة على جهة الاشتقاق. وقال ابن المعتز:  
هو ان تحي بكلمة تجانس اختها. وقال ابن الاثير الجزري:  
الجناس هو ان يكون اللفظ واحدا والمعنى مختلفا. وقال بدر الدين  
ابن النحوية في غرر النضاح: هو ان يوتى بمتماثلين في الحروف  
او بعضها متماثلين في اصل المعنى في غير رد النجز على الصدر.  
فهذا جملة ما حضرني من حدود القوم عند تعليق هذا الفصل.  
( قلت ) اما حد الرمامي فانه اسلم بما بعده لكنه غير جامع

لِأَنَّهُ يُخْرَجُ عَنْهُ جِنَاسُ التَّضْيِيفِ وَالتَّضْرِيفِ وَالْمُرَكَّبِ وَجِنَاسُ  
 الْمَعْنَى وَالْجِنَاسُ الْمَطْمَعُ . وَأَمَّا حَدُّ قُدَامَةٍ فَإِنَّهُ عَرَفَ الشَّيْءَ  
 بِنَفْسِهِ وَهَذَا غَيْرُ جَائِزٍ لِأَنَّ قَوْلَهُ : ( فِي أَلْفَاظٍ مُتَجَانِسَةٍ ) يُفْضِي إِلَى  
 الدَّوْرِ لِأَنَّا يَهْدَا لَا نَعْرِفُ الْمُتَجَانِسَ إِلَّا بَعْدَ مَعْرِفَةِ الْجِنَاسِ وَلَا نَعْرِفُ  
 الْجِنَاسَ إِلَّا بَعْدَ مَعْرِفَةِ الْمُتَجَانِسِ فَادَّى ذَلِكَ إِلَى الدَّوْرِ وَهُوَ مُحَالٌ .  
 وَيُمْكِنُ الْجَوَابُ عَنْهُ بِأَن يُقَالَ : إِنَّهُ مَا أَرَادَ الْمُتَجَانِسَ فِي الْأَصْطِلَاحِ  
 بَلِ الْمُتَجَانِسَ فِي اللَّغَةِ أَيْ فِي الْأَلْفَاظِ التَّشَابُهَةِ . وَعَلَى كُلِّ حَالٍ  
 فَهُوَ حَدُّ مُضْطَرَبٌ إِذْ فِيهِ لَفْظٌ مُوَهِّمٌ وَالْحُدُودُ يُجْتَنَّبُ فِيهَا مِثْلُ  
 ذَلِكَ . وَقَوْلُهُ : ( عَلَى جِهَةِ الْأَشْتِقَاقِ ) يُخْرِجُ عَنْهُ جَمِيعُ أَنْوَاعِ  
 الْجِنَاسِ إِلَّا الْجِنَاسَ الْأَشْتَقَى . وَأَمَّا حَدُّ ابْنِ الْمُعْتَرِّ فَهُوَ أَيْضًا  
 تَعْرِيفٌ دَوْرِيٌّ وَذَلِكَ غَيْرُ جَائِزٍ فِي صِنَاعَةِ الْحُدُودِ وَالرُّسُومِ . وَأَمَّا  
 حَدُّ ابْنِ الْأَثِيرِ فَهُوَ أَيْضًا غَيْرُ جَامِعٍ لِأَنَّهُ يُخْرَجُ عَنْهُ مِثْلُ الْجِنَاسِ  
 الْمَزْدُوجِ وَالْجِنَاسِ الْمَطْمَعِ وَالْجِنَاسِ الْخَطِيئِ وَالْجِنَاسِ الْمَعْنَوِيِّ  
 عَلَى مَا سَيَظْهَرُ لَكَ عِنْدَ كَشْفِ كُلِّ مَاهِيَةٍ مِنْ أَنْوَاعِهِ . وَأَمَّا حَدُّ  
 بَدْرِ الدِّينِ ابْنِ الْخَوَّيَةِ فَإِنَّ قَوْلَهُ : ( مُتَمَاثِلِينَ ) جِنْسٌ يَشْمَلُ  
 الْمُمَاثِلَ مُطْلَقًا سَوَاءً كَانَ لَفْظًا أَوْ مَعْنَى . وَقَوْلُهُ : ( فِي الْحُرُوفِ )  
 فَضْلٌ يُخْرِجُ بِهِ الْمُمَاثِلَ مَعْنَى . وَقَوْلُهُ : ( أَوْ بَعْضُهَا ) مُدْخِلٌ لِلْجِنَاسِ  
 الْمَطْمَعِ وَالْخُفَافِ وَالْأَشْتِقَاقِ . وَقَوْلُهُ : ( مُتَغَايِرِينَ فِي أَصْلِ الْمَعْنَى )  
 لَا فَايِدَةَ فِيهِ لِأَنَّ هَذَا مَعْلُومٌ فِي قَوْلِهِ : ( مُتَمَاثِلِينَ فِي الْحُرُوفِ ) أَيْ  
 دُونَ مَعْنَاهُمَا لَكِنْ فِيهِ زِيَادَةٌ بَيَانٍ . وَقَوْلُهُ : ( فِي غَيْرِ رَدِّ الْقَبْضِ )

عَلَى الصَّدْرِ ) هَذَا لَاحَاجَةٌ إِلَيْهِ وَلَا فَائِدَةٌ فِي هَذَا الْإِحْتِرَازِ كَمَا  
يُظْهَرُ فِي التَّمْثِيلِ وَلَوْ زَادَ قَوْلُهُ : بِمِثَالَيْنِ فِي الْحُرُوفِ أَوْ بَعْضِهَا أَوْ  
صُورَتِهَا لَكَانَ أَجُودَ لِيَدْخُلَ فِيهِ الْجِنَاسُ الْخَطِيئُ . وَالَّذِي اخْتَارَهُ  
أَنَا فِي رَسْمِ الْجِنَاسِ أَنْ أَقُولَ : هُوَ الْإِثْنَانُ بِمِثَالَيْنِ فِي الْحُرُوفِ  
أَوْ بَعْضِهَا أَوْ فِي الصُّورَةِ أَوْ زِيَادَةٍ فِي أَحَدِهِمَا أَوْ بُخْثَالَيْنِ فِي  
الترتيبِ نَظْمًا أَوْ الْحَرَكَاتِ أَوْ بِمِثَالٍ يُرَادُفُ مَعْنَاهُ مُثَالًا آخَرَ .  
وَلَعَلَّ هَذَا الرِّسْمُ أَقْرَبُ إِلَى السَّلَامَةِ بِمَا ذُكِرَ . وَقَوْلِي ( مُثَالَيْنِ )  
جِنْسٌ يَشْمَلُ الْمِثَالِ نَظْمًا وَمَعْنَى . وَقَوْلِي : ( فِي الْحُرُوفِ ) فَضْلٌ  
أَخْرَجَ الْمِثَالِ مَعْنَى كَقَوْلِكَ : زَيْدٌ زَيْدٌ . وَأَدْخَلَ الْجِنَاسَ التَّامَّ  
كَقَوْلِكَ يَحْيَى يَحْيَى . وَالْجِنَاسَ الْمُرَكَّبَ كَقَوْلِكَ : نَفْسُهُ ذَاهِبَةٌ . إِنْ  
لَمْ يَكُنْ ذَاهِبَةً . وَقَوْلِي : ( أَوْ بَعْضِهَا ) أَدْخَلَ الْجِنَاسَ الْمُطْمَعِ  
كَقَوْلِكَ : الْأَمْوَالُ وَالْأَمْوَالُ . وَالْجِنَاسَ الْمُقَارِبَ كَقَوْلِكَ : الْهُمُومُ  
عَلَى قَدْرِ الْهَمِّ . وَقَوْلِي : ( أَوْ فِي الصُّورَةِ ) أَدْخَلَ الْجِنَاسَ الْخَطِيئَ  
كَقَوْلِكَ : لَا تُضْعِفْ يَوْمَكَ فِي نَوْمِكَ . وَقَوْلِي : ( أَوْ زِيَادَةٍ ) فِي  
أَحَدِهِمَا أَدْخَلَ الْجِنَاسَ الْمُخَالَفَ كَقَوْلِكَ : أَلَمَّا مِنْ الْأَنْجَارِ جَارٍ .  
وَقَوْلِي : أَوْ بُخْثَالَيْنِ فِي التَّرْتِيبِ أَدْخَلَ الْجِنَاسَ الْمُخَالَفَ كَقَوْلِكَ :  
بَيْضُ الصَّخَائِبِ وَالصَّفَائِحِ . وَقَوْلِي ( أَوْ الْحَرَكَاتِ ) أَدْخَلَ الْجِنَاسَ  
الْمُغَايِرَ كَقَوْلِكَ : أَعْتَمِ هُبَاتِ الْهَبَاتِ . وَقَوْلِي : ( أَوْ بِمِثَالٍ )  
يُرَادُفُ مَعْنَاهُ مُثَالًا آخَرَ نَظْمًا ) أَدْخَلَ الْجِنَاسَ الْمُتَعَنِّيَّ كَقَوْلِكَ :  
أَمْرٌ عَظِيمٌ تَظْهَرُ اللَّوْنَةُ فِيهِ بِالْأَسَدِ . إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَقُولَ :

(بِالْيَاسِ) ثُمَّ عَدَلَتْ إِلَى مَا يُرَادُفُهُ وَهُوَ الْأَسَدُ. وَقَوْلِي : (نَظْمًا)  
إِعْلَامٌ بِأَنَّ هَذَا التَّنَوُّعَ مِنْ أَلْجَنَاسِ إِنَّمَا يَحْجِئُ فِي التَّنْظِيمِ دُونَ التَّنْثِيرِ .  
وَتَظْهَرُ عِلَّةُ هَذَا فِي مَكَانِهِ . فَتَدَبَّرْ هَذَا الرِّسْمَ تَجِدُهُ مَا أَهْلُ بِنُوعٍ  
مِنْ أَنْوَاعِ أَلْجَنَاسِ . وَقَدْ قَالَ عُلَمَاءُ الْبَدِيعِ : إِنَّ أَلْجَنَاسَ يَحْسُنُ إِذَا  
قُلَّ وَاتَى فِي الْكَلَامِ عَفْوًا مِنْ غَيْرِ كَدٍّ وَلَا اسْتِكْرَاهٍ وَلَا بُغْدٍ  
وَلَا مِيلٍ إِلَى جَانِبٍ . وَلَمْ يَخْتِجْ إِلَيْهِ بِكَثْرَةِ اسْتِعْمَالِهِ إِلَّا مَنْ  
قَصُرَتْ هِمَّتُهُ عَنْ اخْتِرَاعِ أَلْمَعَانِي الَّتِي هِيَ كَالْجُحُومِ الزَّاهِرَةِ فِي أُفُقِ  
أَلْأَلْفَاظِ . وَإِذَا خَلَّتْ بُيُوتُ أَلْأَلْفَاظِ مِنْ سُكَّانِ أَلْمَعَانِي تَذَلَّتْ  
مِثْلُهُ أَلْأَطْلَالُ أَلْبَالِيَةِ

### المبحث الثامن

#### في ذكر أنواع التجنيس

إِعْلَمَنَّ أَنَّ أَنْوَاعَ أَلْجَنَاسِ كَثِيرَةٌ أَقْتَصَرْنَا عَلَى ذِكْرِ اخْصِصَهَا وَأَوَّلَهَا  
أَلْجَنَاسُ (الْمُرَكَّبُ) وَهُوَ أَنْ يَكُونَ أَحَدُ الرُّكْنَيْنِ كَلِمَةً مُفْرَدَةً  
وَالْأُخْرَى مُرَكَّبَةً مِنْ كَلِمَتَيْنِ وَهُوَ عَلَى ضَرْبَيْنِ : فَأَوَّلُهُمَا تَشَابَهُ  
لَفْظًا وَخَطًّا كَقَوْلِ الشَّاعِرِ :

عَضْنَا الدَّهْرُ بِنَابِهِ      لَيْتَ مَا حَلَّ بِنَابِهِ

وَالثَّانِي مَا هُوَ مُتَشَابَهُ لَفْظًا لَا خَطًّا وَيَسْمَى الْمَفْرُوقَ كَقَوْلِ

الشَّاعِرِ :

لَا تَعْرِضَنَّ عَلَى الرُّوَاةِ قَصِيدَةً      مَا لَمْ تَكُنْ بَالِغَتْ فِي تَهْذِيبِهَا

وَإِذَا عَرَّضْتَ الشَّعْرَ غَيْرَ مَهْدَبٍ عَدُوهُ مِنْكَ وَسَاوِسًا تَهْدِي بِهَا  
وَالْجِنَاسِ الْمُرَكَّبِ نَوْعٌ يُسَمَّى (الْمُرْفُوعُ) وَهُوَ أَنْ يَكُونَ أَحَدُ  
الرُّكْنَيْنِ جُزْءًا مُسْتَقِلًّا وَالْآخَرُ مُجْزَأً مِنْ كَلِمَةٍ أُخْرَى كَقَوْلِ  
الْحَرِيرِيِّ :

وَالْمَكْرَمَتَا أَسْطَفَتَا لَا تَأْتِيهِ لَتَقْتَنِي السُّودَدَ وَالْمَكْرَمَةَ  
وَقَوْلِهِ :

وَلَا تَلْهَعْ عَنْ تَذْكَارِذِنِكَ وَأَبْكِي بِدَسْعٍ يُجَاصِي الْأَزْنَ حَالَ مَصَابِيهِ  
وَمِثْلُ لَعْنَتِكَ الْحِمَامِ وَوَقْعُهُ وَرَوْعَةُ مَلَقَاهُ وَمَطْعَمُ صَابِيهِ  
وَهَذَا النَّوعُ لَا يَخْلُو مِنْ تَعَسُّفٍ وَتَقْيِيدٍ فِي التَّرْكِيبِ . وَمِنْ  
أَنْوَاعِ الْجِنَاسِ (الْمُلْتَقَى) وَحَدُّهُ أَنْ يَكُونَ كُلُّ مِنَ الرُّكْنَيْنِ مُرَكَّبًا  
مِنْ كَلِمَتَيْنِ وَهَذَا هُوَ الْفَرْقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمُرَكَّبِ وَقَدْ مَنَ أَفْرَدَهُ عَنْهُ  
كَقَوْلِ الشَّاعِرِ :

وَكَمْ يَجِبَاهُ الرَّاعِيْنَ إِلَيْهِ مِنْ مَجَالِ سُجُودٍ فِي مَجَالِسِ جُودٍ  
وَمِنْ أَنْوَاعِ الْجِنَاسِ (الْمُذَيَّلُ وَاللَّاحِقُ) . فَالْمُذَيَّلُ هُوَ مَا زَادَ  
أَحَدُ رُكْنَيْهِ عَلَى الْآخَرِ حَرْفًا فِي آخِرِهِ فَصَارَ لَهُ كَالْمُذَيَّلِ كَقَوْلِ  
أَبِي تَمَّامٍ :

يُذَوْنَ فِي أَيِّدٍ عَوَاصٍ عَوَاصِمٍ تَصُولُ بِأَسْيَافٍ قَوَاضٍ قَوَاضِي  
وَقَالَ آخَرُ :

عَذِيرِي مِنْ تَغِيرِ مُوَارٍ مُوَارِبٍ لَهُ حَسَاتٌ كُلُّهُنَّ ذُنُوبٌ  
وَقَدْ تَأْتِي الزِّيَادَةُ فِي آخِرِ الذَّيْلِ بِحَرْفَيْنِ كَقَوْلِ النَّابِغَةِ فِي رِثَاءِ :



فَيَاكَ مِنْ حَزْمٍ وَعَزْمٍ طَوَاهُمَا جَدِيدُ الرَّدَى تَحْتَ الصَّفَا وَالصَّفَاحِ  
وَأَرْقُ مَا سَيَفُتُ فِي هَذَا أَلْبَابِ قَوْلُ الْقَائِلِ :

إِنَّ أَلْبَاءَهُ هُوَ الشِّقَاءُ م مِنْ أَلْجَوَى بَيْنَ أَلْجَوَاحِ

وَأَمَّا (الَلَّاحِقُ) فَهُوَ مَا أُبْدِلَ فِي أَحَدِ رُكْنَيْهِ حَرْفٌ مِنْ غَيْرِ مَخْرَجِهِ  
كَقَوْلِ بَعْضِهِمْ فِي جَوَابِ رِسَالَةٍ : وَصَلَ كِتَابُكَ فَتَنَّاوَلْتَهُ بِأَلَمِينَ  
وَوَضَعْتُهُ مَكَانَ الْعِقْدِ الثَّانِي. وَكَقَوْلِ الْآخَرِ : أَمَّا أَلَيْتِمَ فَلَا  
تَعْتَهَرُ . وَأَمَّا السَّائِلُ فَلَا تَنْهَرُ . وَأَلْفَرْقُ بَيْنَ الْجِنَاسِ أَلَلَّاحِقِ وَالْجِنَاسِ  
أَلْمُضَارِعِ أَنَّ حُرُوفَ أَلَلَّاحِقِ لَيْسَتْ مِنْ مَخْرَجِ وَاحِدٍ كَالثَوْنِ وَأَلْقَافِ  
فِي : (تَعْتَهَرُ وَتَنْهَرُ) . وَأَمَّا حُرُوفُ أَلْمُضَارِعِ فَالْهَا مُتَشَابِهَةٌ فِي الْخُرُوجِ  
كَمَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ : إِنَّ أَلْخَيْلَ مَعْقُودٌ بِوَأَصِيهَا أَلْخَيْزُ . وَمِثْلُهُ قَوْلُ  
بَعْضِهِمْ : أَلْبَرَايَا أَهْدَافُ أَلْبَلَايَا . فَإِنَّ الرَّاءَ وَاللَّامَ مِنْ مَخْرَجِ وَاحِدٍ  
وَمِنْ أَنْوَاعِ أَلتَّجْنِيسِ (أَلتَّامُ) . وَهُوَ مَا تَمَازَلَتْ رُكْنَاهُ وَأَتَّفَقَا لَفْظًا  
وَأَخْتَلَفَا مَعْنَى مِنْ غَيْرِ تَفَاوُتٍ فِي تَضَعِجِ تَرْكِيبِهِمَا وَأَخْتِلَافِ  
حَرَكَتَيْهِمَا سِوَاهُ كَانَا مِنْ أَسْمَيْنِ أَوْ مِنْ فَعْلَيْنِ أَوْ مِنْ أَسْمٍ وَفَعْلٍ  
فَانَّهُمْ قَالُوا : إِذَا أُنْتَظِمَ رُكْنَاهُ مِنْ نَوْعٍ وَاحِدٍ كَأَسْمَيْنِ أَوْ فَعْلَيْنِ  
سُمِّيَ تَمَازُلًا وَإِنْ أُنْتَظِمَا مِنْ نَوْعَيْنِ كَأَسْمٍ وَفَعْلٍ سُمِّيَ مُسْتَوْفَى .  
وَجُلُّ أَلْقَصْدِ تَمَازُلُ أَلرُّكْنَيْنِ فِي أَللَّفْظِ وَأَلْخَطِّ وَالْحَرَكَةِ وَأَخْتِلَافُهُمَا  
فِي أَلْمَعْنَى . فَهُنَا قَوْلُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ : صَوْلَةُ أَلْبَاطِلِ سَاعَةٌ  
وَصَوْلَةُ أَلْحَقِّ إِلَى أَلْسَاعَةِ . وَمِنْ أَلشِّعْرِ قَوْلُ بَعْضِهِمْ فِي رِثَاءِ صَغِيرٍ  
أَسْمُهُ يَحْيَى :

وَسَمِيَتْهُ يَحْيَىٰ لِيَحْيَا وَلَمْ يَكُنْ إِلَىٰ رَدِّ أَمْرِ اللَّهِ فِيهِ سَبِيلُ  
وَكَقَوْلِ أَبِي نُوَّاسٍ :

عَبَّاسُ عَبَّاسٌ إِذَا اخْتَدَمَ الْوَعَىٰ وَالْفَضْلُ فَضْلٌ وَالرَّيْعُ رَيْعٌ  
وَمِنْهُ الْجِلَّاسُ (الْمُطَرَّفُ) وَهُوَ مَا زَادَ أَحَدُ رُكْنَيْهِ عَلَى الْآخَرِ  
حَرْفًا فِي طَرَفِهِ الْأَوَّلِ . وَهَذَا هُوَ الْفَرْقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمُذَيَّلِ . فَإِنَّ  
الزِّيَادَةَ فِي الْمُذَيَّلِ تَكُونُ فِي آخِرِهِ . وَأَمَّا الْمُطَرَّفُ فَتَكُونُ زِيَادَتُهُ  
فِي أَوَّلِهِ لِتَصِيرَ لَهُ كَمَا لَطَرَفٍ وَيُسَمَّى أَيْضًا النَّاقِصَ وَالْمُرْدَفَ وَالْمُرْدَوِجَ  
وَالْمُكْرَّرَ وَالْمُرْدُودَ وَالْمُجَنَّبَ وَفِي تَسْمِيَّتِهِ اخْتِلَافٌ . وَالزِّيَادَةُ تَكُونُ  
ثَلَاثَةً فِي أَوَّلِ الرُّكْنِ الثَّانِي وَثَلَاثَةً فِي أَوَّلِ الرُّكْنِ الْأَوَّلِ  
كَقَوْلِهِمْ : لَمَّا مَلَأَ الصَّاعُ أَنْصَاعَ . وَكَقَوْلِ الْآخَرِ :

وَكَمْ سَبَقَتْ مِنْهُ إِلَيَّ عَوَارِفُ ثَنَانِي عَلَى تِلْكَ الْعَوَارِفِ وَارِفُ  
وَكَمْ غُرِبَ مِنْ بَرِّهِ وَطَائِفُ لَشْكْرِي عَلَى تِلْكَ اللَّطَائِفِ طَائِفُ  
وَمِنْ أَنْوَاعِ الْجِلَّاسِ (الْفُظْيُ) وَهُوَ أَنْ يَتِمَّ ثَلَاثُ رُكْنَانِ  
وَيَتَجَانَسَا خَطًّا إِلَّا أَنَّ أَحَدَهُمَا يُخَالِفُ الْآخَرَ بِإِبْدَالِ حَرْفٍ مِنْهُ فِيهِ  
مُنَاسَبَةٌ لَفْظِيَّةٌ كَمَا الَّذِي يُكْتَبُ بِالضَّادِ وَالطَّاءِ كَقَوْلِهِ : وَجُوهٌ  
يُؤْتِنِي نَاصِرَةٌ إِلَى رَهْتَا نَاطِرَةٌ . وَكَقَوْلِ ابْنِ الْقَيْمِ :

أَحْسَنُ خَلْقِ اللَّهِ وَجْهًا وَفَاءً إِنْ لَمْ يَكُنْ أَحَقَّ بِالتَّلْحِ فَنَنْ  
وَمِنْ أَنْوَاعِ الْجِلَّاسِ (الْجِلَّاسُ الْمُغْلُوبُ) وَسَمَاءُ قَوْمِ الْمُفْكُوسِ وَذَلِكَ  
ضَرْبَانِ : أَحَدُهُمَا عَكْسُ الْأَلْفَاظِ وَالثَّانِي عَكْسُ الْحُرُوفِ . فَالْأَوَّلُ  
كَقَوْلِ بَعْضِهِمْ : عَادَاتُ السَّادَاتِ . سَادَاتُ الْعَادَاتِ وَكَقَوْلِ الْآخَرِ :

إِنَّ اللَّيَالِي لِلْأَنَامِ مَنَاهِلٌ تَطْوَى وَتُنَشَرُ بَيْنَهَا الْأَعْمَارُ  
 قَصَارُهُنَّ مَعَ الْهُمُومِ طَوِيلَةٌ وَطَوَالُهُنَّ مَعَ الشُّرُوبِ قَصَارُ  
 وَهَذَا الضَّرْبُ مِنَ التَّجْنِيسِ لَهُ حَلَاوَةٌ وَعَلَيْهِ رَوْنٌ وَقَدْ سَمَّاهُ  
 قَدَامَةً بَنِي جَعْفَرٍ الْكَاتِبُ: (التَّبْدِيلُ). وَذَلِكَ أَنَّهُ مُنَاسِبٌ لِمَسْمَاهُ  
 لِأَنَّ مُؤَلَّفَ الْكَلَامِ يَأْتِي بِمَا كَانَ مُقَدِّمًا فِي جُزْءِ كَلَامِهِ الْأَوَّلِ  
 مُؤَخَّرًا فِي الثَّانِي وَبِمَا كَانَ مُؤَخَّرًا فِي الْأَوَّلِ مُقَدِّمًا فِي الثَّانِي. وَأَمَّا  
 الضَّرْبُ الثَّانِي مِنْ هَذَا الْقِسْمِ وَهُوَ عَكْسُ الْحُرُوفِ فَكَقُولُ  
 بَعْضُهُمْ :

أَهْدَيْتُ شَيْئًا يَقُلُّ أَلْوَلَا أَحَدُوهُ أَتَقَالِ وَلَتَبْرُكُ  
 كُرْسِي تَقَالَتْ فِيهِ لَمَّا رَأَيْتُ مَقْلُوبَهُ يَسْرُكُ  
 وَرَبَّمَا كَانَ أَلَيْتُ كُلَّهُ مَعْكَوسًا يُقْرَأُ طَرْدًا وَعَكْسًا وَأَلَيْتُ  
 الثَّانِي مِنْهُ مَعْكَوسٌ كَقَوْلِ الْأَرَجَائِيِّ :

أَحِبُّ الْمَرْءَ ظَاهِرُهُ جَمِيلٌ لِصَاحِبِهِ وَبَاطِنُهُ سَلِيمٌ  
 مَوَدَّةُ تَدْوِمٍ لِكُلِّ هَوْلٍ وَهَلْ كُلُّ مَوَدَّةٍ تَدْوِمُ  
 وَمِنْ أَنْوَاعِهِ (الْجِنَاسُ الْمُتَقَارِبُ) وَبَيْنَهُمْ مَنْ يُسَبِّحُهُ جِنَاسَ الْأَشْتِقَاقِ  
 وَجِنَاسَ الْأَقْتِصَابِ وَهُوَ يَتَقَسَّمُ إِلَى أَنْوَاعٍ وَمِنْهَا أَنْ يَكُونَ الرَّكْنَانُ  
 اسْمَيْنِ كَقَوْلِ الصَّاحِبِ: إِنَّ الْهُمُومَ يَقْدِرُ إِلَيْهِمْ. وَكَقَوْلِ الْقَائِلِ:  
 رَوْحُ وَرَيْحَانٌ. وَمِنْهَا أَنْ يَكُونَ أَحَدُ الرَّكْنَيْنِ أَمَّا وَالْآخَرُ فِعْلًا  
 نَحْوُ: وَجَّهْتُ وَجْهِي إِلَى اللَّهِ. وَمِنْهَا أَنْ يَكُونَ الرَّكْنَانِ فِعْلَيْنِ.  
 كَقَوْلِ الشَّاعِرِ :

إِنَّ تَرَالِدُنَا أَغَارَتْ      وَنُجُومَ السَّعْدِ غَارَتْ  
 فَصُرُوفُ اللَّهْرِ شَتَّى      كُلَّمَا جَارَتْ لَجَارَتْ  
 وَمِنْ أَنْوَاعِ الْجِنَاسِ (الْمَعْنَوِي) وَهُوَ أَنْ يَكُونَ أَحَدُ رُكْنَيْ  
 الْجِنَاسِ دَالًّا عَلَى مَعْنَى الْآخَرِ فِي غَيْرِ الْفَاطِظِ وَهَذَا النَّوعُ اسْتَدْرَكُهُ فَضْلًا،  
 أَلَمْ تَأْخِرِينَ وَاسْتَخْرَجُوهُ وَبَعْضُهُمْ لَا يَمُدُّهُ جِنَاسًا لِأَنَّهُ قَلَمًا يُوجَدُ فِي  
 الْكَلَامِ لَتَوْعُرٍ مَسْلُوكِهِ . وَسَبَبُ وَرُودِ هَذَا النَّوعِ فِي الْكَلَامِ  
 أَنَّ الشَّاعِرَ يَقْصِدُ الْمُجَانَسَةَ فِي كَلَامِهِ بَيْنَ لَفْظَتَيْنِ فَلَا يُوَافِقُهُ أَلْوَزَنُ  
 عَلَى اثْبَاتِ أَحَدِ رُكْنَيْ الْجِنَاسِ فَيَعْدِلُ إِلَى مَا يُوَافِقُهُ مَعْنَى وَيُجَالِفُهُ  
 لَفْظًا وَعَلَى هَذَا لَا وَرُودَ لِهَذَا النَّوعِ فِي الْكَلَامِ الْمَشْهُورِ إِذْ لَا وَزْنَ  
 يَضْطَرُّهُ إِلَى الْإِتْيَانِ بِذَلِكَ . وَمِنْ أَمْثَلِهِ أَرْبَابُ الْبَدِيعِ فِي هَذَا  
 النَّوعِ قَوْلُ الشَّاعِرِ يَمْدَحُ الْمُهَلَّبَ بْنَ أَبِي صَفْرَةَ وَيَذْكُرُ فِعْلَهُ  
 يَقْطِرِي بْنَ الْحُجَاءِ وَكَانَ قَطْرِي يُكْنَى أَبَا نَعَامَةَ :  
 حَدَا بِأَبِي أُمِّ الرِّثَالِ فَاجْتَلَتْ      نَعَامَتُهُ مِنْ عَارِضٍ مُتَلَهَّبٍ  
 أَرَادَ أَنْ يَقُولَ : حَدَا بِأَبِي نَعَامَةَ فَاجْتَلَتْ نَعَامَتُهُ أَيِ رُوحُهُ فَلَمْ  
 يُسَاعِدْهُ أَلْوَزَنُ فَقَالَ : بِأَبِي أُمِّ الرِّثَالِ لِأَنَّ الرِّثَالَ فِرَاحُ النَّعَامَةِ .  
 وَأَعْلَمَ أَنَّ الشُّعْرَاءَ عِنْدَ نَظْمِ هَذِهِ الْآيَاتِ مَا لَحَّوْا هَذِهِ الْقَوَاصِدَ  
 الْبَعِيدَةَ . وَلَا يَخْفَى مَا فِي هَذَا مِنَ التَّكْلِيفِ وَالتَّعَسُّفِ

## الفصل الثامن

في فنون الانشاء

البحث الاول

في المثل وشرفه

( عن الميداني )

( راجع صفحة ١٢٦ من علم الادب )

قَالَ الْمُبَرِّدُ : اَلْمَثْلُ مَاخُوذٌ مِنْ اَلْمَثَالِ وَهُوَ قَوْلٌ سَائِرٌ يُشَبَّهُ بِهِ  
حَالُ الثَّانِي بِالْأَوَّلِ وَالْأَصْلُ فِيهِ التَّشْبِيهُ . فَقَوْلُهُمْ : مَثَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ  
إِذَا انْتَصَبَ مَعْنَاهُ : أَشَبَّ الصُّورَةَ الْمُنْتَصِبَةَ . وَقُلَانُ اَمَثَلُ مِنْ فُلَانٍ  
أَيُّ أَشَبَّهُ عَمَّا لَهُ اَلْفَضْلُ . وَاَلْمَثَالُ اَلْقِصَاصُ لِتَشْبِيهِ حَالِ اَلْمُقْتَصِرِ مِنْهُ  
بِحَالِ اَلْأَوَّلِ فَحَقِيقَةُ اَلْمَثَلِ مَا جُعِلَ كَأَلْعَلِمِ لِلتَّشْبِيهِ بِحَالِ اَلْأَوَّلِ . كَقَوْلِ  
كَتَبَ بَنُ زُهَيْرٍ :

كَانَتْ مَوَاعِيدُ عُرُقُوبٍ لَهَا مَثَالًا وَمَا مَوَاعِيدُهَا إِلَّا اَلْأَبَاطِيلُ  
فَمَوَاعِيدُ عُرُقُوبٍ عِلْمٌ لِكُلِّ مَا لَا يَصِحُّ مِنْ اَلْمَوَاعِيدِ . وَقَالَ ابْنُ  
السَّكَيْتِ : اَلْمَثْلُ لَفْظٌ يُخَالِفُ لَفْظَ اَلْمَضْرُوبِ لَهُ وَيُؤَافِقُ مَعْنَاهُ  
مَعْنَى ذَلِكَ اَللَّفْظِ . شَبَّهَهُ بِالْمَثَالِ الَّذِي يُعْمَلُ عَلَيْهِ غَيْرُهُ . وَقَالَ غَيْرُهُمَا :  
سُيِّتَ اَلْحُكْمُ اَلْقَائِمُ صِدْقُهَا فِي اَلْعُقُولِ أَمَثَالًا لِأَنَّهُ انْتَصَابٌ صُورَهَا

فِي الْقَوْلِ مُشْتَمَّةٌ مِنَ الْقَوْلِ الَّذِي هُوَ الْإِتِّصَابُ . وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ  
الْظَّامُ : يَجْتَمِعُ فِي الْمَثَلِ أَرْبَعَةٌ لَا يَجْتَمِعُ فِي غَيْرِهِ مِنَ الْكَلَامِ  
إِجْازُ اللَّفْظِ وَإِصَابَةُ الْمَعْنَى وَحُسْنُ التَّشْبِيهِ وَجُودَةُ الْكِفَايَةِ فَهُوَ  
نَهَايَةُ الْبَلَاغَةِ . قَالَ ابْنُ الْمُقَفَّعِ : إِذَا جُعِلَ الْكَلَامُ مَثَلًا كَانَ أَوْضَحَ  
لِلْمَنْطِقِ وَأَنْقَى لِلْسَّمْعِ وَأَوْسَعَ لِشُعُوبِ الْحَدِيثِ . قَالَ آخَرُ : إِنْ  
الْأَمْثَالُ هِيَ وَثِيْقُ الْكَلَامِ وَجَوْهَرُ اللَّفْظِ وَحُلَى الْمَعْنَى الَّتِي تَخَيَّرَتْهَا  
الْعَرَبُ وَقَدَمَتَهَا الْعَجْمُ وَنَطَقَ بِهَا كُلُّ زَمَانٍ وَدَارَتْ عَلَى كُلِّ لِسَانٍ .  
فَهِىَ أَبْقَى مِنَ الشِّعْرِ وَأَشْرَفُ مِنَ الْخُطَابَةِ . لَمْ يَسِرَّ شَيْءٌ مَسِيرَهَا  
وَلَا عَمَّ غُومَهَا حَتَّى قِيلَ : أَسِيرٌ مِنْ مِثْلِ . قَالَ الشَّاعِرُ :

مَا أَنْتَ إِلَّا مِثْلُ سَائِرٍ يَعْرِفُهُ الْجَاهِلُ وَالْعَابِرُ

هَذَا وَإِنَّ الْأَمْثَالَ تَحَلَّى بِفَرَائِدِهَا ضِدُّورُ الْحَافِلِ وَالْحَاضِرِ .  
وَتَحَلَّى بِفَوَائِدِهَا قُلُوبُ الْبَادِي وَالْحَاضِرِ . وَتَقَيَّدُ أَوَابِدَهَا فِي بَطُونِ  
الدَّفَاقِيرِ وَالصَّكَاثِفِ . وَتَطِيرُ نَوَاضِحُهَا فِي رُؤُوسِ الشَّوَاهِقِ وَظُهُورِ  
الْتَّنَاقِفِ . يَحْتَاجُ الْخَطِيبُ وَالشَّاعِرُ إِلَى إِدْمَاجِهَا وَإِدْرَاجِهَا لِإِسْتِمَالِهَا  
عَلَى أَسَالِيبِ الْحُسْنِ وَالْجَمَالِ

وَأَعْلَمُ أَنَّ الْحَاجَةَ إِلَى الْأَمْثَالِ شَدِيدَةٌ وَذَلِكَ أَنَّ الْعَرَبَ لَمْ  
تَضَعْ الْأَمْثَالَ إِلَّا لِأَسْبَابٍ أَوْجَبَتْهَا وَحَوَّاثٍ أَقْنَصَتْهَا . فَصَارَ الْمَثَلُ  
الْمَضْرُوبُ لِأَمْرِ مِنَ الْأُمُورِ عِنْدَهُمْ كَالْعَلَامَةِ الَّتِي يُعْرَفُ بِهَا الشَّيْءُ  
وَلَيْسَ فِي كَلَامِهِمْ أَوْجَزُ مِنْهَا وَلَا أَشَدُّ اخْتِصَارًا . وَسَبَبُ ذَلِكَ مَا  
أَذْكُرُهُ لَكَ تَكُونُ مِنْ مَعْرِفَتِهِ عَلَى يَقِينٍ فَأَقُولُ : قَدْ جَاءَ عَنْ

أَلْعَرَبُ مِنْ جُمْلَةِ أَمْثَالِهِمْ ( إِنْ يَنْبَغُ عَلَيْكَ قَوْمُكَ لَا يَنْبَغُ عَلَيْكَ  
 الْقَمَرُ ) . وَهُوَ مِثْلُ يُضْرَبُ لِلْأَمْرِ الظَّاهِرِ الشَّهْوَرِ وَالْأَصْلُ فِيهِ كَمَا  
 قَالَ الْمَفْضَلُ بْنُ مُحَمَّدٍ : أَنَّهُ بَلَمَّا أَنَّ بَنِي ثَعْلَبَةَ بْنِ سَعْدِ بْنِ ضَبَّةَ فِي  
 الْجَاهِلِيَّةِ تَرَاهُنُوا عَلَى الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ لِكَلِّهِ أَرْبَعَ عَشْرَةَ مِنَ الشَّهْرِ .  
 فَقَالَتْ طَائِفَةٌ : تَطْلُعُ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ يَرَى . وَقَالَتْ طَائِفَةٌ : يَغِيبُ  
 الْقَمَرُ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ فَتَرَاضُوا بِرَجُلٍ جَعَلُوهُ حَكَمًا . فَقَالَ  
 وَاحِدٌ مِنْهُمْ : إِنْ قَوْمِي يَنْغُونَنِي عَلَيَّ . فَقَالَ الْحَكَمُ : إِنْ يَنْبَغُ  
 عَلَيْكَ قَوْمُكَ لَا يَنْبَغُ عَلَيْكَ الْقَمَرُ . فَذَهَبَتْ مِثْلًا . وَمِنْ الْمَعْلُومِ  
 أَنَّ قَوْلَ الْقَائِلِ : ( إِنْ يَنْبَغُ عَلَيْكَ قَوْمُكَ لَا يَنْبَغُ عَلَيْكَ الْقَمَرُ ) .  
 إِذَا أُخِذَ عَلَى حَقِيقَتِهِ مِنْ غَيْرِ ظَنَرٍ إِلَى الْقَرَأَنِ الْمَنُوطَةِ بِهِ وَالْأَسْبَابِ  
 الَّتِي قِيلَ مِنْ أَجْلِهَا لَا يُعْطَى مِنَ الْمَعْنَى مَا قَدْ أَعْطَاهُ الْمَثَلُ . وَذَلِكَ  
 الْمَثَلُ لَهُ مُقَدِّمَاتٌ وَأَسْبَابٌ قَدْ عُرِفَتْ وَصَارَتْ مَشْهُورَةً بَيْنَ النَّاسِ  
 مَعْلُومَةً عِنْدَهُمْ . وَحَيْثُ كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ جَازَ إِيرَادُ هَذِهِ اللَّفْظَاتِ  
 فِي التَّعْيِيرِ عَنِ الْمَعْنَى الْمُرَادِ وَلَوْ لَا تِلْكَ الْمُقَدِّمَاتُ الْمَعْلُومَةُ وَالْأَسْبَابُ  
 أَلْعُرُوفَةُ لَمَا فُهِمَ مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ : ( إِنْ يَنْبَغُ عَلَيْكَ قَوْمُكَ لَا يَنْبَغُ  
 عَلَيْكَ الْقَمَرُ ) مَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الْمَعْنَى الْمَقْصُودِ بَلْ مَا كَانَ يُفْهِمُ  
 مِنْ هَذَا الْقَوْلِ مَعْنَى مُفِيدٌ . لِأَنَّ الْبَغْيَ هُوَ الظُّلْمُ وَالْقَمَرُ لَيْسَ مِنْ  
 شَأْنِهِ أَنْ يَظْلِمَ أَحَدًا فَكَانَ يَصِيرُ مَعْنَى الْمَثَلِ : إِنْ كَانَ يَظْلِمُكَ  
 قَوْمُكَ لَا يَظْلِمُكَ الْقَمَرُ . وَهَذَا كَلَامٌ مُحْتَلٌّ الْمَعْنَى لَيْسَ بِمُسْتَعِيمٍ .  
 فَلَمَّا كَانَتْ الْأَمْثَالُ كَالرُّمُوزِ وَالْإِشَارَاتِ الَّتِي يُلَوِّحُ بِهَا عَلَى الْمَعْنَى

تَلَوِيحًا صَارَتْ مِنْ أَوْجَزِ الْكَلَامِ وَأَكْفَرِهِ اخْتِصَارًا . وَمِنْ أَجْلِ  
ذَلِكَ قِيلَ فِي حَدِّ الْمَثَلِ : إِنَّهُ الْقَوْلُ الْوَجِيزُ الْمُرْسَلُ لِيُعْمَلَ عَلَيْهِ  
وَحَيْثُ هِيَ هَذِهِ الْمَثَابَةُ فَلَا يَنْبَغِي الْأَحْلَالُ بِمَعْرِفَتِهَا

### البحث الثاني

### في آداب المثل وشروطه

( عن الماوردي ومقدمة كلبلة ودمنة )

( راجع صفحة ١٣٣ من علم الادب )

وَمِنْ آدَابِ الْحَكِيمِ أَنْ يَجْتَنِبَ امْتِثَالَ الْعَامَّةِ الْقَوَاعِدَ وَيَخْتَصَّصَ  
بِامْتِثَالِ الْعُلَمَاءِ الْأَدَبَاءِ فَإِنَّ لِكُلِّ صَنْفٍ مِنَ النَّاسِ امْتِثَالًا تُشَاقِكُهُمْ  
فَلَا تَحْدُ لِسَاقِطٍ إِلَّا مَثَلًا سَاقِطًا وَتَشْبِيهًا مُسْتَقْبِحًا ....  
وَلِذَلِكَ عِلَّتَانِ : إِحْدَاهُمَا أَنَّ الْأَمْثَالَ مِنْ هَوَاجِسِ الْهَمَمِ  
وَحَظَرَاتِ النُّفُوسِ وَلَمْ يَكُنْ لِذِي الْهِمَّةِ السَّاقِطَةُ إِلَّا مَثَلٌ مَرْدُودٌ  
وَتَشْبِيهٌ مَعْلُولٌ . وَالثَّانِيَةُ أَنَّ الْأَمْثَالَ مُسْتَحْرَجَةٌ مِنْ أَحْوَالِ الْمُتَمَثِّلِينَ  
بِهَا فَيَحْسَبُ مَا هُمْ عَلَيْهِ تَكُونُ امْتِثَالُهُمْ . فَلِهَاتَيْنِ الْعِلَّتَيْنِ وَقَعَ الْفَرْقُ  
بَيْنَ امْتِثَالِ الْخَاصَّةِ وَامْتِثَالِ الْعَامَّةِ وَرُبَّمَا آلَفَ الْمُخْتَصِّصُ مَثَلًا عَامِيًّا  
أَوْ تَشْبِيهًا رَكِيكًا لِكَثْرَةِ مَا يَطْرُقُ سَمْعُهُ مِنْ مُحَاطَةِ الْأَرَادِلِ  
فَيَسْتَرْسِلُ فِي ضَرْبِهِ مَثَلًا فَيَصِيرُ بِهِ مَثَلًا كَالَّذِي حُكِيَ عَنْ الْأَصْبَعِيِّ :  
إِنَّ الرَّشِيدَ سَأَلَهُ يَوْمًا عَنْ أَنْسَابِ بَعْضِ الْأَعْرَبِ . فَقَالَ : عَلَى الْخَيْرِ



سَقَطَتْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . فَقَالَ لَهُ الْفَضْلُ بْنُ الرَّيِّعِ : أَسَقَطَ اللَّهُ  
جَنَّتِكَ أَتَخَاطَبُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمِثْلِ هَذَا الْخُطَابِ . فَكَانَ الْفَضْلُ  
أَبْنُ الرَّيِّعِ مَعَ قَلَّةٍ عَلَيْهِ أَعْلَمَ بِمَا يُسْتَعْمَلُ مِنَ الْكَلَامِ فِي مُحَاوَرَةِ  
الْخُلَفَاءِ مِنَ الْأَصْحَابِ الَّذِي هُوَ وَاحِدُ عَصْرِهِ وَقَرِيبُ دَهْرِهِ . وَلِلْأَمْثَالِ  
مِنَ الْكَلَامِ مَوْقِعٌ فِي الْأَسْمَاعِ وَتَأْثِيرٌ فِي الْقُلُوبِ لَا يَكَاذُ الْكَلَامُ  
الْمُرْسَلُ يَبْلُغُ مَبْلَغَهَا وَلَا يُؤَثِّرُ تَأْثِيرَهَا لِأَنَّ الْمَعَانِي بِهَا لَا نِجَّةَ وَالشُّوَاهِدَ  
بِهَا وَاضِحَةٌ وَالنُّفُوسَ بِهَا وَامِقَّةٌ وَالْقُلُوبَ بِهَا وَاثِقَةٌ وَالْعُقُولَ لَهَا  
مُوَافَقَةٌ . وَلَهَا أَرْبَعَةُ شُرُوطٍ : أَحَدُهَا صِحَّةُ التَّشْبِيهِ . وَالثَّانِي أَنَّ  
يَكُونَ الْعِلْمُ بِهَا سَابِقًا وَالْكُلُّ عَلَيْهَا مُوَافِقًا . وَالثَّالِثُ أَنْ يُسْرَعَ  
وُضُوعُهَا لِلْفَهْمِ وَيَتَجَلَّ تَصَوُّرُهَا فِي أَلْوَهَمٍ مِنْ غَيْرِ أَرْتِيَاءٍ فِي اسْتِخْرَاجِهَا  
وَلَا كَدٍ فِي اسْتِنْبَاطِهَا . وَالرَّابِعُ أَنْ تُنَاسِبَ حَالَ السَّامِعِ لِتَكُونَ  
أَبْلَغَ تَأْثِيرًا وَأَحْسَنَ مَوْقِعًا . فَإِذَا اجْتَمَعَتْ فِي الْأَمْثَالِ الْمَضْرُوبَةِ  
هَذِهِ الشُّرُوطُ الْأَرْبَعَةُ كَانَتْ زِينَةً لِلْكَلَامِ وَجَلَاءً لِلْمَعَانِي وَتَدْبِيرًا  
لِلْأَفْهَامِ .

قَالَ صَاحِبُ كَلِيلَةِ وَدِئَنَةِ : يُحِبُّ عَلَى قَارِيِ الْأَمْثَالِ أَنْ يُدِيمَ  
النَّظَرَ فِيهَا مِنْ غَيْرِ خَجَرٍ وَيَلْتَمِسَ جَوَاهِرَ مَعَانِيهَا وَلَا يَظُنَّ أَنَّ نَتِيجَتَهَا  
إِنَّمَا هِيَ الْإِخْبَارُ عَنْ حِيلَةٍ بَيْهَتَيْنِ أَوْ مُحَاوَرَةٍ سَبْعٍ لِتُورٍ فَيَنْصَرِفَ  
بِذَلِكَ عَنِ الْقَرَضِ الْمَقْصُودِ وَيَكُونُ مِثْلُهُ مِثْلَ الْأَصْيَادِ الَّذِي كَانَ فِي  
بَعْضِ الْخِلْجَانِ يَصِيدُ فِيهِ السَّمَكَ فِي زُرْقٍ . فَرَأَى ذَاتَ يَوْمٍ فِي  
عَقِيْقِ الْمَاءِ صَدَقَةً تَتَلَاأُ حُسْنًا فَتَوَهَّمَهَا جَوْهَرًا لَهُ قِيَمَةٌ . وَكَانَ قَدْ أَتَى

شَبَكَتْهُ فِي الْبَحْرِ فَاسْتَمَلَتْ عَلَى سَكَّةٍ كَانَتْ قُوتَ يَوْمِهِ . فَنَحَلَهَا  
وَقَذَفَ نَفْسَهُ فِي الْمَاءِ لِأَخْذِ الصَّدَقَةِ . فَلَمَّا أَخْرَجَهَا وَجَدَهَا فَارِغَةً  
لَا شَيْءَ فِيهَا بِمَا ظَنَّ قَدِيمَ عَلَى تَرْكِ مَا فِي يَدِهِ لِلطَّمَعِ وَتَأَسَّفَ عَلَى  
مَا قَاتَهُ . فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الثَّانِي تَنَحَّى عَنْ ذَلِكَ الْمَكَانِ وَالْتَمَى  
شَبَكَتْهُ فَاصَابَ حُوتًا صَغِيرًا وَرَأَى أَيْضًا صَدَقَةً سَنِيَّةً فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهَا  
وَسَاءَ ظَنُّهُ بِهَا فَتَرَكَهَا . وَاجْتَذَرَ بِهَا بَعْضُ الصَّيَادِينَ فَأَخَذَهَا فَوَجَدَ فِيهَا  
دُرَّةً تُسَاوِي أَمْوَالًا . . . وَكَذَلِكَ الْجُهَالُ عَلَى إِغْفَالِ أَمْرِ التَّفَكُّرِ  
فِي الْأَمْثَالِ وَالْإِغْتِرَارِ بِهَا وَتَرْكِ الْوُقُوفِ عَلَى أَسْرَارِ مَعَانِيهَا وَالْإِخْذِ  
بِظَاهِرِهَا دُونَ الْإِخْذِ بِبَاطِنِهَا . وَمَنْ صَرَفَ هِمَّتَهُ إِلَى النَّظَرِ فِي  
أَبْوَابِ الْهَزْلِ مِنْهَا فَهُوَ كَجُرْجُلٍ أَسَابَ أَرْضًا طَيِّبَةً حُرَّةً وَجَبًّا  
صَحِيحًا فَرَزَعَهَا وَسَقَاهَا حَتَّى إِذَا قَرُبَ خَيْرُهَا تَشَاغَلَ عَنْهَا بِجَمْعِ مَا فِيهَا  
مِنَ الزَّهْرِ وَقَطَعَ الشُّرُوكَ فَاهْلَكَ بِتَشَاغُلِهِ مَا كَانَ أَحْسَنَ فَائِدَةٍ  
وَأَجْمَلَ عَائِدَةٍ . وَيَنْبَغِي لِلنَّاظِرِ فِي الْأَمْثَالِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّهَا تَقْسِمُ  
إِلَى أَرْبَعَةِ أَغْرَاضٍ : أَحَدُهَا مَا قُصِدَ فِيهِ إِلَى وَضْعِهَا عَلَى السَّنَةِ  
الْبَهَائِمِ غَيْرِ النَّاطِقَةِ مِنْ مُسَارَعَةِ أَهْلِ الْهَزْلِ مِنَ الشُّبَّانِ إِلَى قِرَائَتِهَا  
فَتُسْتَمَالُ بِهِ قُوتُهُمْ لِأَنَّ هَذَا هُوَ الْغَرَضُ بِالنَّوَادِرِ مِنْ جِيلِ الْحَيَوَانَاتِ .  
وَالثَّانِي إِظْهَارُ خَيَالَاتِ الْحَيَوَانَاتِ بِصُوفِ الْأَصْبَاحِ وَالْأَلْوَانِ لِيَكُونَ  
أُنْسًا لِقُلُوبِ الْمُلُوكِ وَيَكُونَ حِرْصُهُمْ عَلَيْهَا أَشَدَّ لِلزُّهْمَةِ فِي تِلْكَ  
الْصُّورِ . وَالثَّلَاثُ أَنْ يَكُونَ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ فَتُخْذَهَا الْمُلُوكُ وَالسُّوقَةُ  
فَيَكْثُرُ بِذَلِكَ انْتِسَاحُهَا وَلَا يَطُلُ فَيُخْلَقَ عَلَى مُرُورِ الْأَيَّامِ . وَلِيَنْتَفِعَ

بِذَلِكَ الْمَصَوِّرُ وَالنَّاسِخُ أَبَدًا. وَأَقْرَضُ الرَّابِعُ وَهُوَ الْأَقْصَى مَخْصُوصٌ  
بِأَفِيلَسُوفٍ خَاصَّةً لِيَتَكُونَ الْأَمْثَالُ رِيَاضَةً لِعَقْلِهِمْ إِذْ فِيهَا يَجِدُونَ مَا  
يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْإِنْسَانُ مِنْ سِيَاسَةِ نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَخَاصَّتِهِ وَجَمِيعِ مَا  
يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ أَمْرِ دِينِهِ وَدُنْيَاهُ وَآخِرَتِهِ وَأَوْلَاهُ وَيَحُضُّهُ عَلَى حُسْنِ  
طَاعَتِهِ لِلْمُلُوكِ وَيُحِبُّهُ مَا تَكُونُ مُجَانَّبَةً خَيْرًا لَهُ \*

### البحث الثالث

## في آداب المحادثة والرواية

( عن مروج الذهب للمسعودي )

( راجع صفحة ١٦٩ من علم الادب )

قَدْ قَالَتِ الْحُكَمَاءُ : لَا تَحْسُنُ الْمُحَادَثَةَ إِلَّا بِحُسْنِ الْفَهْمِ .  
وَقَالُوا : تَعَلَّمْ حُسْنَ الْأَسْتِمَاعِ كَمَا تَتَعَلَّمُ حُسْنَ الْكَلَامِ . وَحُسْنُ  
الْأَسْتِمَاعِ هُوَ أَشْغَى إِلَى الْمُحَدِّثِ حَتَّى يَقْضِيَ حَدِيثَهُ . وَمِنْ آدَبِ

\* وقال بعضهم في وصف كيلة ودمنة :

إذا افتخر الرجال بفضل علم	ومدَّت فيه السنة طويلاً
ففاخر ما استظمت بما حوته	بطون كتاب دمنة مع كيلة
كتاب يفرق البلغاء فيه	وألباب الورى منه كيلة
وكم فيه عجائب كائنات	على دنيا وآخرة دليلاً
وحكم حكم على افواه طير	وآداب وامثال مقولة
يراهما الحامل المأفون هزلاً	وحسبكها لعالمها فضيلة

الْحَدِيثُ وَمُوجِبَاتِهِ أَنْ لَا يُقْتَضَبَ اقْتِضَابًا وَلَا يُفْجَمَ عَلَيْهِ وَأَنْ يُتَوَصَّلَ إِلَى إِجْرَائِهِ بِمَا يُشَاطَرُهُ . وَأَنْ يُسْتَنْسَبَ لَهُ مَا يَحْسُنُ أَنْ يُجْرَى فِي غَرَضِهِ حَتَّى يَكُونَ بَعْضُ الْمُفَاوَضَةِ مُتَعَلِّقًا بِبَعْضٍ عَلَى حَسَبِ مَا قَالُوا فِي الْأَمَلِ : إِنَّ الْحَدِيثَ ذُو شُجُونٍ يُرِيدُونَ بِذَلِكَ تَشَعُّبَهُ وَتَفَرُّعَهُ عَنْ أَصْلِ وَاحِدٍ إِلَى وَجُوهِ مِنَ أَلْمَاعِي كَثِيرَةٍ إِذَا كَانَ أَلْعِيشُ كُلُّهُ فِي أَلْحِلِيسِ الْمُنْتَعِ . وَقَالَ رَجُلٌ : إِنِّي مَا أَمَلْتُ الْحَدِيثَ . فَقَالَ السَّامِعُ : إِنَّمَا يُلُّ أَلْعَتِيقُ لَا الْحَدِيثُ . وَقَدْ أَكْثَرَتِ الشُّعْرَاءُ مِنْ الْأَغْرَاقِ فِي هَذَا أَلْمَعْنَى وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ عَلِيٍّ بْنِ أَلْعَبَّاسِ أَلرُّوَيْحِيِّ :

وَسَنَنْتُ كُلَّ مَارِي فَكَانَ أَطْيَبَهَا غَيْثُ

إِلَّا الْحَدِيثَ فَإِنَّهُ مِثْلُ أَسِيهِ أَبَدًا حَدِيثُ

وَأَحْسَنُ مَا قِيلَ فِي هَذَا أَلْمَعْنَى قَوْلُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَلْعَبَّاسِ :

وَصَحِرْتُ إِلَّا مِنْ لِقَاءِ مُحَدِّثٍ حَسَنِ الْحَدِيثِ يَزِيدُنِي تَعْلِيمًا

وَقَدْ ذَكَرَ بَعْضُ الْمُحَدِّثِينَ مِنْ أَهْلِ الْأَدَبِ أَنَّ مِنَ الْأَدَبِ

عَدَمَ إِطَالَةِ الْحَدِيثِ مِنَ الْأَدِيمِ وَأَنَّ أَحْلَى لِحْدِيثِهِ وَأَحْسَنَ لِمَوْقِعِهِ

أَنْ يَجْتَنِبَ مِنْهُ الْأَحَادِيثَ الطُّوَالَ ذَاتِ أَلْمَعَالِي أَلْمُتْلَعَةِ وَالْأَلْفَاطِ

أَلْحُسْرِيَّةِ الَّتِي أَفْتَنَ بِأَقْصَاصِهَا سُمَارُ الْجُلَّالِسِ وَتَتَعَلَّقُ بِهَا أَلْنُفُوسُ وَتُحْتَسَى

عَلَى أَوَاخِرِهَا أَلْكُؤُوسُ . فَإِنَّ ذَلِكَ يَجَالِسُ أَلْقَصَاصِ أَشْبَهَ مِنْهُ

يَجَالِسُ أَلْخَوَاصِ . وَقَدْ ذَكَرَ هَذَا أَلْمَعْنَى فَاجَادَ فِيهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ

أَلْمُعْتَرِّ وَوَصَفَ ذَلِكَ مِنْ أَوْصَافِ الشَّرَابِ عَلَى أَلْمُعَاقَرَةِ فَقَالَ :

بَيْنَ أَقْدَاحِهِمْ حَدِيثٌ قَصِيرٌ هُوَ يَخْشُرُ وَمَا سِوَاهُ حَرَامٌ  
وَهَذِهِ طَرِيقَةٌ مَنْ ذَهَبَ فِي هَذَا الْمَعْنَى إِلَى اسْتِمَاعِ الطَّلَعِ

### البحث الرابع

#### في حقيقة التاريخ وموضوعه

( عن كشف الظنون للحاج خلفا ومروج الذهب للمسعودي )

( راجع صفحة ١٩٤ من علم الادب )

التَّارِيخُ فِي اللُّغَةِ تَعْرِيفُ الْوَقْتِ مُطْلَقًا . وَيُقَالُ : أَرَزْتُ  
الْكِتَابَ تَارِيخًا وَوَرَّخْتُهُ تَوْرِيخًا كَمَا فِي الصِّحَاحِ وَهُوَ مُعَرَّبٌ . وَعُرْفًا  
هُوَ تَعْيِينُ وَقْتٍ لِيُنْسَبَ إِلَيْهِ زَمَانٌ يَأْتِي عَلَيْهِ أَوْ مُطْلَقًا يَعْنِي سِوَاهُ  
كَانَ مَاضِيًا أَوْ مُسْتَقْبَلًا . وَقِيلَ : تَعْرِيفُ الْوَقْتِ بِاسْتِنَادِهِ إِلَى أَوَّلِ  
حُدُوثِ أَمْرٍ شَانِعٍ مِنْ ظُهُورِ مَلَكَةٍ أَوْ دَوْلَةٍ أَوْ أَمْرٍ هَائِلٍ مِنْ أَلَا تَارِ  
الْعَالَوِيَّةِ وَالْحَوَادِثِ السُّفْلِيَّةِ بِمَا يَنْدُرُ وَقُوْعُهُ جُلَّ ذَلِكَ مَبْدَأُ لِمَعْرِفَةِ  
مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَوْقَاتِ الْحَوَادِثِ وَالْأُمُورِ الَّتِي يَحْبُضُ صَبْطُ أَوْقَاتِهَا فِي  
مُسْتَأْنَفِ السِّنِينَ . وَقِيلَ : عَدَدُ الْأَيَّامِ وَاللَّيَالِي بِالنَّظَرِ إِلَى مَا مَضَى  
مِنَ السَّيِّئَةِ وَالشُّهُورِ إِلَى مَا بَقِيَ . وَعِلْمُ التَّارِيخِ هُوَ مَعْرِفَةُ أَحْوَالِ  
الْأَطَوَائِفِ وَبُلْدَانِهِمْ وَرُسُومِهِمْ وَصَنَائِعِ أَشْخَاصِهِمْ وَأَنْسَابِهِمْ وَوَقَايَتِهِمْ  
إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ . وَمَوْضُوعُهُ أَحْوَالُ الْأَشْخَاصِ الْمَاضِيَةِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ  
وَالْأَوْلِيَاءِ وَالْعُلَمَاءِ وَالْحُكَمَاءِ وَالشُّعْرَاءِ وَالْمُلُوكِ وَغَيْرِهِمْ . وَالْغَرَضُ  
مِنْهُ الْوُقُوفُ عَلَى الْأَحْوَالِ الْمَاضِيَةِ . وَقَائِدُهُ الْعِبَرَةُ بِتِلْكَ الْأَحْوَالِ

الْمَاضِيَةِ وَالْمُتَّصِحُّ بِهَا وَحُصُولُ مَلَكََةِ الْجَارِبِ بِالْوُقُوفِ عَلَى تَقَلُّبَاتِ  
الزَّمَنِ لِيُجْتَرَزَّ عَنْ أَمْثَالِ مَا نُقِلَ مِنَ الْمَضَارِ وَيُسْتَجْلَبَ نَظَائِرُهَا مِنْ  
الْمَنَافِعِ . وَهَذَا الْعِلْمُ كَمَا قِيلَ عَمْرٌ آخَرُ لِلنَّاطِرِينَ وَانْتِفَاعٌ (لِلْمُطَالِمِ)  
فِي مِضْرِهِ بِمَنَافِعِ تَحْصُلِ السَّافِرِينَ

وَلَوْلَا تَقْيِيدُ الْعُلَمَاءِ خَوَاطِرَهُمْ عَلَى النَّهْرِ لَبَطَلَ أَوَّلُ الْعِلْمِ  
وَضَاعَ آخِرُهُ إِذْ كَانَ كُلُّ عِلْمٍ مِنَ الْأَخْبَارِ يُسْتَبْطُ وَالْفَيْهِ مِنْهَا  
يُسْتَسَارُ وَالْفَصَاحَةُ مِنْهَا تُسْتَفَادُ وَأَصْحَابُ الْقِيَاسِ مِنْهَا يَنْتَوْنَ . وَآهْلُ  
الْمَقَالَاتِ بِهَا يَغْتَفُونَ وَمَعْرِفَةُ النَّاسِ مِنْهَا تُؤْخَذُ وَأَمْثَالُ الْحُكَمَاءِ فِيهَا  
تُوجَدُ وَمَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ وَمَعَالِيهَا مِنْهَا تُقْتَبَسُ . وَآدَابُ سِيَاسَةِ الْمُلُوكِ  
وَالْحُزْبِ مِنْهَا تُلْتَمَسُ وَكُلُّ غَرِيبَةٍ مِنْهَا تُعْرَفُ وَكُلُّ أُعْجُوبَةٍ مِنْهَا  
تُسْتَطَرَفُ . وَهُوَ عِلْمٌ يَسْتَمْتَعُ بِسَمَاعِهِ الْعَالِمُ وَالْجَاهِلُ وَيَسْتَعِذُّ  
مَوْقِعَهُ الْأَحَقُّ وَالْعَاقِلُ وَيَأْنَسُ بِمَكَانِهِ وَيَنْزِعُ إِلَيْهِ الْخَاصِيُّ وَالْعَامِيُّ  
وَيَعِيلُ إِلَى رِوَايَتِهِ الْعَرَبِيُّ وَالْعَجَمِيُّ . وَبَعْدُ فَإِنَّهُ يُوصَلُ بِهِ كُلُّ كَلَامٍ  
وَيُتَدَرِّجُ بِهِ فِي كُلِّ مَقَامٍ وَيُحْتَمَلُ بِهِ فِي كُلِّ مَشْهَدٍ وَيُحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي  
كُلِّ مَحْفِلٍ . فَفَضِيلَةُ عِلْمِ الْأَخْبَارِ بَيِّنَةٌ عَلَى كُلِّ عِلْمٍ وَشَرَفُ مَذَرَّتِهِ  
صَحِيحَةٌ فِي كُلِّ قَهْمٍ وَلَا يَصْبِرُ عَلَى عَلَيْهِ وَيَتَّقِنُ مَا فِيهِ وَإِرَادِهِ  
وَإِضَادَرِهِ إِلَّا إِنْسَانٌ قَدْ تَجَرَّدَ لِلْعِلْمِ وَفَهُمْ مَعَاهُ وَذَاقَ ثَمَرَتَهُ  
وَأَسْتَشْعَرَ مِنْ عِزِّهِ وَنَالَ مِنْ سُرُورِهِ

## البحث الخامس

### في شرف التاريخ

( عن ابن خلدون )

( راجع صفحة ١٩٤ من علم الادب )

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ فَنَّ التَّارِيخِ مِنَ الْفُنُونِ الَّتِي تَتَدَاوَلُهَا الْأُمَمُ  
وَالْأَجْيَالُ وَتُشَدُّ إِلَيْهَا الرُّكَّابُ وَالرِّجَالُ وَتَسْمُو إِلَى مَعْرِفَتِهَا السُّوقَةُ  
وَالْأَغْفَالُ . وَتَتَنَافَسُ فِيهَا الْمُلُوكُ وَالْأَقْيَالُ . وَتَتَسَاوَى فِي فَهْمِهَا  
الْعُلَمَاءُ وَالْجُهَالُ . إِذْ هُوَ فِي ظَاهِرِهِ لَا يَرِيدُ عَلَى أَخْبَارٍ عَنِ الْأَيَّامِ  
وَالدُّوَلِ . وَالسَّوَابِقِ مِنَ الْأَثَرِ الْأَوَّلِ . تَسْمُو فِيهَا الْأَقْوَالُ وَتُضْرَبُ  
فِيهَا الْأَمْثَالُ . وَتُطْرَفُ بِهَا الْأَنْدِيَةُ إِذَا غَضَّهَا الْإِحْتِفَالُ . وَتُوَدِّي لَنَا  
شَأْنَ الْحَلِيقَةِ كَيْفَ تَقَلَّبَتْ بِهَا الْأَحْوَالُ . وَاتَّسَعَ لِلدُّوَلِ فِيهَا التَّطَاقُ  
وَالْحِجَالُ . وَعَمَرُوا الْأَرْضَ حَتَّى نَادَى بِهِمِ الْإِلَازِمُ . وَحَانَ مِنْهُمْ الزُّوَالُ .  
وَفِي بَاطِنِهِ نَظَرٌ وَتَحْقِيقٌ . وَتَعْلِيلٌ لِلْكَائِنَاتِ وَمَبَادِئُهَا دَقِيقٌ . وَعِلْمٌ  
بِكَيْفِيَّاتِ الْوُقَاعِ وَأَسْبَابِهَا عَمِيقٌ . فَهُوَ لِذَلِكَ أَصِيلٌ فِي الْحِكْمَةِ  
عَرِيقٌ . وَجَدِيرٌ بِأَنْ يُعَدَّ فِي عُلُومِهَا وَخَلِيقٌ . وَإِنَّ فُحُولَ الْمُؤَرِّخِينَ  
فِي الْإِسْلَامِ قَدِ اسْتَوْعَبُوا أَخْبَارَ الْأَيَّامِ وَجَمَعُوهَا وَسَطَرُوهَا فِي صَفَحَاتِ  
الْدَّفَاتِرِ وَأَوْدَعُوهَا . وَخَطَطُوهَا الْمُتَطَفِّلُونَ بِدَسَائِسَ مِنَ الْبَاطِلِ وَهَمُّوا  
فِيهَا وَابْتَدَعُوهَا . وَزَخَارِفَ مِنَ الرِّوَايَاتِ الْمُضَعَّةِ لِقَوِّهَا وَوَضَعُوهَا .  
وَأَقْنَعَى تِلْكَ الْأَثَارَ الْكَثِيرَ مِمَّنْ بَعْدَهُمْ وَاتَّبَعُوهَا . وَادَّوَاهَا إِلَيْنَا

كَمَا سَمِعُوهَا . وَلَمْ يَلَا حِظُوا أَسْبَابَ الْوَقَائِعِ وَالْأَحْوَالِ وَلَمْ يُرَاعَوْهَا .  
وَلَا رَفَضُوا ثُرَهَاتِ الْأَحَادِيثِ وَلَا دَفَعُوهَا . فَاتَّخِذُوا قَلِيلٌ . وَطَرَفُ اتَّخِذِ  
فِي الْقَالِبِ كَلِيلٌ . وَالْقَلَطُ وَالْوَهْمُ نَسِيبٌ لِلْأَخْبَارِ وَخَلِيلٌ . وَاتَّقْلِيدُ  
عَرِيقٌ فِي الْأَدَمِيَّةِ وَسَلِيلٌ . وَالتَّطَلُّ عَلَى الْقُنُونِ عَرِيضٌ طَوِيلٌ .  
وَمَرَعَى الْجَهْلِ بَيْنَ الْأَنَامِ وَخِيمٌ وَيِلٌ . وَالْحَقُّ لَا يُقَادِمُ سُلْطَانَهُ . وَالْبَاطِلُ  
يُقْذَفُ بِشَهَابِ النَّظَرِ شَيْطَانَهُ . وَالنَّاقِلُ إِنَّمَا هُوَ يَلِي وَيَتَقَلُّ . وَالْبَصِيرَةُ  
تَتَقَدُّ الصَّحِيحَ إِذَا تَمَقَّلُ . وَاعْلَمْ بِجُلُوهَا صَفَحَاتِ الصَّوَابِ وَيَصْقُلُ .  
هَذَا وَقَدْ دَوَّنَ النَّاسُ فِي الْأَخْبَارِ وَاسْتَكْرُوا . وَجَمَعُوا تَوَارِيخَ الْأُمَمِ  
وَالدُّوَلِ فِي الْعَالَمِ وَسَطَرُوا . وَالَّذِينَ ذَهَبُوا بِفَضْلِ الشُّهْرَةِ وَالْإِمَامَةِ  
الْمُعْتَبَرَةِ . وَاسْتَفْرَعُوا دَوَائِينَ مَنْ قَبْلَهُمْ فِي صُحُفِهِمُ الْمُتَأَخَّرَةِ . هُمْ قَلِيلُونَ  
لَا يَكَادُونَ يُجَاوِزُونَ عَدَدَ الْأَنْبِيَاءِ . وَلَا حَرَكَاتِ الْعَوَامِلِ . وَمِثْلُ ابْنِ  
إِسْحَاقَ وَالطَّبْرِيِّ وَأَبْنِ الْكَلْبِيِّ وَمُحَمَّدِ بْنِ عُمَرَ الْوَاقِدِيِّ وَسَيْفِ  
أَبْنِ عُمَرَ الْأَسَدِيِّ وَالْمُسْعُوْدِيِّ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْمَشَاهِيرِ الْمُتَمَيِّزِينَ عَنِ  
الْجَمَاهِيرِ . وَإِنْ كَانَ فِي كُتُبِ الْمُسْعُوْدِيِّ وَالوَاقِدِيِّ مِنَ الْمَطْمَعِ  
وَالْمَغْمَرِ مَا هُوَ مَعْرُوفٌ عِنْدَ الْأَثْبَاتِ . وَمَشْهُورٌ بَيْنَ الْحَفَظَةِ الثَّقَاتِ .  
إِلَّا أَنَّ الْكَافَّةَ اخْتَصَّصْنَاهُمْ بِقَبُولِ أَخْبَارِهِمْ . وَاقْتِفَاءِ سُنَنِهِمْ فِي  
التَّصْنِيفِ وَاتِّبَاعِ آثَارِهِمْ . وَالنَّاقِدُ الْبَصِيرُ قَسْطَاسُ نَفْسِهِ فِي تَرْيِيفِهِمْ  
فِيمَا يَقُولُونَ أَوْ اعْتِبَارِهِمْ . فَلِلْعُمَرَاءِ طَبَائِعُ فِي أَحْوَالِهِ تَرْجِعُ إِلَيْهَا  
الْأَخْبَارُ . وَتُحْمَلُ عَلَيْهَا الرِّوَايَاتُ وَالْأَثَارُ . ثُمَّ إِنَّ أَكْثَرَ التَّوَارِيخِ  
لَهُوَ لَاءُ عَامَةِ الْمَنَاجِمِ وَالْمَسَالِكِ . لِعُمُومِ الدَّوَلَتَيْنِ صَدَرَ الْإِسْلَامُ فِي



أَلْفَاتٍ وَالْمَالِكِ وَتَنَاقُهَا أَلْبَعِدَ مِنَ أَلْعَايَاتِ فِي أَلْمَاخِذِ وَأَلْتَمَارِكِ  
وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ أَسْتَوْعَبَ مَا قَبْلَ أَلْمَلَّةِ مِنَ أَلدُّوْلِ وَأَلْأَمَمِ وَأَلْأَمْرِ  
أَلْعَمَمِ . كَأَلْسُعُودِي وَمَنْ نَحَا مَحَاهُ . وَجَاءَ مِنْ بَعْدِهِمْ مَنْ عَدَلَ عَنْ  
أَلْإِطْلَاقِ إِلَى أَلْتَقْيِيدِ . وَوَقَفَ فِي أَلْعُودِ وَأَلْإِحَاطَةِ عَنْ أَلشَّأْوِ أَلْبَعِيدِ  
فَقَيَّدَ شَوَارِدَ عَصْرِهِ . وَأَسْتَوْعَبَ أَخْبَارَ أَقْبِهِ وَقُطْرِهِ . وَأَقْتَصَرَ عَلَى  
أَحَادِيثِ دَوْلَتِهِ وَمُضَرِّهِ . كَمَا فَعَلَ أَبُو حَيَّانَ مُؤَرِّخُ أَلْأَنْدَلُسِ  
وَأَلدُّوْلَةِ أَلْأَمَوِيَّةِ بِهَا . وَأَبْنُ أَلرَّقِيقِ مُؤَرِّخُ أَفْرِيقِيَّةِ وَأَلدُّوْلَةِ أَلَّتِي كَانَتْ  
بِأَلْقَيْرَوَانِ . ثُمَّ لَمْ يَأْتِ مِنْ بَعْدِ هَؤُلَاءِ إِلَّا مُقَلِّدٌ . وَيَلِيدُ أَلطَّعِ . وَأَلْعَقْلِ  
أَوْ مُتَبَلِّدٌ . يَنْسُجُ عَلَى ذَلِكَ أَلْمُنَوَالِ . وَيَحْتَدِي مِنْهُ بِأَلْمِثَالِ . وَيَذْهَلُ  
عَمَّا أَحَالَتْهُ أَلْأَيَّامُ مِنْ أَلْأَحْوَالِ . وَأَسْتَبَدَّتْ بِهِ مِنْ عَوَائِدِ أَلْأَمَمِ  
وَأَلْأَجْيَالِ . فَيَجْلِبُونَ أَلْأَخْبَارَ عَنْ أَلدُّوْلِ . وَحِكَايَاتِ أَلْوَقَائِعِ فِي أَلْعُصُورِ  
أَلْأَوَّلِ . صُورًا قَدْ تَجَرَّدَتْ عَنْ مَوَادِّهَا . وَصَفَلَمَّا أَلتَّضَيَّتْ مِنْ أَعْمَادِهَا  
وَمَعَارِفِ تَسْتَكْرُ لِلْجَهْلِ بِطَارِفِهَا وَتِلَادِهَا . إِنَّمَا هِيَ حَوَادِثُ لَمْ تُعْلَمَ  
أَعْمَالُهَا . وَأَنْوَاعُ لَمْ تُعْتَبَرْ أَجْنَائُهَا وَلَا تَحَقَّقَتْ فُصُولُهَا . يُكْرَرُونَ فِي  
مَوْضُوعَاتِهَا أَلْأَخْبَارَ أَلْمُتَدَاوِلَةِ بِأَعْيَانِهَا . أَتْبَاعًا لِمَنْ عُنِيَ مِنْ أَلْمُقَدَّمِينَ  
بِشَأْنِهَا . وَيُقْضَوْنَ أَمْرَ أَلْأَجْيَالِ أَلنَّاشِئَةِ فِي دِيَوَانِهَا . بِمَا أَعُوذَ عَلَيْهِمْ  
مِنْ تَرْجُمَاتِهَا فَتَسْتَفْهِمُ صُحُفَهُمْ عَنْ يَبَانِهَا . ثُمَّ إِذَا تَعَرَّضُوا لِذِكْرِ  
أَلدُّوْلَةِ نَسَقُوا أَخْبَارَهَا نَسَقًا . مُحَافِظِينَ عَلَى ثَقْلِهَا وَهَمًّا أَوْ صِدْقًا .  
لَا يَتَعَرَّضُونَ لِبِدَايَتِهَا . وَلَا يَذْكُرُونَ أَلْسَبَبَ أَلَّذِي رَفَعَ مِنْ رَايَتِهَا  
وَأَظْهَرَ مِنْ آيَتِهَا . وَلَا عِلَّةَ أَلْوُقُوفِ عِنْدَ غَايَتِهَا . فَيَبْقَى أَلنَّاطِرُ .

تُتَطَّلَعُ بَعْدُ إِلَى أَفْتِقَادِ أَحْوَالِ مَبَادِي الدُّوَلِ وَمَرَاتِبِهَا . مُقَشَّاتٍ عَنْ  
 أَسْبَابِ تَرَاوُجِهَا أَوْ تَقَابُضِهَا . بَاحِثًا عَنِ التَّلَفُّعِ فِي تَبَايُنِهَا أَوْ فِي تَنَاسُلِهَا .  
 ثُمَّ جَاءَ آخَرُونَ بِإِفْرَاطِ الْإِخْتِصَارِ . وَذَهَبُوا إِلَى الْإِكْتِفَاءِ بِأَسْمَاءِ  
 الْمُلُوكِ وَالْإِقْتِصَارِ . مَقْطُوعَةً عَنِ الْأَنْسَابِ وَالْأَخْبَارِ . مَوْضُوعَةً عَلَيْهَا  
 أَعْدَادُ أَيَّامِهِمْ بِحُرُوفِ الْعِبَارِ . كَمَا فَعَلَ ابْنُ رَشِيْقٍ فِي مِيزَانِ الْحَمَلِ  
 وَمَنْ أَقْتَفَى هَذَا الْأَثَرُ مِنَ الْحَمَلِ . وَلَيْسَ يُعْتَبَرُ لَهُوْلَاءُ مَقَالٌ . وَلَا  
 يُعَدُّ لَهُمْ ثُبُوتٌ وَلَا انْتِقَالٌ . لَمَّا أَذْهَبُوا مِنَ الْقَوَائِدِ . وَأَخْلَوْا  
 بِالْمَذَاهِبِ الْمَعْرُوقَةِ لِلْمُؤَرِّخِينَ وَالْعَوَائِدِ

وَقَدْ زَلَّتْ أَقْدَامُ كَثِيرٍ مِنَ الْأَثْبَاتِ وَالْمُؤَرِّخِينَ اخْتِلَافٍ فِي  
 مِثْلِ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ وَالْآرَاءِ . وَعَلِقَتْ بِأَفْكَارِهِمْ وَنَقَلَهَا عَنْهُمْ  
 الْكَافَّةُ مِنْ ضَعْفَةِ النَّظَرِ وَالْغَفْلَةِ عَنِ الْقِيَاسِ وَتَلَقُّوْنَهَا مِنْ أَيْضًا  
 كَذَلِكَ مِنْ غَيْرِ بَحْثٍ وَلَا رَوِيَّةٍ وَأَنْدَرَجَتْ فِي مَحْفُوظَاتِهِمْ حَتَّى صَارَ  
 فَنُ التَّارِيخِ وَاهِيًا مُخْطِطًا . وَنَاطِرُهُ مُرْتَبِكًا وَعُدٌّ مِنْ مَسَاحِي الْعِلْمَةِ .  
 فَإِذَا يَحْتَاجُ صَاحِبُ هَذَا الْقَنْ إِلَى الْعِلْمِ بِقَوَائِدِ السِّيَاسَةِ وَطَبَائِعِ  
 الْمَوْجُودَاتِ وَاخْتِلَافِ الْأُمَمِ وَالْبِقَاعِ وَالْأَعْصَارِ فِي السِّيَرِ وَالْأَخْلَاقِ  
 وَالْعَوَائِدِ وَالنَّحْلِ وَالْمَذَاهِبِ وَسَائِرِ الْأَحْوَالِ وَالْإِحَاطَةِ بِالْحَاضِرِ مِنْ  
 ذَلِكَ . وَتَمَاتِلُهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقَائِمِ مِنَ الْوَفَاقِ أَوْ بَيْنَ مَا بَيْنَهُمَا  
 مِنْ الْخِلَافِ وَتَقْلِيلِ التَّلَفُّعِ مِنْهَا وَالْخُتْلَافِ . وَالْقِيَامِ عَلَى أُصُولِ  
 الدُّوَلِ وَالْمَلَلِ وَمَبَادِي طُغُورِهَا وَأَسْبَابِ حُدُوثِهَا وَدَوَائِي كَوْنِهَا .  
 وَأَحْوَالِ الْقَائِمِينَ بِهَا وَأَخْبَارِهِمْ حَتَّى يَكُونَ مُسْتَوْعِبًا لِأَسْبَابِ كُلِّ

حَادِثٍ وَاقِعًا عَلَى أَصُولِ كُلِّ خَبَرٍ وَحِينَئِذٍ يَعْزِضُ الْخَبَرَ أَلْتَقُولَ عَلَى مَا  
عِنْدَهُ مِنَ الْقَوَاعِدِ وَالْأَصُولِ . فَإِنْ وَاقِعَهَا وَجَرَى عَلَى مُقْتَضَاهَا كَانَ  
صَحِيحًا وَإِلَّا زَيَّفَهُ وَأَسْتَفْنَى عَنْهُ . وَمَا اسْتَكْبَرَ الْقَدَمَاءُ عِلْمَ التَّأْرِخِ  
إِلَّا لِذَلِكَ حَتَّى اتَّخَذَهُ الطَّبَرِيُّ وَالتُّجَارِيُّ وَأَبْنُ إِسْحَاقَ مِنْ قَبْلِهِمَا  
وَأَمَثَلُهُمْ مِنْ عُلَمَاءِ الْأُمَّةِ . وَقَدْ ذَهَلَ الْكَثِيرُ عَنْ هَذَا السِّرِّ فِيهِ  
حَتَّى صَارَ اتِّخَاذُهُ مَجْهَلَةً وَأَسْتَحْفَ الْعَوَامُّ وَمَنْ لَا رُسُخَ لَهُ فِي الْمَعَارِفِ  
مُطَالَعَتَهُ وَحَمَلَهُ وَالْحَوْضَ فِيهِ وَالتَّطَفُّلَ عَلَيْهِ فَاتَّخَلَطَ الْمُرْعِيُّ بِالْهَمَلِ  
وَاللُّبَابُ بِالْقَشْرِ وَالصَّادِقُ بِالْكَاذِبِ وَإِنَّ لِلَّهِ عَاقِبَةَ الْأُمُورِ

وَأَعْلَمَ أَنَّ فَنَ التَّأْرِخِ فَنٌّ عَزِيزُ الْمَذْهَبِ جَمُّ الْفَائِدَةِ شَرِيفُ  
الْعَائِدَةِ إِذْ هُوَ يَقِفُنَا عَلَى أَحْوَالِ الْمَاضِينَ مِنَ الْأَمَمِ فِي أَخْلَاقِهِمْ  
وَالْأَنْبِيَاءِ فِي سِيرَتِهِمْ وَالْمُلُوكِ فِي دَوْلِهِمْ وَسِيَاسَتِهِمْ حَتَّى تَتِمَّ فَائِدَةُ  
الْإِقْتِدَاءِ فِي ذَلِكَ لِمَنْ يَرُومُهُ فِي أَحْوَالِ الدِّينِ وَالْدُّنْيَا فَهُوَ مُحْتَاجٌ  
إِلَى مَا خِذَ مُتَعَدِّدَةً وَمَعَارِفَ مُشْتَوَعَةً وَحُسْنَ ظَنَرٍ وَتَبَيُّنَ يَفِيفِضَانِ  
بِصَاحِبَيْهَا إِلَى الْحَقِّ وَيَسْكَبَانِ بِهِ عَنِ الْمَزَلَاتِ وَالْمَغَالِطِ . لِأَنَّ  
الْأَخْبَارَ إِذَا اعْتُمِدَ فِيهَا مُجَرَّدُ النُّقْلِ وَلَمْ تُحْكَمْ أَصُولُ الْعَادَةِ وَقَوَاعِدُ  
السِّيَاسَةِ وَطَبِيعَةُ الْعُمُومِ وَالْأَحْوَالُ فِي الْإِجْتِمَاعِ الْإِنْسَانِيِّ وَلَا  
قِيَاسَ الْعُلُوبِ مِنْهَا بِالشَّاهِدِ وَالْحَاضِرِ بِالذَّاهِبِ قَرِيبًا لَمْ يُؤْمَنْ فِيهَا  
مِنَ الْعُتُورِ وَمَزَلَّةِ الْقَدَمِ وَالْحِيدِ عَنْ جَادَةِ الصِّدْقِ . وَكَثِيرًا مَا وَقَعَ  
لِلْمُؤَرِّخِينَ وَالْمُفَسِّرِينَ وَائِمَّةِ النَّفْلِ الْمَغَالِطِ فِي حِكَايَاتِ الْوَقَائِعِ  
لِاعْتِمَادِهِمْ فِيهَا عَلَى مُجَرَّدِ النُّقْلِ غَنًا أَوْ سَمِينًا . لَمْ يَعْزِضُوهَا عَلَى أَصُولِهَا

وَقَاسُوهَا بِأَشْبَاهِهَا وَلَا سَبْرُوهَا بِبِعْيَارِ الْحِكْمَةِ وَالْوُقُوفِ عَلَى طَبَائِعِ  
الْكَائِنَاتِ وَتَحْكِيمِ النَّظَرِ وَالْبَصِيرَةِ فِي الْأَخْبَارِ فَضَلُّوا عَنْ الْحَقِّ  
وَتَاهُوا فِي بَيْدَاءِ أَلْوَهَمِ وَالْفَلْطِ سِيًّا فِي إِخْصَاءِ الْأَعْدَادِ وَالْأَمْوَالِ  
وَالْعَسَاكِرِ إِذَا عَرَضَتْ فِي الْحِكَايَاتِ إِذْ هِيَ مَظَنَّةُ الْكَذِبِ  
وَمَطْيئةُ الْهَذَرِ وَلَا بُدَّ مِنْ رَدِّهَا إِلَى الْأَصُولِ وَعَرْضِهَا عَلَى الْقَوَاعِدِ

### البحث السادس

### في شروط التاريخ

( عن الفخري )

( راجع صفحة ١٩٧ من علم الادب )

وَأَن بَاشَرْتَ بِكِتَابَةِ تَارِيخٍ عَامٍ فَتَكَلَّمْ عَلَى دَوْلَةٍ دَوْلَةٍ يَجْمُوعُ  
مَا حَصَلَ ذَهْنُكَ مِنْ أَهْمِيَةِ الْأَجْتِمَاعِيَّةِ الَّتِي أَفَادَتْكُمُهَا مُطَالَعَةُ السِّيَرِ  
وَالْتَوَارِيخِ وَأَذْكُرْ كَيْفَ كَانَ أَيْتِدَاؤُهَا وَأَنْتَهَاؤُهَا وَطَرَفَا ثَمْتِهَا مِنْ  
مَحَاسِنِ مُلُوكِهَا وَأَخْبَارِ سَلَاطِينِهَا . ثُمَّ إِذَا ذَكَرْتَ دَوْلَةً فَدَوْلَةً  
تَكَلَّمْتَ عَلَى كُلِّيَّاتِ أُمُورِهَا ثُمَّ ذَكَرْتَ وَاحِدًا وَاحِدًا مِنْ مُلُوكِهَا  
وَمَا جَرَى فِي أَيَّامِهِ مِنَ أَلْوَقَائِعِ الشُّهُورَةِ وَالْحَوَادِثِ الْمَأْثُورَةِ فَإِذَا  
انْقَضَتْ أَيَّامُ ذَلِكَ الْمَلِكِ ذَكَرْتَ وَزَرَءَهُ وَاحِدًا وَاحِدًا وَطَرَائِقَ  
مَا جَرَى لَهُمْ . فَإِذَا انْقَضَتْ أَيَّامُ الْمَلِكِ وَوُزَرَءِهِ أَيْتَدَتْ بِالْمَلِكِ الَّذِي  
بَعْدَهُ وَبِمَا جَرَى فِي أَيَّامِهِ وَبِسِيَرِ وَزَرَءِهِ كَذَلِكَ إِلَى آخِرِ تِلْكَ  
الدَّوْلَةِ وَالتَّزَمَ فِيهِ أَمْرَيْنِ : أَحَدُهُمَا أَنْ لَا يَمِيلَ فِيهِ إِلَّا مَعَ الْحَقِّ

وَلَا تَنْطِقَ فِيهِ إِلَّا بِالْعَدْلِ . وَانْ تَعَزَّلْ سُلْطَانُ الْهَوَى وَتَخْرُجَ مِنْ  
حُكْمِ الْمُنْشَأِ وَالْمَرْبَى وَتَقَرِّضَ نَفْسَكَ غَرِيبًا عَنْهُمْ وَأَجْنِيًا بَيْنَهُمْ .  
وَتَأْنِيهَا أَنْ تُعْتَرِ عَنْ الْمَعَانِي بِعِبَارَاتٍ وَاضِحَةٍ تَقْرُبُ مِنَ الْأَفْهَامِ  
لِتَنْتَفِعَ بِهِ كُلُّ أَحَدٍ عَادِلًا عَنْ الْعِبَارَاتِ الْمُسْتَضْعَبَةِ الَّتِي يُقْصَدُ فِيهَا إِظْهَارُ  
الْفَصَاحَةِ وَرَأْيَاتُ الْبَلَاغَةِ فَطَالَمَا رَأَيْتُ مُصَنِّفِي الْكُتُبِ قَدْ أَعْرَضَتْهُمْ  
مَحَبَّةُ إِظْهَارِ الْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ فَخَفِيتُ أَغْرَاضَهُمْ وَأَعْتَاصَتُ مَعَانِيَهُمْ فَقَلَّتْ  
الْفَائِدَةُ بِمُصَنَّفَاتِهِمْ . هَذَا وَإِنْ كُتِبَ التَّوَارِيخُ إِنْ نُظِرَ بِعَيْنِ الْأَنْصَافِ  
إِلَيْهَا رَأَيْتُ أَنْفَعَ مِنَ الْحِمَاسَةِ الَّتِي لَهَجَ النَّاسُ بِهَا وَأَخَذُوا أَوْلَادَهُمْ  
بِحِفْظِهَا فَإِنَّ الْحِمَاسَةَ لَا يُسْتَفَادُ مِنْهَا أَكْثَرُ مِنَ الرَّغِيبِ فِي الشَّجَاعَةِ  
وَالضِّيَاقَةِ وَشَيْءٍ يَسِيرٍ مِنَ الْأَخْلَاقِ فِي أَلْبَابِ الْمَسْئَى بَابِ الْأَدَبِ  
وَالتَّائُسِ بِالْمَذَاهِبِ الشَّعْرِيَّةِ . وَالتَّأْرِخُ يُسْتَفَادُ مِنْهُ هَذِهِ الْخِصَالُ  
الْمَذْكُورَةُ . وَيُسْتَفَادُ مِنْهُ قَوَاعِدُ السِّيَاسَةِ وَادَوَاتُ الرِّئَاسَةِ . فَهَذَا  
فِيهِ مَا فِي الْحِمَاسَةِ وَلَيْسَ فِي الْحِمَاسَةِ مَا فِيهِ وَإِنَّهُ يُفِيدُ الْعَقْلَ قُرَّةً  
وَالذَّهْنَ حِدَّةً وَالْبَصِيرَةَ نُورًا وَهُوَ لِلخَاطِرِ الذَّكِيِّ بِمَنْزِلَةِ الْمَسْنَنِ لِلْفُلُولِ  
الْحَيِّدِ وَهُوَ أَيْضًا أَنْفَعُ مِنَ الْقَلَمَاتِ الَّتِي النَّاسُ فِيهَا مُعْتَقِدُونَ وَفِي تَحْفِظِهَا  
رَاغِبُونَ إِذَا الْقَلَمَاتُ لَا يُسْتَفَادُ مِنْهَا سِوَى التَّحَرُّنِ عَلَى الْإِنْشَاءِ وَالْوُقُوفِ  
عَلَى مَذَاهِبِ النَّظْمِ وَالتَّنْثِيرِ . نَعَمْ وَفِيهَا حِكْمٌ وَحَيْلٌ وَتَجَارِبُ إِلَّا أَنَّ  
ذَلِكَ بِمَا يُصَغَّرُ الْهَمَّةُ إِذْ هُوَ مَبْنِيٌّ عَلَى السُّؤَالِ وَالِاسْتِجْدَاءِ وَالتَّحْمِيلِ الْقَبِيحِ  
عَلَى تَحْصِيلِ الزَّرِّ الطَّيِّفِ فَإِنْ نَفَعَتْ مِنْ جَانِبٍ ضَرَّتْ مِنْ جَانِبٍ  
وَبَعْضُ النَّاسِ تَنْهَوُا عَلَى هَذَا مِنَ الْقَلَمَاتِ الْحَرِيرِيَّةِ وَالْبَدِيعِيَّةِ فَعَدَلَ

نَاسٌ إِلَى نَفْحِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ : فَإِنَّ الْكِتَابَ  
الَّذِي يُتَعَلَّمُ مِنْهُ الْحُكْمُ وَالْمَوَاضِعُ وَالْخُطْبُ وَالشَّجَاعَةُ وَالزُّهْدُ وَعُلُوُّ  
الْهَيْمَةِ وَادْنَى فَوَائِدِهِ الْفَصَاحَةُ وَالْبَلَاغَةُ . وَكَذَلِكَ كُتِبَ التَّوَارِخُ  
فَإِنَّ الْإِنْسَانَ زَبْنًا أَصْجَرَتْهُ أَلْهَامُهُ وَالْأَشْغَالُ فَادَّارَوْحَ فِكْرُهُ بِالنَّظَرِ  
فِيهَا دَفَعَ بِهَا أَلْمَلَالَ وَتَذَكَّرَ بِهَا مَا أَنْسَتْهُ الْأَشْغَالُ . . .

### البحث السابع

في الاصول العشرة التي يعتمد عليها الكاتب في المكاتبات

( من كتاب صبح الاعشى لابي المباس أحمد القلقشندي )

( راجع صفحة ٢٠٧ من علم الادب )

( الْأَوَّلُ الْأَوَّلُ حُسْنُ الْإِفْتِتَاحِ ) الْمَطْلُوبُ فِي سَائِرِ أَنْوَاعِ  
الْكَلَامِ مِنْ نَثَرٍ وَنَظْمٍ بِمَا يُوجِبُ التَّحْسِينَ لِيَكُونَ دَاعِيَةً لِاسْتِمَاعِ  
مَا بَعْدَهُ . وَيَرْجِعُ حُسْنُ الْإِفْتِتَاحِ فِي الْمَكَاتِبَةِ إِلَى مَعْنَيْنِ : ( أَلْفَنَى  
الْأَوَّلُ ) أَنْ يَكُونَ أَحْسَنُ فِيهِ رَاجِعًا إِلَى الْمُبْتَدَأِ بِهِ إِمَّا بِإِلْفِتِتَاحِ  
بِالْحَمْدِ لِلَّهِ كَمَا فِي بَعْضِ الْمَكَاتِبَاتِ لِأَنَّ النَّفْسَ تَتَشَوَّقُ إِلَى  
الْإِنْتِزَاعِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى . أَوْ بِالسَّلَامِ الَّذِي جَعَلَهُ الشَّارِعُ مُفْتَتِحَ الْخُطَابِ  
أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ . فَإِنَّ أَمْرَ الْمَكَاتِبَاتِ مَبْنِيٌّ عَلَى التَّلَطُّفِ وَاسْتِجْلَابِ  
الْحَوَاطِرِ وَتَأْلِيفِ الْقُلُوبِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ بِمَا يَجْرِي هَذَا الْجَرَى عَلَى مَا  
يَقْتَضِيهِ اضْطِلَاحُ كُلِّ دَمْنٍ فِي الْإِنْتِدَاءِ . ( أَلْفَنَى الثَّانِي ) أَنْ  
يَكُونَ أَحْسَنُ فِيهِ رَاجِعًا إِلَى مَا يُوجِبُ التَّحْسِينَ مِنْ سُهولة اللفظِ

وَصِحَّةُ السَّبْكِ وَوُضُوحُ الْمَغْنَى وَتَجَنُّبُ الْحَشْوِ وَغَيْرُ ذَلِكَ.... (الْأَصْلُ  
الثَّانِي) بَرَاءَةُ الْإِسْتِهْلَالِ الْمَطْلُوبَةُ فِي كُلِّ فَنٍّ مِنْ فُنُونِ الْكَلَامِ  
بِأَن يَأْتِيَ فِي صَدْرِ الْمَكَاتِبَةِ بِمَا يَدُلُّ عَلَى عَجْزِهَا فَإِنْ كَانَ الْكَاتِبُ  
يَهْتَنِي، أَتَى فِي أَوَّلِ كَلَامِهِ بِمَا يَدُلُّ عَلَى التَّهْنِئَةِ. أَوْ كَانَ الصَّدَدُ فِي  
التَّعْزِيَةِ أَتَى فِي أَوَّلِهِ بِمَا يَدُلُّ عَلَى التَّعْزِيَةِ أَوْ فِي غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَغَانِي  
أَتَى فِي أَوَّلِهِ بِمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ لِيُعْلَمَ مِنْ مَبْدَأِ الْكَلَامِ مَا الْمُرَادُ...  
ثُمَّ مِنْ الْمَكَاتِبَاتِ مَا يَغُسِّرُ مَعَهُ الْإِتْيَانُ بِبَرَاءَةِ الْإِسْتِهْلَالِ فَيَأْتِي بِهَا  
فِيمَا يَلِي ذَلِكَ مِنَ الْكَلَامِ فِي مُقَدِّمَةِ الْمَكَاتِبَةِ قَبْلَ الْخَوْضِ فِي  
الْمَقْصُودِ... (الْأَصْلُ الثَّلَاثُ) الْمَقْدِّمَةُ الَّتِي يَلْزُمُ أَنْ يَأْتِيَ بِهَا فِي  
صَدْرِ الْكُتُبِ الْمُشْتَبِلَةِ عَلَى الْمَقَاصِدِ الْخَالِصَةِ تَأْسِيسًا لِمَا يَأْتِي فِي  
مَكَاتِبَةِ. مِثْلُ أَنْ يَأْتِيَ فِي صَدْرِ كُتُبِ الْحَثِّ عَلَى الْجِهَادِ بِذِكْرِ  
أَقْبَرِهِ عَلَى الْأُمَّةِ وَمَا وَعَدَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ مِنْ نَصْرِ أَوْلِيَائِهِ وَجَذْلَانِ  
أَعْدَائِهِ وَإِعْزَازِ الْمُؤَحِّدِينَ وَقَعَ الْمُحْدِثِينَ. وَفِي صُدُورِ كُتُبِ الْقَتْلِ  
بِالْمِجَازِ وَعَدِ اللَّهِ الَّذِي وَعَدَهُ أَهْلُ الطَّاعَةِ مِنَ النَّصْرِ وَالظَّفَرِ وَإِظْهَارِ  
دِينِهِ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ. وَفِي صُدُورِ كُتُبِ جَبَايَةِ الْخَرَاجِ بِحَاجَةِ قِيَامِ  
الْمَلِكِ إِلَى الْأَسْتِعَانَةِ بِمَا يُسْتَخْرَجُ مِنْ حُقُوقِ السُّلْطَانِ فِي عِمَارَةِ الْقُفُورِ  
وَتَحْصِينِ الْأَعْمَالِ وَتَقْوِيَةِ الرِّجَالِ وَنَحْوِ ذَلِكَ بِمَا يَجْرِي عَلَى هَذَا السَّطَرِ.  
قَالَ فِي مَوَادِّ الْبَيَانِ : وَعَلَى هَذَا السَّبِيلِ جَرَتْ سُنَّةُ الْكُتَّابِ فِي  
جَمِيعِ الْكُتُبِ مِنْ أَيْ نَوْعٍ مِنَ الْمَغَانِي كَالْفَتْوحِ وَالتَّهْنِئَةِ وَالتَّعَاذِي  
وَالْتَّهَادِي وَالْإِسْتِجَارِ وَالْإِسْتِطَاءِ وَالْإِحْمَادِ وَالْإِذْمَامِ وَغَيْرِهَا لِيَكُونَ

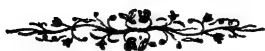
ذَلِكَ بِسَاطَا لِمَا يُرِيدُ الْقَوْلَ فِيهِ وَحُجَّةٌ يَسْتَظْهِرُ بِهَا السُّلْطَانُ لِأَنَّ كُلَّ  
كَلَامٍ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ فَرْشٍ يُفْرَشُ قَبْلَهُ لِيَكُونَ مِنْهُ بَيِّنَةٌ لِالْأَسَاسِ  
مِنَ الْبَيِّنَاتِ . ( قَالَ ) : وَيَرْجَعُ فِي هَذِهِ الْمَقْدَمَاتِ إِلَى مَعْرِفَةِ  
الْكَاتِبِ مَا يَسْتَحِقُّهُ كُلُّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْكَلَامِ مِنَ الْمَقْدَمَاتِ  
الَّتِي تُشَاطِرُهَا . ( ثُمَّ قَالَ ) وَالطَّرِيقُ فِي إِصَابَةِ الْمَرْحَى فِي هَذِهِ  
الْمَقْدَمَاتِ أَنْ تُجْعَلَ مُشْتَبِهَةً عَلَى مَا بَعْدَهَا مِنَ الْمَقَاصِدِ وَالْأَغْرَاضِ  
وَأَنْ يُوَضَعَ لِلْأَمْرِ الْخَاصِّ مُقَدِّمَةٌ خَاصَّةٌ وَلِلْأَمْرِ الْعَامِّ مُقَدِّمَةٌ عَامَّةٌ  
وَلَا يُطَوَّلُ فِي مَوْضِعٍ الْإِقْتِصَارُ وَلَا يُقْصَرُ فِي مَوْضِعٍ الْإِلْجَازُ . وَلَا  
تُجْعَلَ أَغْرَاضُهَا بَعِيدَةً لِمَا خِذَ مُعْتَصَصَةً عَلَى الْمُتَصَفِّحِ وَذَلِكَ أَنَّ  
الْكَاتِبَ رَبَّمَا قَصَدَ إِظْهَارَ الْقُدْرَةِ عَلَى الْكَلَامِ وَالتَّصَرُّفِ فِي وَجْهِهِ  
النُّطْقِ فَخَرَجَ إِلَى الْأَمْلَالِ وَالْإِضْجَارِ الَّذِي تَتَرَدَّدُ مِنْهُ النَّفْسُ وَذَوُّ  
الْأَخْطَارِ الْخَلِيلَةِ . أَمَّا الْكُتُبُ الَّتِي لَا تُشْتَبِلُ عَلَى الْمَقَاصِدِ الْخَلِيلَةِ  
كَرِقَاعِ التَّخْفِ وَالْهَدَايَا وَنَحْوِهَا فَلَا تُجْعَلُ لَهَا مُقَدِّمَةٌ فَإِنَّ ذَلِكَ غَيْرُ  
جَائِزٍ وَغَيْرُ وَاقِعٍ مَوْقِعُهُ . ( الْأَصْلُ الرَّابِعُ ) مَوَاقِعُ الْأَلْفَاظِ الدَّائِرَةُ  
فِي الْكُتُبِ فَيَلْزِمُ أَنْ يُعَيَّنَ مَوْقِعُ كُلِّ لِيَضَعَهُ مَكَانَهُ . وَقَالَ فِي  
ذَخِيرَةِ الْكُتُبِ : يَجِبُ عَلَى الْكَاتِبِ الرَّئِيسِ أَنْ يَعْرِفَ مَوَاقِعَ  
الْأَلْفَاظِ وَمَوَاقِعَهَا لِیُرْتَبَهَا وَيُفَرِّقَ بَيْنَهَا فَرَقًا يَقَعُّهُ عَلَى الْوَاجِبِ وَيَنْتَهِي  
بِهِ إِلَى الصَّوَابِ فَتُجَاطَبُ كُلًّا فِي مُكَاتَبَتِهِ يَمَا يَسْتَحِقُّهُ مِنْ  
الْخُطَابِ . . وَمَتَى اسْتَمَرَ الْكَاتِبُ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ فَقَدْ نَقَضَتْ الْمَقَاصِدُ وَكَانَ



الكَاتِبُ قَدْ أَخْلَ مِنْ الصَّنَاعَةِ بِمُغْظِيهَا وَتَرَكَ مِنْ أَلْبَلَاغَةِ غَايَةِ  
مُحْكِمِهَا بَلْ يَجِبُ أَنْ بَدَأَ بِمُخْطَابِ رَئِيسٍ أَوْ نَظِيرٍ أَوْ مَرْؤُوسٍ أَنْ  
يَكُونَ مَا يَحْتَلُّ مُكَاتَبَتُهُ مِنَ الْأَلْفَاظِ عَلَى اتِّسَاقٍ إِلَى آخِرِهَا وَأَطْرَادٍ  
مِنْ غَيْرِ مُجَالَفَةٍ بَيْنَهَا وَلَا مُضَادَّةٍ وَلَا مُتَاقِضَةٍ . نَعَمْ يَحْسُنُ ذَلِكَ فِي  
مُعَاتَبَاتِ الْأَخْوَانِ وَالْمُدَاعَبَاتِ الْجَارِيَةِ بَيْنَ الْحُلَدَانِ . . . ( الْأَصْلُ  
الْحَامِسُ ) الْأَدْعِيَةُ الَّتِي جَرَتْ عَادَةُ السَّلَفِ وَتَبِعَهُمُ الْخَلَفُ بِاسْتِعْمَالِهَا  
فِي الْمُكَاتَبَاتِ . وَالنَّظَرُ فِيهَا مِنْ سِتَّةِ أَوْجُهٍ : ( الْأَوَّلُ ) أَنْ يَعْرِفَ  
مَرَاتِبَ الدُّعَاءِ لِيُوقِعَهَا فِي مَوَاقِعِهَا وَيُورِدَهَا فِي مَوَارِدِهَا . وَيَأْتِي ذَلِكَ  
فِي عِدَّةٍ أَدْعِيَةٍ مِنْهَا : الدُّعَاءُ بِإِطَالَةِ الْبَقَاءِ وَالدُّعَاءُ بِإِطَالَةِ الْعُمُرِ .  
فَالدُّعَاءُ بِإِطَالَةِ الْبَقَاءِ أَرْفَعُ مِنَ الدُّعَاءِ بِإِطَالَةِ الْعُمُرِ . وَذَلِكَ أَنَّ  
الْبَقَاءَ لَا يَدُلُّ عَلَى مُدَّةٍ تَنْقُضِي لِأَنَّهُ ضِدُّ الْفَنَاءِ وَالْعُمُرُ يَدُلُّ عَلَى  
مُدَّةٍ تَنْقُضِي وَلِذَلِكَ يُوصَفُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْبَقَاءِ وَلَا يُوصَفُ بِالْعُمُرِ . .  
( الثَّانِي ) أَنْ يَعْرِفَ مَا يُنَاسِبُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ أَرْبَابِ الْمَنَاصِبِ  
الْجَلِيلَةِ مِنَ الدُّعَاءِ فَيُخِصُّهُ بِهِ فَيَأْتِي بِالدُّعَاءِ فِي مُكَاتَبَةِ الْمُلُوكِ بِدَوَامِ  
السُّلْطَانِ وَخُلُودِ الْمُلْكِ . وَإِلَى الْأَمْرَاءِ بِالدُّعَاءِ بِعِزِّ النَّصْرِ وَمُدَاوِمَةِ  
النِّعْمَةِ . وَإِلَى الْوُزَرَاءِ مِنْ أَرْبَابِ الْأَقْلَامِ بِسُبُوغِ النِّعْمَاءِ وَتَحْلِيلِ  
السَّعَادَةِ وَدَوَامِ الْعِزِّ . وَإِلَى الْقُضَاةِ وَالْحُكَّامِ بِالدُّعَاءِ بِعِزِّ الْأَحْكَامِ .  
وَإِلَى التُّجَّارِ بِالدُّعَاءِ بِتَزْيِيدِ الْإِقْبَالِ وَشِبْهِ ذَلِكَ . ( وَالثَّلَاثُ ) أَنْ  
يَعْرِفَ مَا يُنَاسِبُ كُلَّ حَالَةٍ مِنْ حَالَاتِ الْمُكَاتَبَاتِ فَيَأْتِي كُلَّ حَالَةٍ  
بِمَا يُنَاسِبُهَا مِنَ الدُّعَاءِ فَتَكُونُ الْأَدْعِيَةُ دَالَّةً عَلَى مَقَاصِدِ الْكُتَّابِ

فَإِنْ كَانَ فِي الْهَنَاءِ وَالشُّكْرِ أَوْ التَّغْزِيَةِ آتَى كُلًّا بِمَا يُنَاسِبُهُ . (الرَّابِعُ)  
 أَنْ يَعْرِفَ مَوَاضِعَ الدُّعَاءِ عَلَى الْمَكْتُوبِ إِلَيْهِ ... (الْأَصْلُ السَّادِسُ)  
 أَنْ يَعْرِفَ مَا يُنَاسِبُ الْمَكْتُوبَ إِلَيْهِ مِنَ الْأَلْقَابِ فَيُعْطِيَهُ حَقَّهُ  
 مِنْهَا . . . كَالْمَقَامِ وَالْقَرَرِ وَالْجَنَابِ وَالنَّادِي وَالْجَلِيسِ فِي زَمَانِنَا . . .  
 وَكَذَلِكَ التَّنُوتَ . (الْأَصْلُ السَّابِعُ) أَنْ يُرَاعِيَ مَقَاصِدَ الْمَكَاتِبَاتِ  
 فَيَأْتِي بِكُلِّ مَقْصِدٍ بِمَا يُنَاسِبُهُ وَمَدَارُ ذَلِكَ عَلَى أَمْرَيْنِ : (الْأَمْرُ الْأَوَّلُ)  
 أَنْ يَأْتِيَ مَعَ كُلِّ كَلِمَةٍ بِمَا يَلِيْقُ بِهَا وَيَخْتَارُ لِكُلِّ لَفْظَةٍ مَا يُشَاءُ كُلِّهَا  
 فَإِنْ ذَكَرَ النِّعْمَةَ حَمْدَ اللَّهِ وَإِنْ ذَكَرَ الْبَلْوَى شَفَعَهَا بِالِاسْتِعَانَةِ  
 بِاللَّهِ وَالرُّجُوعَ إِلَيْهِ فِيهَا . وَيَلْتَمِصُ بِذَلِكَ أَيْضًا أَنَّهُ إِذَا ذَكَرَ الرَّئِيسَ  
 فِي أَثْنَاءِ الْمَكَاتِبَةِ دَعَا لَهُ بِمِثْلِ أَنْ يَقُولَ عِنْدَ ذِكْرِ السُّلْطَانِ :  
 خَلَّدَ اللَّهُ مُلْكَهُ وَبِمَا يَجْرِي هَذَا الْحَجَرِ . (الْأَمْرُ الثَّانِي) أَنْ يَتَخَطَّى  
 التَّضَرُّعَ إِلَى التَّلَوُّعِ وَالْإِشَارَةَ إِذَا آجَأَتْهُ الْحَالُ إِلَى الْمَكَاتِبَةِ بِمَا  
 لَا يَجُوزُ كَشْفُهُ وَإِظْهَارُهُ عَلَى صِرَاحَتِهِ بِمَا فِي ذِكْرِهِ أَطْرَاحَ مَهَابَةِ  
 السُّلْطَانِ وَانْعَاةُ مَا يَلْزَمُ مِنْهُ إِخْلَالُ الْأَدَبِ فِي حَقِّهِ كَمَا لَوْ أَطْلَقَ  
 لِسَانَهُ فِيهِ بِلَفْظٍ قَبِيحٍ يَسُوهُ سَمَاعُهُ فَيَحْتَاجُ الْمُنْشِئُ إِلَى اسْتِعْمَالِ  
 التَّوَرِيَةِ فِي هَذِهِ الْمَوَاضِعِ وَالتَّلَطُّفِ فِي الْعِبَارَةِ عَنْ هَذِهِ أَلْمَعَانِي مِنْ  
 غَيْرِ خِيَاةٍ فِي طَيِّ مَا لَا غَى بِهِ عَنْ عَلَيْهِ . وَهَذَا بِمَا لَا يَسْتَعْلَى بِهِ  
 إِلَّا أَلْتَمَزُ فِي الصِّاعَةِ أَلْتَصَرَّفُ فِي تَأْلِيفِ الْكَلَامِ . . . (الْأَصْلُ  
 الثَّانِي) أَنْ يَعْرِفَ مَقْدَارَ فَهْمِ كُلِّ طَبَقَةٍ مِنَ الْمُخَاطَبِينَ فِي  
 الْمَكَاتِبَاتِ مِنَ اللِّسَانِ فَيُخَاطَبُ كُلُّ أَحَدٍ بِمَا يُنَاسِبُهُ مِنَ اللَّفْظِ وَمَا

يَصِلُ إِلَيْهِ فَهَهُ مِنْ الْخُطَابِ ( اِسْتِشْهَادٌ مِنْ كِتَابِ الصِّنَاعَتَيْنِ ) ..  
 ( الْأَصْلُ الثَّاسِعُ ) أَنْ يُرَاعِيَ رُتَبَةَ الْمَكْتُوبِ عَنْهُ وَالْمَكْتُوبِ إِلَيْهِ  
 فِي الْخُطَابِ فَيُعَبِّرَ عَنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِمَا يَلِيْقُ بِهِ . وَيُخَاطِبَ  
 الْمَكْتُوبَ إِلَيْهِ بِمَا يَلِيْقُ بِمَقَامِهِ . فَأَمَّا الْمَكْتُوبُ عَنْهُ فَيُخْتَلَفُ الْحَالُ  
 فِيهِ بِاخْتِلَافِ مَنْصِبِهِ وَرُتَبَتِهِ فَيُعَبَّرُ فِي الْكُتُبِ الصَّادِرَةِ عَنْ أَبْوَابِ  
 الْخِلَاقَةِ بِأُمُورِ الْمُؤْمِنِينَ مِثْلُ أَنْ يُقَالَ : فَجَرَى أَمْرُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ  
 فِي كَذَا عَلَى كَذَا . وَأَوْعَزَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى فُلَانٍ بِكَذَا وَأَقْتَضَى  
 رَأْيُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ كَذَا وَهَلُمَّ جَرًا . وَكَذَلِكَ أَنْ يَعْرِفَ قَدْرَ الْمَكْتُوبِ  
 إِلَيْهِ مِنَ الرُّؤَسَاءِ وَالنُّظَرَاءِ وَالْعُلَمَاءِ وَالْوُكَلَاءِ لِيَفْرُقَ بَيْنَ مَنْ  
 يَكْتُبُ إِلَيْهِ .. أَلَا تَرَى أَنَّكَ لَوْ خَاطَبْتَ سُلْطَانًا أَوْ وَزِيرًا بِالتَّعْزِيَةِ  
 عَنْ الْمَصِيبَةِ مِنْ مَصَائِبِ الدُّنْيَا لَمَا جَازَ أَنْ تُبْنِيَ الْكَلَامَ عَلَى وَعْظِهِ  
 وَتَبْصِيرِهِ وَإِشْرَادِهِ وَحَصِّهِ عَلَى الْإِخْذِ بِحُظَيْهِ مِنَ الصَّبْرِ .. وَأَمَّا الصَّوَابُ  
 أَنْ تُبْنِيَ الْخُطَابَ عَلَى أَنَّهُ أَعْلَى شَأْنًا وَأَرْفَعُ مَكَانًا مِنْ أَنْ يُعْزَى  
 بِخِلَافِ الْمَتَأَخَّرِ فِي الرُّتَبَةِ فَإِنَّهُ أَمَّا يُعْزَى تَنْبِيْهَا وَتَذْكِيرًا وَتَضْيِيرًا  
 وَتَعْرِيفًا لِلْوَاجِبِ فِي تَلْقَى السَّرَّاءِ بِالشُّكْرِ وَالضَّرَّاءِ بِالصَّبْرِ . . .  
 ( الْأَصْلُ الْعَاشِرُ ) أَنْ يُرَاعِيَ مَوَاقِعَ الْآيَاتِ وَالسَّجَعِ فِي الْكُتُبِ  
 وَذَكَرَ آيَاتِ الشِّعْرِ فِي الْمَكَاتِبَاتِ ...



## الفصل التاسع

في حل الشعر والاحتذاء.

### البحث الأول

#### في حسن الاخذ

( من كتاب الصناعتين للمصري )

( راجع صفحة ٢٣٩ من علم الادب )

لَيْسَ لِأَحَدٍ مِنْ أَصْنَافِ الْقَائِلِينَ غِنًى عَنْ تَنَاوُلِ الْعَالِي مِمَّنْ  
تَقَدَّمَهُ وَالصَّبُّ عَلَى قَوَالِبِ مَنْ سَبَقَهُ وَلَكِنْ عَلَيْهِ إِذَا أَخَذَهَا أَنْ  
يَكْسُوهَا أَلْفَاظًا مِنْ عِنْدِهِ وَيُزَيِّرُهَا فِي مَعَارِضٍ مِنْ تَأْلِيفِهِ وَرَضْفِهِ  
وَيُؤَدِّيَهَا فِي غَيْرِ حَلَّتِيهَا الْأُولَى وَيَزِيدَ فِي حُسْنِ تَأْلِيفِهَا وَجَوْدَةِ  
تَرْكِيبِهَا وَجَمَالِ حَلَّتِيهَا وَمَعْرِضِهَا . فَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ فَهُوَ أَوْلَى بِهَا بِمَنْ  
سَبَقَ إِلَيْهَا وَلَوْ لَا أَنَّ الْقَائِلَ يُؤَدِّي مَا سَمِعَ لَمَا كَانَ فِي طَاقَتِهِ أَنْ  
يَقُولَ وَإِنَّمَا يَنْطِقُ الطِّفْلُ بَعْدَ اسْتِمَاعِهِ مِنَ الْبَالِغِينَ . وَقَالَ أَمِيرُ  
الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٌّ : لَوْ لَا أَنَّ الْكَلَامَ يُعَادُ لَنَفَدَ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : كُلُّ  
شَيْءٍ ثَنِيَّتُهُ قَصْرٌ إِلَّا الْكَلَامَ فَإِنَّكَ إِذَا ثَنَيْتَهُ طَالَ . عَلَى أَنَّ الْعَالِي  
مُشْتَرِكَةٌ بَيْنَ الْعَقْلَاءِ فَرُبَّمَا وَقَعَ أَلْغَنَى الْحَيْدُ لِلْسُّوْقِي وَالنَّبْطِيُّ وَالزُّنْجِيُّ  
وَإِنَّمَا يَتَفَاضَلُ النَّاسُ فِي الْأَلْفَاظِ وَرَضْفِهَا وَتَأْلِيفِهَا وَنَظْمِهَا . وَقَدْ  
يَقَعُ لِلْمُتَأَخِّرِ مَعْنَى سَبَقَهُ إِلَيْهِ الْمُتَقَدِّمُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُلِمَّ بِهِ وَلَكِنْ

كَمَا وَقَعَ لِلأَوَّلِ وَقَعَ لِلآخِرِ . وَهَذَا أَمْرٌ عَرَفْتُهُ مِنْ نَفْسِي فَلَسْتُ  
أَمْتَرِي فِيهِ . وَقَدْ قِيلَ : إِنَّ مَنْ أَخَذَ مَعْنَى بِلَفْظِهِ كَانَ لَهُ سَالِحًا  
وَمَنْ أَخَذَهُ فَكَسَاهُ لَفْظًا مِنْ عِنْدِهِ آجُودٌ مِنْ لَفْظِهِ كَانَ هُوَ  
أَوَّلَى بِهِ يَمِّنُ تَقَدَّمَهُ . وَقَالُوا : إِنَّ أَبَا عُذْرَةَ أَلْكَامَ مِنْ سَبَكِ  
أَفْظُهُ عَلَى مَعْنَاهُ . وَمَنْ أَخَذَ مَعْنَى بِلَفْظِهِ فَلَيْسَ لَهُ فِيهِ نَصِيبٌ . عَلَى أَنَّ  
أَيْتَكَارَ أَلْمَعْنَى وَالسَّبِقَ إِلَيْهِ لَيْسَ هُوَ فَضِيلَةٌ تَرْجِعُ إِلَى أَلْمَعْنَى وَإِنَّمَا  
هُوَ فَضِيلَةٌ تَرْجِعُ إِلَى الَّذِي أَيْتَكَرَهُ وَسَبَقَ إِلَيْهِ . فَأَلْمَعْنَى أَحْيَدُ جَيْدٍ  
وَإِنْ كَانَ مَسْبُوقًا إِلَيْهِ . وَالْوَسْطُ وَسَطٌ وَالرَّدْيُ رَدْيٌ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ  
مَسْبُوقًا إِلَيْهِمَا . وَقَدْ أَطْبَقَ الْمُتَقَدِّمُونَ وَالْمُتَأَخِّرُونَ عَلَى تَدَاوُلِ أَلْمَعْنَى  
بَيْنَهُمْ فَلَيْسَ عَلَى أَحَدٍ فِيهِ عَيْبٌ إِلَّا إِذَا أَخَذَهُ بِلَفْظِهِ كُلَّهُ وَأَخَذَهُ فَأَفْسَدَهُ  
وَقَصَرَ فِيهِ عَمَّنْ تَقَدَّمَهُ وَرَبَّمَا أَخَذَ الشَّاعِرُ الْقَوْلَ الْمَشْهُورَ وَلَمْ يُبَالِ  
كَمَا فَعَلَ النَّابِغَةُ فَإِنَّهُ أَخَذَ قَوْلَ وَهْبِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ زُهَيْرٍ :

تَبْدُو كَوَاكِبُ وَالشَّمْسُ طَالِعَةٌ

وَقَالَ النَّابِغَةُ

تَبْدُو كَوَاكِبُ وَالشَّمْسُ طَالِعَةٌ لَا النُّورُ نُورٌ وَلَا الْأِظْلَامُ اِظْلَامٌ  
وَأَخَذَ قَوْلَ رَجُلٍ مِنْ كِنْدَةَ فِي عَمْرِو بْنِ هِنْدٍ :

هُوَ الشَّمْسُ وَأَفَتْ يَوْمَ دَجَنٍ فَأَفْضَلَتْ  
عَلَى كُلِّ ضَوْءٍ وَالْمُلُوكِ كَوَاكِبُ

فَقَالَ :

فَإِنَّكَ شَمْسٌ وَالْمُلُوكُ كَوَاكِبُ إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهُنَّ كَوَاكِبُ

وَسَتَّبِعُ الْقَوْلَ فِي هَذَا أَلْبَابٍ وَأَحَادِقُ يُخْفِي دَيْبُهُ إِلَى أَلْمَنَى  
يَأْخُذُهُ فِي سِتْرَةٍ فَتُحْكَمُ لَهُ بِالسَّبْقِ إِلَيْهِ . وَذَلِكَ أَنْ يَأْخُذَ مَعْنَى  
مِنْ أَنْظَمَ فَيُورِدُهُ فِي نَثْرِ . أَوْ مِنْ نَثَرٍ فَيُورِدُهُ فِي نَظْمٍ أَوْ يَنْقُلَ  
أَلْمَنَى الْمُسْتَعْمَلَ فِي صِفَةٍ حَرَفِيَّةٍ فِي مَدِيحٍ أَوْ فِي مَدِيحٍ فَيَنْقُلُهُ إِلَى  
وَضْفٍ . إِلَّا إِنَّهُ لَا يَكْمُلُ بِهَذَا إِلَّا الْمُبَرِّزُ وَالْكَامِلُ الْمَقْدَمُ فَمَنْ  
أَخْفَى دَيْبُهُ إِلَى أَلْمَنَى وَسَتَرَهُ غَايَةَ السَّتْرِ أَبُو تَمَّامٍ فِي قَوْلِهِ :

جَمَعْتَ عَرَى أَعْمَالَهَا بَعْدَ فُرْقَةٍ إِلَيْكَ كَمَا ضَمَّ الْأَنْبِيَاءُ عَامِلُ  
قَالُوا هُوَ مِنْ قَوْلِ الْجَبَالِ الرَّبْعِي :

أَوَّلِكَ إِخْوَانَ الصَّفَاءِ رَزَنْتُهُمْ فَمَا الْكَفُّ إِلَّا اضْبِعُ ثُمَّ اضْبِعُ  
وَهَكَذَا قَوْلُهُ وَقَدْ نَقَلَهُ مِنْ مَعْنَى إِلَى آخَرَ :

مَكَارِمُ لَحَّتْ فِي غُلُوٍّ كَأَنَّهَا تُحَاوِلُ ثَارًا عِنْدَ بَعْضِ الْكَوَاكِبِ  
قَالُوا هُوَ مِنْ قَوْلِ الْأَخْطَلِ :

عَرُوفٌ لِحَقِّ السَّائِلِينَ كَأَنَّهُ يَغْرِ الْمَتَالِي طَالِبٌ بِذُنُوبِ  
وَمِمَّا أَخَذَهُ وَزَادَ فِيهِ عَلَى الْأَوَّلِ قَوْلُهُ :

أَفَنَاهُمْ الصَّبْرَ إِذَا أَبْقَاكُمْ الْجَزْعُ

مِنْ قَوْلِ السَّمْعَلِ :

يُقَرِّبُ حُبُّ أَلَمَتْ أَجَالَنَا لَنَا وَتَكَرَّهَتْ أَجَالُهُمْ قَطُّوْلُ  
أَوْرَدَهُ أَبُو تَمَّامٍ فِي رِضْفِ بَيْتٍ وَأَسْتَوْفَى التَّطْيِيقَ وَمِنْ هَذَا  
الضَّرْبِ قَوْلُهُ :

عَلَّمَنِي جُودَكَ السَّمَاحَ فَمَا أَبْقَيْتُ شَيْئًا لَدَيَّ مِنْ صِلَتِكَ

مِنْ قَوْلِ ابْنِ الْخِطَّابِ :

لَسْتُ بِكَفِي كَفِّهِ أَتَّبِعِي الْغَنَى  
وَلَمْ أَذِرْ أَنْ أَلْجُودَ مِنْ كَفِّهِ يُعْذِي  
فَلَا أَنَامُهُ مَا أَفَادَ ذُورُ الْغَنَى  
أَفَدْتُ وَأَعْدَانِي فَأَتَلَفْتُ مَا عِنْدِي

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ مُسْلِمٍ :

أُحِبُّ الرِّيحَ مَا هَبَّتْ شَمَالًا  
وَأَحْسُدهَا إِذَا هَبَّتْ جَنُوبًا  
قَسَمَ تَقْسِيمًا حَسَنًا وَمَعْنَاهُ : أَنَّ الشَّمَالَ تَحِيُّ مِنْ نَاحِيَةِ صَدِيقِهِ  
إِلَيْهِ فَاحْبَبَهَا وَالْجَنُوبَ تَهَبُّ إِلَى الْحَبِيبِ فَحَسَدَهَا لِمُبَاشَرَتِهَا جِسْمَهُ وَهُوَ  
مَأْخُودٌ مِنْ قَوْلِ جِرَانِ الْعُودِ :

إِذَا هَبَّتِ الْأَرْوَاحُ مِنْ نَحْوِ أَرْضِكُمْ  
وَجَدْتُ لِرِيَّاهَا عَلَى كَيْدِي بَرْدًا  
وَزَادَ مُسْلِمٌ فِي قَوْلِهِ أَيْضًا :

وَيُعْذِدُ السَّيْفَ بَيْنَ الْخَرِّ وَالْجِيدِ

عَلَى السَّابِقِ إِلَى هَذَا أَلْغَنَى وَهُوَ بَعْضُ الْقُرَّانِ إِذْ يَقُولُ :

جَعَلْتُ السَّيْفَ بَيْنَ اللَّيْثِ وَمَنْهُ  
وَيَنْ سَوَادِ لَحْيِهِ عِدَارًا  
لِأَنَّ الْأَعْمَادَ فِيهِ أَشَدُّ تَأْثِيرًا مِنْ وَضْعِ الْعِدَارِ عَلَيْهِ . وَقَدْ زَادَ  
أَبُو نُوَّاسٍ عَلَى جَرِيرٍ فِي قَوْلِهِ :

وَقَدْ أَطْوَلَ بِحَادِ السَّيْفِ مُحْتَبًا  
مِثْلُ الرُّدَيْنِيِّ هَزَّتُهُ الْأَنَابِيبُ  
فَقَالَ أَبُو نُوَّاسٍ :

سَبَطُ الْأَنْبَانِ إِذَا أَحْتَبَى بِحَادِهِ  
غَمْرُ الْجَمَاجِمِ وَالسَّيَاطُ قِيَامُ

قَوْلُهُ : غَمْرُ الْجَمَاجِمِ أَحْسَنُ مِنْ قَوْلِ جَرِيرٍ مِثْلُ الرُّدَيْنِيِّ .  
وَهَكَذَا قَوْلُهُ :

أَسْمُ طَوَالِ السَّاعِدِينَ كَأَنَّمَا  
أَحْسَنُ لَفْظًا وَسَبْكًَا مِنْ قَوْلِ عُنْتَرَةَ :  
بَطْلٌ كَانَ رِيَابُهُ فِي سَرَحَةٍ يُحْذَى نَعَالُ السَّبْتِ لَيْسَ بِتَوَامٍ  
وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ فِي ابْنِي عُيَيْدٍ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ :

لَهْفِي عَلَى تِلْكَ أَنْحَايِلٍ فِيهِمَا لَوْ أُهْمِلْتُ حَتَّى تَكُونَ شَمَائِلًا  
لَوْ يُنْسَبَانِ لَكَانَ هَذَا غَارِبًا لِلْمَكْرُمَاتِ وَكَانَ هَذَا كَاهِلًا  
إِنَّ إِلْهَالًا إِذَا رَأَيْتَ نَمُوهُ أَتَيْتَ أَنْ سَيَكُونُ بَدْرًا كَامِلًا  
أَحْسَنُ وَأَجُودُ مِمَّا أَخَذَ مِنْهُ هَذِهِ الْمَعَانِي وَهُوَ قَوْلُ الْفَرَزْدَقِ :  
وَرِي جَوْفِهِ مِنْ دَارِمٍ ذُو حَفِظَةٍ لَوْ أَنَّ أَلْمَايَا أَنْسَأَتْهُ لِيَالِيَا  
لَا يَقَعُ بَيْتُ الْفَرَزْدَقِ مَعَ آيَاتِ أَبِي تَمَامٍ مَوْفِعًا . وَأَخَذَ قَوْلَ  
الْفَرَزْدَقِ :

وَمَا وَامَرْتَنِي النَّفْسُ فِي رِحْلَةٍ لَهَا إِلَى أَحَدٍ إِلَّا إِلَيْكَ ضَمِيرُهَا  
فَسَرَحَهُ وَقَالَ :

وَمَا طَوَفْتُ فِي الْأَفَاقِ إِلَّا وَمِنْ جَدْوَالِكَ رَاحِلَتِي وَرَادِي  
مُقِيمُ الظَّنِّ عِنْدَكَ وَالْأَمَانِي وَإِنْ قَلِقْتُ رِكَابِي فِي الْأَلْدَادِ  
وَالِي بَيْتِ الْفَرَزْدَقِ يُشِيرُ الْقَائِلُ :  
مَدَحْتُكَ جَهْدِي بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ

فَقَصَّرَ عَمَّا فِيكَ مِنْ صَالِحِ جَهْدِي  
فَمَا كُلُّ مَا فِيهِ مِنَ الْخَيْرِ قَاتِيهِ  
وَلَا كُلُّ مَا فِيهِ يَقُولُ الَّذِي بَعْدِي



وَكُنْتُ إِذَا هَيَّأتُ مَدْحًا لِأَجَدٍ  
أَتَانِي الَّذِي فِيهِ بِأَذْنِي الَّذِي عِنْدِي

وَمِنْ هَاهُنَا أَخَذَ أَبُو نُؤَاسٍ قَوْلَهُ :

إِذَا نَحْنُ أَتَيْنَا عَلَيْكَ بِصَالِحٍ فَأَنْتَ كَمَا تُشِي وَفَوْقَ الَّذِي تُشِي  
وَرَأْنُ جَرَتْ أَلَا لَفَاطُ يَوْمًا بِمَدْحَةٍ اغْفِرْكَ إِنْسَانًا فَأَنْتَ الَّذِي نَعْنِي  
وَيُشِيرُ إِلَى قَوْلِ الْخَنَسَاءِ :

وَمَا بَلَّغَ الْمُهَذُونَ فِي الْقَوْلِ مَدْحَةً وَإِنْ أَطْنُبُوا إِلَّا الَّذِي فِيكَ أَفْضَلُ  
وَهَكَذَا قَوْلُهُ :

قَوْمٌ إِذَا لَبِسُوا الدَّرُوعَ لَمَوْقِفٌ لِبَسَتَهُمُ الْأَحْسَابُ فِيهِ دُرُوعًا  
أَتَمُّ وَأَجُودُ مِنْ قَوْلِ الْأَوَّلِ :

لَبِسُوا الْقُلُوبَ عَلَى الدَّرُوعِ مُظَاهِرِينَ لِدَفْعِ ذَلِكَ  
وَقَالَ أَعْرَابِيٌّ : إِنَّ أَلَدَى حَيْثُ تَرَى الضِّغَاطَا . فَأَخَذَهُ بِشَارٍ  
وَقَدْ شَرَحَهُ وَيَبَيَّنَهُ فَقَالَ :

تَسْقُطُ الطَّيْرُ حَيْثُ يَتَشَرُّ الْحُبُّ م وَتُغْشَى مَنَازِلُ الْكُرْمَاءِ  
وَمِثْلُهُ قَوْلُ الْآخَرِ :

يُزْدَجِمُ النَّاسُ عَلَى بَابِهِ وَالْمَشْرَبُ الْعَذْبُ كَثِيرُ الزَّحَامِ  
وَسَمِعَ أَبُو تَمَّامٍ قَوْلَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ لِلْأَشْعَثِ بْنِ قَيْسٍ :  
إِنَّكَ إِنْ صَبَرْتَ جَرَى عَلَيْكَ قَضَاءُ اللَّهِ وَأَنْتَ مَوْزُورٌ . وَإِنَّكَ إِنْ  
لَمْ تَسَلْ أُخْتِسَابًا سَأَوْتَ كَمَا تَسَلُوا الْبَهَائِمَ فَحَكَاهُ حِكَايَةً حَسَنَةً فِي  
قَوْلِهِ :

وَقَالَ عَلِيٌّ فِي التَّعَاذِي لَا شَعَثَ وَخَافَ عَلَيْهِ بَعْضُ تِلْكَ الْمَأْتَمِ  
أَتَضِرُّ لِلْبَلَوَى حَيَاءً وَحِسْبَةً فَتَوَجَّرُ أَمْ تَسْلُوسُلُوْا إِلَهَاسِمِ  
خُلُقُنَا رِجَالًا لِلتَّجَلُّدِ وَالْأَلَسَى وَتِلْكَ الْغَوَايِي لِلْبُكَاءِ وَالْمَأْتَمِ  
وَأَلْبَيْتُ الْأَخِيرُ مِنْ قَوْلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ لَمَّا قُتِلَ مُضْعَبٌ .

وَأَمَّا التَّسْلِيمُ وَالسَّلَوةُ لِلْخَوَمَاءِ الزَّجَالِ . وَإِنْ أَلْهَمَ وَالْجَرَعَ لِرَبَاتِ الْحِجَالِ  
وَسَمِعَ قَوْلَ زِيَادٍ لِأَبِي الْأَسْوَدِ . لَوْ أَنَّكَ ضَعِيفٌ لَأَسْتَعْمَلْتُكَ . فَقَالَ  
أَبُو الْأَسْوَدِ : إِنْ كُنْتُ تُرِيدُنِي لِلصَّرَاعِ فَلَا تَنِي لَا أَضْلُحْ لَهُ وَإِلَّا فَتَقِيرُ  
شَدِيدٍ أَنْ أَمُرَ وَأَنْهَى فَقَالَ أَبُو تَمَّامٍ :

تَحِبُّ أَنْ رَأَتْ جَنَسِي نَحِيفًا كَانَ الْحَجْدُ يُدْرِكُ بِالصَّرَاعِ  
وَلَمَّا قَالَ بَشَّارٌ :

مَنْ رَأَقَبَ النَّاسَ لَمْ يَطْفُرْ بِحَاجَتِهِ وَفَارَ بِالطَّيِّبَاتِ أَلْفَاتِكُ اللَّهُمَّ  
تَبِعَهُ سَلَمُ الْحَاسِرِ فَقَالَ :

مَنْ رَأَقَبَ النَّاسَ مَاتَ غَمًّا وَفَارَ بِاللَّذَّةِ الْجُسُورِ

فَلَمَّا سَمِعَ بَشَّارٌ هَذَا أَلْبَيْتَ قَالَ : ذَهَبَ الْحَيْثُ بَيْتِي . وَمِنْ  
حُسْنِ الْإِتِّبَاعِ أَيْضًا قَوْلُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْعَبَّاسِ حَيْثُ كَتَبَ : إِذَا  
كَانَ لِلْمُحْسِنِ مِنَ الثَّوَابِ مَا يُقْنِعُهُ وَلِلْمُسِيءِ مِنَ الْعِقَابِ مَا يَقْنَعُهُ  
أَزْدَادُ الْمُحْسِنِ فِي الْإِحْسَانِ رَغْبَةٌ وَأَنْقَادُ الْمُسِيءِ لِلْحَقِّ رَهْبَةٌ . أَخَذَهُ  
مِنْ قَوْلِ عَلِيٍّ : يَحِبُّ عَلَى الْوَالِي أَنْ يَتَعَهَّدَ أُمُورَهُ وَيَتَفَقَّدَ أَعْوَانَهُ  
حَتَّى لَا يَخْتَمِيَ عَلَيْهِ إِحْسَانُ مُحْسِنٍ وَلَا إِسَاءَةُ مُسِيءٍ ثُمَّ لَا يَتْرُكُ وَاحِدًا  
مِنْهُمَا بِغَيْرِ جَزَاءٍ . فَإِنْ تَرَكَ ذَلِكَ تَهَاوَنَ الْمُحْسِنُ وَاجْتَرَأَ الْمُسِيءُ وَفَسَدَ

الْأَمْرُ وَضَاعَ الْعَمَلُ . وَسَمِعَ بَعْضُ الْكُتَّابِ قَوْلَ نَصِيبٍ :  
وَلَوْ سَكَتُوا أَثْنَتَ عَلَيْكَ الْحَقَّابُ

فَكُتِبَ وَلَوْ أُمِسَّكَ لِسَانِي عَنْ شُكْرِكَ لَنَطَقَ أَثْرُكَ عَلَيَّ .  
وَفِي فَضْلِ آخَرَ : وَلَوْ جَعَدْتُكَ إِحْسَانَكَ لَأَكْذَبْتَنِي آثَارُهُ وَنَمَتُ  
عَلَيَّ شَوَاهِدُهُ . وَقَرِيبٌ مِنْهُ قَوْلُهُمْ : شَاهِدَاتُ الْأَحْوَالِ أَعْدَلُ مِنْ  
شَهَادَاتِ الرِّجَالِ . أَخَذَهُ ابْنُ الْأَرَوِّحِيِّ فَشَرَحَهُ فِي قَوْلِهِ :

حَالُ السَّيِّدِ فِي عَمَائِرِكُمْ لَكِنْ فَمُ الْحَالِ مَتِي غَيْرُ مَسْدُودٍ  
حَالُ تَصِيحُ بِمَا أَوْلَيْتَ مُعْلَنَةً وَكُلُّ مَا تَدَّعِيهِ غَيْرُ مَرْدُودٍ  
كُلِّي هِجَاءَ وَقَتْلِي لَا يَحِلُّ لَكُمْ فَمَا يُدَاوِيكُمْ مَتِي سِوَى الْجُودِ  
وَمَنْ أَحْسَنَ الْإِتِّبَاعِ أَيْضًا أَحْمَدُ بْنُ يُوسُفَ وَقَدْ سَمِعَ قَوْلَ  
عَلِيٍّ : لَا تَكُونَنَّ كَمَنْ يَغْبِزُ عَنْ شُكْرِ الْإِنِّي وَيَلْتَمِسُ الزِّيَادَةَ  
فِيمَا بَقِيَ . فَكُتِبَ : أَحَقُّ مَنْ أَثْبَتَ لَكَ الْعُدْرَ فِي حَالِ شُغْلِكَ  
مَنْ لَمْ يَخْلُ سَاعَةً مِنْ بَرِّكَ فِي وَقْتِ فَرَاغِكَ . وَأَخَذَهُ أَخْذَا ظَاهِرًا  
أَحْمَدُ بْنُ صُبَيْحٍ فَقَالَ : فِي شُكْرِ مَا تَقَدَّمَ مِنْ إِحْسَانِ الْأَمِيرِ شَاغِلٌ  
عَنْ اسْتِظَْاءِ مَا تَأَخَّرَ مِنْهُ . وَأَخَذَهُ سَعِيدُ بْنُ حَمِيدٍ فَقَالَ : لَسْتُ  
مُسْتَقْلًا لِشُكْرِ مَا مَضَى مِنْ بَلَائِكَ فَاسْتَبْطِئْ دَرَكَ مَا أُوَقِّلُ مِنْ  
مَزِيدِكَ . وَمِنْ هَذَا أَيْضًا قَوْلُ أَبِي نَوَاسٍ :

لَا تُسَدِّينَ إِلَيَّ عَارِقَةً حَتَّى أَقُومَ بِشُكْرِ مَا سَلَفَا  
وَأَخْبَرَ الْأَخْفَشُ قَالَ : قَالَ أَبُو تَمَّامٍ لِابْنِ أَبِي رُوَادٍ لَمَّا غَضِبَ  
عَلَيْهِ : أَنْتَ النَّاسُ كُلُّهُمْ وَلَا طَاقَةَ لِي بِغَضَبِ جَمِيعِ النَّاسِ . فَقَالَ

أَبْنُ أَبِي رُوَادٍ : مَا أَحْسَنَ هَذَا مِنْ آيِنٍ أَخَذْتَهُ . قَالَ : مِنْ قَوْلِ  
 أَبِي نُوَّاسٍ وَلَيْسَ عَلَى اللَّهِ بِمُسْتَنْكَرٍ . أَنْ يَجْمَعَ الْعَالَمُ فِي وَاحِدٍ  
 وَمَنْ سَمِعَ هَذَا الْكَلَامَ يَطْنُهُ مَسْرُوقًا مِنْ قَوْلِ جَرِيرٍ :  
 إِذَا غَضِبْتَ عَلَيَّ بَنُو تَيْمٍ رَأَيْتُ النَّاسَ كُلَّهُمْ غَضَابًا  
 وَسَمِعَ قَلِيبُ الْمُعْتَرِي آيَاتًا لِلْعَنِيِّ وَهِيَ :  
 أَفَلْتَ بَطَالَتُهُ وَرَاجَعَهُ حِلْمٌ وَأَعَقَبَهُ أَهْوَى نَدَمًا  
 أَتَى عَلَيْهِ الدَّهْرُ كُلُّكَهْ وَأَعَادَهُ الْإِقْتَارَ وَالْعَدَمَا  
 فَإِذَا أَلَمَ بِهِ أَخُو ثِقَةٍ غَضَّ الْجُنُونَ وَمَجَّحَ الْكَلِمَا  
 فَقَالَ لِبَعْضِ الْمُلُوكِ يَسْتَعِظُفُهُ عَلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِهِ : جَعَلَنِي اللَّهُ  
 فِدَاكَ . لَيْسَ هُوَ الْيَوْمَ كَمَا كَانَ أَمْسٍ إِنَّهُ وَحْيَاكَ أَفَلْتَ بَطَالَتُهُ  
 إِيَّيَ وَاللَّهِ وَرَاجَعَهُ حِلْمُهُ وَأَعَقَبَهُ وَحَقِّكَ أَهْوَى نَدَمًا أَتَى عَلَيْهِ الدَّهْرُ عَلَيْهِ  
 كُلُّكَهْ فَهُوَ الْيَوْمَ إِذَا رَأَى أَخَا ثِقَةٍ غَضَّ بَصَرَهُ وَمَجَّحَ كَلَامَهُ .  
 وَهَذَا يُعْرَفُ أَنَّ حَلَّ الْمَنْظُومِ وَنَظْمَ الْخَلُولِ أَسْهَلُ مِنْ أَيْدَائِهِمَا  
 لِأَنَّ الْمَعَانِي إِذَا حُلَّتْ مَنْظُومًا أَوْ نُظِمَتْ مَنْثُورًا حَاضِرَةٌ بَيْنَ يَدَيْكَ  
 تَرِيدُ فِيهَا مِثْنًا فَتَحُلُّ أَوْ تَنْقُصُ مِنْهَا شَيْئًا فَتَنْظِمُ . وَإِذَا أَرَدْتَ  
 أَيْدَاءَ كَلَامٍ وَجَدْتَ الْمَعَانِي غَائِبَةً عَنْكَ فَتَحْتَاجُ إِلَى فِكْرٍ يُخْضِرُكَهَا  
 وَالْخَلُولُ مِنَ الشَّعْرِ عَلَى أَرْبَعَةِ أَضْرِبٍ : ضَرْبٌ مِنْهَا يَكُونُ  
 بِإِذْخَالِ لَفْظَةٍ بَيْنَ آخَرَتَيْنِ . وَضَرْبٌ يَحُلُّ بِتَأْخِيرِ لَفْظَةٍ مِنْهُ وَتَقْدِيمِ  
 أُخْرَى فَيَحْسُنُ مَحْلُولُهُ وَيَسْتَقِيمُ . وَضَرْبٌ مِنْهُ يَحُلُّ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ  
 وَلَا يَحْسُنُ وَلَا يَسْتَقِيمُ . فَا مَّا الْأَضْرِبُ الْأَوَّلُ فَمِثْلُهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ

صَدَرَ كَلَامٍ قَلِيلٍ الْمُعْتَرِي . وَأَمَّا الضَّرْبُ الثَّانِي فَمِثَالُهُ مَا ذَكَرَ  
بَعْضُ الْكُتَّابِ مِنْ قَوْلِ الْبُحْثِيِّ :

تَطْلُبُ الْأَكْثَرُ فِي الدُّنْيَا وَقَدْ تُبْلَغُ الْحَاجَةُ فِيهَا بِالْأَقْلِ  
ثُمَّ قَالَ : فَإِذَا بَثَرْتَ ذَلِكَ وَلَمْ تَرُدَّ فِي الْفَاطَةِ شَيْئًا قُلْتَ :  
تَطْلُبُ فِي الدُّنْيَا الْأَكْثَرُ وَتُبْلَغُ مِنْهَا الْحَاجَةُ بِالْأَقْلِ . فَأَمَّا  
الضَّرْبُ الثَّلَاثُ فَهُوَ أَنْ تُوَضَعَ الْفَاطَةُ أَلْبَيْتٍ فِي مَوَاضِعَ لَا يَحْسُنُ  
وَضْعُهَا فِي غَيْرِهَا فَيَحُلُّ إِذَا بَثَرَ بِتَأْخِيرٍ لَفْظٍ وَتَقْدِيمِ آخَرَ فَيَحْتَاجُ  
نَثْرَهُ إِلَى التَّنْقِصَانِ مِنْهُ وَالزِّيَادَةِ فِيهِ . كَقَوْلِ الْبُحْثِيِّ أَيْضًا :

يُسِرُّ بِعُمَرَانَ الدِّيَارَ مُضَلَّلٌ وَعُمَرَانُهَا مُسْتَأْنَفٌ مِنْ خَرَابِهَا  
وَلَمْ أَرْتَضِ الدُّنْيَا أَوَانَ مَحِيئَتِهَا فَكَيْفَ أَرْتَضِيهَا أَوَانَ ذَهَابِهَا  
فَإِذَا نَثَرْتُ عَلَى هَذَا أَلْوَجِهَ قِيلَ : يُسِرُّ مُضَلَّلٌ بِعُمَرَانَ الدُّنْيَا وَمِنْ  
خَرَابِهَا عُمَرَانُهَا مُسْتَأْنَفٌ وَلَمْ أَرْتَضِ أَوَانَ مَحِيئَتِهَا الدُّنْيَا فَكَيْفَ أَوَانَ  
ذَهَابِهَا أَرْتَضِيهَا . فَهَذَا نَثْرٌ فَاسِدٌ فَإِذَا غَيَّرْتَ بَعْضَ الْفَاطَةِ حَسَنَ  
وَهُوَ أَنْ تَقُولَ : يُسِرُّ الْمُضَلَّلُ بِعُمَرَانَ الدِّيَارِ وَإِنَّمَا يُسْتَأْنَفُ عُمَرَانُهَا  
مِنْ خَرَابِهَا . وَمَا أَرْتَضَيْتُ الدُّنْيَا أَوَانَ مَحِيئَتِهَا فَكَيْفَ أَرْتَضِيهَا أَوَانَ  
ذَهَابِهَا . وَنَحْنُ نَقُولُ إِنَّ مِنَ النَّظْمِ مَا لَا يُمَكِّنُ حُلَّهُ أَصْلًا بِتَأْخِيرِ  
لَفْظَةٍ وَتَقْدِيمِ أُخْرَى مِنْهُ حَتَّى يُلْحَقَ بِهِ التَّغْيِيرُ وَالزِّيَادَةُ وَالتَّنْقِصَانُ .  
مِثْلُ قَوْلِ الشَّاعِرِ :

إِسَانُ الْقَتَى نِصْفٌ وَنِصْفٌ فَوَادُهُ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا صُورَةُ اللَّحْمِ وَاللَّحْمِ  
فَالْمِصْرَاعُ الْأَوَّلُ يُمَكِّنُ أَنْ تُؤَخَّرَ الْفَاطَةُ وَتُقَدَّمَ فَيَصِيرُ نَثْرًا .

نُسْتَقِيمًا وَهُوَ أَنْ تَقُولَ : فَوَادُ أَلْتَقَى نِصْفٌ وَلِسَانُهُ نِصْفٌ . وَلَا  
يُمْكِنُ فِي الْمِضْرَاعِ الثَّانِي ذَلِكَ حَتَّى تَرِيدَ فِيهِ أَوْ تَقْصُصَ مِنْهُ لِأَنَّ  
الْمِضْرَاعَ الثَّانِي إِنَّمَا هُوَ تَذْيِيلٌ لِلْمِضْرَاعِ الْأَوَّلِ فَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَحْلَهُ  
حَلًّا مُقْتَصِرًا يَغْيِرُ لَفْظُهُ قُلْتَ : أَلْأَنْسَانُ شَطْرَانِ لِسَانٌ وَجَنَانٌ . وَمِمَّا  
لَا يُمْكِنُ حَلُّهُ بِتَقْدِيمِ لَفْظِهِ مِنْهُ وَتَأْخِيرِ أُخْرَى أَيْضًا قَوْلُ أَبِي  
نُؤَاسٍ :

أَلَا يَا أَبْنَ الْأَذِينَ فَنُؤَادُوا      أَمَا وَاللَّهِ مَا ذَهَبُوا لِيَتَّقَى  
فَتَحْتَاجُ فِي نَثَرِهِ إِلَى تَغْيِيرِهِ وَإِبْدَالِ أَلْفَاظِهِ فَتَقُولُ : أَلَا يَا أَبْنَ  
الَّذِينَ مَاتُوا وَمَضُوا وَطَعْنُوا فَنَأَوَّا قَوْلَ اللَّهِ مَا ظَعْنُوا لِيَتَّقِمَ وَمَا رَأَمُوا إِلَّا  
لِيَرِيمَ . وَلَا مَاتُوا لِيَحْيَا وَلَا فَنُوا لِيَتَّقَى . وَفِي هَذِهِ أَلْفَاظٌ طَوَّلٌ وَلَيْسَ  
بِصَافِرٍ عَلَى مَا خَبَرْتِكَ فَإِنْ أَرَدْتَ اخْتِصَارَهُ قُلْتَ : أَمَا وَاللَّهِ إِنْ  
أَلَمْتُ لَمْ يُصَبِّكَ فِي أَيْبِكَ إِلَّا لِيُصِيبَكَ فِيكَ . وَالضَّرْبُ الرَّابِعُ  
أَنْ تَكْسُوَ مَا تَحْلَهُ مِنَ الْمَنْظُومِ أَلْفَاظًا مِنْ عِنْدِكَ . وَهَذَا أَرْفَعُ  
دَرَجَاتِكَ . وَمِنْهُ مَا قَالَ بَعْضُهُمْ لِلرَّبِّيعِ بْنِ خَيْمٍ وَقَدْ رَأَى اجْتِهَادَهُ  
فِي الْعِبَادَةِ : قَتَلْتَ نَفْسَكَ . فَقَالَ : رَاحَتَهَا أَطْلُبُ . فَقَالَ الشَّاعِرُ :  
سَاطِلِبُ بَعْدَ الدَّارِ مِنْكُمْ لَتَقْرُبُوا      وَتَسْكُبُ عَيْنَايَ الدُّمُوعَ لَتَجْعَدَا  
وَمِنْهُ مَا جَاءَ عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ فَقَالَ نَثْرًا : إِنْ أَمْرًا لَمْ يَعُدَّ بَيْنَهُ  
وَيَيْنَ آدَمَ إِلَّا أَبَا مَيْتَةٍ لَمُعَرَّةٍ لَهُ فِي أَلَمَاتِهِ . فَاخَذَهُ أَبُو نُؤَاسٍ فَقَالَ :  
وَمَا النَّاسُ إِلَّا هَالِكٌ وَأَبْنُ هَالِكٍ      وَذُو نَسَبٍ فِي أَهْلَاكِينَ عَرِيقُ  
وَسَمِعَ بَعْضُ الْكُتَّابِ قَوْلَ أَبِي ثَمَامٍ :

فَإِنْ نَحْذِ عِلَّةً نَعْمُ بِهَا حَتَّى تَرَانَا نَعَادُ مِنْ مَرَضِهِ  
فَكَتَبَ مَنْ تَزَلَّ مَزَلَّتِي مِنْ طَاعَتِكَ وَمُشَارَكَتِكَ كَانَ حَقِيقًا  
أَنْ يُهَنَّا بِالتَّعْمَةِ تَحْدُثُ عِنْدَكَ وَيَعَزَّى عَلَى النَّائِبَةِ تُلَمُّ بِكَ . فَتَقْلُ  
الْعِيَادَةَ إِلَى الْأُصِيَّةِ وَالْتَعَزِّيَةِ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : الْكِتَابَةُ نَقْضُ الشِّعْرِ .  
وَقِيلَ لِلْعِتَابِي : بِمِ قَدَرْتَ عَلَى الْبَلَاغَةِ فَقَالَ : بِحِلِّ مَعْقُودِ الْكَلَامِ  
وَأَحْسَنَ أَبُو نَافٍ فِي قَوْلِهِ :

إِلَيْكَ هَتَكْنَا جُحْ لَيْلَ كَأَنَّمَا قَدْ اكْتَحَلَتْ مِنْهُ الْبِلَادُ بِإِثْمِهِ  
وَزَادَ فِيهِ عَلَى أَبِي نَوَاسٍ وَمِنْهُ اخَذَ . وَهُوَ قَوْلُهُ :

وَجُحْ لَيْلَ مُسْتَحِيلُ بِقَارِ

لَآنَ الْإِكْتِحَالِ يَكُونُ بِالْإِثْمِ وَلَا يَكُونُ بِالْقَارِ . وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ  
أَبْنُ الْأَعْبَاسِ :

لِفَضْلِ بْنِ سَهْلٍ يَدُ تَقَاصَرَ عَنْهَا الْمَثَلُ

فَبَسَطْتُمَا الْمَعْنَى وَسَطَوْتُمَا لِلْأَجَلِ

وَبَاطِنُهَا لِلنَّدَى وَظَاهِرُهَا لِلْقَبْلِ

وَاخَذَ الْمَعْنَى الْأَمِيرُ أَبُو عَزِيزٍ قَتَادَةُ أَمِيرُ مَكَّةَ فَقَالَ مُشِيرًا إِلَى

يَدِهِ مِنْ آيَاتِ :

تَظَلُّ مُلُوكُ الْأَرْضِ تَأْتِمُ ظَهْرَهَا وَفِي بَطْنِهَا لِلنَّجْدِيِّينَ رَيْعُ

فَاتَّبَعَهُ ابْنُ الرُّومِيِّ فَأَحْسَنَ الْإِتِّبَاعَ فَقَالَ :

أَصْبَحْتُ بَيْنَ خَصَاصَةٍ وَجَمَلٍ وَأَخْرُ بَيْنَهُمَا يَمُوتُ هَزِيلًا

فَأَمَدُّ إِلَى يَدَا تَعَوَّدَ بَطْنُهَا بَذَلَ النِّوَالِ وَظَهَرُهَا التَّقْيِيلَا

وَمَا أَلْطَفَ قَوْلَ مَنْ قَالَ :

وَمَا أَلْهَرُ فِي حَالِ السُّكُونِ بِسَاكِنٍ

سِوَى أَنَّهُ مُسْتَجِمٌّ لَوُثُوبِ

وَأَمَّا أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ النَّابِغَةِ :

وَقُلْتُ يَا قَوْمُ إِنَّ أَلَيْثَ مُنْقَضٍ عَلَى بَرَائِثِهِ لِنُوبَةِ الضَّارِي

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ :

كَأَنَّ أَبَاهُ حِينَ سَمَاهُ صَاعِدًا رَأَى كَيْفَ يَرْقَى فِي الْمَلْعَلِي وَيَصْعَدُ

أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ الْجَحْزِيِّ :

سَمَاهُ أَسْرَتُهُ أَلْعَلَاءُ وَأَمَّا قَصَدُوا بِذَلِكَ أَنْ يَتِمَّ عِلَالُهُ

وَرَادَ أَبُو تَمَّامٍ عَلَى الْآفَوَةِ وَالنَّابِغَةِ وَآبِي نُوَّاسٍ وَمُسْلِمٍ فِي مَعْنَى

تَدَاوُلُوهُ وَهُوَ قَوْلُ الْآفَوَةِ :

وَرَى الطَّيْرَ عَلَى أَرْمَاحِنَا رَأَى عَيْنِ ثِقَّةٍ أَنْ سَمَّارَ

وَقَالَ النَّابِغَةُ :

إِذَا مَا غَزَوْا بِالْجَيْشِ حَلَقَ فَوْقَهُمْ عَصَابُ طَيْرٍ تَهْتَدِي بِعَصَابِ

جَوَانِحٍ قَدْ أَيقَنَ أَنَّ قَبِيلَهُ إِذَا مَا اتَّقَى الْجَمْعَانِ أَوَّلُ غَالِبِ

وَقَوْلُ أَبِي نُوَّاسٍ :

تَتَأَيَّأُ الطَّيْرُ غَزْوَةَ ثِقَّةٍ بِالشَّبْعِ مِنْ جَزَرِهِ

وَقَوْلُ مُسْلِمٍ :

قَدْ عَوَّدَ الطَّيْرَ عَادَاتٍ وَثِقْنَ بِهَا فَهَنْ يَبْتَعْنَهُ فِي كُلِّ مُوْتَحَلٍ

فَقَالَ أَبُو تَمَّامٍ :



أَقَامَتْ مَعَ الرِّايَاتِ حَتَّى كَانَتْهَا مِنْ أَلْبَنَسِ إِلَّا أَنَّهُ لَا تَقَاتِلُ  
وَقَوْلُهُ : ( أَقَامَتْ مَعَ الرِّايَاتِ زِيَادَةً ) وَزَادَ عَلَيْهِمْ بَعْضُ  
الْمُحَدِّثِينَ فَقَالَ :

حَتَّى تَكَادَ عَلَى أَعْيَانِهِمْ تَقَعُ

وَقَالَ أَبُو تَمَّامٍ :

هَمَّةٌ تَنْطَحُ الْجُرُومَ وَجِدُّ أَلْفٍ لِلْحَضِيضِ فَهُوَ حَضِيضُ  
أَخَذَهُ الْجُبَّارِيُّ فَحَسَّهُ وَهُوَ قَوْلُهُ :

مُخَيَّرٌ يَنْدُو بِعِزِّهِ قَائِمٌ فِي كُلِّ نَائِبَةٍ وَجِدَّ قَاءٍ

وَبِمَا أَخَذَهُ مِنْ أَبِي تَمَّامٍ فَحَسَّهُ تَشْبِيحًا حَسَنًا قَوْلُهُ :

مَلِكٌ لَهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ كَرِيمَةٌ إِقْدَامُ غَيْرِ وَأَعْدَاءُ مُجَرَّبِ  
هُوَ مِنْ قَوْلِ أَبِي تَمَّامٍ :

وَمُجَرَّبُونَ سَقَاهُمْ مِنْ بَأْسِهِ فَإِذَا لُقُوا فَكَانَتْهُمْ أَعْمَادُ  
وَقَالَ أَبُو الْقَتَاهِيَّةِ :

كَمْ نِعْمَةٍ لَا يُسْتَقَلُّ بِشُكْرِهَا لِلَّهِ فِي طَيِّ الْمَكَارِ وَكَارَمَةٍ  
أَخَذَهُ أَبُو تَمَّامٍ فَقَالَ :

قَدْ يُنْعِمُ اللَّهُ بِالْبُلُوَى وَإِنْ عَظُمَتْ وَيَتَلَيَّ اللَّهُ بَعْضَ الْقَوْمِ بِالتَّعَمُّ  
فَزَادَ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ أَتَى بِعَكْسِ الْمَعْنَى وَقَالَ أَبُو تَمَّامٍ :

رَأَيْتُ رَجَائِي فِيكَ وَحَدَّكَ هَمَّةٌ وَلَكِنَّهُ فِي سَائِرِ النَّاسِ مَطْمَعُ  
فَأَخَذَهُ الْجُبَّارِيُّ فَاخْتَصَرَهُ فَقَالَ :

ثَنَى أَمَلِي فَاخْتَارَهُ عَنْ مَعَايِرِ يَبْتَثُونَ وَالْأَمَالَ فِيهِمْ مَطَامِعُ

فَاخَذَهُ ابْنُ الرُّومِيِّ فَقَالَ :  
 بِهِ صَدَقَ اللَّهُ أَلَامَانِي حَدِيثَهَا  
 وَقَالَ أَبُو تَمَّامٍ :  
 أَنْضَرْتُ أَيْكَتِي عَطَايَاكَ حَتَّى  
 عَادَ غُضْنِي سَاقًا وَكَانَ قَضِييَا  
 فَقَالَ الْبُخَّارِيُّ وَزَادَ :  
 حَتَّى يَعُودَ الذِّبُّ لِيَأْضِغَمَا  
 وَالْغُضْنُ سَاقًا وَالْقَرَارَةُ نِيَمَا  
 وَمِثْلُ هَذَا كَثِيرٌ وَفِيهَا أوردتُ كِفَايَةً

### البحث الثاني

### في قبح الاخذ

( من كتاب الصنائع للمسكري )

( راجع صفحة ٢٤٣ من علم الادب )

وَقَبِجُ الْأَخِذِ أَنْ تَعِيدَ إِلَى الْمَعْنَى فَتَنَدَّأُولَهُ بِلَفْظِهِ كُلِّهِ أَوْ  
 أَكْثَرِهِ أَوْ تَخْرِجُهُ فِي مَعْرُضٍ مُسْتَهْجِنٍ. وَالْمَعْنَى إِنَّمَا يَحْسُنُ بِالْكُسُوفِ .  
 أَخْبَرَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا قَالَ قِيلَ لِلشَّعْبِيِّ : إِنَّا إِذَا سَمِعْنَا أَحَدِيثَ مِنْكَ  
 نَسْمَعُهُ بِخِلَافٍ مَا نَسْمَعُهُ مِنْ غَيْرِكَ . قَالَ : إِنِّي أَجِدُهُ عَادِيًا  
 فَأَكْثُوهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ أَزِيدَ فِيهِ حَرْفًا . أَيِ مِنْ غَيْرِ أَنْ أَزِيدَ فِي  
 مَعْنَاهُ شَيْئًا فَمَا أَخِذَ بِلَفْظِهِ وَمَعْنَاهُ وَادَّعَى أَخِذَهُ أَنَّهُ لَمْ يَأْخُذْهُ  
 وَلَكِنْ وَقَعَ كَمَا وَقَعَ لِلأَوَّلِ كَمَا سَأَلَ أَبُو عَمْرٍو بْنُ الْعَلَاءِ عَنْ  
 الشَّاعِرِينَ يَتَّفِقَانِ عَلَى لَفْظٍ وَاحِدٍ وَمَعْنَى . فَقَالَ : عُشُولُ الرِّجَالِ

تَوَافَتْ عَلَى السِّتِّهَا وَذَلِكَ قَوْلُ طَرَفَةٍ :  
 وَقُوفًا بِهَا صَحْبِي عَلَى مَطِيَّهِمْ يَقُولُونَ لَا تَهْلِكِ أَسَى وَتَجَلَّدِ  
 وَهُوَ قَوْلُ أَمْرِئِ الْقَيْسِ :  
 وَقُوفًا بِهَا صَحْبِي عَلَى مَطِيَّهِمْ يَقُولُونَ لَا تَهْلِكِ أَسَى وَتَجَلَّدِ  
 فَغَيَّرَ طَرَفَةُ أَلْقَايَةَ . وَقَالَ أَلْبُعَيْثُ :  
 أَرْجُو كَلِيبُ أَنْ يَحْيِيَ حَدِيثَهَا بِحَيْرٍ وَقَدْ آتَا كَلِيبًا قَدِيمَهَا  
 وَقَالَ الْفَرَزْدَقُ :

أَرْجُو رَيْعَ أَنْ تَحْيِيَ صِغَارَهَا بِحَيْرٍ وَقَدْ آتَا رَيْعًا كِبَارَهَا  
 وَمِثْلُ هَذَا كَثِيرٌ فِي أَشْعَارِهِمْ جِدًّا وَالْأَخْذُ إِذَا كَانَ كَذَلِكَ  
 كَانَ مَعِيًّا وَإِنْ أَدْعَى الْآخِرُ أَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ قَوْلَ الْأَوَّلِ بَلْ وَقَعَ  
 لَهُ كَمَا وَقَعَ لَذَاكَ فَإِنَّ صِحَّةَ ذَلِكَ لَا يَعْرِفُهَا إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ  
 وَالْعَيْبُ لَا زِمَ لِلْآخِرِ . وَإِذَا كَانَ الْقَوْمُ فِي قَيْسِلَةٍ وَاحِدَةٍ فَإِنَّ  
 خَوَاطِرَهُمْ تَقَعُ مُتَقَارِبَةً كَمَا أَنَّ أَخْلَاقَهُمْ وَشَمَائِلَهُمْ تَكُونُ مُتَضَارِعَةً  
 وَأَنْشَدْتُ الصَّاحِبَ إِسْمَاعِيلَ بْنَ عَبَّادٍ :

كَانَتْ سَرَاةُ النَّاسِ تَحْتَ أَظْلَةٍ

فَسَبَقَنِي وَقَالَ :

فَقَدَّتْ سَرَاةُ النَّاسِ فَوْقَ سَرَاتِهِ

وَكَذَلِكَ كُنْتُ قُلْتُ : فَعَلَى هَذَا جَائِزٌ مَا يُدْعَى لَهُمْ وَالظَّاهِرُ  
 مَا قُلْنَاهُ فَهَذَا ضَرْبٌ . وَالضَّرْبُ الْآخِرُ مِنَ الْأَخْذِ الْمُسْتَهْجَنِ أَنْ  
 يَأْخُذَ الْمَغْنَى فَيُفْسِدَهُ أَوْ يُعْرِضَهُ أَوْ يُخْرِجُهُ فِي مَعْرِضٍ قَبِيحٍ وَكُسُوةٍ

مُسْتَرْدَلَةٍ . وَذَلِكَ مِثْلُ قَوْلِ أَبِي كَرِيمَةَ :  
 قَفَاهُ وَجْهَهُ ثُمَّ وَجْهَهُ الَّذِي قَفَا هُ وَجْهَهُ يُشْبِهُ الْبَدْرَا  
 وَإِنَّمَا أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ أَبِي نَوَاسٍ :  
 بَرَّ حُسْنَ الْوُجُوهِ حُسْنُ قَفَانَا

وَأَخَذَهُ أَبُو نَوَاسٍ مِنْ قَوْلِ النَّابِغَةِ بِقَوْلِهِ لِلنُّعْمَانِ بْنِ الْمُثَنِّدِ :  
 أَيَاخِرُكَ أَبْنُ جَفَنَةٍ وَاللَّاتِ لَأَمْسُكَ خَيْرٌ مِنْ يَوْمِهِ وَلَقَدْ أَلَمْتُ أَحْسَنُ  
 مِنْ وَجْهِهِ وَلَيْسَارَكَ أَسْحَ مِنْ يَمِينِهِ . وَلَعَبِيدُكَ أَكْثَرُ مِنْ قَوْمِهِ  
 وَلِنَفْسِكَ أَكْثَرُ مِنْ جَنْدِهِ وَلِكَوْمِكَ أَشْرَفُ مِنْ دَهْرِهِ . وَلَوْ عَدْتُكَ  
 أَنْجَزُ مِنْ رَفِيدِهِ . وَلَهْزُكَ أَضَوْبُ مِنْ جِدِّهِ . وَلَكُرْسِيُّكَ أَرْفَعُ مِنْ  
 سَرِيرِهِ . وَلَقِتْرُكَ أَبْسَطُ مِنْ شِبْرِهِ . وَلَأَمْتُكَ خَيْرٌ مِنْ آيِهِ . وَسَمِعَ  
 بَعْضُهُمْ قَوْلَ مُحَمَّدٍ الْوَرَّاقِ :

إِذَا كَانَ شُكْرِي نِعْمَةً اللَّهُ نِعْمَةً      عَلَيَّ لَهُ فِي مِثْلِهَا يَجِبُ الشُّكْرُ  
 فَكَيْفَ بُلُوغُ الشُّكْرِ إِلَّا بِفَضْلِهِ      وَإِنْ طَالَتْ الْأَيَّامُ وَأَتَّصَلَ الْعُمْرُ  
 إِذَا مَسَّ بِالْإِسْرَاءِ عَمَّ سُورُهَا      وَإِنْ سَسَّ بِالْإِسْرَاءِ أَعْقَبَهَا الْأَجْرُ  
 وَمَا مِنْهَا إِلَّا لَهُ فِيهِ نِعْمَةٌ      تَضِيقُ بِهَا الْأَوْهَامُ وَالْأَبْرُ وَالْجُرُ  
 فَقَالَ وَأَسَاءَ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ إِنَّ اللَّهَ ذُو نِعَمٍ      لَمْ يُخْصِهَا عَدَدًا بِالشُّكْرِ مِنْ حَمْدَا  
 شُكْرِي لَهُ عَمَلٌ فِيهِ عَلَيَّ لَهُ      شُكْرٌ يَكُونُ لِشُكْرِ قَبْلَهُ مَدَدَا  
 فَهَذَا مِثَالُ قَتِيجِ الْأَخْذِ فَأَعْلَمُهُ .      وَأَخَذَ ابْنُ بَطَّاطَا قَوْلَ عَلِيٍّ  
 قِيمَةُ كُلِّ أَمْرٍ مَا يُحْسِنُهُ . فَقَالَ :

فَيَا لَأَنِّي دَعْنِي أَغَالِي بِقِسْمِي قِسْمَهُ كُلُّ النَّاسِ مَا يُحْسِنُونَهُ  
فَأَخَذَهُ بِلَفْظِهِ وَأَخْرَجَهُ بَغِيضًا مُتَكَلِّفًا . وَالْجَيْدُ قَوْلُ الْآخِرِ :  
( قِسْمَهُ كُلِّ أَمْرِي عَلَيْهِ ) فَهَذَا وَإِنْ كَانَ أَخَذَهُ بِبَغْضِ لَفْظِهِ فَإِنَّ  
يَتَنَّهُ أَحْسَنُ مَوْقَعًا مِنْهُ مِنْ بَيْتِ ابْنِ طَبَاطَبَا . وَمِمَّا قَصَّرَ فِيهِ التَّجْزِيءُ  
قَوْلُهُ :

قَوْمٌ تَرَى أَرْمَاحَهُمْ يَوْمَ الْوَعَى مَشْغُوفَةً بِمَوَاطِنِ الْكِتَانِ  
أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ عَمْرِو بْنِ مَعْدِي كَرَبَ :

وَالضَّارِبِينَ بِكُلِّ آيِضٍ مُرْتَهَفٍ وَالطَّاعِنِينَ مَجَامِعَ الْأَضْغَانِ  
فَإِنَّ قَوْلَهُ ( مَجَامِعَ الْأَضْغَانِ ) أَجُودُ مِنْ قَوْلِهِ : مَوَاطِنُ الْكِتَانِ  
لَا تَنَّهُمْ إِنَّمَا يُطَاعِنُونَ الْأَعْدَاءَ مِنْ أَجْلِ أَضْغَانِهِمْ فَإِذَا وَقَعَ الطَّعْنُ  
فِي مَوْضِعِ الضَّغْنِ فَذَلِكَ غَايَةُ الْمُرَادِ . وَأَنشَدَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَنْ عَمِّهِ :  
حَرَامٌ عَلَى أَرْمَاحِنَا طَعْنُ مُذِيرٍ وَتَنْدَقُ قَدَمًا فِي الصُّدُورِ صُدُورُهَا  
مُسَلَّمَةٌ أَنْجَازُ خَيْلِي فِي الْوَعَى مُكَلَّمَةٌ لَبَّائِهَا وَتُحَوِّرُهَا  
أَخَذَهُ أَبُو تَمَّامٍ فَقَالَ :

أَنَسْتُ إِذَا مَا اسْتَحْكَمَ الرَّوْعُ كَسَرُوا

صُدُورَ الْعَوَالِي فِي صُدُورِ الْكَتَائِبِ

فَاحْسًا جَمِيعًا وَمِثْلُهُ قَوْلُ الْآخِرِ :

يَلْقَى السُّيُوفَ بِحَرِّهِ وَبَوَجْهِهِ وَيُقِيمُ هَامَتَهُ مَقَامَ الْغَفْرِ  
وَيَقُولُ لِلطَّرَفِ أَضْطَرَّ لِشَبَابِنَا فَهَدَمْتُ رُكْنَ الْحَجْدِ إِنْ لَمْ يُغْفَرْ  
وَمِثْلُهُ قَوْلُ بَكْرِ بْنِ النَّطَّاحِ :

يَتَلَقَّى الْاُنْدَى بِوَجْهِ حَيٍّ وَصُدُورَ اَلْقَنَاءِ بِوَجْهِ وَقَاحٍ  
وَهَذَا كُلُّهُ مَاخُودٌ مِنْ قَوْلِ كَعْبِ بْنِ زُهَيْرٍ :  
لَا يَقَعُ الطَّغْنُ اِلَّا فِي نُحُورِهِمْ لَيْسَ لَهُمْ عَنْ حِيَاضِ الْمَوْتِ تَهْلِيلُ  
وَهُوَ دُونَ جَمِيعِ مَا تَقَدَّمَ . وَقَدْ اَتَيْتُ فِي هَذَا اَبَابٍ عَلَى  
اَلْكِفَايَةِ . قَسَّ بِمَا اُورِدْتُهُ عَلَى مَا تَرَكْتُهُ فَاِنِّي لَوْ اَسْتَقْصَيْتُهُ خَرَجَ  
هَذَا الْكِتَابُ عَنِ الْمُرَادِ وَزَاغَ عَنِ الْاِثَارِ وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ

### المبحث الثالث

### في حل الشعر

( عن المثل السائر والوشى المرقوم لابن الاثير )

( راجع صفحة ٢٤٤ من علم الادب )

حَلُّ الْاَلْبِيَاتِ الشَّعْرِيَّةِ يَنْقَسِمُ اِلَى ثَلَاثَةِ اَقْسَامٍ : ( اَلْاَوَّلُ )  
مِنْهَا وَهُوَ اَدْنَاهَا مَرْتَبَةً اَنْ يَأْخُذَ النَّائِرُ بَيْتًا مِنَ الشَّعْرِ فَيَنْثُرُهُ بِلَفْظِهِ  
مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ وَهَذَا غَيْبٌ فَاَحْسُ . وَمِثَالُهُ كُنْ اَخَذَ عَشْدًا قَدْ  
اُتَقِنَ نَظْمُهُ وَاَحْسَنَ تَأْلِيْفُهُ فَاَوْهَاهُ وَبَدَّدَهُ وَكَانَ يَقُومُ عُذْرُهُ فِي  
ذَلِكَ اَنْ لَوْ نَقَلْنَاهُ عَنْ كَوْنِهِ عَشْدًا اِلَى صُورَةٍ اُخْرَى مِثْلِهِ اَوْ اَحْسَنَ  
مِنْهُ . وَايْضًا فَاِنَّهُ اِذَا نَثَرَ الشَّعْرُ بِلَفْظِهِ كَانَ صَاحِبُهُ مَشْهُورَ السَّرِقَةِ  
فَيُقَالُ : هَذَا شِعْرُ فُلَانٍ بَعِيْنِهِ لِكَوْنِ اَلْفَاطِلِ بِاَقْيَمَةٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ مِنْهَا شَيْءٌ  
وَقَدْ سَاكَ هَذَا الْمَسَالِكُ بَعْضُ الْعِرَاقِيِّينَ فُجَاءَ مُسْتَهْجَبًا لَا مُسْتَحْسَنًا .

كَقَوْلِهِ فِي بَعْضِ آيَاتِ الْحِمَاسَةِ :

وَالَّذِي حَقَّ عَلَيَّ كَأَنَّمَا تَغْلِي عَدَاوَةُ صَدْرِهِ فِي مِرْجَلِ  
أَرْجِيئْتُهُ عَنِّي فَأَبْصَرَ قَصْدَهُ وَكَرَيْتُهُ فَوْقَ النَّوَاطِرِ مِنْ عَلِيٍّ  
( فَيُقَالُ ) فِي نَثَرِ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ : فَكَمْ لَقِيَ أَلَدَّ ذَا حَقِّ  
كَأَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَى الْكَوَاصِبِ مِنْ عَلٍ وَتَغْلِي عَدَاوَةُ صَدْرِهِ فَكَوَاهُ  
فَوْقَ نَاطِرِيهِ وَأَكْبَهُ لِقِيهِ وَيَدِيهِ . فَلَمْ يَزِدْ هَذَا النَّاثِرُ عَلَى أَنْ  
أَزَالَ رَوْنَقَ أَلْوَزِنِ وَطَلَاوَةَ النَّظْمِ لَاغَيْرُ . وَمِنْ هَذَا الْقِسْمِ ضَرْبٌ  
مَحْمُودٌ لَا عَيْبَ فِيهِ وَهُوَ أَنْ يَكُونَ الْبَيْتُ مِنَ الشِّعْرِ قَدْ تَضَمَّنَ شَيْئًا  
لَا يُمْكِنُ تَغْيِيرُ لَفْظِهِ فَيُحْيِنْدُ يُعَدُّ نَاثِرُهُ إِذَا أَتَى بِذَلِكَ اللَّفْظِ .  
وَكَذَلِكَ الْأَمْثَالُ السَّائِرَةُ فَإِنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ ذِكْرِهَا عَلَى مَا جَاءَتْ فِي  
الشِّعْرِ . ( وَأَمَّا الْقِسْمُ الثَّانِي ) فَهُوَ وَسْطُ بَيْنِ الْأَوَّلِ وَالثَّلَاثِ فِي  
الْمُرْتَبَةِ وَهُوَ أَنْ يَنْثُرَ أَلْفَعَى الْمَنْظُومَ بَعْضُ أَلْفَاظِهِ وَيُعَيَّرَ عَنْ أَلْبَعْضِ  
بِأَلْفَاظٍ أُخَرَ وَهُنَاكَ تَظْهَرُ الصَّنْعَةُ فِي الْمُمَاثَلَةِ وَالْمُشَابَهَةِ وَمُؤَاخَاةِ  
أَلْفَاظِ الْبَاقِيَةِ بِأَلْفَاظِ الْمُرْتَجَلَةِ فَإِنَّهُ إِذَا أَخَذَ لَفْظًا لِشَاعِرٍ مُحْسِدٍ  
قَدْ نَقَحَهُ وَصَحَّحَهُ فَقَرَنَهُ بِمَا لَا يِلَانِيهِ كَانَ كَمَنْ جَمَعَ بَيْنَ لَوْلُؤَةٍ وَحَصَاةٍ .  
وَلَا خَفَاءَ بِمَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْإِتِّصَابِ لِلْقَدَحِ وَالْإِسْتِهْدَافِ لِلطَّعْنِ  
وَالطَّرِيقُ الْمَسْأَلُوكُ إِلَى هَذَا الْقِسْمِ أَنْ تَأْخُذَ بَعْضُ بَيْتٍ مِنْ  
الْآيَاتِ الشِّعْرِيَّةِ هُوَ أَحْسَنُ مَا فِيهِ ثُمَّ تُمَازِلُهُ . وَسَاوَرِدُ هَهُنَا مِثَالًا  
وَاحِدًا لِيَكُونَ قُدْوَةً لِلْمُتَعَلِّمِ ( فَأَقُولُ ) : قَدْ وَرَدَ هَذَا الْبَيْتُ مِنْ  
شِعْرِ أَبِي نَمَامٍ فِي وَصْفِ قَصِيدَةٍ لَهُ :

وَحَدَاءَ تَمْلَأُ كُلُّ أُذُنٍ حِكْمَةً وَبَلَاغَةً وَتُؤَدُّ كُلُّ وَرِيدٍ  
 قَوْلُهُ ( تَمْلَأُ كُلُّ أُذُنٍ حِكْمَةً ) مِنَ الْكَلَامِ الْحَسَنِ وَهُوَ أَحْسَنُ  
 مَا فِي الْبَيْتِ فَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَنْثُرَ هَذَا أَلْعَنِي فَلَا بُدَّ مِنْ اسْتِعْمَالِ  
 لَفْظِهِ بَيْنَهُ لِأَنَّهُ فِي أَلْفَايَةِ الْقُصُودِ مِنَ الْقَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ . فَعَلَيْكَ  
 أَنْ تُوَاجِهَ بِمِثْلِهِ وَهَذَا عَسِرٌ جِدًّا وَهُوَ أَضْعَفُ مِثَالًا مِنْ نَثْرِ الشَّعْرِ  
 بِغَيْرِ لَفْظِهِ لِأَنَّهُ مَسْلُوكٌ ضَيْقٌ لِمَا فِيهِ مِنَ التَّعَرُّضِ لِمِثَالِهِ مَا هُوَ فِي  
 غَايَةِ الْحَسَنِ وَالْجُودَةِ . وَأَمَّا نَثْرُ الشَّعْرِ بِغَيْرِ لَفْظِهِ فَذَلِكَ يَتَصَرَّفُ  
 فِيهِ نَازِعُهُ عَلَى حَسَبِ مَا يَرَاهُ وَلَا يَكُونُ مُقَيَّدًا فِيهِ بِمِثَالٍ يُضْطَرُّ إِلَى  
 مُوَاجِهَاتِهِ . وَقَدْ نَثَرْتُ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ الْمُسَارِ إِلَيْهَا وَأَتَيْتُ بِهَا فِي  
 جُمْلَةِ كِتَابِ قُلْتُ : وَكَلَامِي قَدْ عُرِفَ بَيْنَ النَّاسِ وَأَشْهَرَ . وَفَاقَ  
 مَسِيرَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ . وَإِذَا عُرِفَ الْكَلَامُ صَارَتْ الْمَعْرِفَةُ لَهُ  
 عَلَامَةً . وَأَمِنْ مَنْ بَرَقَتْهُ إِذْ لَوْ سُرِقَ لَدَلَّتْ عَلَيْهِ أَلُوسَامَةُ . وَمِنْ  
 خَصَائِصِ بَيِّنَاتِهِ أَنْ يَمْلَأَ كُلُّ أُذُنٍ حِكْمَةً . وَيَجْعَلَ فَصَاحَةً كُلِّ لِسَانٍ  
 عَجْمَةً . وَإِذَا جَرَتْ نَفَثَاتُهُ فِي الْأَفْهَامِ قَالَتْ : أَهْذِهِ بِنْتُ فِكْرَةٍ  
 أَمْ بِنْتُ كَرَمَةٍ . فَانْظُرْ كَيْفَ فَعَلْتُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ فَإِنِّي لَمَّا  
 أَخَذْتُ تِلْكَ الْكَلِمَاتِ مِنَ الْبَيْتِ الشَّعْرِيِّ اَلْتَزِمْتُ بِأَنْ أُوَاجِهَا  
 بِمَا هُوَ مِثْلُهَا أَوْ أَحْسَنُ مِنْهَا فَحُتُ بِهَذَا الْفَضْلِ كَمَا تَرَاهُ . وَكَذَلِكَ  
 يَنْبَغِي أَنْ يُفْعَلَ فِيمَا هَذَا سَبِيلُهُ . ( وَأَمَّا الْقِسْمُ الثَّلَاثُ ) وَهُوَ أَعْلَى  
 مِنَ الْقِسْمَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ فَهُوَ أَنْ يُؤْخَذَ أَلْعَنِي فَيَصَاحُ بِالْفَاعِلِ غَيْرِ  
 الْفَاعِلِ . وَتَمَّ يَتَبَيَّنُ جَذْقُ الصَّائِرِ فِي صِيَاعَتِهِ وَيَعْلَمُ مَقْدَارُ تَصَرُّفِهِ



فِي صِنَاعَتِهِ فَإِنْ اسْتَطَاعَ الزِّيَادَةَ عَلَى الْمَعْنَى فَتِلْكَ الدَّرَجَةُ الْعَالِيَةُ  
وَالْأَحْسَنُ التَّصَرُّفُ وَاتَّقِنِ التَّأْلِيفَ لِيَكُونَ أَوَّلَى بِذَلِكَ الْمَعْنَى  
مِنْ صَاحِبِهِ الْأَوَّلِ . وَاعْلَمْ أَنَّ مِنْ آيَاتِ الشَّعْرِ مَا يَتَّسِعُ الْجَهْلُ  
لِثَرِّهِ فَيُورِدُهُ بِضُرُوبٍ مِنَ الْعِبَارَاتِ . وَذَلِكَ عِنْدِي شَبِيهُ بِالْمَسَائِلِ  
السَّيِّئَةِ فِي الْحِسَابِ الَّتِي يُجَابُ عَنْهَا بَعْدَ أَجْوَبَةٍ . وَمِنْ الْآيَاتِ مَا  
يَضِيقُ فِيهِ الْجَهْلُ حَتَّى يَكَادَ الْمَاهِرُ فِي هَذِهِ الصَّاعَةِ أَنْ لَا يَخْرُجَ  
عَنْ ذَلِكَ اللَّفْظِ وَإِنَّمَا يَكُونُ هَذَا لِعَدَمِ النَّظِيرِ . . . وَإِذَا انْتَهَى بِنَا  
الْكَلَامِ إِلَى هَاهُنَا فِي التَّنْبِيهِ عَلَى نَثْرِ الشَّعْرِ وَكَيْفِيَةِ نَثْرِهِ وَذِكْرِ  
مَا يَسْهُلُ مِنْهُ وَمَا يَعْسُرُ . فَلْنُشِيعْ ذَلِكَ بِقَوْلِ كُلِّي فِي هَذَا أَلْبَابِ  
فَنَقُولُ : مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ كَاتِبًا أَوْ كَانَ عِنْدَهُ طَبْعٌ مُجِيبٌ  
فَعَلَيْهِ بِحِفْظِ الدَّوَاوِينِ ذَوَاتِ الْعَدَدِ وَلَا يَقْنَعُ بِالْقَلِيلِ مِنْ ذَلِكَ .  
ثُمَّ يَأْخُذُ فِي نَثْرِ الشَّعْرِ مِنْ مَحْفُوظَاتِهِ . وَطَرِيقُهُ أَنْ يَبْتَدِئَ فَيَأْخُذَ  
قَصِيدًا مِنَ الْقَصَائِدِ فَيَنْثُرُهُ بَيْنًا بَيْنًا عَلَى التَّوَالِي . وَلَا يَسْتَنْكِفُ فِي  
الْإِبْتِدَاءِ أَنْ يَنْثُرَ الشَّعْرَ بِالْقَاطِظِ أَوْ بِأَكْثَرِهَا فَإِنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ إِلَّا  
ذَلِكَ وَإِذَا مَرَّتْ نَفْسُهُ وَتَدَرَّبَ خَاطِرُهُ ارْتَفَعَ عَنْ هَذِهِ الدَّرَجَةِ  
وَصَارَ يَأْخُذُ الْمَعْنَى وَيَكْسُوهُ عِبَارَةً مِنْ عِنْدِهِ . ثُمَّ يَرْتَفِعُ عَنْ ذَلِكَ  
فَيَكْسُوهُ ضُرُوبًا مِنَ الْعِبَارَاتِ الْمُخْتَلِفَةِ وَحِينَئِذٍ يَحْصُلُ لِحَاطِرِهِ بِمُبَاشَرَةٍ  
الْمَعَانِي لِقَاحٌ فَلْيَسْتَشِجْ مِنْهَا مَعَانِي غَيْرَ تِلْكَ الْمَعَانِي وَسَبِيلُهُ أَنْ  
يَكْثُرَ الْأَدْمَانُ لَيْلًا وَنَهَارًا وَلَا يَزَالَ عَلَى ذَلِكَ مُدَّةً طَوِيلَةً حَتَّى يَصِيرَ  
لَهُ مَلَكَ . فَإِذَا كَتَبَ كِتَابًا أَوْ خَطَبَ خُطْبَةً تَدَفَّقَتِ الْمَعَانِي فِي

أَشَاءُ كَلَامِهِ وَجَاءَتْ أَلْفَاظُهُ مَعْسُولَةٌ مَعْسُولَةٌ وَكَانَ عَلَيْهَا حَدٌّ  
حَتَّى تَكَادَ تَرْقُصُ رَقْصًا . وَهَذَا شَيْءٌ خَارِئٌ بِالْجَرَبَةِ وَلَا يُنْبِئُكَ مِثْلُ  
خَيْرٍ

تَمَّ بِعَوْنِهِ تَعَالَى



# فهرس

## المقالات

وجه	وجه
١٨ البحث السابع في الحافظة	٣ قوطة
البحث الثامن في تفسير الذوق في	البحث الاول في حد علم الادب ٣
٢٠ مصطلح اهل البيان	البحث الثاني في تقسيم الادب وانواع
٢٢ البحث التاسع في المطالعة	العلوم الادبية ٢
البحث العاشر في الارتياض والممارسة ٢٥	البحث الثالث في موضوع علم الادب
البحث الحادي عشر في طرائق	واركانه ٥
مختلفة من الممارسة والتمرين ٢٦	البحث الرابع في شرف الادب
فصل في صفة الكاتب وما يحتاج اليه	ومنافعه ٧
٢٨ من المعارف	فصل في قوى العقل الفرزنية ٩
البحث الاول في صفة الكاتب	البحث الاول في العقل وشرفه واصل
٢٨ الظاهرة	تسميته وتقسيمه ٩
البحث الثاني في ادوات علم	البحث الثاني في تقسيم العقل الى
٢٩ الكتابة	غريزي ومكتسب ١٠
البحث الثالث فيما يجب على الكاتب	البحث الثالث في العقل الغريزي
٣٠ معرفته	وتعريفه ١١
الجزء الاول في علم الانشاء ٣٧	البحث الرابع في العقل المكتسب ١٢
بحث في تعريف الانشاء ٣٧	البحث الخامس في الصور والتمثيل ١٦
٣٩ الفصل الاول في الفصاحة	البحث السادس الخيال والخيالي ١٧

وجه

البحث الخامس في الترجيع بين

المعاني ٧٩

البحث السادس في الفصل

والوصل ٨٢

البحث السابع في تأكيد الكلام

وقصره وتغزيره بان واغا ٨٧

البحث الثامن في التقديم والتأخير ٩٠

البحث التاسع في الحذف والاضمار ٩٦

البحث العاشر في جوامع الكلام ٧٩

البحث الحادي عشر في الانسجام ١٠٢

البحث الثاني عشر في القول في

النظم ١٠٣

الفصل الرابع في البيان ١٠٥

البحث الاول في تحديد البيان على

وجه الاجمال ١٠٥

البحث الثاني في تعريف علم

البيان ١٠٦

البحث الثالث في الحقيقة والمجاز ١٠٨

البحث الرابع في الاستعارة ١١٣

البحث الخامس فيما تدخله الاستعارة

وما لا تدخله ١١٧

البحث السادس في اقسام

الاستعارة ١١٧

وجه

البحث الاول في تحديد الفصاحة ٣٩

البحث الثاني في الفرق بين الفصاحة

والبلاغة وموضوعها ٣٩

البحث الثالث في حقيقة الفصاحة ٤٢

البحث الرابع في احكام الفصاحة

وشروطها ٤٦

البحث الخامس في الالفاظ المترادفة

والاسماء المشتركة ٥٢

البحث السادس في فصاحة المفرد

وفصاحة المركب ٥٤

الفصل الثاني في البلاغة ٥٩

البحث الاول في الابانة عن حد

البلاغة ٥٩

البحث الثاني اقوال في تحديد

البلاغة ٦١

البحث الثالث في اوصاف البلاغات

على السنة اقوام من اهل البلاغات ٦٥

الفصل الثالث في المعاني ٦٨

البحث الاول في حقيقة المعاني ٦٨

البحث الثاني في صحة المعاني ٧٠

البحث الثالث في انواع المعاني ٧٢

البحث الرابع في الحكم على المعاني ٧٤

وجه

البحث الحادي والعشرون في  
المذهب الكلامي ١٨٤

الفصل الخامس في محاسن الانشاء  
ومعانيه ١٨٧

البحث الاول في تمييز الكلام جيده  
من رديئه ونادروه من باردوه ١٨٧

البحث الثاني في التنبيه على خطأ  
المعاني وصوابها ١٩٥

البحث الثالث في كيفية نظم الكلام  
وما ينبغي استعماله في تأليفه ٢١٠

البحث الرابع في خواص الكلام  
الحرّ ٢١٣

البحث الخامس في تذيب الكلام  
وتقيقه ٢١٥

البحث السادس في شروط  
الكلام ٢١٩

البحث السابع في عيوب الكلام ٢٢٥

البحث الثامن في الالتباس والاسباب  
المائعة من فهم المعاني ٢٢٨

البحث التاسع في المعاطلة ٢٣٦

البحث العاشر في المنافرة بين  
الالفاظ في السبك ٢٤٣

الفصل السادس في وجوه

وجه

البحث السابع في جيد الاستمارة  
ورديتها ومتوسطها ١٢٢

البحث الثامن في ما جاء من  
الاستعارات في كلام العرب ١٢٥

البحث التاسع في مراعاة الظير ١٣١

البحث العاشر في المجاز المرسل ١٣٤

البحث الحادي عشر في القول عن  
الكناية ١٣٩

البحث الثاني عشر في التعريض ١٤٢

البحث الثالث عشر في ما ورد من  
الكنائيات عن العرب ١٤٤

البحث الرابع عشر في المبالغة ١٤٩

البحث الخامس عشر في التكرير ١٥٦

البحث السادس عشر في حقيقة  
التشبيه وتحديد ١٦٤

البحث السابع عشر في اركان  
التشبيه ومحاسنه وفوائده ١٦٦

البحث الثامن عشر في اقسام  
التشبيه ١٧٠

البحث التاسع عشر في التشاييه  
المستعملة عند العرب ١٢٦

البحث العشرون في معاي  
التشبيه ١٨١

وجه	الكلام
٢٩٥	٢٤٧
البحث السادس في المطابقة ٣١٢	البحث الاول في وجوه البلاغة
البحث السابع في حقيقة التجنيس ٣١٧	٢٤٧ وطبقات الكلام
البحث الثامن في ذكر انواع	البحث الثاني في بيان المطبوع من
٣٢٠ التجنيس	٢٥٤ الكلام والمصنوع
الفصل الثامن في فنون الاشياء ٣٢٦	البحث الثالث في السجع وانواعه ٢٥٨
البحث الاول في المثل وشرفه ٣٢٦	البحث الرابع في اقسام السجع
البحث الثاني في آداب المثل	٢٦١ وضروبه
٣٢٩ وشروطه	البحث الخامس في الایجاز ٢٦٥
البحث الثالث في آداب المحادثة	البحث السادس في المساواة ٢٧٣
٣٣٢ والرواية	البحث السابع في الاطناب ٢٧٥
البحث الرابع في حقيقة التاريخ	البحث الثامن في مواقع الاطناب ٢٧٩
٣٣٤ وموضوعه	الفصل السابع في البديع ٢٨٢
البحث الخامس في شرف التاريخ ٣٣٦	البحث الاول في حقيقة علم البديع ٢٨٢
البحث السادس في شروط التاريخ ٣٤١	البحث الثاني في ان البديع احد
البحث السابع في الاصول العشرة التي	٢٨٩ علوم الادب الستة
يعتمدها الكاتب في المكاتبات ٣٤٣	البحث الثالث في نسبة علم البديع
الفصل التاسع في حل الشعر	الى علمي المعاني والبيان ٢٩٠
٣٤٩ والاحتذاء	البحث الرابع في اقسام البديع ٢٩٢
البحث الاول في حسن الاخذ ٣٤٩	البحث الخامس في تاريخ علم البديع
البحث الثاني في قبح الاخذ ٣٦٣	وفي اصحاب البديعات ٢٩٣
البحث الثالث في حل الشعر ٣٦٧	بديعة الخوري الفاضل ارسانيوس









